عمر علي بن إسماعيل

إنهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا

١٧٩٥ - ١٨٣٥

الناشر
مكتبة الفرجاني
طرابلس - ليبيا

إنهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا

١٧٩٥ - ١٨٣٥

تاليف

عمر علي بن اسماعيل

ليسانس في التاريخ - كلية الآداب والتربية
بالجامعة الليبية
ماجستير في التاريخ الحديث - كلية الآداب
بجامعة عين شمس - القاهرة

الناشر

مكتبة الفرجاني

طرابلس - ليبيا

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

بيروت – ١٩٦٦

هذا الكتاب هو عبارة عن الرسالة التي تقدم بها المؤلف الى كلية الآداب بجامعة عين شمس بالقاهرة، للحصول على درجة الماجستير في التاريخ الحديث .

وقد نوقشت ونالت تقديراً ممتازاً . وذلك يوم ١٩٦٦/٥/٢٤ .

وقد أشرف على هذه الرسالة ، الأستاذ الدكتور أحمد عزت عبد الكريم ، استاذ التاريخ الحديث، ووكيل جامعة عين شمس .

الناشر
مكتبة الفرجاني
طرابلس الغرب – ليبيا

الإهــــداء

الى

الجامعة الليبية الفتية التي علمتني وفتحت

أمامي أبواب المعرفة

الى

الشعب الليبي المكافح الذي برهن

على جدارته للبقاء

الى

والدي الكريمين

اهدي كتابي هذا

عمر علي بن اسماعيل

مقدمة

" تتناول هذه الدراسة موضوع انهيار حكم الأسرة القرمانلية ، تلك الاسرة التي حكمت ايالة طرابلس الغرب، أو ما تسمى حالياً باسم المملكة الليبية ، مدة تقرب من مائة وأربع عشرة سنة .

ودراسة هذه الفترة التاريخية على جانب عظيم من الأهمية لأنها تقدم لنا صورة واضحة المعالم عن تاريخ ليبيا في تلك الحقبة البعيدة من الزمن ، التي يمكن أن نحدد بدايتها بسنة ١٧١١ ميلادية ، وهي السنة التي تولى فيها أحمد باشا القرمانلي الحكم ، وكذلك نهايتها بسنة ١٨٣٥ ،وهي السنة التي انتهى فيها حكم هذه الأسرة ."

" كما ان هذه الفترة التاريخية مليئة بالأحداث الهامة سواء أكانت تلك الأحداث داخلية أم خارجية .

ولعل أهم تلك الأحداث الداخلية ما يتمثل في ذلك الصراع الأسري بين أفراد الأسرة القرمانلية من أجل الوصول الى الحكم ، بالاضافة الى تلك الثورات الداخلية التي اجتاحت البلاد في أواخر عهد يوسف باشا القرمانلي ، واشتدادها في عهد ابنه علي باشا ، من أجل التخلص من

حكمهما الذي أرهق طاقات الأهالي وأثقل كاهلهم بما فرضا عليهم من ضرائب استثنائية، بالاضافة الى استحواذهما على خيرات البلاد الانتاجية .

فكان ذلك النزاع وتلك الثورات الداخلية من أهم العوامل التي سارعت بانهيار حكم هذه الأسرة .

أما أهمية الأحداث الخارجية فتتمثل في ذلك النزاع الذي قام بين حكام هذه الأسرة وبين الدول الأروبية وغير الأروبية التي كانت تتخذ البحر الأبيض المتوسط مجالاً لنشاطها وطريقاً تسلكه سفنها التجارية . وكان ذلك النزاع نتيجة لمحاولة حكام الأسرة القرمانلية فرض مشيئتهم على تلك الدول ، واجبارها على تقديم الاتاوات السنوية والهدايا القنصلية في نظير أمن وسلامة سفنها من اعتداء الأسطول الطرابلسي عليها . وقد اشتد أمر هذا النزاع في عهد يوسف باشا ، وذلك نتيجة للمحاولات التي قامت بها بعض تلك الدول من أجل التحرر من هذه السيطرة ، وكانت أولى الدول التي جربت حظها في هذه المحاولة ، هي الحكومة الأمريكية ، فقد استطاعت في سنة ١٨٠٥ ، أن تحقق رغبتها في التحرر والخلاص من السيطرة القرمانلية .

وكان تحدي أمريكا لإرادة يوسف باشا من أهم العوامل التي شجعت بعض الدول الأخرى ، على ان تحاول تجريب حظها كذلك ، وقد كانت نتيجة تلك المحاولات مع ما أصدرته الدول الاوروبية من قرارات في مؤتمري فيينا سنة ١٨١٥ ، واكس لاشابيل سنة ١٨١٨ ، هو تدهور واضمحلال الأسطول القرمانلي بدرجة كادت تنهي وجوده حيث لم يعد له تلك الأهمية التي كانت له من قبل .

وقد أدى توقف الأسطول عن العمل وعن مزاولة نشاطه الأول الى وقوع يوسف باشا في ضائقة مالية ، أخذت حلقاتها تشتد يوماً بعد يوم،

حكمهما الذي أرهق طاقات الأهالي وأثقل كاهلهم بما فرضا عليهم من ضرائب استثنائية، بالاضافة الى استحواذهما على خيرات البلاد الانتاجية .

فكان ذلك النزاع وتلك الثورات الداخلية من أهم العوامل التي سارعت بانهيار حكم هذه الأسرة .

أما أهمية الأحداث الخارجية فتتمثل في ذلك النزاع الذي قام بين حكام هذه الأسرة وبين الدول الأروبية وغير الأروبية التي كانت تتخذ البحر الأبيض المتوسط مجالاً لنشاطها وطريقاً تسلكه سفنها التجارية . وكان ذلك النزاع نتيجة لمحاولة حكام الأسرة القرمانلية فرض مشيئتهم على تلك الدول ، واجبارها على تقديم الاتاوات السنوية والهدايا القنصلية في نظير أمن وسلامة سفنها من اعتداء الأسطول الطرابلسي عليها . وقد اشتد أمر هذا النزاع في عهد يوسف باشا ، وذلك نتيجة للمحاولات التي قامت بها بعض تلك الدول من أجل التحرر من هذه السيطرة ، وكانت أولى الدول التي جربت حظها في هذه المحاولة ، هي الحكومة الأمريكية ، فقد استطاعت في سنة ١٨٠٥ ، أن تحقق رغبتها في التحرر والخلاص من السيطرة القرمانلية .

وكان تحدي أمريكا لإرادة يوسف باشا من أهم العوامل التي شجعت بعض الدول الأخرى ، على ان تحاول تجريب حظها كذلك ، وقد كانت نتيجة تلك المحاولات مع ما أصدرته الدول الاوروبية من قرارات في مؤتمري فيينا سنة ١٨١٥ ، واكس لاشابيل سنة ١٨١٨ ، هو تدهور واضمحلال الأسطول القرمانلي بدرجة كادت تنهي وجوده حيث لم يعد له تلك الأهمية التي كانت له من قبل .

وقد أدى توقف الأسطول عن العمل وعن مزاولة نشاطه الأول الى وقوع يوسف باشا في ضائقة مالية ، أخذت حلقاتها تشتد يوماً بعد يوم،

لأن النشاط البحري كان في ذلك الوقت من أهم مصادر الدخل العام بالنسبة للدولة القرمانلية .

ونتيجة لفقدان يوسف باشا لهذا المصدر نجده يتجه الى البحث عن مصدر آخر ، فالتجأ الى احتكار بعض أنواع التجارة ، ثم تحول الى الاستدانة من الأجانب ، ففتح بذلك الباب على مصراعيه أمام النفوذ الأجنبي للتدخل في شؤون البلاد الداخلية ، ثم التجأ الى بيع محاصيل البلاد مقدماً ولعدة سنوات لسداد ما عليه من ديون مما جعل البلاد تعيش في ضائقة اقتصادية شديدة ، وأخيراً عمد الى غش العملة فانحطت سمعة البلاد المالية وكسدت بذلك التجارة الداخلية والخارجية .

وحينما عجز يوسف باشا عن حل هذه الأزمة المالية ، التجأ الى اثقال كاهل المواطنين بالضرائب الاستثنائية مما أدى الى قيام الثورات الداخلية واشتدادها واستمرارها الى ان تمكنت الدولة العثمانية من استغلال هذه الظروف لإعادة فرض سلطانها على البلاد من جديد ، وذلك سنة ١٨٣٥ ، فانتهى بذلك عهد حكم الأسرة القرمانلية .

وقد ركزت الحديث في هذا الكتاب على الفترة التاريخية ، التي تبتدىء بحكم يوسف باشا سنة ١٧٩٥ ، وتنتهي بآخر حكم ابنه علي باشا سنة ١٨٣٥ ، اذ انه منذ أواخر عهد يوسف باشا بدأت عوامل الضعف والانهيار تظهر في كيان الدولة القرمانلية وأخذت هذه العوامل تزداد شدة وقوة يوماً بعد يوم الى ان سقطت الدولة القرمانلية بسقوط حكم علي باشا القرمانلي سنة ١٨٣٥ .

ويشتمل هذا الكتاب على تمهيد وخمسة فصول وخاتمة وملحق .

وقد بحثت في التمهيد حالة ليبيا السياسية قبل مجيء العثمانيين اليها ثم خضوعها للحكم العثماني المباشر ، وعن العوامل السياسية والاقتصادية التي

لأن النشاط البحري كان في ذلك الوقت من أهم مصادر الدخل العام بالنسبة للدولة القرمانلية .

ونتيجة لفقدان يوسف باشا لهذا المصدر نجده يتجه الى البحث عن مصدر آخر ، فالتجأ الى احتكار بعض أنواع التجارة ، ثم تحول الى الاستدانة من الأجانب ، ففتح بذلك الباب على مصراعيه أمام النفوذ الأجنبي للتدخل في شؤون البلاد الداخلية ، ثم التجأ الى بيع محاصيل البلاد مقدماً ولعدة سنوات لسداد ما عليه من ديون مما جعل البلاد تعيش في ضائقة اقتصادية شديدة ، وأخيراً عمد الى غش العملة فانحطت سمعة البلاد المالية وكسدت بذلك التجارة الداخلية والخارجية .

وحينما عجز يوسف باشا عن حل هذه الأزمة المالية ، التجأ الى اثقال كاهل المواطنين بالضرائب الاستثنائية مما أدى الى قيام الثورات الداخلية واشتدادها واستمرارها الى ان تمكنت الدولة العثمانية من استغلال هذه الظروف لإعادة فرض سلطانها على البلاد من جديد ، وذلك سنة ١٨٣٥ ، فانتهى بذلك عهد حكم الأسرة القرمانلية .

وقد ركزت الحديث في هذا الكتاب على الفترة التاريخية ، التي تبتدىء بحكم يوسف باشا سنة ١٧٩٥ ، وتنتهي بآخر حكم ابنه علي باشا سنة ١٨٣٥ ، اذ انه منذ أواخر عهد يوسف باشا بدأت عوامل الضعف والانهيار تظهر في كيان الدولة القرمانلية وأخذت هذه العوامل تزداد شدة وقوة يوماً بعد يوم الى ان سقطت الدولة القرمانلية بسقوط حكم علي باشا القرمانلي سنة ١٨٣٥ .

ويشتمل هذا الكتاب على تمهيد وخمسة فصول وخاتمة وملحق .

وقد بحثت في التمهيد حالة ليبيا السياسية قبل مجيء العثمانيين اليها ثم خضوعها للحكم العثماني المباشر ، وعن العوامل السياسية والاقتصادية التي

ساعدت على قيام حكم الأسرة القرمانلية، ثم عن ظهور أحمد باشا القرمانلي وسيطرته على الحكم وعلاقته بالدولة العثمانية وأخيراً موقفه من الثورات والحركات الداخلية .

ثم انتقلت بعد هذا التمهيد الى بحث الموضوع الأساسي ، الذي قسمته الى خمسة فصول ، فبحثت في الفصل الأول ، خروج الحكم من الأسرة القرمانلية ثم عودته ، ويتمثل في اضطراب حالة البلاد الداخلية وما ترتب عن ذلك من نتائج ، ثم قتل يوسف باشا لأخيه حسن ودوافع هذه الجريمة ، ثم احتلال علي الجزائري (أو برغل) لمدينة طرابلس ، ثم مساعدة باي تونس للقرمانليين على استرداد حكمهم ، وأخيراً ختمت هذا الفصل بالبحث عن الكيفية التي استطاع بها يوسف باشا الإستيلاء على السلطة من أخيه أحمد .

أما الفصل الثاني ، من هذا الكتاب فهو يتناول سياسة يوسف باشا الخارجية ، فتناولت فيه علاقة يوسف باشا بالدولة العثمانية ، وأسباب التقارب الذي حدث بينه وبين الحكومة الفرنسية ، وأسباب مجيء الحملة الأمريكية على طرابلس سنة ١٨٠٥ ونتائجها ، وكذلك النزاع بينه وبين بقية الدول الأوروبية ، ثم مسألة أمن البحر المتوسط والغاء الرق ، وأخيراً موقف يوسف باشا من الولايتين الاسلاميتين وهما تونس ومصر .

وبعد الانتهاء من الحديث عن سياسة يوسف باشا الخارجية انتقلت الى الحديث عن سياسته الداخلية ، التي هي موضوع الفصل الثالث ، الذي تناولت فيه النظام الاداري في ذلك الوقت والتعليم والقضاء، وكذلك الزراعة والصناعة والتجارة ، ثم ختمت هذا الفصل بالحديث عن الجيش ونظامه وعن الأسطول وأهميته بالنسبة لحكم الأسرة القرمانلية .

أما الفصل الرابع من هذا الكتاب ، فهو خاص بنتائج سياسة يوسف

باشا الخارجية والداخلية ، وتحدثت فيه عن أسباب تدهور الحالة الاقتصادية وعن العوامل التي أدت الى ضعف شخصية يوسف باشا القرمانـــلي ، وازدياد نفوذ القناصل وتدخلهم في شؤون البلاد الداخلية ، ثم تناولت الثورات الداخلية كثورة عبد الجليل بن غيث بن سيف النصر ، وثورة غريان، وأخيراً تحدثت عن أسباب فرض يوسف باشا للضرائب الاستثنائية وتنازله نتيجة لذلك عن الحكم لابنه علي .

وختمت هـــذه الدراسة بالفصل الخامس وموضوعه النزاع الأسري وانهيار حكم الأسرة القرمانلية . وتناولت فيه النزاع بـــين أفراد الأسرة القرمانلية من أجل الوصول الى الحكم ، واشتداد هذا النزاع بين علي باشا ومحمـــد بك ، ثم تحدثت عن موقف الشعب وبعض القناصل من هذا النزاع ، وكذلك موقف الدولة العثمانية منه ، كما تناولت أسباب مجيء الحملة العثمانية سنة ١٨٣٥ واحتلالها للإيالة الطرابلسيـة وانهاء عهد الحكم القرمانلي .

وأخيراً ختمت هذا الفصل بالحديث عن مصير العائلة القرمانلية بعد سقوط دولتهم .

أما خاتمة هـــذا الكتاب ، فإنها تتناول بعض الملاحظات الهامة عن تاريخ الأسرة القرمانلية ، وأثر سياسة السلطان محمود الثاني عـلى الوضع السياسي في الإيالة ، وأخيراً تناولت بشيء من الايجاز تطورات الحالـة السياسية في البلاد بعد سقوط حكم الأسرة القرمانلية ، معتمـداً في بحث ذلك على ما لديّ من وثائق هامة تتعلق بتاريخ تلك الفترة .

أما ملحق الكتاب فهو عبارة عن نشر مجموعـــة كبيرة من الوثائق أغلبها لم يسبق نشره ، والبعض الآخر سبق نشره ، ولكن لم يستخـدم من قبل .

وأخيراً أتوجه بخالص شكري وتقديري الى كل من ساهم في مساعدتي على انجاز هذا العمل الـــذي أرجو أن أكون قد أسهمت به في امداد مكتبتنا العربية التاريخية ببعض ما هي في حاجة ماسة اليه ، خاصاً بالشكر استاذي الجليل الأستاذ الدكتور أحمد عزت عبد الكريم ، وكيل جامعة عين شمس بالقاهرة ، على حسن اشرافه وتوجيهاته وارشاداتـــه ، كما أشكر جميع السادة موظفي دار الوثائق بطرابلس الغرب على مساعدتهم الكريمة ، وأخص بالشكر منهم الأستاذ بهجت القرمانلي مدير دار الوثائق ، والاستاذ الحاج محمد الأسطى الذي تفضل شكوراً بترجمة مـــا احتجت اليه من الكتب والوثائق التي باللغة التركية .

والله ولي التوفيق

عمر علي بن اسماعيل



الحالة السياسية في ليبيا قبل الفتح العثماني

خضوع ليبيا للحكم العثماني

أسس الحكم العثماني في البلاد

العوامل التي مهدت لقيام الدولة القرمانلية

أحمد باشا القرمانلي

علاقته بالدولة العثمانية

موقفه من الثورات الداخلية

الحالة السياسية في ليبيا قبل الفتح العثماني

لعل من أهم المظاهر التي اقترن بها تاريخ ليبيا الحديث ، هو ذلك الصراع المسيحي الاسلامي الذي كان يسود البحر الأبيض المتوسط منذ بداية القرن السادس عشر على أثر ظهور الاسبان كرؤساء للقوة المسيحية، وظهور العثمانيين على رأس القوة الاسلامية .

هذا الصراع كان له أثره في تاريخ ليبيا الحديث ، حتى انه يمكن القول بأنه كان بداية تاريخ ليبيا الحديث ، لأن الفتح العثماني لليبيا الذي حدث في القرن السادس عشر،كان نتيجة هامة من نتائج هذا الصراع .

ففي ٢٥ يونيه سنة ١٥١٠ م سقطت مدينة طرابلس الغــرب في يد القائد الاسباني الكونت بدرو نافارو « Pedro Navarro » ويعد سقوطها حلقة في سلسلة التوسع الاسباني المسيحي في شمال افريقيا ، ذلك التوسع الـذي كان يتزعم حركتـه اسكمنس « Ximenes » الزعـيم الديني في اسبانيا وكنتيجة لتحمسه الشديد لهذه الحركة استطاع أن يجعل ملك اسبانيا الملك فردناند يخضع تحت تأثير هذه الدعاية فيندفع منفذاً لها .

وكانت الخطـة الاسبانيـة تتركز على أساس الاستيلاء على المراكـز الساحلية في شمال افريقيا،حيث أن الاسبان كانوا يعتقدون انهم بالسيطرة على هذه المراكز الساحلية الهامة يمكنهم ضمان السيطرة على الشمال الافريقي

كله وبالتالي تنفيذ سياسة التوسع باسكان أكبر عـدد من المسيحيين في هذه المراكز الساحلية التي كانوا يهدفون من وراء السيطرة عليها الى جعلها قواعد للغزو الداخلي من ناحية ، ولتغير وجه الاندفاع العثماني في أوروبا من ناحية أخرى .

وتمشياً مع هذا المخطط الاستعماري فقد أصدر نائب الملك في صقلية في ٢٦ اكتوبر ١٥١٣ مرسوماً يعلن فيه الى كل من يرغب في الهجرة الى طرابلس ، بأنه سوف يمنحهم بيوتاً جديدة وأراضي للزراعة وانـه يعفيهم من الضرائب ويبرئهم من جميع الجرائم اذا كانوا قد ارتكبوا جرائم من قبل [١] .

وقد ساعدت أحوال البلاد الداخلية على سرعة سقوط مدينة طرابلس في يد الاسبان ، حيث كانت البلاد منقسمة الى شطرين أحدهما وهـو برقة فقد كان تابعـاً لدولة المماليك في مصر ، ولكن هذه التبعية كانت اسمية فلم يكن لها أي مظهر فعلي حيث أن دولة المماليك قـد بدأت في الضعف والانهيار بدرجة مكنت القبائل في برقة من أن تعيش حياة حرة لا سلطان عليها إلا سلطان شيوخها .

أما الشطر الثاني وهو طرابلس ، فقد كان خاضعاً لحكم الحفصيين في تونس وكان هذا الحكم قد وصل من الضعف الى درجـة مكنت كل زعيم ناحية من الظهور والسيطرة على منطقته حتى عرفت هـذه الفترة باسم «حكم المشايخ» .

ولما سئم الأهالي هذا العهد الذي كان طابعه الفوضى والاضطراب أخذوا يبحثون عن منقذ يحقق لهم الطمأنينة والأمن ويحميهم من السقوط في يد العدو . وكان من الطبيعي أن تتجه أنظارهم الى الدولة العثمانيـة

---

١ عمر الباروني : « الاسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس » طرابلس الغرب ـ مطبعة ماجي ١٩٥٢ ص ٦٦ .

التي كانت في ذلك الوقت تعد أكبر دولةاسلامية لها من الجيوش والأساطيل ما تستطيع بهما أن تحقق أمل المسلمين فيها .

ويؤكد لنا رئيس البحر التركي محمد بيري الذي زار طرابلس قبيل الاحتلال الاسباني لها ، هذا الاتجاه فيقول [1] :

« زرت مدينة طرابلس مع عمي الريس كمال ، ومعنا ثلاث سفن ملك لنا خرجنا بها من استانبول بأمر من سلطانها . وفي أثناء اقامتنا بميناء طرابلس قدم الناس عريضة الى عمي الريس كمال يطلبون فيها من السلطان ارسال حاكم من طرفه لحكم البلاد . ولكننا لم نكد نصل الى شواطىء ايطاليا في طريق عودتنا حتى علمنا بأن الاسبان أرسلوا ستين سفينة محملة بالجند واحتلوا المدينة » .

كان الاحتلال الاسباني لمدينة طرابلس سنة ١٥١٠ م . فخرج معظم سكانها الى بلدة تاجوراء ، وأخذوا ينظمون حركة المقاومة الشعبية ضد الاحتلال الاسباني ، وقد تمكنت هذه الحركة من حصر النفوذ الاسباني داخل أسوار المدينة ، فأصبحوا بذلك في شبه حصار يزداد قوة وضيقاً يوماً بعد يوم .

وأخذ الاسبان يحاولون تثبيت دعائم حكمهم المنهار في طرابلس باستعمال مختلف الوسائل فتارة يحاولون الاتصال بزعماء القبائل يعرضون عليهم شتى أنواع الاغراء لعلهم يستطيعون أن ينالوا تأييدهم ولو بمجرد الكلام ، وتارة أخرى يلجؤون الى أساليب العنف والتهديد حينما يرون أن اسلوبهم الأول قد مني بالفشل والخذلان،الى أن كانت سنة ١٥١٦م.

---

١ محمد بيري : « هذا كتاب بحرية » استانبول ، بدون تاريخ ، ص ٦٧٠ و٦٧١ وهذا الكتاب باللغة التركية وقد ترجم لي منه هذا النص الحاج محمد الاسطى .

وفي هذه السنة توفي الملك فردناند وتولى من بعده شارل الخامس الذي أصبح امبراطوراً للامبراطورية الرومانية المقدسة ، وقد آل اليه هذا المنصب عن طريق الانتخاب ، وبذلك أصبح شارل الخامس في حروب مستمرة مع ملك فرنسا . وكان ميدان هذه الحروب ايطاليـــا ، ولذلك عرفت هذه الحروب باسم « الحروب الايطالية » .

ونتيجة لهذه الحروب وانشغال شارل الخامس بحوادثها قرر التنازل عن جزيرتي « مالطة وقوزو » ومعها طرابلس لفرسان القديس يوحنـــا ، رغبة منه في التفرغ لهذه الحروب من ناحية ولكسب الرأي العام المسيحي والاستفادة من مجهود هذه المنظمة من ناحية أخرى .

وقد جاء في وثيقة تسليم هذه الأماكن الموقعة من طرف شارل الخامس ما يأتي [1] :

« قد وهبنا القصر والأماكن وجزائرنا في طرابلس ومالطـــة وقوزو الى منظمة فرسان القديس يوحنا ، لاحياء هذه المنظمة واستقرارها وهي هبة خالصة عن رضا منا واقتناعاً دائمـــاً شريفاً حراً ، مقابل عُقاب واحد [2] تسلمه المنظمة في عيـد جميع القديسين (١ نوفمبر) من كل عام في يـد نائب ملك صقلية » .

وبهذا التنازل المشروط بالولاء لشارل الخامس ، قدم فرسان القديس يوحنـــا الى طرابلس سنة ١٥٣٠ م وهم أشد حقداً من الاسبان عـــلى المسلمين ، وذلك انتقاماً لما نزل بهم من ضربات شديدة على يد القوة العثمانية .

---

١ عمر الباروني : الاسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس ص ٨٦ .

٢ نوع من الطيور التي تستخدم في الصيد واعتقد ان المقصود به هو مجرد الدلاله عن ان هذه المنظمة خاضعة لنفوذ شارل الخامس بدلا من الزامها بدفع مبالغ مالية قد لا تستطيع دفعها.

فمن المعروف عن هؤلاء الفرسان أنهم كانوا يمثلون جماعة دينية تأسست أيام الحروب الصليبية في بيت المقدس وكان الهدف الأساسي لانشائها في ذلك الوقت هو مساعدة فقراء المسيحيين والحجاج من المسيحيين عند مجيئهم الى بيت المقدس ، أي أن الغرض من انشائها كان انسانياً .

وعندما تمكن صلاح الدين من طرد الصليبيين من بيت المقدس ، لجأ هؤلاء الفرسان الى مدينة عكا ،وبقوا هناك يساعدون الصليبيين في مؤخرة جيوشهم الى أن سقطت عكا في يد المسلمين ، فتحولوا الى جزيرة « رودس » وأخذوا يزاولون نشاطهم ولكن هذا النشاط اتصف بطابع القرصنة وذلك لما كانوا يقومون به من الاعتداء على السفن الاسلامية في شرق البحر الأبيض المتوسط مما جعل سلاطين الدولة العثمانية يولون كامل اهتمامهم الى القضاء على هذه المنظمة .

ولتحقيق هذه الغاية أرسلت عدة حملات عثمانية للقضاء عليهم وكانت آخرها تلك الحملة التي أرسلها السلطان سليمان القانوني والتي استطاعت أن تجبر هؤلاء الفرسان على تسليم الجزيرة في سنة ١٥٢٣ م بشرط أن يسمح لهم السلطان بالجلاء عنها بكافة ما يملكون .

وهكذا خرج فرسان القديس يوحنا من هذه الجزيرة وهم يغلون من نار الحقد والكراهية على كافة المسلمين ، باحثين عن مركز لمزاولة نشاطهم .

وأخيراً تمكنوا من الحصول على جزيرة مالطة وقوزو من شارل الخامس بشرط حماية مدينة طرابلس والدفاع عنها ضد الأعداء .

وتظهر هذه الروح العدائية التي كان يحملها فرسان القديس يوحنا أو فرسان مالطة للمسلمين من المذكرة التي أرسلوها الى شارل الخامس والتي جاء فيها قولهم [١] :

---

١ عمر الباروني : الاسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس ص ٨٥ .

« ان هذه المنظمة التي وجدت أن الحظ يعاكسها في جميع ما أقدمت عليه فانها تقبل الجزيرتين – مالطة وقوزو – اذ أنها لم تجد مكاناً ملائماً تتخذه مركزاً لها لتعلن الحرب التي لا هوادة فيها على المسلمين » .

ولكن لم يكن حظ فرسان القديس يوحنا في طرابلس بأحسن من حظ الاسبان فيها فقد اشتدت بمجيئهم غارات الأهالي على المدينة حتى يئس الفرسان من البقاء فيها .

خضوع ليبيا للحكم العثماني

هذا ويعلل بعض المؤرخين [1] ، سبب خروج فرسان القديس يوحنا من طرابلس ثم خضوعها للحكم العثماني بأن وفداً من أهالي بلدة تاجوراء ذهب الى دار الخلافة طالباً من السلطان العثماني نجدتهم وبأن السلطان استجاب لهذا النداء فأرسل معهم مراد آغا والياً على البلاد .

ولكن المتتبع لتطورات الظروف السياسية في القرن السادس عشر ، يرى أن مجيء العثمانيين الى طرابلس كان شيئاً لا بد منه نتيجة لذلك الصراع البحري الذي كان يسود البحر الأبيض المتوسط في القرن السادس عشر بين القوة الاسلامية متمثلة في الدولة العثمانية وبين القوة المسيحية متمثلة في الدولة الاسبانية .

كما كان مجيء العثمانيين الى طرابلس خطوة تالية بعد أن تم لهم

---

[1] محمد خليل بن غلبون : « التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الاخبار » – القاهرة المطبعه السلفية ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٩٣ .

الاستيلاء على مصر سنة ١٥١٧ م. من يد المماليك وورثوا امبراطوريتهم وبعد أن امتد نفوذهم بصفة رسمية على الجزائر سنة ١٥١٨ .

أي أن استيلاء العثمانيين على طرابلس يمثل اتمام الحلقة في أملاك الدولة العثمانية التي أخذت تتسع في الشمال الافريقي . غير أن استغاثة الوفد الطرابلسي عجلت بتحقيق ذلك .

جاء مراد آغا الى طرابلس في صحبة عدد قليل من الجند العثماني ، واتجه فور وصوله الى بلدة تاجوراء ، قاعدة النضال الشعبي . وأخذ يعمل على تخليص البلاد من يد فرسان القديس يوحنا ، ولما رأى ان قواته قليلة وأنه في حاجة الى مزيد من العتاد والقوة، بادر بطلب المساعدة من الدولة العثمانية .

وفي سنة ١٥٥١ م استطاع الأسطول العثماني بقيادة سنان باشا ومساعده درغوت بك الاستيلاء على المدينة، وأصدر السلطان فرماناً بتولية مراد أغا والياً على البلاد .

استلم مراد أغا ولاية طرابلس الغرب ، فأولى كامل اهتمامه الى تقوية البلاد من الناحية الدفاعية لصد أي هجوم مباغت يقوم به الأعداء وسرعان ما تحقق ما كان يخشاه اذ حاول فرسان القديس يوحنا النزول في بلدة أزواره ، ولكن مراد أغا تصدى لهم بقواته التي استطاعت أن تنتصر عليهم ، ولكن هذا الانتصار لم يضع نهاية لهذه المحاولات .

ففي عهد درغوت باشا الذي خلف مراد أغا في حكم طرابلس سنة ٩٦٤ هـ (١٥٥٦ م) [١] حاول فرسان القديس يوحنا الاستيلاء على المدينة من جديد ولكنهم فشلوا كما فشلوا في تحقيق ذلك من قبل .

لقد عرفت البلاد في عهد درغوت باشا نوعاً من التحصينات الدفاعية

---

١ احمد النائب الانصاري : « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » طرابلس الغرب ـ مكتبة الفرجاني ـ بدون تاريخ ج ١ ص ٢٢٣ .

كانت أشد قوة ومناعة عما كانت عليه قبل ذلك ، كما عرفت البلاد في عهده أيضاً طبقة اجتماعية جديدة ألا وهي طبقـــة الكولأوغليه أو كما يطلق عليه حالياً اسم « الكراغلة » فحينما حضر درغوت باشا الى طرابلس أحضر معه عدة آلاف من جند الانكشارية أو (العساكر اليكيجرية) [١] وباقامة هؤلاء الجند بين الأهالي ومصاهرتهم لهم تكونت تلك الطبقة التي أطلق عليها اسم الكولأوغليه ولقد كان لهذه الطبقة أثر واضح في تاريخ البلاد من حيث التكوين الاجتماعي ومن حيث التنظيم الاداري .

أسس الحكم العثماني في البلاد

لقد كان هدف السياسة العثمانية في ذلك الوقت يتركز عـلى حرص الدولة على استمرار بقاء البلاد تابعة لها ، وقد دفعهم هذا الحرص الى عدم ادخال تغيرات أساسية في نظم البلاد الداخلية ولا في حياة أهلهـــا وذلك لعدم رغبتهم في التدخل في حياة الناس طالما اطمأنوا الى بقائهم على الولاء للدولة العثمانية .

وقد أفادت هذه السياسة البلاد من ناحية كما أساءت اليهـا من ناحية أخرى ، أفادتها من ناحية ان السكان احتفظوا بالمقومات الأساسيـة التي تقوم عليها قوميتهم ، وذلك لأن الدولة العثمانية حينما فتحت البلاد لم تحاول استبدال اللغة العربية والثقافة العربية باللغة التركية وبالثقافـــة التركية بل ظلت اللغة العربية هي لغة الناس وثقافتها هي ثقافتهم .

وان حاول الأتراك في أوائل القرن العشرين في عهد جماعة الاتحـــاد

---

١ احمد النائب الانصاري : « المرجع السابق » ص ٢٢٣ .

أن يستبدلوا باللغة العربية اللغة التركية حيث جعلوا التدريس باللغة التركية كما جعلوها لغــة الدواوين والقضاء ليجبروا على تعلمها لكي يستطيعوا الحصول على وظائف يعيشون منها ، غير ان هـذه المحاولة قد جاءت متأخرة فبــاءت بالفشل ، واحتفظ الشعب بقوميته العربية ولم يرضَ بغيرها بديلاً .

وأساءت هذه السياسة الى البلاد من الناحيـة الاقتصادية والاجتماعيــة وذلك لأن جميع الولاة الذين تولوا حكم البلاد لم تكن لهم سياسة معينة في استغلال الأراضي الزراعية أو تشجيع الصناعات المحليــة أو التجارة الداخلية والخارجية كما لم تكن لهم سياسة معينـة في نشر التعليم والعناية بالصحة .

لم تكن هذه السياسة العثمانيــة خاصة بالايالة الطرابلسية فحسب بل كانت سياسة عامة طبقتها الدولة العثمانية في كثير من البلاد العربية التي خضعت لحكمها .

فبالرجوع الى ما ذكره الدكتور محمد أنيس في حديثه عن خصائص الحكم العثماني في العصر الأول نجده بعد أن حدد وظائف الدولة في ذلك الوقت ولخصها في أنها كانت تتمثل في الدفاع عن ولايتها ومهاجمــة البلاد المجاورة ، وحفظ الأمن في الداخل وجمع الضرائب وتوزيعها ثم الفصل في الخصومات . فتم حديثه بقوله [1] :

« أما فيما عدا هذه الوظائف الثلاث من مسائل عامة كالصحة والتعليم فقد كانت الدولة العثمانية تعتبرها خارج نطاق مسؤولياتها فتركها للأفراد والهيئات والجماعات ويرتبط بهذا المفهوم لوظيفة الدولة عند العثمانيين حقيقة هامة هي أن الحــكم العثماني كان

---

[1] دكتور محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي (١٥١٤ـ١٩١٤) • القاهرة مكتبة الانجلو المصرية بدون تاريخ ص ١٤٢ •

قليل التأثير في حياة المجتمعات الاسلامية في الشرق الأدنى فاحتفظت هذه المجتمعات بثقافتها المحلية وتقاليدها وبالكثير من أنظمة الحكم التي كانت موجودة فيها بالفعل قبل الفتح العثماني » .

وكما يرجع الفضل في احتفاظ شعب الايالة الطرابلسية بالمقومات الأساسية لقوميته الى هذه السياسة التي اتبعتها الدولة العثمانية في حكم هذه الأيالة ، فانه يرجع الفضل اليها أيضاً في تكوين نواة الأسطول الليبي في ذلك الوقت اذ يعد عهد درغوت باشا بداية لتكوين البحرية الليبية وذلك لأنه منذ وصوله الى طرابلس كوال لها في سنة ١٥٥٦ م اهتم بانشاء قوة بحرية في البلاد لتساهم من ناحية في الصراع البحري الذي كان يسود البحر الأبيض المتوسط بين القوة الاسلامية والقوة المسيحية ومن ناحية أخرى ليقوم هذا الأسطول بمهمة الدفاع عن الأيالة ضد هجمات سفن الأعداء .

ومما ساعد درغوت باشا على الاسراع في بناء هذه القوة البحرية هو أن مدينة طرابلس كانت قد اشتهرت بهذه الصناعة منذ الفتح الاسلامي وساهمت ترسانتها في ذلك النشاط مساهمة كبيرة. وحينما جاء العثمانيون الى البلاد واستولوا عليها استمرت هذه الترسانة في نشاطها الأول كما استطاعت البلاد التغلب على مشكلة توفير الأخشاب اللازمة لهذه الصناعة وذلك عن طريق استيرادها من أوروبا لأي سبب من الأسباب .

والى جانب هذه البحرية الرسمية التي أنشأها درغوت باشا نجد أنه كان هناك نوع ثان من البحرية وهو البحرية الخاصة اذا جاز هذا التعبير ، فقد عرفت عدة عائلات بطرابلس بنشاطها في هذا الميدان ، وكانت لها سفنها الخاصة وبحارتها وكانت تزاول هذا النشاط على حسابها الخاص بدون تدخل من الدولة في شؤونها .

وقد جرت العادة في ذلك الوقت على أن تأخذ الدولة نسبة معينة من ثمن الغنائم حينما تعود تلك السفن الى الميناء ظافرة، وفي نظير ذلك تقوم الدولة بحماية هذه السفن والدفاع عنها ضد الأعداء .

وكانت ايالة طرابلس تنقسم من الناحية الادارية الى ثلاثة ألوية وهي لواء طرابلس ومصراته وبنغازي ، وكل لواء كان ينقسم الى عدة أقضية وكل قضاء الى عدة نواحي .

وكانت مدينة طرابلس هي عاصمة الأيالة وبها مقر الباشا وهو صاحب السلطة العليا في الدولة بحكم انه نائب السلطان ، ويعاونه في الحكم مجلس أطلق عليه اسم « الديوان » ويرأسه الباشا ويتكون من كبار ضباط الانكشارية وكبار العلماء مثل القاضي والمفتي وبعض أعيان البلاد بالاضافة الى كبار الشخصيات الأخرى في الدولة كقبطان الميناء أو رئيس البحرية والخازندار وشيخ البلد وبعض الموظفين للقيام بأعمال الكتابة والترجمة .

وكان الغرض من انشاء هذا الديوان هو رغبة الدولة العثمانية في الحد من سلطة الولاة وذلك لخوفها من استقلالهم بولاياتهم [1] .

أما في بقية مراكز الأيالة فالوالي يعين نواباً عنه لحكمها كما يرسل معهم حامية من الجند لاقرار النظام والأمن ولتنفيذ أوامره .

ولقد أتاحت هذه السياسة التي اتبعتها الدولة العثمانية في حكم الأيالة الفرصة لظهور بعض العصبيات التي أخذت تعمل على استغلال الحالة لنفسها وكانت أهم هذه العصبيات هي طوائف الاجناد ، فسوف نرى كيف انهم كانوا في أواخر العهد العثماني الأول يسيطرون على زمام الأمور في البلاد ، يولون على الولاية من يرغبون في ولايته ثم يعزلونه متى يشاؤون .

---

١ دكتور جلال يحيى « المدخل الى تاريخ العالم العربي الحديث » القاهرة - دار المعارف ١٩٦٦ ص ٥٦ .

وإلى جانب طوائف الاجناد كان هناك زعماء القبائل وخاصة في الدواخل وذلك لأن نفوذ الدولة العثمانية كان قاصراً عن التغلغل في الدواخل وكان ولاتها لا يستطيعون ان يحكموا تلك المناطق إلا عن طريق مشايخ القبائل فيها . وكانت أكبر القبائل العربية التي اتعبت بحركات عصيانها ولاة الدولة العثمانية وخاصة في أواخر العهد العثماني الأول وأوائل العهد العثماني الثاني ، هي قبيلة المحاميد بالجبل الغربي بطرابلس وكانت زعامتها في ذلك الوقت في بيت بني نوير ثم قبيلة أولاد سليمان بنواحي سرت وكانت زعامتها في بيت سيف النصر .

العوامل التي مهدت لقيام الدولة القرمانلية

وبوفاة درغوت باشا في أثناء حصاره لمالطة سنة ٩٧١ هـ (١٥٦٣م) [١] بدأت مرحلة جديدة في تاريخ ليبيا حيث تعاقب على حكمها العديد من الولاة كان أغلبهم لا هدف له إلا تحقيق منافعه الشخصية ، فكسدت

---

١ لقد اختلف احمد النائب مع ابن غلبون في تحديد سنة وفاة درغوت باشا ، فبينما أحمد النائب يذكر لنا في كتابه « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ، صفحة ٢٢٤ بان وفاة درغوت باشا كانت سنة ٩٧١ هـ (١٥٦٣ م) ٠ اثناء حصاره لمالطة ، نجد ان ابن غلبون يذكر لنا في كتابه « التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الاخبار » صفحة ٩٨ ، بان وفاة درغوت كانت في أوائل ٩٧٢ هـ (١٥٦٤ م) ٠
ومما تجب ملاحظته انه في الوقت الذي يؤكد فيه احمد النائب وابن غلبون وفاة درغوت باشا في اثناء حصاره لمالطة بالرغم من اختلافهما في تحديد سنة الوفاة نجد ان الدكتور جلال يحيى يذكر لنا في كتابه « المدخل الى تاريخ العالم العربي الحديث » صفحة ٤٠ ، بان وفاة درغوت باشا كانت في اثناء معركة « ليبانتو » سنة ١٥٧١ م٠ وقد يكون السبب الذي جعل الدكتور جلال يحيى لا يحقق هذا التاريخ الذي ذكره يرجع الى عدم رجوعه الى كتابي أحمد النائب ومحمد بن غلبون في اثناء حديثه عن وفاة درغوت باشا لانني لم أجد كتاب احد منهما ضمن قائمة المراجع التي ذكرها في آخر كتابه ٠

التجارة وكثر الظلم وأرهق كاهل المواطنين بالضرائب وسيطر الجند على زمام الأمور في البلاد فلم يعد لواليها أي نفوذ أو سلطان [1] .

وفي هذا الجو الملبد بالغيوم ، المليء بكافة الاحتمالات لاح للناس شعاع من الأمل فتمسكوا به أملاً في الخلاص مما هم فيه من ضيق وفساد وتعد على الأموال والأعراض .

ففي سنة ٩٩٦ هـ (١٥٨٧ م) وفي بلدة تاجوراء التي كانت على الدوام قاعدة للنضال الشعبي ظهر يحي بن يحي السويدي وادعى بأنه المهدي المنتظر وبأنه بعث لخلاص الناس مما هم فيه من ضيق وتعد لحدود الشرع الشريف [2] .

فالتف الناس حوله وأعلنوا الولاء له لا تصديقاً لما ادعاه وانما لما في أنفسهم من حقد وكراهية على الوضع الذي يعيشون فيه .

وفي أسباب قيام هذه الثورة ، يقول عزيز سامح ما نصه [3] :

« لقد بلغ الظلم مداه ، فمن أمير الأمراء الى النفر العادي كل منهما كان يظلم بقدر استطاعته ، حتى لم يعد لدى أي فرد طاقة على الاحتمال ، وفي هذه الأثناء ظهر يحي بن يحي في تاجوراء وادعى بأنه المهدي المنتظر والتف حوله كل الناس لأن قلبهم كاد يحترق من كثرة الظلم » .

استطاع يحي هذا أن يحقق الكثير من الانتصارات على الجيش العثماني واتسعت ثورته فشملت المناطق الجبلية ، كما أعلنت برقة تأييدها له .

وكان لهذه الثورة صداها العميق في نفس السلطان العثماني ، فاتصل

---

١ محمد ابن غلبون « التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الاخبار » ص ٩٩

٢ محمد ابن غلبون « التذكار فمن ملك طرابلس وما كان بها من الاخبار » ص ١٠١ ، احمد النائب « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

3) Aziz Samih : Simali Afrikada Turkler
Erzican mebusu1936, P. 215

بقائد البحار يعلمه بتطورات الموقف ويأخذ رأيه فيما حدث ويطلب منه ضرورة العمل لانقاذ البلاد من هذه الثورة العارمة ولرفع شأن الدولة بين رعاياه .

ولكن حسن باشا قائد البحار لم يستطع القيام بأي عمل نظراً لفصل الشتاء وبقيت طرابلس وحدها تقاوم ثورة المهدي في يأس من النصر على هذه الثورة .

حاول السلطان العثماني أن يفرق بين الثائر وأتباعه من زعماء القبائل فأرسل اليهم رسالة مطولة في شهر ذي الحجة سنة ٩٩٦ هـ (١٥٨٧م)، تحدث لهم فيها عن زمن خروج المهدي وأعلمهم بأن هذا الزمن لم يحن الآن ، وعلى ذلك فإن ادعاء هذا الشخص لا أساس له من الصحة ، وانما نشأ نتيجة لحبه للسلطة والنفوذ مستغلاً في تحقيق أغراضه الفاسدة ، ما اتصفتم بــه من تدين وصلاح وتقوى ، ثم ناشدهم بالابتعاد عنه وبالتعاون مع أمير الأمراء بالايالة للقضاء عليه وعلى دعوته الفاسدة [١] .

غير أن ثورة المهدي استمرت في قوتها ولم يضعفها سفره الى الجبل الأخضر ببرقة لنشر دعوته هناك ، ولكن بعــد عودته من سفره أخذ أنصاره يبتعدون عنه ، وذلك لأنهم اطلعوا عـلى حقيقته ، يحدثنا عزيز سامح بأنه بعد أن اشتهر اسمه جعـل دائرة حريم ملأها بأجمـــل بنات العائلات الكريمة [٢] .

وفي هذه الأثناء وصل الاسطول العثماني وبه الآلاف من جند الولايات العثمانية التي طلب منهـــا السلطان الاشتراك في القضاء عليها ، فما كا

---

١ رسالة السلطان العثماني الى مشايخ القبائل بطرابلس في شهر ذي الحجة سنة ٩٩٦ (١٥٨٧ م·) بخصوص ظهور يحى بن يحى ودعواه بانه المهدي المنتظر · وهذه الرسـ باللغة العربية · انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ١ ·

٢ Aziz Samih : Simali Afrikada Turkler Erzican mebusu 1936, P. 215

بقائد البحار يعلمه بتطورات الموقف ويأخذ رأيه فيما حدث ويطلب منه ضرورة العمل لانقاذ البلاد من هذه الثورة العارمة ولرفع شأن الدولة بين رعاياه .

ولكن حسن باشا قائد البحار لم يستطع القيام بأي عمل نظراً لفصل الشتاء وبقيت طرابلس وحدها تقاوم ثورة المهدي في يأس من النصر على هذه الثورة .

حاول السلطان العثماني أن يفرق بين الثائر وأتباعه من زعماء القبائل فأرسل اليهم رسالة مطولة في شهر ذي الحجة سنة ٩٩٦ هـ (١٥٨٧م)، تحدث لهم فيها عن زمن خروج المهدي وأعلمهم بأن هذا الزمن لم يحن الآن ، وعلى ذلك فإن ادعاء هذا الشخص لا أساس له من الصحة ، وانما نشأ نتيجة لحبه للسلطة والنفوذ مستغلاً في تحقيق أغراضه الفاسدة ، ما اتصف به من تدين وصلاح وتقوى ، ثم ناشدهم بالابتعاد عنه وبالتعاون مع أمير الأمراء بالايالة للقضاء عليه وعلى دعوته الفاسدة [١] .

غير أن ثورة المهدي استمرت في قوتها ولم يضعفها سفره الى الجبل الأخضر ببرقة لنشر دعوته هناك ، ولكن بعد عودته من سفره أخذ أنصاره يبتعدون عنه ، وذلك لأنهم اطلعوا على حقيقته ، يحدثنا عزيز سامح بأنه بعد أن اشتهر اسمه جعل دائرة حريم ملأها بأجمل بنات العائلات الكريمة [٢] .

وفي هذه الأثناء وصل الاسطول العثماني وبه الآلاف من جند الولايات العثمانية التي طلب منها السلطان الاشتراك في القضاء عليها ، فما كاد

---

١ رسالة السلطان العثماني الى مشايخ القبائل بطرابلس في شهر ذي الحجة سنة ٩٩٦ هـ (١٥٨٧ م•) بخصوص ظهور يحى بن يحى ودعواه بانه المهدي المنتظر • وهذه الرسالة باللغة العربية • انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ١ •

٢ Aziz Samih : Simali Afrikada Turkler Erzican mebusu 1936, P. 215

يحيى بن يحيى يرى هـــذا الاسطول حتى حاول الفرار غير أن الشيخ ابن نوير شيخ قبيلة المحاميد مع عدد من رجال قبيلته استجابت لنداء السلطان ، واستطاع القبض عليـــه وسلمه لجند الباشا فقتلوه وكان ذلك سنة ٩٩٨ هـ (١٥٨٩ م) [١] .

لم تستطع ثورة يحيى ولا الثورات التي تلتهـــا ، ان تضع حداً لظلم الولاة ،فهذا محمد باشا الساقزلي الذي تولى حكم البلاد من سنة ١٠٤٢ هـ الى سنة ١٠٥٩ هـ (١٦٣٢م - ١٦٤٩م) لم يسلم من ظلمـــه حتى الموتى ، ففي عهده كانت هناك ضريبة على الموتى ، فاذا توفي الشخص فانه يؤخذ « سدس » مـاله كفريضة وهذا لا يقره الشرع الشريف ولا يرضاه أي انسان [٢] .

وهذا عثمان باشا الذي خلف محمد باشا الساقزلي ، احتكر كل أنواع التجارة مع الخارج فأصبح هو المستورد الوحيد ، يشتري كما يشاء ويبيع كما يشاء ، فكسدت التجارة وبكسادها كسدت الأسواق وأخـــذ الكثير من التجار في مغادرة المدينة خوفاً على أموالهم من الضياع ، وخاصـــة بعد ان اتبع سياسة الاكراه في البيع والشراء فكان يجبرهم عـلى الشراء بأغلى الأثمان ثم يجبرهم على البيع بأبخس الأثمان [٣] .

كا سيطر الجند على زمام الامور في البلاد حتى أصبحت كلمتهم هي القانون وارادتهم هي الشريعة وأصبح الولاة كالدمية في أيديهم يحركونها كما يشاؤون .

وكدليل على سيطرتهم هذه فانهم في يوم ١٥ من جمادى الآخر سنة ١٠٩٤ هـ (١٦٨٢ م) بايعوا « يلك محمد » لمدة يومين والياً على البلاد ثم عزلوه [٤] .

---

١ محمد بن غلبون : « التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الاخبار » ص ١٠١
٢ محمد بن غلبون : المرجع السابق ص ١٠٩ ، ١١٠
٣ احمد النائب : « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ص ٢٥٣
٤ محمد خليل بن غلبون : « التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الاخبار ص ١٣٨ .

وكدليل على استهتارهم بالسلطة فانهم في ليلة ١١ من ذي الحجة سنة ١١١٢ هـ (١٧٠١ م) دخلوا احد المقاهي بسوق الترك بطرابلس فأخذوا صاحبه وهو يصنع القهوة وبايعوه والياً على البلاد ، وكان هذا الوالي هو عثمان القهوجي الدرغوتلي [١] .

لقد تفاعلت هذه العوامل جميعها فكانت اللبنة الأولى في أساس قيام الدولة القرمانلية حيث سئم الأهالي الاضطراب والخوف وعدم الطمأنينة على الأموال والأعراض .

ومما زاد الحالة سوءاً هو اسناد مهمة جمع الضرائب من الأقاليم المختلفة في الولاية إلى رؤساء الكولأوغليه . حتى أصبح الذين عليهم ضرائب لا يدفعون بجانب قيمتها مصاريف الجند الذين كلفوا بجمعها .

احمد باشا القرمانلي

وهكذا كانت البلاد في حالة من الغليان والاضطراب،فالشعب ساخط على حكامه ، والجند مسيطر على زمام الأمور في البلاد ، والعصبيات المحلية تتطاحن من أجل الوصول الى الحكم والتمتع بملذاته،الى أن أشرق فجر يوم ٢٨ يوليو ١٧١١ ، واذا بالشعب يعبّر عن ارادته باختياره لأحمد القرمانلي والياً على البلاد .

وأحمد القرمانلي من مواليد مدينة طرابلس الغرب ،(وأصل اسرته من مدينة « قرمان » بالأناضول . وجاء مؤسس هذه الأسرة وهو مصطفى القرمانلي الى طرابلس واستقر بها ثم تزوج من احدى نسائها فأنجبت له عدة أولاد كان منهم محمود والد يوسف ، وقد تزوج يوسف فرزقه

---

١ محمد خليل بن غلبون : « التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الاخبار » ص ١٥١ .

الله بمولود سماه أحمد [1] .

والتحق يوسف هذا بالجيش العثماني فاستطاع الوصول الى رتبة قائد منطقة المنشية ، فارتفع بذلك نجم هذه الأسرة وعلت مكانتها في المجتمع ولكن أيامه لم تطل فقد توفي في ريعان شبابه .)

وبعد وفاته تزوجت أرملته من الحاج يوسف الذي كان يحمل لقب بك في عهد محمد باشا شائب العين [2] ، وانتقل أحمد مع والدته الى بيت الحاج يوسف الذي قام بمهمة تربيته خير قيام . ولما كبر أحمد التحق بالجيش العثماني وتمكن بفضل شخصيته وطموحه من الوصول الى المكانة التي كان يشغلها والده ، فأسندت اليه قيادة منطقة المنشية .

وكانت البلاد في هذا الوقت تمر بأحرج فترات تاريخها ، واشتد التطاحن بين العصبيات ولكن أحمد لم يشأ أن يكون طرفاً في هذا التطاحن، فوقف على الحياد مما أكسبه محبة الناس وثقتهم فيه ، فأخذوا يعلقون عليه الآمال في تخليص البلاد مما هي عليه من فوضى واضطراب .

وفي سنة ١٧١١ م. كان والي الولاية هو محمود أبو مويس الذي كان يشغل وظيفة الخازندار في عهد ولاية محمد بن الجن ، ثم تمكن من نقل ابن الجن سنة ١٧١١ م . وأعلن نفسه والياً على البلاد . وكان هذا الوالي يخشى من نفوذ أحمد القرمانلي ويراقب كل حركة من حركاته وأخيراً قرر أن يتخلص منه ليرتاح من خطره .

ويروي لنا المؤرخ ابن غلبون أحداث هذه الفترة فيقول [3] :

---

١ محمد خليل بن غلبون « التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الاخبار » ص ١٩٠ .

٢ رودلفو ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ترجمة طه فوزي القاهرة معهد الدراسات العربية العالية ١٩٦١ ص ١١ .

٣ محمد خليل بن غلبون : التذكار فيمن مالك طرابلس وما كان بها من الاخبار ص ٩١ .

الله بمولود سماه أحمد [1] .

والتحق يوسف هذا بالجيش العثماني فاستطاع الوصول الى رتبة قائد منطقة المنشية ، فارتفع بذلك نجم هذه الأسرة وعلت مكانتها في المجتمع ولكن أيامه لم تطل فقد توفي في ريعان شبابه .)

وبعد وفاته تزوجت أرملته من الحاج يوسف الذي كان يحمل لقب بك في عهد محمد باشا شائب العين [2] ، وانتقل أحمد مع والدته الى بيت الحاج يوسف الذي قام بمهمة تربيته خير قيام . ولما كبر أحمد التحق بالجيش العثماني وتمكن بفضل شخصيته وطموحه من الوصول الى المكانة التي كان يشغلها والده ، فأسندت اليه قيادة منطقة المنشية .

وكانت البلاد في هذا الوقت تمر بأحرج فترات تاريخها ، واشتد التطاحن بين العصبيات ولكن أحمد لم يشأ أن يكون طرفاً في هذا التطاحن، فوقف على الحياد مما أكسبه محبة الناس وثقتهم فيه ، فأخذوا يعلقون عليه الآمال في تخليص البلاد مما هي عليه من فوضى واضطراب .

وفي سنة ١٧١١ م. كان والي الولاية هو محمود أبو مويس الذي كان يشغل وظيفة الخازندار في عهد ولاية محمد بن الجن ، ثم تمكن من نقل ابن الجن سنة ١٧١١ م . وأعلن نفسه والياً على البلاد . وكان هذا الوالي يخشى من نفوذ أحمد القرمانلي ويراقب كل حركة من حركاته وأخيراً قرر أن يتخلص منه ليرتاح من خطره .

ويروي لنا المؤرخ ابن غلبون أحداث هذه الفترة فيقول [3] :

---

١ محمد خليل بن غلبون « التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الاخبار » ص ١٩٠ .

٢ رودلفو ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ترجمة طه فوزي القاهرة معهد الدراسات العربية العالية ١٩٦١ ص ١١ .

٣ محمد خليل بن غلبون : التذكار فيمن مالك طرابلس وما كان بها من الاخبار ص ٩١ .

« ولما قتل محمود أبو أميس [1] ابن الجن غدراً وتولى موضعه وبايعه من بايعه على ضغينة، توسم في أمير المؤمنين [2] صلاحية الملك دونه فأراد الفتك بـه ، فأرسله الى غريان ليبطش به من فيها من الجند، فراسله أهل الديوان رؤساء العسكر وعامة الجند وأهل البلد بالقدوم عليهم ليبايعوه فقـدم يوم الثلاثاء لاحدى عشر خلون من جماد الآخر سنة ثلاثة وعشرين ومائة وألف . فدخل السوق وبايعه من به ولم يختلف في بيعته من أهل البلدين المنشية والساحل وأهل الديوان والمدينة اثنان لعلمهم بصلاحيته لما قلدوه من أمرهم دون غيره » .

---

١ هناك مراجع أخرى تسميه أبو موبس ، مثل ميكاكي في كتابه « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » صفحة ٩ • وقد فضلت استعمال اللفظ الاخير وذلك لشيوعه بين السكان في ليبيا ، اذ يوجد فرع من قبيلة المغاربة في برقة لازال افراده الى اليوم يسمون بهـذا الاسم •

٢ يعلل الطاهر الزاوي ناشر كتاب ابن غلبون في أحد هوامش هذا الكتاب صفحة ١٦١ ، السبب الذي جعل ابن غلبون يطلق لفظ أمير المؤمنين على أحمد باشا القرمانلي ، بـأن ذلك يرجع الى أن ابن غلبون كانت له مكانة طيبة لدى أحمد باشا وكان من المقربين لديه ، وأن ظروف هذا القرب هي التي اضطرته الى ان يخصه بذا اللقب •

غير ان عزيز سامح يقول في كتابه «Simali Afrikada Turkler» صفحة ٢٣٠ ما نصه :

« بعد ان تغلب أحمد باشا على الثورة التي قام بها الترياقي (أحد قادة جنده) في برقة بدأ في الظلم ، وقد شمل ظلمه العلماء والفضلاء حتى ابن غلبون الذي مدحه لم يسلم منه • ومع ذلك فهو لم يكن حرا في تصرفاته حيث ان رفاقه من كبار الانكشارية كانوا يكبحون جماحه ولولا ذلك لاشتد ظلمه • وكان يرى ان لقب امير الامراء للايالة قليل في حقه، فلقب نفسه بامير المؤمنين في كتاباته واوامره وفي الخطب على المنابر فـي الجمع وفي العيدين وقد استعمل أحفاده هذا اللقب من بعده » •

وبمراجعة كتاب ابن غلبون يتضح لنا بان مكانته عند أحمد باشا لم تتغير بل كثيرا ما كان شفيعا عنده لكثير من الناس ، واذا لم يكن لابن غلبون هذه المكانة لما افرط في مدحه وهو قد ألف كتابه بعد وفاته •

واخيرا لدى الكثير من الوثائق الرسمية موقعة من بعض احفاد أحمد باشا •

لم أجد في اي منها توقيعا باسم أمير المؤمنين • وان كان بعض الكتاب يستعملون هـذا اللفظ ومما سبق يتضح لنا ان ما قاله عزيز سامح لا اساس له من الصحة وذلك لمنافاته للحقيقة والواقع •

لقد استلم أحمد القرمانلي حكم البلاد في ظروف حرجة ، فكان عليه أن يعمل بسرعة لتثبيت دعائم حكمه ، وكانت سرعة العمل هذه تتطلب أولاً وقبل كل شيء اعتراف السلطان العثماني به والياً على البلاد ، لأن هذا الاعتراف يعد الشرط الأساسي في نجاح حكمه .

موقفه من الدولة العثمانية

حاول أحمد القرمانلي الحصول على هذا الفرمان ولكن خليل باشا كان أسرع منه في الحصول على ذلك .

وخليل باشا كان والياً على طرابلس ، وفي سنة ١٧١٠ م . قام ابراهيم وقره محمد وهما من رؤساء سفنه بثورة ضده ، فهرب خليل باشا الى مصر ومنها الى دار الخلافة ، واستطاع اقناع السلطان بأن الشعب في ايالة طرابلس على استعداد لاستقباله كمحرر ، وبأن الثورة التي قامت ضده على الرغم من نجاحها في أول الأمر إلا أنها تلقى معارضة شديدة من الأهالي . فاستجاب السلطان لهذا الطلب وأصدر فرماناً باعادته الى ولاية طرابلس .

غير أن أحمد القرمانلي منعه من دخول طرابلس فاتجه غرباً الى زواره، ومن هناك أخذ يعد العدة لاحتلال مدينة طرابلس ، فخرج أحمد القرمانلي للقائه وتقابل الجيشان في مدينة صبراتة ، وانتهت المعركة بانتصار أحمد القرمانلي وقتل خليل باشا في أغسطس سنة ١٧١١ م .

رأى أحمد القرمانلي أن الوقت قد حان للحصول على فرمان التولية من السلطان فأرسل وفداً من أعيان البلاد الى القسطنطينية محملاً بالهدايا ، وطلب من الوفد شرح أحوال البلاد والأسباب التي جعلت أحمد القرمانلي

يتولى حكم البلاد ، ثم محاولة تبرير مقتل خليل باشا الذي قال عنه انه وقع فريسة لكراهية سكان الأقاليم له. كما أوصاهم ببذل قصارى جهدهم لجعل السلطان يوافق على اقراره والياً على البلاد .

ويظهر أن السلطان لم يقتنع بما قاله هذا الوفد،حيث أنه في ٢٨ يوليو سنة ١٧١٢ وصل محمد باشا المشهور « بجانم خوجه » مكلفاً من السلطان بالتحقيق في أسباب مقتل خليل باشا ، وان كان أحمد القرمانلي أظهر له استعداده للتعاون معه في سبيل أداء مهمته التي كلف بها ، الا انه في الحقيقة عرقل مهمته حتى اضطر إلى العودة من حيث أتى بدون الوصول إلى أية نتيجة .

ويحدثنا أحمد النائب عن فشل مهمة محمد باشا « جانم خوجه » فيقول [1] :

« وفي يوم الأحد السادس والعشرين من جمادى الآخرة سنة أربع وعشرين ، قدم محمد باشا المشهور « بجانم خوجه » للفحص عن مقتل خليل باشا والوقوف على حقيقة الأمر فاستقبله أحمد بك بمزيد الاعتناء وبالغ في تعظيمه واكرامه كما يجب ؛ وتشبث محمد باشا بالتحقيقات ، فلم يتيسر له الوقوف على حقيقة الحال لأن أحمد بك اعتنى في الدس عليه ومنع الناس من الاجتماع به ، ثم قفل ولم يتحصل على خبر صحيح » .

ولكن هذه الرواية تختلف عن رواية ميكاكي اذ يقول [2] :

« وصل في يوم ٢٨ يوليو سنة ١٧١٢ م الى طرابلس محمد باشا المعروف باسم « جانم خوجه » ، وكان كبير القباطنة

---

١ أحمد النائب « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ص ٣٠٠ .

٢ رودلفو ميكاكي « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ١٦ .

وقال انه يحمل أمراً من السلطان بالاستيلاء على الحكومة وصرح بأن اسطولاً تركياً على أهبة الاستعداد للابحار من القسطنطينية في طريقه الى طرابلس إذا ما وجد أي معارضة . فأظهر له القرمانلي أنه يخضع لأمر السلطان ... الخ » .

وبالمقارنة بين هذين النصين تتضح الملاحظات الآتية :

أنه من المعقول أن يرسل السلطان من يثق فيهم لتحري الحقائق وللوقوف على رأي الشعب في واليه الجديد قبل ان يقرر السلطان أمره . وان العصر الذي عاش فيه أحمد النائب أقرب الى عصر أحمد القرمانلي من العصر الذي عاش فيه ميكاكي .

وأخيراً ليس من المعقول أن يأتي محمد باشا بدون قوة كبيرة تسنده ويطلب من أحمد القرمانلي التنازل عن الحكم بهذه البساطة ، في الوقت الذي يعلم فيه محمد باشا بأن أحمد القرمانلي قتل خليل باشا وهزم قوات الدولة العثمانية في سبيل بقائه في الحكم .

ومن هذه الملاحظات نجد أن رواية أحمد النائب أدق تعبيراً من رواية ميكاكي .

وبفشل محمد باشا فيما كلف به ، وجد السلطان نفسه أمام الأمر الواقع كما كانت عادته دائماً ، فلم يجد بداً من الاعتراف به والياً على البلاد سنة ١٧١٢ م مع منحه لقب « بكلربكي » أي أمير الأمراء . وبذلك ضمن أحمد باشا رضا السلطان عنه وانطلق مطمئناً لتحقيق الأهداف التي رسمها لنفسه ، واستمرت علاقته بعد ذلك بالدولة العثمانية هادئة حتى وفاته .

موقفه من الثورات الداخلية

لم يقتصر نشاط أحمد باشا القرمانلي على الاهتمام بالحصول على فرمان التولية من السلطان ، بل كان يعمل على تثبيت دعائم حكمه في الداخل وذلك بتطهير البلاد من عدد كبير من زعماء الانكشارية الذين كان يشك في ولائهم وكانوا سبباً فيما حل بالبلاد من فوضى واضطراب .

وقد رسم خطة جريئة للتخلص من هؤلاء الزعماء ، فدعاهم الى حفلة أقامها في بيته الريفي بمناسبة تعيينه والياً على البلاد، وما ان تكامل جمعهم حتى أعطى الاشارة المتفق عليها مع المخلصين من جنده فدخلوا عليهم فجأة وفتكوا بهم . كما استطاع أن يقضي على حركات العصيان والتمرد التي قامت ضده سواء في المدن التابعة لطرابلس أو فزان أو برقة .

وكانت أخطر تلك الحركات أو الثورات هي التي قام بها علي ابن عبدالله بن عبد النبي الملقب « بأبي قيله » سنة ١٧١٥ [١] . والتفت حوله العديد من قبائل الجبل الغربي بطرابلس وادعى بأنه المهدي المنتظر، واتسعت ثورته حتى شملت أودية الكمكوم جنوب شرقي مزده، ثم انتقل بأتباعه الى الجبل الأخضر ببرقة لنشر دعوته هناك .

وفي أثناء رجوعه من برقة إلى طرابلس تقابل جيش أحمد باشا القرمانلي الذي كان يقوده بنفسه لشدة خطورة هذه الثورة وسرعة انتشارها . وكان هذا اللقاء بالقرب من « مرسى الزعفران » بسرت وانتهت المعركة

---

١ ملاحظة : يذكر لنا ميكاكي في كتابه « طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي » صفحة ٢٠ ان هذه الثورة التي قام بها عبدالله بن عبد النبي كانت سنة ١٧١٢ ، ولكن الحقيقة أنها قامت سنة ١٧١٥ وذلك لاجماع كل من ابن غلبون في كتابه « التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الاخبار » صفحة ١٩٤ واحمد النائب في كتابه « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » صفحة ٣٠٢ على انها قامت سنة ١١٢٧ هـ. وهذه السنة توافق سنة ١٧١٥ م.

بانتصار أحمد باشا وفرار المهدي المزعوم تاركاً أنصاره يلاقون نهايتهم الرهيبة .

والغريب أن الذين يدعون أنفسهم بأنهم المهدي المنتظر لم يكد الواحد منهم يشعر بقوته حتّى ينقلب الى شيطان رجيم يتعدى على الأمناء ويهتك الأعراض في خسة ودناءة .

فهذا ابن غلبون يحدثنا عن أبي قيله فيقول [1] :

« دخلت سنة سبع وعشرين ومائة وألف فخلع فيها علي ابن عبدالله بن عبد النبي الصنهاجي المكنّى « أبو قيله » بيعة أمير المؤمنين وانضم اليه كل مفسد من الجبال وأودية الكمكوم ومن أراد الفساد من أهل السواحل وأخذ أموال الرعايا ونهب مواشيهم وأكل الزرع وأخذ أولاد خليفة وأولاد نصر ، وسبي حريمهم ودخل ببعض بناتهم كرهاً وقتل نحو الستة عشر رجلاً من بني خليفة » .

وبقضاء أحمد باشا على هذه الثورة والثورات التّي قامت قبلها أو بعدها استطاع أن يؤكد دعائم حكمه وأن يركز جهده لبناء مجد دولته الفتية . فاهتّم بالتجارة الداخلية والخارجية ، فشيد العديد من الفنادق لراحة التجار ونشر الأمن في ربوع البلاد ، فاطمأن التجار على أرواحهم وأموالهم ، وأصبحت مدينة طرابلس وبنغازي نتيجة لذلك ملتقى التجار من مختلف الأقطار .

وبازدهار التجارة ازدهرت الصناعة المحلية حيث وجد الصناع المواد الأولية اللازمة لصناعاتهم كما استطاعوا بيع صناعاتهم في الأسواق الداخلية وتصديرها بسهولة الى الأسواق الخارجية .

---

١ محمد خليل بن غلبون : « التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الاخبار » ص ١٩٤ .

ولما كان الجيش والأسطول هما عماد قوته فقد أولاهما كامل اهتمامه، فجلب الخبراء في الملاحة وبناء السفن من بعض الدول الأوروبية للقيام بتدريب بحارته على فنون الملاحة واصلاح السفن .

واستطاع بعد أن تأكد من قوة أسطوله ، أن يملي ارادته على الدول الأوروبية التي كانت تتخذ البحر الأبيض المتوسط مجالاً لنشاطها التجاري، فكانت تسارع بتقديم الهدايا ودفع الاتاوات السنوية لكسب رضائه فتحقق بذلك سلامة سفنها من اعتداء الأسطول الليبي عليها .

كما استطاع أن يجعل للبلاد شخصيتها الدولية ومكانتها الخاصة، فكان لها العديد من المبعوثين في عواصم الدول الأوروبية ، حيث كان طيلة حياته يعتبر نفسه مستقلاً في حكم ايالته عن الدولة العثمانية وان كان في الحقيقة تابعاً لها . فهو من ناحية يسعى بكل الوسائل للحصول على فرمان التولية من السلطان لتدعيم حكمه بين شعبه ، ومن ناحية أخرى نجده يعقد المعاهدات والاتفاقات مع الدول الأوروبية رأساً وبدون الرجوع الى السلطان ، بل نجده في بعض الأحيان لا يقبل وساطته في عقد الصلح مع بعض هذه الدول اذا شعر بأن مصلحته في غير ذلك .

ففي ٢٣ أكتوبر سنة ١٧٢٣ . وصل الى طرابلس مندوباً من السلطان العثماني يحمل الى أحمد باشا أمراً من السلطان بضرورة عقد الصلح مع امبراطورية النمسا وجمهورية البندقية ، فما كان من أحمد باشا إلا أن رفض هذا التدخل من السلطان العثماني ، وأفهم المندوب السلطاني بأنه لن يوافق على ذلك إلا اذا تعهد له السلطان بدفع رواتب جنده ، وذلك لأنه أراد أن يتم هذا التفاوض مباشرة بينه وبين النمسا والبندقية بدون وساطة أو تدخل من الباب العالي كما عبر عن ذلك صراحة لهذا المندوب [١] .

---

١ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ٣٧ .

وهكذا وهب أحمد باشا القرمانلي كل ما يملك حتى بصره في سبيل بناء مجد دولته ، وعندما شعر بعجزه عن تسيير أمـور الدولة ولفقدانـه لبصره عهد بأمور الدولة الى ابنه محمد .

ولما كانت نفسه تأبـى عليه أن يكون محل عطف واشفاق من الذين كان يفرض عليهم ارادة هذه النفس العالية ، فضل الموت على الحياة، فأطلق على نفسه رصاصة من مسدسه فارق على أثرها الحياة وكان ذلك في ٤ نوفمبر سنة ١٧٤٥ م [١] .

وبوفاته بايع الناس ابنه محمد والياً على البلاد خلفـاً لوالده ، ولكن هل كان محمد القرمانلي أهلاً لهذه الثقة ؟

وهذا ما سنراه في الفصل القادم من هذا البحث .

---

1) Tully Richard : «Ten years residence at the Court of Tripoli 4rd Ed. Edited by Seton Dearden, London, 1957

الفصل الأول

خروج الحكم
من الاسرة القرمانلية ثم عودته

تولي محمد باشا الحكم

تولي علي باشا الحكم واضطراب حالة البلاد الداخلية

احتلال علي الجزائرلي (أو برغل) لمدينة طرابلس

مساعدة باي تونس للقرمانليين على استرداد حكمهم

استيلاء يوسف باشا القرمانلي على الحكم

تولي محمد باشا الحكم

لقد خلقت وفاة أحمد باشا القرمانلي جواً من الغموض بين الأهالي ، ولكن هذا الغموض انقشع حينما بايع أهل الديوان وكبار رجال الجيش والأسطول محمد القرمانلي بن أحمد باشا والياً على البلاد في ٤ نوفمبر سنة ١٧٤٥ م فتقدم الأهالي بعد ذلك يعلنون بيعتهم له كما اعترف به السلطان والياً على البلاد .

وكما سبق القول بأن محمد باشا كان يقوم بأعباء الدولة منذ أن فقد والده بصره ، وبذلك سارت البلاد على نفس السياسة الأولى في المجالين الداخلي والخارجي ، مع زيادة الاهتمام بالجيش والأسطول . كما استطاع أن يقضي على كل حركة مناوئة له فكان يعدم كل متآمر بل وكل مشتبه في ولائه له ولم يسلم من ذلك حتى أقربائه [١] .

ثم أخذ اهتمام الباشا بالجيش والأسطول يقل تدريجياً وذلك حينما ألف حياة الخمر حتى أصبح مدمناً لها [٢] . وانتهزت الدول الأوروبية هذه الفرصة فأخذت تمارس نوعاً من الضغط عليه وذلك عن طريق استعراض

---

١ كانت عادة قتل الاقرباء قاعدة عند اغلب حكام الاسرة القرمانلية كما سيتضح ذلك في الفصل الثاني من هذه الرسالة .

٢ رودلفو ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » القاهرة ، ١٩٦١ .

قوة أساطيلها أمام شواطىء مدينة طرابلس ، حتى أن انجلترا في ٢٩ شوال سنة ١١٦٤ هـ الموافق ٢٠ سبتمبر ١٧٥١ استطاعت حمل الباشا على عقد معاهدة نصت احدى موادها على أن تكون الأيالة الطرابلسية على الحياد في حالة حرب بين انجلترا وتونس أو الجزائر [١] .

وبالرغم مما في هذه المادة من اساءة الى شعور شعبه الا انه قبلها ووقع على هذه المعاهدة ، بل لم يكتفِ بذلك فقط اذ نجده في ٣ مايو سنة ١٧٥٢ يوقع مع فرنسا الاتفاق التالي [٢] :

« ان المغامرين من طرابلس الذين لا يخضعون لنص المادة ، أي المادة التاسعة من معاهدة ٦ يونيو ١٧٢٩ [٣] . والذين يطلبون من القباطنة وأصحاب السفن الفرنسية مؤناً أو أدوات أو ذخائر أو غير ذلك ، والذين يعرقلون سير الملاحة بتأخير السفن أو فرض الحجر الصحي دون الحاجة إلى ذلك ، أو أولئك الذين يهينون العلم الفرنسي بأي طريقة كانت سوف يعاقبون بمنتهى الشدة والاعدام أيضاً في حالة اساءة معاملتهم لهؤلاء القباطنة أو لأصحاب السفن الفرنسية أو لبحارتها ، وسوف تكون لهذه المادة قوتها وتبقى سارية المفعول كما لو كانت قد ادمجت حرفياً في المعاهد المؤرخة في ٢ أغسطس سنة ١٧٢٩ [٤] ، اذ انها المفروض جزء منها » .

---

١ رودلفو ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ملحق الكتاب وثيقة رقم ٢ من ص ٨ الى ص ١٢ ، جمع كمال الدين الخربوطلي .
نص المعاهدة ـ انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٢ .

٢ رودلفو ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي » . ص ٨٧ .

٣ يقصد بالمغامرين اولئك الذين كانوا يشتغلون لحسابهم الخاص ، حيث كانت هناك بحرية رسمية تابعة للدولة وبحرية خاصة تابعة لبعض المغامرين من الاهالي . وسيأتي تفصيل ذلك في الحديث عن النظام البحري في الفصل الرابع من هذا الكتاب .

٤ ٢ اغسطس هو تاريخ التصديق على المعاهدة المبرمة في ٩ يونيو ١٧٢٩ .

لقد كان لهذا الاتفاق أثر كبير في نفوس الكثير من المغامرين حتى ان بعضهم قاموا بثورة في مساء ٣٠ يوليو ١٧٥٢ للاطاحة بحكم الباشا ولكنهم فشلوا لعدم تجاوب الشعب معهم .

لا شك أن الباشا بقبوله لهذا الاتفاق والاتفاق السابق قد أساء الى كرامة شعبه كما أنه قد ساعد على تثبيت أول معول في هدم بناء هذه الدولة التي فقد والده بصره في سبيل العمل على رفع مكانتها ، حيث أن الدول الأوروبية أخذت تتطلع الى مزيد من الانتصارات . ولكن القدر شاء أن يعجل بوفاته ، فقد توفي في ٢٤ يوليو ١٧٥٤ وخلفه ابنه علي في حكم البلاد .

تولي علي باشا الحكم
واضطراب حالة البلاد الداخلية

تولى علي باشا حكم البلاد سنة ١٧٥٤ ، وكانت البلاد تمر في ظروف سياسية واقتصادية حرجة وكانت تتطلب والياً غير علي باشا الذي كان شاباً صغيراً ، استطاع زعماء الانكشارية الذين أجلسوه على كرسي الحكم أن يسيطروا على شخصيته فيوجهوها حسبما يحلو لهم . كما حالوا بينه وبين صرخات المظلومين وحكمت البلاد حكماً انكشارياً انتهازياً .

فباسمه أصدروا الأوامر باستئناف عمليات الغزو وانتهاك المعاهدات فجروا على البلاد عداء الدول التي كانت تنتهز الفرص للانتقاص من سيادة البلاد ، حتى أنه في سنة ١٧٦٦ م ، استطاع الاسطول الفرنسي بقيادة بوفريمون «Beaufremon» أن يجبر الباشا على أن يتعهد بكل صراحة على أنه من هذا التاريخ فصاعداً سوف يعدم أي مغامر يقوم بأعمال العنف

ضد أية سفينة فرنسية ويعلق جثته عبرة لغيره [1] .

كذلك تمكنت بعض الدول من عقد معاهدات حدد بمقتضاها مجال نشاط الاسطول الطرابلسي فقلت بذلك واردات البلاد كما أنه أرغم على مساعدة البنادقة في حربهم ضد تونس بالسماح لهم باتخاذ موانىء طرابلس قواعد لسفنهم للهجوم على تونس ، فكان بذلك أكثر تحدياً من والده لمشاعر شعبه والحط من مكانة دولته [2] .

ونظراً لحاجته الشديدة الى المال فقد جعله الانكشارية يفرض ضرائب باهظة على الأهالي فأثقل كاهلهم بها ، كما جعلوه يصدر أحكام الاعدام على كل من كان محل ثقة الناس واحترامهم ولم يسلم من ذلك حتى عمه نفسه المدعو خليل والذي كان يحتل منصب باي درنه ، فعمت البلاد بذلك موجة من السخط والاضطراب .

ومما زاد الحالة سوءاً ، تعرض البلاد في سنة ١٧٨٥ لوباء الطاعون حتى ان السيدة « توللي » وهي شاهدة عيان تحدثنا عن هذه الكارثة بأن العفونة نتيجة كثرة الموتى ظلت رائحتها في الشوارع لعدة أيام كما أن الكثير من الناس كانوا يدفنون أحياء . وتقدر عدد الموتى بأنه خمس أهلها من المسلمين ونصف سكانها اليهود [3] .

---

١ رودلفو ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ٩٧ .

٢ Giorgio Cappovin «Tripoli E Venezia Nel Secolo XVIII Verbania Italia, 1942, P.P. 448, 49, 50.

ملاحظة : لقد اورد هذا المؤرخ في هذه الصفحات نص الرسالة التي ارسلها نائب قنصل البندقية Giuseppe Pezzi بطرابلس الى المسؤولين بحكومة البندقية بتاريخ ٢٦ مايو ١٧٩٧ حول نزاعه مع يوسف باشا وقد جاء فيها قوله :

« كما نوه (يعني يوسف باشا) بالمساعدة الجزئية التي قدمها والده المتوفي خلافا للقواعد المقدسة للدين الاسلامي الى البنادقة في حربهم ضد التونسيين ...

ونظرا لاهمية هذه الرسالة فانني سوف انشر ترجمتها في ملحق هذا الكتاب تحت الوثيقة رقم ٣ .

٣ Tully Richard : «Ten years residence at the Court of Tripoli». P. 124.

كما أن نائب قنصل فرنسا فلير « Vallière » الذي حل في سنة ١٧٨٦ محل القنصل العام د. اندريه « D. André » يقول [١] :

« ان الباشا لا يحكم الا رعايا متمردين ومناطق جدباء وأكداساً من الأطلال والخرائب ، وان المدينة التي يقيم فيها ليست سوى الخراب والدمار . كما ان قصره ينهار من جميع جوانبه . أما أسوار المدينة فإنها بسبب تهدمها في كثير من أجزائها تجعل أبواب المدينة عديمة الجدوى ولا قيمة لها — أما الحصون والبطاريات المعدة بمدافع قديمة وفاسدة فانها تتداعى كلما اطلقت لتحية البوارج الحربية التي تأتي لالقاء مراسيها في الميناء — وان سبع سنوات أو ثمان من القحط ضاعفت الموتى والمهاجرين ، وأخيراً تفشى الطاعون ، وزادت هذه الكوارث زيادة كبيرة وهكذا أصبحت طرابلس صحراء مقفرة » [٢] .

وكانت نتيجة هذه الظروف جميعها هو فقد قوات الباشا لسيطرتها على زمام الأمور في البلاد فانتشرت الفوضى واشتعلت نار الحرب بين القبائل ، ففي طرابلس تحاربت قبائل أولاد سليمان وقبائل الفرجان وشهدت مدينة ترهونة مواقع دامية بين الطرفين ، وكذلك قامت الحرب بين قبيلة النوائل والورشفانيين حلفاء المحاميد [٣] .

---

١ رودلفو ميكاكي : طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي ص ١٠٨ .

٢ لا شك ان تشبيه « فلير » للايالة الطرابلسية بانها اصبحت صحراء مقفرة نتيجة لما اصابها من قحط ووباء ، هو تشبيه مبالغ فيه ، وذلك لان : اولا — كلمة صحراء مقفرة تحمل معنى أكثر عمقا عما ذكره « فلير » في وصفه السابق لحالة البلاد ، وثانيا — لان الايالة الطرابلسية لم تتعرض جميعها للقحط والوباء كما قد يتبادر الى ذهن القارىء لهذا الوصف .

٣ رودلفو ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ٩٨ وص ١٠٣ .

ولم تكن برقة بأحسن حالاً من طرابلس ، ففي برقة اشتدت نار الحرب بين الجبارنة والفوايد ثم بين العلايا والجوازي فكانت نتيجتها هجرة القبائل المغلوبة الى مصر [1] .

واشتدت الضائقة الاقتصادية حتى عجز الباشا عن دفع رواتب جنده ففقد بذلك ولاء الكثيرين منهم ، وكثر السلب والنهب حتى أصبح الناس غير آمنين على أرواحهم وما يملكون .

ويصف لنا محمد بهيج الدين بن مصطفى عاشر هذه الفترة فيقول [2] :

« لقد اضطربت أحوال البلاد في الأيام الأخيرة من حياة علي باشا – والد يوسف باشا – وعجز عن دفع رواتب الجند ، وأصبحت السرقة صنعة لا يستطيع أحد المعاقبة عليها ، حتى ان منطقة المنشية غدت مكاناً للصوص وقطاع الطرق » .

لقد يئس الأهالي من الاصلاح ورأوا أن الباشا لم يعد في امكانه القيام بأي عمل من شأنه أن يعيد البلاد الى سالف عهدها ، ويضمن لهم الحياة المطمئنة الهادئة . فاجتمع أعيان البلاد للتشاور فيما يفعلون واستقر رأي الجميع على ضرورة الالتجاء الى الدولة العثمانية لتخليصهم مما هم فيه من ضيق وفوضى واضطراب [3] .

وكان للباشا ثلاثة أبناء هم حسن وأحمد ويوسف ، وكانت العلاقة بين هؤلاء الاخوة سيئة للغاية ، فكان كل منهم يخشى الآخر ولا يثق فيه ويحيط نفسه بمجموعة من الحرس الذين لا يخضعون لأحد سواه ، وكان أشد هؤلاء الاخوة خطراً وحباً في الحكم والرياسة هو يوسف الذي كان أصغرهم .

---

١ محمد الطيب الاشهب : « برقة العربية امس واليوم » · القاهرة ١٩٤٠ ص ١٠٧ وص ١٠٨ ·

٢ محمد بهيج الدين بن مصطفى عاشر : « طرابلس غرب » استنبول – بدون تاريخ – ص ٥٥ وهو باللغة التركية ساعدني على ترجمة ما يتعلق برسالتي : الحاج محمد الاسطى ·

٣ احمد النائب : « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ٣١٥ ·

كان يوسف شديد العداء لأخيه حسن وحاول والدهما التوفيق بينهما فلم يوفق الى ذلك حتى انه في احدى المرات أصدر أمره الى مائتين من الجند المسلحين باخراج يوسف الى قصر المنشية ليكون بعيداً فتهدأ بذلك المشاكل [1] .

سمع يوسف بما اتفق عليه أعيان المدينة فخشي أن ينفذوا ما اتفقوا عليه فيفقد بذلك أمله في الوصول الى كرسي الحكم ، ولذلك كان عليه أن يعمل لتحقيق أمله هذا ، ولكن كيف السبيل إلى ذلك وهو أصغر الاخوة ؟

فكر يوسف في ذلك كثيراً فهداه تفكيره إلى ضرورة الانصال بزعماء وشيوخ القبائل لكسب تأييدهم له فيما سوف يقدم عليه . فأخذ يراسل الكثيرين منهم شارحاً لهم حالة البلاد وتسلط الجند على زمام الأمور فيها لضعف والده وكبر سنه ، وأعرب لهم عن خوفه من أن تحتل البلاد دولة أخرى فيكونوا ضحية لانتقامها ، ثم لمح لهم برغبته في تولي حكم البلاد [2] .

ولما تأكد يوسف من تأييد الكثيرين له وخاصة الشيخ خليفة بن عون المحمودي شيخ قبيلة بني نوير [3] ، أخذ يفكر في رسم خطة لتحقيق أمله في الحكم ، وكان لا بد لتحقيق هذا الأمل من التخلص من أخيه الكبير البك حسن ، الذي من حقه أن يكون ولياً للعهد .

فاتفق يوسف مع حرسه الأسود [4] على الخطة التي يتخلص بها من أخيه ثم توجه إلى القلعة حيث كانت والدته اللالا حلومة ، وأعرب لها عن رغبته الصادقة في السلام والصلح بينه وبين البك حسن وطلب من

---

١ Giorgio Cappovin «Tripoli E Venezia Nel Secolo XVIII P. 413.

٢ احمد النائب : « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ص ٣١٥ ، ٣١٦ .

٣ محمد بهيج الدين : « طرابلس غرب تاريخي » ص ٥٥ .

٤ سمي بالحرس الاسود نسبة الى لون اللباس الذي كان يرتديه هذا الحرس .

والدته أن تحقق له هذه الرغبة . ولما كانت والدتهما نفسها تتمنى ان يتحقق ذلك أسرعت في طلب حضور ابنها حسن ، ولكن البك حسن كان لا يثق في أخيه ولا يطمئن الى نواياه السيئة ، فأعرب للرسول عن عدم رغبته في الذهاب الى لقاء شقيقه ، ولكن والدته وزوجته استطاعتا التأثير عليه فذهب للقاء شقيقه، وحينما تقابلا نهض يوسف وعانقه وأظهر له أسفه الشديد عما حدث بينهما ، فتأثر البك حسن لهذا اللقاء الأخوي وأعرب لأخيه يوسف عن حبه له ولأخيه أحمد وبأنه حرم من الأبناء وانه يعتبرهما اخوة وأبناء له ، ثم تعاهدا على المحبة والصفاء .

طلب يوسف تعزيز هذا العهد بالقسم على المصحف فوافق البك على هذا الطلب فأمر يوسف أحد حراسه باحضار المصحف الشريف وكانت كلمة المصحف هي كلمة السر بين يوسف وحرسه الأسود : فحينما دخل الشخص الذي كلف باحضار المصحف حاملاً بين يديه شيئاً مغطى، نهض يوسف لاستلامه منه ، وإذا بهذا الشيء المغطى يتحول الى مسدسين أطلق يوسف على أخيه من أحدهما طلقة ولكن هذه الطلقة لم تصب منه مقتلاً ، فحاول البيك الوصول الى باب الدار لأخذ سلاحه فأصابته الطلقة الثانية فوقع على الأرض ، وحينما حاولت والدتهما ان تحول بينهما جرحت يدها فسالت منها الدماء [1] .

وعندما رأى يوسف ان أخاه يسبح في بركة من الدماء صاح لحرسه بقوله :

« هذا هو البك فأجهزوا عليه » .

---

١ يرى احمد النائب في كتابه « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ص ٣١٥ بان يوسف باشا قطع يد والدته ، ولكن اعتقد انه يعني بكلمة القطع مجرد الجرح وليس البتر ، لان السيدة توللي وهي معاصرة لهذه الاحداث تروي لنا في كتابها «Ten years residence at the Court of Tripoli» ص ٢٤٨ ، بان يد اللالا حلومة جرحت ولم تقطع كما قال أحمد النائب .

فهجم الحرس الأسود على جثة البك كالذئاب الجائعة . وكان ذلك في شهر يوليو سنة ١٧٩٠ .

وقد أحصت السيدة تولي رتشارد عدد الطلقات التي أصابت جسم البك حسن باحدى عشرة طلقة في رأسه وثلاثة في يده اليمنى وسبعة في جنبه [١] .

لم يكتف يوسف بهذا العمل الاجرامي بل نجده حينما تصدى له الكيخيا الكبير لمنعه من الخروج طعنه بالسكين فأرداه قتيلاً وخرج يصيح في الناس بقوله [٢] :

« أنا خادمكم فمن عنده الشجاعة فليتبعني » .

وكان لهذا الحادث صداه العميق في نفوس الأهالي، وانقسمت البلاد إلى فريقين أحدهما صفق للقاتل والدماء تسيل من يديه والثاني وقف مذهولاً من هول المفاجأة ، وأعلن يوسف النصر شيخ قبائل أولاد سليمان عصيانه وأرسل إلى الباشا يطلب أن يعمل بسرعة على الانتقام من القاتل والا فإنه سوف يهاجم مدينة طرابلس .

وفي الوقت الذي تقف فيه قبائل أولاد سليمان ضد القاتل نجد أن قبيلة المحاميد تقف مع القاتل مؤيدة له ومناصرة .

لم يفعل الباشا شيئاً للقاتل ، بل اكتفى بطلب الرحمة للمقتول وأرسل في طلب ابنه أحمد من مصراتة ، كما أرسل إلى ابنه يوسف مسبحته كدليل على الأمان [٣] .

لم يرض أحمد عن تصرف والده هذا، اذ رأى ان هذا العمل سيزيد

---

١ Tully Richard !Ten years residence at the Council of Tripoli» P. 249

٢ P. Costanzo Bergna «Tripoli Dal 1510 Al 1850» P. 238.

٣ Tully Richard «Ten years Residence at the Court of Tripoli» P. 251.

من غرور يوسف ويشتد خطره وربما ذهب هو نفسه ضحية هذا الغرور، ولكن الباشا لم يلتفت الى هذه الملاحظات بل صمم على مجيء يوسف اليه وأعطى الأمر إلى الجند بالمحافظة على حياته وذلك أملاً منه في اقرار السلام وليحول دون حدوث أي عمل لا تحمد عقباه .

وتمشياً مع هذه الرغبة فحينما طلب منه أحمد ان يعينه بيكاً خلفاً لأخيه لم يمانع في ذلك واشترط لتحقيق هذا الطلب موافقة يوسف على ذلك [1] .

ولما كان أحمد حريصاً على رضاء والده قرر الاجتماع مع يوسف وحدد مكان الاجتماع في حديقة خارج مدينة طرابلس . وحينما اجتمعا صرح يوسف بأنه لم يقتل البك من أجل الوصول الى الحكم وانما كان نتيجة لتشاجره معه ، كما أظهر استعداده للاعتراف به بيكاً بدلاً من أخيه حسن ، وأعرب عن رغبته في التنازل عن كافة حقوقه في الولاية، فرجع أحمد بعد هذا اللقاء الى المدينة واستلم من والده القفطان علامة على تعيينه بيكاً وكذلك خيول وعبيد وسلاح البك السابق [2] .

وفي ٢٠ يوليو ١٧٩٠ أعلن رسمياً هذا التعيين وأقيمت الحفلات وأطلقت المدافع تحية للبك الجديد وتوجه قناصل الدول الى القلعة للتهنئة [3] .

وظن الأهالي ان الأزمة قد انتهت ، ولكن المفاجأة حدثت حينما

---

١ رودلفو ميكاكي : طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ١١٨ .

٢ Tully Richard : «Ten years Residence at the Court of Tripoli. P. 253.

٣ جاء في كتاب ميكاكي « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » صفحة ١١٨ ان تعيين احمد بيكا كان يوم ٣٠ يوليو ١٧٩٠ والاصح هو ٢٠ يوليو ١٧٩٠ لان توللي رتشارد وهي معاصرة لهذه الاحداث ذكرت هذا التاريخ في كتابها السابق صفحة ٢٥٤ ، ولان ميكاكي اعتمد في نقل هذا الخبر على رسالة ارسلها القنصل لوخنر الى دولته وكان تاريخ هذه الرسالة هو ٢٠ يوليو ١٧٩٠ .

رفض أهالي مصراتة قبول يوسف حاكماً عليهم ، وأرسلوا الى البك رسالة يعلنون فيها عن استعدادهم لقبول أي حاكم آخر يرسله الباشا اليهم عدا يوسف الذي لا زالت يداه ملطختين بدم أخيه ، والذي استولى على أملاكهم وانتهك حرمة نسائهم . كما عبّروا للبك عن استعدادهم لجمع الجيوش واحتلال مدينة طرابلس وتنصيبه حاكماً على البلاد . ولكن أحمد لم يقبل هذا المشروع مراعاة منه لشعور والده .

أما يوسف الذي لا يهمه شعور أي انسان فقد اعتبر هذا الرفض اهانة له وتعزيزاً لمكانة البك الجديد ، فعمل على التفريق بين البك وأنصاره من أهالي مصراتة ، فطلب من والده ارسال حملة بقيادة البك لتأديب سكان مصراتة .

رفض البك هذه الفكرة حينما لاحت له أبعادها وما يقصده يوسف من ورائها ولكن يوسف تمسك بطلبه وأيده في ذلك جميع أنصاره وعلى رأسهم الشيخ خليفة وهددوا بالانضمام إلى سيف النصر في حالة رفض الباشا لهذا الطلب . كما وصلت إلى الباشا رسالة من سيف النصر ينذره فيها بأنه إذا استجاب لطلب يوسف فإنه سوف يهاجم طرابلس وسوف يأتي بمصطفى القرمانلي — المطالب بالعرش — من تونس أو بأحد الامراء من مصر ويسلم له حكم البلاد [1] .

ولما كان الباشا ضعيف الشخصية فإنه تردد في ارسال هذه الحملة ، ولكن تردده لم يدم طويلاً ، اذ استطاع يوسف التأثير عليه فاستجاب لطلبه ، وطلب من البك اعداد حملة لهذا الغرض . وبعد الحاح شديد من الباشا استجاب البك لأمر والده وأعد حملة كبيرة للزحف بها على مصراتة ؛ وتمكن جيش الباشا من احراز النصر على المصراتيين الذين دافعوا عن مصيرهم دفاع الأبطال ، كما فقد سيف النصر في هذه المعركة أحد ابنائه مما زاد كراهيته ليوسف وأنصاره .

---

١ Tully Richard : «Ten years Residence at the Court of Tripoli.» P. 258.

رفض أهالي مصراتة قبول يوسف حاكمـــاً عليهم ، وأرسلوا الى البك رسالة يعلنون فيها عن استعدادهم لقبول أي حاكم آخر يرسله الباشا اليهم عدا يوسف الذي لا زالت يداه ملطختين بدم أخيه ، والذي استولى على أملاكهم وانتهك حرمة نسائهم . كما عبّروا للبك عن استعدادهم لجمع الجيوش واحتلال مدينة طرابلس وتنصيبه حاكماً على البلاد . ولكن أحمد لم يقبل هذا المشروع مراعاة منه لشعور والده .

أما يوسف الذي لا يهمــه شعور أي انسان فقد اعتبر هذا الرفض اهانة له وتعزيزاً لمكانة البك الجديد ، فعمـل عــلى التفريق بين البك وأنصاره من أهالي مصراتة ، فطلب من والده ارسال حملة بقيادة البك لتأديب سكان مصراتة .

رفض البك هذه الفكرة حينما لاحت له أبعادها وما يقصده يوسف من ورائها ولكن يوسف تمسك بطلبه وأيده في ذلك جميع أنصاره وعــلى رأسهم الشيخ خليفة وهـددوا بالانضمام إلى سيف النصر في حالة رفض الباشا لهذا الطلب . كما وصلت إلى الباشا رسالة من سيف النصر ينذره فيها بأنه إذا استجاب لطلب يوسف فإنه سوف يهاجم طرابلس وسوف يأتي بمصطفى القرمانلي – المطالب بالعرش – من تونس أو بأحد الامراء من مصر ويسلم له حكم البلاد [1] .

ولما كان الباشا ضعيف الشخصية فإنه تردد في ارسال هذه الحملة ، ولكن تردده لم يدم طويلاً ، اذ استطاع يوسف التأثير عليه فاستجاب لطلبه ، وطلب من البك اعداد حملة لهذا الغرض . وبعد الحاح شديـد من الباشا استجاب البك لأمر والده وأعد حملة كبيرة للزحف بها عـلى مصراتة ، وتمكن جيش الباشا من احراز النصر عــلى المصراتيين الذين دافعوا عن مصيرهم دفاع الأبطال ، كما فقــد سيف النصر في هذه المعركة أحد ابنائه مما زاد كراهيته ليوسف وأنصاره .

---

١ Tully Richard : «Ten years Residence at the Court of Tripoli.» P. 258.

لم يطمئن أحمد بعد رجوعه من مصراته لعهد أخيه فاحتاط لكل المفاجآت وكوّن حرساً يبلغ عدده حوالى الأربعمائة جندي وطلب من أخيه بأمر والده عدم دخوله الى المدينة مسلحاً . كما اقترح على والده تعيين يوسف حاكماً على برقة فوافق والده على ذلك أملاً منه في انهاء المشاكل ولكن يوسف الذي لا يرضيه إلا أن يكون الحاكم الوحيد في كل البلاد لم يعجبه هذا القرار وان أظهر موافقته المبدئية عليه .

ويقول جورجيو كابوفين في هذا الصدد ما نصه [1] .

« ... ولذلك رأى – أي الباشا – ان يجعله حاكماً على برقه وان ينقل مقره الى بنغازي أو درنه فيكون بذلك بعيداً عن أخيه،ويزول هذا النزاع ، ونظراً لأن يوسف لم يعاقب عن كل ما حدث منه ، ونظراً لخوفه من وفاة والده فيؤول الحكم الى أخيه ، هذه العوامل زادت يوسف غياً وحباً في الشر ، فأخذ يفكر في احدى الطريقتين وهما اما قتل أخيه واما الثورة على والده » .

ولما لم يستطع يوسف تنفيذ الطريقة الأولى وهي قتل أحمد نظراً للاحتياطات الشديدة التي اتخذها للمحافظة على حياته ونظراً لأن والده منعه من دخول المدينة مسلحاً ، فقد قرر تنفيذ الطريقة الثانية وهي اعلان الثورة على والده .

وفي ليلة ٢٣ يونيه حاول يوسف في جموع غفيرة الاستيلاء على القلعة ولكن البك شعر بالثورة وأصدر أوامره بقفل أبواب المدينة،وتقدم السكان لمساندة البك الذي كان قد زودهم بالسلاح من قبل استعداداً لمثل هذه الثورة ، واستمر يوسف في الهجوم على المدينة ولكن لم يحقق أي نجاح لكثرة المدافعين عنها .

---

١ Giorgio Cappovin «Tripoli E Venezia Nel Secolo XVIII» P. 420-421.

وفي اليوم الثاني جمع يوسف جيشه وجاء بالقرب من المدينة ، ثم أرسل من هذا الجيش حوالى المائة فارس لمناوشة البك لعلـــه يطمع في هزيمتهم فيخرج لقتالهم فيتمكن بذلك يوسف من قتله . ولكن البك فطن الى هذه الخديعة فأرسل انصاره لقتالهم .

اعتبر الباشا أن ابنه متآمر وطلب المساعدات من الموالين له في المدن والقرى كما طلب المساعدة من تونس والدولة العثمانية . وكان أول من استجاب لهذا النداء هم أهالي مصراتة لعدائهم الشديد ليوسف وأنصاره، كما أعلن الباشا العفو عـــن الثوار الذين هم مع يوسف على شرط أن يتركوه ويرجعوا الى المدينة ، فترك الكثيرون يوسف ممـــا اضطره الى الانسحاب الى مدينة غريان [1] .

وفي غريان أخذ يوسف يحاول جمع الجنود للزحف بهم على مدينـــة طرابلس وفي هذه الاثناء أرسل اليه والده خطاباً بالعفو عنـه وبالرجوع الى طرابلس على ان يعينه بيكاً على بنغازي .

وافق يوسف على هذا العرض لعلمه بأن سكان برقة كانوا يكرهون حكم أحمد ويودون التخلص منه ، فاراد يوسف استغلال هـذه الفرصة فيوحد صفوفهم للزحف بهم على طرابلس ، ولكن بقبوله لهذا المنصب اعتبره الشيخ خليفة غدراً منه بهم فقرر الانضمام الى الباشا [2] .

احتلال علي الجزائرلي (او برغل) لمدينة طرابلس

وفي يوم ٢٨ يونيو ١٧٩٣ وصل الشيخ خليفة ومعه مائة فارس من

---

١ Giorgio Cappovin : «Tripoli E Venezia Nel Secolo XVIII» P. 422.

٢ Tully Richard «Ten years Residence at the Court of Tripoli» P. 340.

وفي اليوم الثاني جمع يوسف جيشه وجاء بالقرب من المدينة ، ثم أرسل من هذا الجيش حوالى المائة فارس لمناوشة البك لعله يطمع في هزيمتهم فيخرج لقتالهم فيتمكن بذلك يوسف من قتله . ولكن البك فطن الى هذه الخديعة فأرسل انصاره لقتالهم .

اعتبر الباشا أن ابنه متآمر وطلب المساعدات من الموالين له في المدن والقرى كما طلب المساعدة من تونس والدولة العثمانية . وكان أول من استجاب لهذا النداء هم أهالي مصراتة لعدائهم الشديد ليوسف وأنصاره، كما أعلن الباشا العفو عن الثوار الذين هم مع يوسف على شرط أن يتركوه ويرجعوا الى المدينة ؛ فترك الكثيرون يوسف مما اضطره الى الانسحاب الى مدينة غريان [1] .

وفي غريان أخذ يوسف يحاول جمع الجنود للزحف بهم على مدينة طرابلس وفي هذه الاثناء أرسل اليه والده خطاباً بالعفو عنه وبالرجوع الى طرابلس على ان يعينه بيكاً على بنغازي .

وافق يوسف على هذا العرض لعلمه بأن سكان برقة كانوا يكرهون حكم أحمد ويودون التخلص منه ، فاراد يوسف استغلال هذه الفرصة فيوحد صفوفهم للزحف بهم على طرابلس ، ولكن بقبوله لهذا المنصب اعتبره الشيخ خليفة غدراً منه بهم فقرر الانضمام الى الباشا [2] .

احتلال علي الجزائرلي (او برغل) لمدينة طرابلس

وفي يوم ٢٨ يونيو ١٧٩٣ وصل الشيخ خليفة ومعه مائة فارس من

---

١ Giorgio Cappovin : «Tripoli E Venezia Nel Secolo XVIII» P. 422.

٢ Tully Richard «Ten years Residence at the Court of Tripoli» P. 340.

قبيلته إلى الباشا ، كما وصل رئيس الكراغلة أو الكول أوغليه على رأس عدد كبير من أتباعه وأعلنوا جميعاً استعدادهم لحرب يوسف . ثم تذكر أنصار الشيخ خليفة عداوتهم مع الكراغلة وتسرب إلى نفوسهم الخوف من انهم سوف يخونونهم أثناء المعركة انتقاماً لشهداء مصراتة . فقرر أنصار الشيخ خليفة بأنهم لا يمكنهم الاشتراك في الحرب الا اذا ذهبوا مع الكراغلة إلى المسجد ليقسموا جميعاً على عدم خيانة بعضهم أثناء القتال وفعلاً حدث ذلك وأقسم الجميع [1] .

وبينما كان يوسف يشدد في حصاره على المدينة ، والباشا يعلن عن مكافأة مغرية لمن يأتيه برأس يوسف سواء أكان حياً أو ميتاً، اذ لاحت في البحر طلائع بعض السفن عليها العلم العثماني ، فظن الناس ان الدولة العثمانية استجابت لنجدة الباشا ولاقرار الأمن في البلاد .

ولكن ما إن وصلت هذه السفن إلى ميناء طرابلس حتى نزل منها علي الجزائرلي [2] وتمكن من احتلال البلاد وطرد الأسرة القرمانلية إلى تونس .

لقد أجمع الكثير من المؤرخين [3] الذين كتبوا في تاريخ هذه الفترة على انه حينما وصلت السفن التي تقل علي الجزائرلي إلى ميناء طرابلس

---

١ Tully Richard : «Ten years Residence at the Court of Tripoli». P. 341

٢ سمي هذا الشخص بعدة اسماء منها على الجزائرلي نسبة الى الجزائر الذي عاش فيها مدة طويلة ، وعلى الطرابلسي نسبة الى مدينة طرابلس لحكمة لها مدة من الزمن ، وعلى ابن ادم نسبة الى اسم والده وعلى برغل نسبة الى اطعامه للجند البرغل بعد ان انقطع مجيء الارز من مصر الى طرابلس . اما تسمية السيدة توللى رتشارد له باسم على بن زول Zul فلا اعرف السبب في هذه التسمية .

٣ احمد النائب : المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب ص ٣١٦
Aziz Samih «Simali Afrikanda Turkler». P.232
&
P. Costanza Bergna «Tripoli Dal 1510 Al 1850». P. 241

وغيرهم ممن ارخوا للاسرة القرمانلية .

نزل منها مندوب عن السلطان العثماني وتلا فرماناً سلطانياً بانهاء عهد الأسرة القرمانلية وتولية علي الجزائرلي مكانها . غير انهم جميعاً لم يثبتوا بدليل قاطع نوعية هذا الفرمان هل كان حقيقياً أم مزوراً .

فنجد منهم من لم يتأكد من صحة هذا الفرمان كما انه لم يستطع ان يعطي رأيه صراحة فيه ومن هؤلاء ميكاكي حيث يقول [1] :

« وما ان ألقى الأسطول مراسيه حتى نزل منه قبجي باشا ومعه حوالى ٤٠٠ رجل مسلح،وتلا مرسوماً سلطانياً (فرماناً) حقيقياً كان أم مزوراً أعلن فيه سقوط علي القرمانلي وتولية علي أفندي الذي عيّن بدلاً منه ودعا القرمانلي للخضوع لأمر السلطان وهدد بقرب وصول قبودان باشا على رأس أسطول كبير » .

هذا وبالرغم من ان ميكاكي اعتمد في تأليف كتابه هذا على كتاب « توللي رتشارد » كأحد المراجع الرئيسية نظراً لأنها كانت شاهدة عيان لكثير من أحداث هذه الفترة التاريخية ، وقد جاء في كتاب السيدة توللي انه طلب منها الصعود على سطح القنصلية الانجليزية لرؤية الباشا الكاذب الذي كان يغادر الميناء متوجهاً إلى القلعة ليستولي عليها ، ثم تقول ان هذا الباشا كان كاذباً حيث لا يوجد أي شخص في طرابلس يشك في ان هذا الفرمان غير مزور [2] .

ولكن قد يكون عدم أخذ ميكاكي بهذا القول راجعاً إلى ان السيدة توللي لم تعط أي دليل على تزوير هذا الفرمان ، وخشي أن تكون قد بنت هذا الاحتمال على أساس ان الذين جاءوا مع علي الجزائرلي لم يكونوا من جند السلطان وانما هم غزاة حضروا لنهب المدينة ، حيث نجدها في

---

١ ميكاكي : طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرامانلي ص ١٢١ .

٢ Tully Richard «Ten years Residence at the Court of Tripoli». P. 351.

الصفحات السابقة على كلامها هذا تقول [1] :

« لقد ظهرت في الميناء عدة سفن تركية بقيادة علي بن زول [2] « Ali Ben Zool » ونزل من احدى هذه السفن قبطان باشا، وأعلم الباشا بأنه يوجد في السفينة علي بن زول « Ali Ben Zool » مرسلاً من السلطان العثماني بفرمان لتولي ادارة البلاد . ثم علمنا بأن هؤلاء الاتراك لم يكونوا من القسطنطينية وانما هم غزاة حضروا لنهب المدينة » .

وهكذا بقيت نوعية هذا الفرمان على النحو الذي سبق ذكره ، الى ان اطلعت على صورة التقرير الذي أرسله الصدر الأعظم الى السلطان يشرح له فيه حوادث احتلال علي الجزائرلي لمدينة طرابلس ، فنستخلص منه ما يأتي :

لم يكن السلطان العثماني ولا الصدر الأعظم على علم سابق باحتلال علي الجزائرلي لمدينة طرابلس ، حيث ان السلطان حينما وصلته أنباء هـذا الاحتلال طلب من الصدر الأعظم سرعة الاستفسار من رئيس البحار عن كيفية وقوع هذا الحادث كما اتضح من التقرير ان الفرمان الذي أبرزه علي الجزائرلي عند احتلاله لمدينة طرابلس كان فرماناً مزوراً .

فقد قال الصدر الأعظم في تقريره هذا ما يأتي [3] :

« ... وبعد ان استولى على القلعة (يعني علي الجزائرلي)

---

١ Tully Richard «Ten years Residence at the Court of Tripoli». P. 348

٢ تقصد بهذا الاسم علي الجزائرلي . ولا اعرف ما هو سبب هذه التسمية .

٣ تقرير الصدر الاعظم الى السلطان العثماني بخصوص احتلال علي الجزائرلي لطرابلس ، صورة من وثائق رئاسة الوزارة التركية رقم ١٤٥١٤ سنة ١٢١١ هجرية (١٧٩٦ م.) . وتوجد صورة هذه الوثيقة الان بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس . وهي باللغة التركية وقد ترجمها لي الحاج محمد الاسطى وراجعها السيد عبد السلام ابراهيم ـ ملحق الكتاب وثيقة رقم٤

وطرد واليها وأظهر الفرمان الذي زيفه وأعلن انه مأمور من الدولة العلية وبما أن سكان الايالة لم يكونوا في المستوى الذي يستطيع البحث والتمييز في صحة مثل هذه الأوراق فقد حملوها على محمل الصدق واعترفوا بالمذكور » .

ثم يؤكد هذا التزوير مرة ثانية في نفس هذا التقرير فيقول :

« كان الاوجاق على مدة حكم علي باشا القرمانلي في تعاسة ويرى المشار اليه أي قبطان باشا ان سيدي علي المذكور – يعني علي الجزائرلي – أبرز المرسوم الذي صنعه على أنه من قبل الدولة العلية ، واذا توجب فيما بعد عودة علي باشا للاوجاق فانه سوف لا يلتزم بالطاعة ، وما دام سيدي علي الجزائرلي أعلن دخالته مقراً بالعبودية للدولة العثمانية وجاء للاستانة وشاهد سطوتها وعظمتها فيؤمل صدق عمله وعبوديته ، ولما كان الأمر من الأهمية بحيث لا يمكن البت فيه بمفردي فان سلامته من المحاذير في حاجة الى التشاور » .

بهذه الرسالة اتضحت حقيقة هذا الفرمان على انه كان مزوراً وان علي الجزائرلي قدمه للأهالي على أنه صادر من السلطان العثماني فصدقوه على حسن نية منهم .

وعلي الجزائرلي قيل انه كان من أصل يوناني وكان يشغل منصب رئيس البحرية الجزائرية وكان من ضمن مهمته مراقبة حركات القراصنة فجمع بذلك ثروة عظيمة [1] ثم عين بعد ذلك في منصب وكيل خرج الجزائر . وقد طرد من الجزائر بسبب مغالاته في جمع الضرائب واثقال كاهل الشعب بها مما جعل الشعب الجزائري يكتل صفوفه للقيام بثورة

(1) P. Costanzo Bergna : «Tripoli Dal 1510 Al 1850» P. 240

تطيح بحكم الداي [1] . ولما شعر الداي بذلك قرر طرده كترضية للشعب من ناحية وتخلصاً منه من ناحية ثانية .

ويقول ج. مدينا في مقاله الذي نشر في مجلة تونس سنة ١١٠٧ ما نصه [2] :

« لقد لاحظ علي برغل أو علي بن زول أثناء مروره الكثير بشواطىء طرابلس ما آلت اليه حالة البلاد وكان يساعده شخص يدعى كامارتي Cammarti وهو أحد الأشخاص الذين يثق فيهم الباشا ويعطيه أسراره . وعندما وصل علي برغل إلى القسطنطينية قابله حسن باشا قائد الأسطول وتباحث معه في أمر طرابلس بأنه إذا استطاع ان يستولي عليها فإنه سوف يحصل له من السلطان العثماني على فرمان بتوليته باشا على طرابلس » .

هذا التفسير الذي يرويه لنا « مدينا » يلقي بعض الضوء على أسباب مجيء علي برغل إلى طرابلس ، وان كان قوله بأن علي برغل قابل حسن باشا قائد الأسطول واتفق معه على احتلال طرابلس فيه شيء من

---

٢) ملاحظة : يذكر لنا احمد النائب في كتابه « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » صفحة ٣١٧ ، بان داي الجزائر هو شقيق علي برغل ، كما ذكر ذلك الاستاذ مصطفى عبدالله بعيو في كتابه « المجمل في تاريخ لوبيا » الاسكندرية ١٩٤٧ ص ٠٩٦ وبالرجوع الى ما ذكره احمد النائب في كتابه « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » صفحة ٣١٦ والى ما ذكره ميكاكي في كتابه « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ١٢٠ ، نرى ان لعلي برغل شقيق ثاني كان يشغل منصب نائب قائد الاسطول العثماني وقت طرد علي برغل من الجزائر .

G. Medina : «Les Karamanli de la Tripolitaine et l'occupation temporaire de Tripoli par Ali Bourgoul».
Revue Tunisienne, Janvier 1907, quatorzième année No. 61, P. 26.

ملاحظة : توجد هذه المجلة بمكتبة الجمعية الجغرافية المصرية تحت رقم ١٤٢ بقسم المجلات .

الشك حيث ان حسن باشا كان قد توفي في أواخر سنة ١٧٩٠ ، اللهم إلا إذا كان اجتماعه به والاتفاق معه كان في غير هذه المرة التي احتل فيها طرابلس وانه كان ينوي احتلالها منذ هذا التاريخ .

وإذا تتبعنا أحداث احتلال علي برغل لطرابلس من الرسالة السابقة التي أرسلها الصدر الأعظم إلى السلطان العثماني بخصوص هذا الاحتلال ، فإننا نجد أن علي برغل بعد أن خرج من الجزائر اتجه نحو الاستانة ومنها إلى مدينة «موتون» واشترى واستأجر عدداً من المراكب التجارية وجند عدداً كبيراً من المرتزقة وجاء بهم إلى طرابلس ، وان الفرمان الذي أظهره للشعب بتوليته باشاً على طرابلس من قبل السلطان العثماني كان مزوراً .

وحينما رأى علي باشا القرمانلي ان أنصاره قد تحولوا الى علي برغل، بادر بجمع أعضاء الديوان للتشاور معهم في الأمر ، وكانت مفاجأته شديدة حينما أعلن أعضاء الديوان ضرورة تسليم المدينة لعلي برغل لأنه جاء بأمر السلطان ، وان مقاومته تعد خروجاً على طاعة أمير المؤمنين ونقضاً لبيعته ، وان البلاد وان استطاعت الانتصار على علي برغل فهي ليس لها القوة للوقوف أمام الاسطول العثماني [١] .

أما يوسف الذي كان قد دخل المدينة بأمر من والده للتعاون على صد هذا الغزو فانه صمم على ضرورة القتال مهما كلفه ذلك من تضحيات .

فكر علي باشا القرمانلي في الأمر كثيراً ثم رأى انه من الأنسب له

---

١) احمد النائب : « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ص ٣١٧ .

مغادرة البلاد وقرر الالتجاء الى تونس [1] على أمل ان يجد المساعدة من باي تونس الذي كانت بينه وبين داي الجزائر شقيق علي برغل عداوة شديدة [2] .

خرج الباشا مع أولاده ليلاً واتجهوا إلى حدائق الباشا خارج المدينة وحاول يوسف مرة ثانية اقناع والده بضرورة قتال علي برغل ، وحينما ظهر له أن والده يفضل الذهاب إلى تونس على قتال علي برغل ، أخذ يوسف يجمع الجيوش ويرغبهم في القتال بوعده لهم باباحة المدينة لمدة

---

١ يلاحظ ان عبد الرحمن الجبرتي بعد ان تحدث في كتابه « عجائب الاثار في التراجم والاخبار » · طبعة بولاق ، ٢٩٧ هـ ، الجزء الثالث صفحة ٢٧٦ ، ٢٧٧ عن قصة مقتل علي برغل الذي يسميه بعلي باشا الطرابلسي ، يختم حديثه بنبذة عن اصل علي برغل فيقول :

« انه كان أصله من الجزائر مملوك محمد باشا حاكم الجزائر فلما مات محمد باشا وتولى مكانه صهره ارسله بمراسلة الى حسين قبطان باشا ، متولي الريالة ، فنوه بذكره فقلده قبطان باشا ولاية طرابلس واعطاه فرمانات وبـرق فذهب اليها وجيش له جيوشا ومراكب واغار على متوليها وهو اخو حموده باشا صاحب تونس وحاربه عدة شهور حتى ملكها بمخابرة اهلها لعلمهم انه متوليها من طرف الدولة وهرب اخو حموده باشا عند اخيه ·

والحقيقة التي يؤكد كل الذين ارخوا لاحداث تلك الفترة عدا الجبرتي ، كما يؤكدها وجود افراد الاسرة القرمانلية الى الان في طرابلس بليبيا ، هذه الحقيقة هي اولا ان الذي كان يحكم ايالة طرابلس زمن احتلال علي برغل لها هو علي باشا القرمانلي وليس شقيق حموده باشا كما ذكر الجبرتي · ثانيا ، انه لا توجد صلة قرابة بين علي باشا بلي تونس ، كما يؤكد ذلك المؤرخ الايطالي كستانزو بيرنا في كتابـه «Tripoli Dal 1510 Al 1850». صفحة ٢٤١ ، حيث نجده يقول :

« وقد فضل علي باشا التنازل والفرار بعد ان جمع ثروته ونساءه واطفاله وفي الليل خرج متوجها الى تونس بطريق البحر واضعا نفسه تحت حماية حموده باشا حاكم تونس وصديقه · »

كما ان شجرة الاسرة القرمانلية الموجودة الان بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب والتي تحتوي على جميع اسماء افراد هذه الاسرة بما فيهم محمد باشا القرمانلي وذريته لا يوجد بها اسم حموده باشا · ولو ان حموده باشا شقيق علي القرمانلي لذكر اسمه في هذه الشجرة ضمن اسماء أبناء محمد باشا القرمانلي ·

٢ احمد النائب : « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ص ٢١٧ ·

ثلاثة أيام يفعلون فيها ما يشاءون ، وذلك نظير أجرهم في الاشتراك في طرد « الأتراك » [١] .

شدد يوسف هجومه على المدينة واستمرت محاولاته عدة مرات غير أنه فشل في احتلالها ، وأخيراً صمم والده على ضرورة السفر إلى تونس على أن يكون بطريق البر [٢] ، حيث ان الشيخ خليفة المحمودي شـيـخ قبيلة بني نوير أعرب له عن استعداده هو وقبيلتـه لحمايتهم على طول الطريق اثناء سفرهم إلى تونس [٣] .

ولما تأكد يوسف من عدم استطاعته احتلال المدينة نظراً لقلة قواته وافق على السفر مع والده ، وحينما وصلوا إلى الحـدود التونسية وجدوا في انتظارهم مندوب باي تونس ولجنة مشكلة من أعيان المدينة لاستقبالهم ، وبعد استراحة قصيرة في الحدود التونسية واصلوا سيرهم الى مدينة تونس حيث قابلهم الباي بكل مظاهر التقدير والاحترام .

لقد كان لاحتلال علي برغل لطرابلس أثره العميق في نفس السلطان العثماني الذي كما سبق وأشرت طلب من الصدر الأعظم سرعة الاتصال بقبطان باشا للاستفسار عن حوادث هذا الاستيلاء .

ومما زاد في حيرة السلطان هو جرأة علي برغل باعلانه لفرمان مزور على انه من عند السلطان .

وكما يظهر من الرسالة السابقة نرى ان علي برغل بعد أن تمكن من الاستيلاء على طرابلس طلب من الدولة العثمانية ان تساعده بارسال كمية

---

١) Tully Richard: «Ten years residence at the Court of Tripoli»

٢) لقد سبق واشرت الى ان كستانزو بيرنا ذكر لنا في كتابه Tripoli Dal 1510 Al 1850 صفحة ٢٤١ ، بان علي باشا القرمانلي غادر طرابلس الى تونس عن طريق البحر ، وهذا خلاف الواقع اذ انه لو انه سافر عن طريق البحر لقبض عليه من طرف السفن التابعة لعلي برغل التي كانت تحاصر المدينة في ذلك الوقت .

٣) محمد بهيج الدين : « طرابلس غرب تاريخي » ص ٥٦ ، ٥٧ .

من البارود والقنابل والمدافع لكي يستطيع بذلك اخضاع القبائل الثائرة .

ويظهر أيضاً من هذه الرسالة ان الصدر الأعظم كان متردداً في اعطاء رأيه في موضوع تزويده بالعتاد الذي طلبه خوفاً من المسؤولية التي سوف تترتب على قراره في حالة الفشل أو النجاح .

فهو كان يخشى ان أعطى رأيه صراحة في عدم تزويده بهذا العتاد فقد يفشل ويطرد من البلاد وبالتالي يعلن علي باشا القرمانلي انفصاله التام عن الدولة العثمانية مستغلاً موضوع الفرمان وعدم تجدتها له . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، اذا أعطى رأيه بتزويده بالسلاح والقنابل فقد يؤدي ذلك الى تقويته واعلان هذا العصيان ، لهذه الأسباب على ما أعتقد كان متردداً في اعطاء رأيه حيث نجده في رسالته السابقة الى السلطان مرة يقول له ، اذا كانت ارادتكم السنية قد وافقت على مده بالذخيرة فيجب أن يعجل بارسالها اليه ، ثم يعود فيقول ان مد علي برغل بالسلاح والذخيرة سوف يؤكد الفرمان الذي زوره ، ثم يعود مرة ثالثة فيقول ان علي برغل اذا ما كشف له عن وجه الرضى من الدولة العلية فانه من المستبعد أن يظهر الرعونة التي أظهرها في الجزائر [1] .

وهكذا لم يعطِ الصدر الأعظم رأياً قاطعاً في أمر مساعدة علي برغل، ولكن يبدو أن السلطان أراد أن يسير مع الرياح ، فهو قد رأى ان علي برغل قد استولى على طرابلس وان علي القرمانلي قد التجأ الى تونس، فانه من الأوفق له ولدولته ان يعترف بالغالب ويترك المغلوب .

وعلى هذا الأساس نجده يعترف بولاية علي برغل ويأمر بتزويده بالجند والسلاح والبارود . كما أصدر أوامره الى باي تونس بعدم مساعدة القرمانليين [2] .

---

١) رسالة من الصدر الاعظم الى السلطان تبين العلاقة بين علي برغل والدولة العثمانية اثناء احتلاله لطرابلس الغرب ـ من وثائق رئاسة الوزارة التركية رقم ١٤٥١٤ ـ انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٤ ·

٢) Aziz Samih: Afrikuda Turkler» P. 233.

كما نجد أن ميكاكي يؤيد واقعة اعتراف السلطان بولاية علي برغل اذ يقول [1] :

« في هذه الأثناء استمر أحمد ويوسف القرمانلي في سبعة أو ثمانية آلاف رجل يضيقون الحصار على المدينة ، ولم يتغير الموقف بسبب وصول قوباجي باشا من القسطنطينية يحمل الى علي برغل (القفطان) علامة توليه السلطان . وقرأ علناً مرسوماً سلطانياً (فرماناً) يطلب فيه من الثائرين الخضوع في مدة خمسة أيام . وكذلك قدمت له سفينة مسلحة بثلاثين مدفعاً وعليها طاقم مكوَّن من مائة وخمسين رجلاً كمساعدة فعالة . وقد استأنف الباشا (أي علي برغل) بهما وبغيرهما من السفن أعمال الغزو للحصول على طعام للمدينة » .

ظن علي برغل أنه بهذا الفرمان وما وصله من عتاد وسلاح أصبح السيد المطاع والآمر الناهي في طرابلس ، فأعلن انه سيعمل على جعل طرابلس ولاية أعظم من ولايات المغرب ، ثم طلب من الدول الاوروبية أن تعامله مثلما تعامل به حكومة الجزائر .

وحينما أراد القناصل المجيء اليه لتهنئته باسم حكوماتهم أصدر أمراً لم يعتادوه من قبل ، فقد طلب منهم ان يتركوا سيوفهم ويخلعوا احذيتهم وان يقبلوا يديه حين الاجتماع به .

فاغتاظ القناصل من هذا الاسلوب وامتنعوا عن مقابلته بحجة أنهم لا يمكنهم عمل ذلك إلا بعد الرجوع الى حكوماتهم .

كان علي برغل في حاجة شديدة الى المال لكي يستطيع به مواجهة أعباء دولته ولكي يسدد به راتب جنده الذين ما حضروا إلا من أجل المال.

---

١) ميكاكي : طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي نقلا عن خطاب قنصل البندقية « بيلاتو » المؤرخ في ١٥ اغسطس ١٧٩٤ .

فدفعته هذه الحاجة الى محاولة اجبار الدول الاوروبية على دفع مبالغ باهظة لاقرار السلام، ثم قبض على جميع عبيد العائلة القرمانلية وأرسلهم إلى آسيا لبيعهم من أجل الانتفاع بثمنهم ، كما قبض على « استر » أو كما يسميها أبناء جنسها من اليهود باسم « الملكة أستر » عشيقة علي باشا القرمانلية وصاحبة النفوذ عليه ، وهددها بالقتل ان لم تدفع له مبلغاً كبيراً من المال لعلمه بما لها من ثروة [1] .

كما اشتد في معاملة اليهود مما دفع أحدهم وهو يوسف كوهين الى التفكير في وسيلة للخلاص مما هم فيه من ضيق ، فحاول اغراء أحد قادة المرتزقة من الالبانيين بفتح أبواب المدينة في منتصف الليل حتى يتمكن أحمد ويوسف من دخولها ؛ ولكن هذا القائد أخبر علي برغل بما حدث فكانت خاتمة كوهين الحرق بالنار .

ويصف لنا ميكاكي وحشية علي برغل فيقول [2] :

« لم يمض يوم دون قطع رأس بعض الأتراك والمراكشيين ممن يقيمون في البلاد ، ومن القادمين من الخارج،وأصبحت الحكومة بالغة القسوة لدرجة انها كانت تقطع رؤوس ثمانية أشخاص في بعض الأيام وعشرة في أيام أخرى،وكان هناك من يجري خنقهم أو دفنهم أحياء أو يلقى بهم في النار . وكان يخرج علي برغل بنفسه في الليل يتجول متنكراً حتى في خارج المدينة وما كان ليرجع الى القلعة دون أن يلوث يده بدم انسان . كان رجلاً بربرياً قاسي القلب أسوأ من نيرون وأشد قسوة منه » .

---

(1) Tully Richard: «Ten years residence at the Court of Tripoli». P.P. 363-64-65.

(2) ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » حاشية رقم ٢ ص ١٢٤ . نقلا عن كتاب الاب « مايانو دا ارنانو » المبعوث الرسولي للارسالية الفرنسيسكان بطرابلس .

كما أن المؤرخ المصري عبد الرحمن الجبرتي يخبرنا بأن علي برغل أو علي باشا الطرابلسي كما يسميه ، بعد ان احتل مدينة طرابلس ، أباحها لجنده فنهبوا أموال الناس وهتكوا أعراض النساء ، كما أن علي باشا نفسه سبي حريم علي باشا القرمانلي وفضحهن بين عساكره [١] .

كان لهذه الوحشية التي قام بها علي برغل وجنده أثرها في نفوس الناس الذين سئموا هذه الحياة المملوءة بالآلام والأحزان وفكر بعض ساستهم بأنه لا جدوى من الدخول في صراع مع هذا المتوحش الذي فقد كل القيم الانسانية وهداهم تفكيرهم الى ضرورة الايقاع بينه وبين حمودة باشا باي تونس لعله يشفي ما في صدورهم من نارالحقد والكراهية لهذا الدخيل، فاتصل بعضهم بعلي برغل محاولين اقناعه بضرورة الاستيلاء على جربة لكثرة خيراتها ولأنها كانت تابعة لطرابلس ، وانها لو كان حكام الأسرة القرمانلية في مثل قوته وشجاعته لبقيت جربة تابعة لطرابلس الى الآن [٢] .

ونظراً لحاجة علي برغل الى المال كما سبق ذكره وحباً في الانتقام من حموده باشا لايوائه لعلي باشا القرمانلي وأفراد أسرته فقد صمم على أخذها مهما كلفه ذلك من ثمن .

وفي ٢٤ ديسمبر سنة ١٧٩٤ توجه الجيش المكلف باحتلال مدينة جربة بقيادة قره محمد وساعده صالح حدود «الحرامي» [٣] وخسرو خليل،

---

١) عبد الرحمن الجبرتي : «عجائب الاثار في التراجم والاخبار» الجزء الثالث ص ٢٧٧ .

٢) محمد نوري ومحمود ناجي : « طرابلس غرب تاريخي » استانبول ، ١٣٣٠ هجرية ص ١٤٣ ، حسن صافي « طرابلس غرب تاريخي » استانبول ، ١٣٢٨ ص ٧٦ ، ومحمد بهيج الدين « طرابلس غرب تاريخي » ص ٥٩ . وهذه المراجع كلها باللغة التركية وقد ترجم لي منها ما يتعلق بموضوع رسالتي الحاج محمد الاسطى .

٣) B. Roy: «Documents sur l'expédition de Tripoli» 1209 de l'Hégire (1795) Revue Tunisienne, Juillet 1906, XIII An.

توجد هذه المجموعة بمكتبة الجمعية الجغرافية المصرية تحت رقم ٤٢ بقسم المجلات .

وقد تمكن هذا الجيش من مباغتة سكان جربة ليلاً وتمكنوا من احتلالها.
وبعد ان جمع ما يمكن جمعه من الأموال من الناس قهراً لارضاء سيده علي برغل ، عيّن لحكمها من يثق في اخلاصه له ولسيده ورجع الى مدينة طرابلس محملاً بالأموال .

مساعدة باي تونس للقرمانليين على استرداد حكمهم

ولما كان لكل مجرم طريقة معينة في ارتكاب جرائمه ، فان أحمد النائب يروي لنا بأن قره محمد حينما استولى على جربة أظهر رسالة وزعم انها من السلطان ولكن للأسف فان هذا المؤرخ لم يذكر لنا ماهية هذه الرسالة [1] . وان استطعنا أن نفهم أهم ما فيها وذلك بما ذكره الشيخ أحمد بن أبي الضياف التونسي ، اذ يقول [2] :

« ... وكذلك ما وقع من الباي حمودة باشا الحسيني في اخراجه لعلي برغل من طرابلس بعد أن اخرج نائبه من جربة لما استولى عليها بعد دعواه بأن بيده الفرمان السلطاني العثماني وذلك في سنة تسع ومائتين وألف في عهد السلطان سليم خان » .

وقد كان هذا الاحتلال بداية لنهاية حكم الظلم والارهاب في طرابلس لأن باي تونس كان يتحين الفرص لنجدة الأسرة القرمانلية بعد أن التجأوا اليه . وقد حال دون تحقيق ذلك خوف حمودة باشا من القيام

---

١) احمد النائب « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ص ٣١٨ ·
٢) الشيخ احمد بن ابي الضياف التونسي : « العقد الاول من كتاب اتحاف اهل الزمان باخبار ملوك تونس وعهد الامان » ج ١ تونس ، ١٣١٩ ، ص ٤٠ ·

بأي عمل عسكري قد يعتبره السلطان خروجاً على طاعته وذلك لاعتقاد الباي بأن الفرمان الذي أخرجه علي برغل عند احتلاله لطرابلس كان حقيقياً .

ولكن ما أن احتل قره محمد جربة حتى قرر باي تونس القيام بعمل حاسم ضد هذا التحدي .

ومما ساعد على نهاية حكم علي برغل انه لم يعمل على كسب صداقة حموده باشا باي تونس، بل كان يراه عدواً له ؛ فقد عمل على تحريض بعض التجار من الجزائريين وبعض البدو التابعين لتونس ، على القيام بثورة ضده ، وعندما لم يتحقق له غرضه هذا ، أصدر أوامره الى بحارته بالقبض على أي سفينة تونسية ومصادرتها . وقد لبى بحارته أو بالأصح قرصانه هذا الأمر وقد تمكن هؤلاء القراصنة من القبض على احدى السفن التونسية وبها ما يقرب من خمسة وسبعين بحاراً ونهبوا ما فيها ثم اقتادوها الى ميناء طرابلس وكان ذلك سنة ١٧٩٤ [١] .

وعندما علم باي تونس بالحادث هدد علي برغل بارجاع السفينة بكل ما فيها والا فإنه سوف يرفع الأمر إلى السلطان العثماني [٢] .

ولكي يظهر علي برغل نفسه بمظهر الشخص الذي لا يتحدى ارادة السلطان وليجعل باي تونس لا يشك في نواياه المقبلة بادر بارجاع السفينة فارغة وتعلل بعدم ارسال بحارتها بأنهم فضلوا البقاء في طرابلس بمحض ارادتهم ، هذا الى ان هدف علي برغل من ذلك هو استغلال الوقت ، حتى يتمكن من قمع الثورات التي كانت تقوم من حين لآخر في الأقاليم المجاورة لمدينة طرابلس .

---

١) روى ميكاكي في كتابه : « طرابلس تحت حكم اسرة القرمانلي » صفحة ١٢٦ و ١٢٧ بان طاقم السفينة مؤلف من مائتي رجل .

٢) B. Roy : «Documents sur l'expédition de Tripoli p. 248

ولكن باي تونس صمم على الانتقام ، ففي نوفبر ١٧٩٤ قرر ارسال جيشين أحدهما عن طريق البحر وكان به علي القرمانلي والثاني عن طريق البر وكان بـه يوسف وأحمد ، وأسند قيـادة هذا الجيش الى الحاج مصطفى خوجة .

وعندما وصل هذا الجيش الى مدينـة سفاقص أرسل مصطفى خوجه انذاراً الى قره محمد باخلاء مدينة جربة،غير أن هـذا الانذار رفض ، فأمر مصطفى خوجة بالهجوم على جربة ولم يستطـع قره محمد الصمود أمام زحف الجيش التونسي ففر هارباً الى طرابلس ، ودخـل الجيش التونسي جربة وسط هتافات النصر والترحيب .

وبهذا النصر حقق الجيش التونسي تنفيذ المرحلة الأولى من الخطة ، وكان عليه تنفيذ بقية الخطة وهي استرجاع طرابلس الى الحكم القرمانلي .

ولم يكن تحقيق ذلك بالأمر الصعب فقد كان يوسف باشا مذ عـلم بأن الباي قد صمم على استرداد طرابلس وجربة ، أخذ يراسل مشايـخ القبائل وزعماء البلاد معبراً لهم عن قرب عودتهم الى الحكم بواسطة جيش بالغ كثيراً في عدده وعتاده حتى قيل ان الناس كان لا حديث لهم الا عن ضخامة هذا الجيش وقوته البحرية والبرية ، ثم طلب منهم يوسف مساندتهم كما لمح لهم بأن الذين لا يساعدونهم سوف يلاقون شر العذاب، بينما ينال غيرهم حسن جزاء [١] .

أعادت هذه الرسائل الى أذهان السكان ذكريات الماضي ،وتذكروا يوسف وقسوته وقتله لأخيه وثورته على أبيه ، ونظروا الى حالتهم الراهنـة وما هم عليه من بؤس وشقاء وعدم اطمئنان على الأموال والأرواح ، فرأى أغلبهم أنه من الأفضل الاستجابة الى طلب يوسف فأرسلوا اليـه رسائل يعلنون فيها عن ولائهم ومساعدتهم .

---

١) محمد بهيج الدين : « طرابلس غرب تاريخي » ص ٦٠

وما ان عبر الجيش التونسي الحدود الطرابلسية حتى اخذ عدده يزداد على طول الطريق التي مر بها حتى أشرف على أبواب المدينة .

وفي يوم ١٦ يناير ١٧٩٥ تمكن الجيش من اخضاع جميع الذين شك يوسف في اخلاصهم سواء أكانوا في المنشية أو غيرها من المدن والأقاليم، ثم تقدم الجيش لمحاصرة مدينة طرابلس وحاول علي برغل المقاومة ولكنه عندما تأكد من أن انصاره قد انضموا الى جانب يوسف قرر مغادرة البلاد خوفاً على حياته .

وفي ليلة ١٩ يناير جهز ثلاث سفن شحنها بكل ما وصلت يده اليه وفر هارباً نحو مصر .

ويروي لنا النائب أحداث هذا اليوم فيقول [١] :

« وفي يوم الاثنين عيء الجند - أي القائد التونسي - لقتالها فوجد أبوابها مغلقة وأهلها على الأسوار مستأمنين ، واخبروا بفرار علي برغل وقد بلغ الوزير أي مصطفى خوجة - في الليل خبر هروبه في البحر ، وأبوا فتح الأبواب الا اذا أتاهم الوزير بنفسه وكلموه . فأتاهم فطلبوا منه الأمان فأمنهم ، وطلبوا منه منع العساكر من دخول المدينة للنهب فأجابهم ووعدهم بالجميل ووفى ولان في الخطاب ففتحوا الابواب ودخل الوزير بالأخوين احمد ويوسف » .

وهكذا انتهى حكم علي برغل لطرابلس الذي استمر من ٢٩ يوليو سنة ١٧٩٣ الى يوم ١٩ يناير ١٧٩٥ وعادت البلاد من جديد الى حكم الاسرة القرمانلية .

أما عن مصير علي برغل بعد هروبه من طرابلس ، فانه بالرجوع

١) احمد النائب : « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ص ٣٢٢ .

الى ما ذكره ج. مدينا عن نهاية حياة علي برغل نجده يقول [1] :

« بعد ان غادر علي برغل طرابلس أمضى تسع سنوات في استانبول وبعض مدن الشرق وكان يدفع المجوهرات والأموال لكي يشتري اناساً لحمايته واستطاع في سنة ١٩٠٣ أن يحصل على فرمان من السلطان بتعيينه باشا في مصر أي والياً لها ، غير أنه بمجرد وصوله الى مصر لاستلام عمله طُعن بخنجر بواسطة أحد المماليك ، وهكذا توفي الشخص الذي استطاع الاستيلاء على الحكم من القرمانليين » .

غير ان المؤرخ المصري عبد الرحمن الجبرتي ، يعطينا رواية عن وفاة علي برغل الذي يسميه بعلي باشا الطرابلسي ، تختلف عن رواية ج. مدينا .

فقد ذكر لنا الجبرتي بأن علي برغل بعد ان طُرد من طرابلس جاء الى الاسكندرية ومنها الى مصر والتجأ الى أحد زعماء المماليك بالجيزة وهو مراد بك ، وبعد أن قضى مدة ست سنوات بمصر غادرها الى الشام ، ثم الى استانبول ، استطاع ان يتحصل على فرمان من السلطان بتعيينه والياً على مصر ، فحضر الى الاسكندرية في ٢٠ ربيع الأول سنة ١٢١٨ هـ . الموافق ١٠ يوليو ١٨٠٣ م. ومكث بها الى منتصف شهر رمضان سنة ١٢١٨ هـ الموافق ٢٩ ديسمبر ١٨٠٣ م. ، ثم غادرها الى مصر [2] .

ثم تحدث لنا الجبرتي عن موقف زعماء المماليك من علي برغل ،

---

1) G. Medina : «Les Karamanli de Tripoli et l'occupation temporaire de Tripoli par Ali Bouleur», P. 32

٢) عبد الرحمن الجبرتي : « عجائب الاثار في التراجم والاخبار » ج ٣ من ص ٢٥٨ الى ص ٢٧٧ .

وكيف انهم في ٤ شوال سنة ١٢١٨ هـ الموافق ٢٥ يناير ١٨٠٤ م طلبوا منه مغادرة مصر في الحال الى غزة وذلك بعد أن كشفوا تآمره ضدهم وان بعض أمـــراء المماليك مثل محمـــد بك المنفوخ وسليمان بك صهر ابراهيم بك قد كلفوا بمرافقة علي برغل حتّى غزة .

وحينما يصل الجبرتي الى الحديث عن مقتل علي برغل يقول [١] :

« وفي ليلة الخميس عشرينه [٢] ، وصلت أخبـار ومكاتبات من الأمراء الذين ذهبوا بصحبـــة الباشا يخبرون فيها بموت الباشا بالقرين ، فضربوا مدافع كثيرة بعـــد العشاء ونصف الليل : ومضمون مـا ذكروه في المراسلة ان الباشا أراد أن يكسبهم بمن معه ليلاً ، وكان معهم سائس يعرف بالتركي فحضر اليهم وأخبرهم فتحذروا منهم فلـــما كبسوهم وقعت بينهم محاربة وقتل منهم عدد من المماليك وخزندار محمد بك المنفوخ وانجـــرح المنفوخ أيضاً جرحاً بليغـــاً وأصيب الباشا وصاحبه [٣] من غير قصد والليل ليس له صاحب فقضي عليه وكان ذلك مقدراً في الكتاب مسطور . وانـكم ترسلون لنـا أماناً بالحضور إلى مصر والا ذهبنا الى الصعيد [٤] » .

---

١) عبد الرحمن الجبرتي : « عجائب الاثار في التراجم والاخبار » ج ٣ ص ٢٧٦ .

٢) يقصد ٢٠ شوال سنة ١٢١٨ هـ. الموافق ٢ فبراير سنة ١٨٠٤ م.

٣) لم يذكر لنا الجبرتي من يكون صاحب علي برغل وانما اكتفى بذكر كلمة « صاحبه » فقط . وربما ابن اخته لانه سياتي ذكر وفاته مع علي برغل في هذه المعركة .

٤) ان خوف زعماء المماليك الذين كانوا في صحبة علي برغل على حياتهم نتيجة لمقتله وطلبهم للامان كشرط اساسي لرجوعهم الى مصر ، ليدل ذلك على ان زعماء المماليك الذين دبروا امر طرد برغل لم تكن في نيتهم فكرة الخلاص منه عن طريق القتل ، وانما الذي اتفقوا عليه هو مجرد طرده الى غزه فقط ، وذلك لانه لو كان زعمـاء المماليك في مصر قد دبروا امر قتله لرجع الزعماء الذين كلفوا بمرافقته الى مصر بدون طلب الامان وبدون التهديد بالذهاب الى الصعيد .

ولم يكتفِ الجبرتي بذكر هذه الرواية بل نجده يذكر لنا رواية ثانية كما سمعها من بعض الذين شاهدوا المعركة من أهل البلاد التي قتل بها علي برغل ، فيقول [1] :

« والواقع انهم لما سافروا معه (أي زعماء المماليك) ، كان بصحبته خمسة وأربعين نفساً لا غير والعساكر التي كانت سافرت قبله قد نجعت الى الصالحية أو ذهبت حيث شاء الله وكان أمامه عسكر المغاربة وخلفه الأمراء المصرليه (يعني المماليك) فلما وصلوا الى أراضي القرين ونزلوا هناك عمل المغاربة مع الخدم مشاجرة وجسموها الى ان تضاربوا بالسلاح فقامت الأجناد المصرليه من خلفهم فصار الباشا ومن معه في الوسط والتحموا عليهم بالقتال ففر من أتباعه أربعة عشر نفساً الى الوادي وثلاثة عشر رموا بأنفسهم في ساقية قريبة منهم من حلاوة الروح وضرب الباشا بعض المماليك منهم بقرابنه فأصابته وقتل معه ابن اخته [2] حسن بك وكتخداه وباقي الثمانية عشر ، فلما سقط الباشا وبه رمق رأى أحد الأميرين فقال له في عرضك يا فلان ان معي كفناً بداخل الخرج فكفني به وادفني ولا تتركني مرمياً » .

وبالرغم من اختلاف روايتي الجبرتي في تفسير أسباب مقتل علي برغل الا أنهما بدون شك أصدق من رواية ج. مدينا ، وذلك لمعاصرة الجبرتي لهذه الأحداث . وبُعد عصر ج. مدينا عنها .

أما عن تطورات الأحداث في ايالة طرابلس بعد هروب علي برغل،

---

١) عبد الرحمن الجبرتي : « عجائب الاثار في التراجم والاخبار » ص ٢٧٦ .

٢) قد يكون ابن اخت علي برغل هذا ، هو الشخص الذي قال عنه الجبرتي في النص الاول انه قتل مع الباشا .

فإننا نجد انه لما تحقق لحمودة باشا طرد علي برغل من جربة وطرابلس أرسل يوسف خوجه إلى السلطان العثماني لشرح تطورات الموقف وللاعتذار عن محاربة علي برغل وتقديم الهدايا كدليل على الولاء والاخلاص .

استيلاء يوسف باشا القرمانلي على الحكم

وحينما وصل يوسف خوجه الى دار الخلافة اجتمع مع قائد الاسطول حسين باشا وتباحث معه فيما حدث وبعد انتهاء الاجتماع قال حسين باشا، انه كان أفضل لحمودة باشا ان يعين قائد جيشه والياً لطرابلس بدلاً من أن يسلمها للعائلة القرمانلية ، حيث أنه بتسليمها لهم قد أزال فساداً بفساد [1] .

وقد نجح يوسف خوجة فيما كلف به فقد قبل السلطان اعتذار حمودة باشا كما انه استجاب لرجائه الخاص بطلب فرمان التولية لاحمد القرمانلي الذي خلف والده في حكم البلاد .

أما عن يوسف القرمانلي الذي كان نظره يتجه الى الولاية على طرابلس ولا يرضى بغيرها بديلاً ، فانه لم يقنع بولاية العهد التي أسندت اليه وعاودته ذكريات الماضي وكأنه قد وجد في القتل والثورة لذة أراد ألا يحرم نفسه منها مرة ثانية . فبدأ يرسم الخطط التي توصله الى تحقيق غرضه من جديد ؛ فأخذ يكثر من اتصالاته بالأهالي في مدينة طرابلس وضواحيها متقرباً اليهم ومساعداً لهم على حل مشاكلهم مع الحكومة . فالتف من حوله الأهالي مظهرين له حبهم وتقديرهم .

---

١) احمد النائب : « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ص ٣٢٧ .

ولما تأكد من قوة مكانته جميع أعيان البلاد والعلماء الذين يثق في اخلاصهم له ، وأظهر لهم عدم موافقته على سياسة أخيه الاستبدادية وكذلك قبوله لدفع نفقات الجيش التونسي التي تعتبر حملاً ثقيلاً لا قدرة للأهالي على دفعها في الوقت الذي صمم فيه احمد على أخذها بالقوة . وفي أثناء الحديث لمح لهم بفكرة عدم رغبته في ابقائه في الحكم ، ولما كان هذا الاسلوب قد ألفه الناس منه فانهم أظهروا له موافقتهم على ذلك ، حتى ان والده الذي رجع من تونس بعد هروب علي برغل بشهرين كان لا يطمئن الى هذه الاتصالات المريبة ولكنه فضل السكوت وانتظار ما يأتي به القدر ، عن سفك الدماء وازهاق أرواح الأبرياء .

وقد ساعد يوسف باشا على تحقيق هدفه اهمال أحمد لمصالح رعيته وشؤون دولته وانغماسه في حياة الخمر والمجون حتى ان علي بك العباسي يقول [١] :

« لقد كان أحمد بن علي القرمانلي كثير العيوب ، ولم يكن لائقاً لهذه الدرجة الرفيعة بالنسبة لصفاته السيئة مما سبب له وفاته وفقدانه لعرشه » .

أخذ يوسف باشا ينتهز الفرص لتحقيق هذا الحلم الذي يراوده وكان من عادة القرمانليين الذهاب الى تاجوراء في منتصف كل شعبان لزيارة الأولياء وحينما جاءت هذه المناسبة خرج يوسف مع أخيه أحمد وبقية أفراد العائلة الى تاجوراء وفي غفلة من أخيه رجع يوسف إلى طرابلس وأمر أنصاره باغلاق الأبواب وباطلاق مدفعين وكان ذلك بمثابة الثورة

---

١) Voyages d'Ali Bey El Abbassi en Afrique et en Asie» pendant les années 1803, 1804, 1805, 1806 et 1807. Troisième Tome (2ème partie), Paris 1814. P. 55.

على الحكم [1] .

وعندما علم أحمد بذلك خشي الرجوع الى طرابلس واتجه إلى مصراتة.

وهكذا تمكن يوسف بالدم والخداع ان يكون والياً على طرابلس وقد وضع الأهالي أيديهم على قلوبهم خوفاً على مستقبلهم ، كما خاف عليه غيرهم من أمثال السيدة توللي ، وهي شاهدة عيان لكل الحوادث التي وقعت في العشر سنوات الأخيرة من حكم علي باشا القرمانلي ، اذ نجدها تقول [2] :

« انه ليحزنني من أجل سيدي يوسف ومن أجل الطرابلسيين ان يحتفظ هذا الأمير بالعرش ، لأني اخشى ان يزيد أيضاً في عدد جرائمة ويجعل حالة بلاده تزداد سوءاً » .

---

١) احمد النائب : « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ص ٣٢٨ ، وعزيز سامح Simali Afrikada Turkler. ص ٣٢٤ ، ٣٢٥ . وذلك على عكس ما قال به ميكاكي في كتابه : « طرابلس الغرب تحت اسرة القرمانلي » صفحة ١٣٠ حيث قال « ان يوسف واحمد كانا بالمنشية وحدث شجار بينهما فجرى يوسف الى المدينة وامر اتباعه باغلاق ابوابها في وجه السكير الكبير . »

٢) Tully Richard: «Ten years residence at the Court of Tripoli.» P. 379.

الفصل الثاني

سياسة يوسف باشا الخارجية

علاقة يوسف باشا بالدولة العثمانية

سياسة يوسف باشا ازاء فرنسا

الحملة الأمريكية على طرابلس

علاقات طرابلس ببقية الدول الأوروبية

مسألة أمن البحر الأبيض المتوسط وإلغاء الرق

موقف يوسف باشا من الولايات الاسلامية المجاورة

علاقة يوسف باشا بالدولة العثمانية

سارت علاقة يوسف باشا بالدولة العثمانية وفقاً للمخطط الـــذي سار عليه أسلافه ، فهو ينظر الى الدولة العثمانية على أنها دولة الخلافة الاسلامية وان سلطانها خليفة للمسلمين ، وهو في نفس الوقت يعتبر نفسه مستقلاً بحكم ولايتـــه عن السلطان وان كان تابعاً له ، أي انه يخضع للسلطان وينفذ رغباته ويسعى للحصول عـــلى رضائه إذا كانت مصلحته تتطلب ذلك ، ولا يهتم بالسلطان ولا بأوامره اذا كانت منفعته في غير ذلك .

فمثلاً نجده عندما تمكن من الاستيلاء على السلطة من أخيـــه أحمد ، رأى انه من الضروري ومن مصلحته أيضاً الحصول عـلى رضاء السلطان عنه واقراره والياً على البلاد ، لينال بذلك شرعية حكمه في نظر عامة الشعب الذين ينظرون الى السلطان على أنه الخليفة وعلى ان الولاة يحكمون باسمه ولا شرعية لهم في الحكم إلا بالفرمان السلطاني . وعلى هذا الأساس جمع يوسف باشا وجهاء وأعيان البلاد وطلب منهم بأساليبه المعروفة أن يكتبوا محضراً يظهرون فيه ترحيبهم به وموافقتهم على حكمه ، ويتوسلوا إلى السلطان لاقراره والياً على البلاد ، ثم أرسل يوسف صورة من هذا المحضر الى السلطان عن طريق رئيس البحار حسين باشا بالاضافـــة الى الكثير من الهدايا المعتادة في مثل هذه الأحوال ؛ كما أرسل مع هـــذا

المحضر رسالة يوضح فيها كل تطورات الموقف ، ويشرح فيها ما آلت اليه حالة البلاد من فوضى واضطراب وتعد على الأموال والأعراض ، وتسلط الجند على زمام الأمور ، ثم ختم رسالته برجائه المشفوع بالولاء والاخلاص الى السلطان بأن يستجيب لرغبة الشعب في اقراره والياً على البلاد [1] .

ونظراً لحاجته الشديدة لهذا الاقرار ، فإنه لم يكتف بالمحضر والهدايا والرسالة بل طلب من الذين يثق فيهم أن يتوسلوا الى حمودة باشا لمساعدتهم بالتوسط لدى السلطان لتحقيق هذه الرغبة ، كما أوعز الى قنصل فرنسا في طرابلس بأن يطلب من السفير الفرنسي في القسطنطينية بذل مساعيه لتحقيق هذا الغرض [2] .

وقد استجاب السلطان لهذا الرجاء ، فأصدر في أواسط شعبان سنة ١٢١١ هـ (١٧٩٦ م) فرماناً بتوليته والياً على طرابلس — كما أرسل اليه سفينة بثمانية وعشرين مدفعاً ، وبعض أنواع العتاد الحربي ؛ وطلب منه الاهتمام بأحوال السكان وتقوية القلاع ؛ وان يعمل جهده لارجاع النظام الذي اختل بين الجنود والضباط ، وان يكثر من الغزوات البحرية ، وان يراعي نصوص المعاهدة التي بين الدولة العثمانية والروسية فيمنع بحارته من الاعتداء على سفنها [3] .

استلم يوسف هذا الفرمان ووعد بتنفيذ ما جاء فيه ، ولكنه ما ان

---

١) Aziz Samih: «Simali Afrikada Turkler» P. 234-235.

ملاحظة : لم ينقل لنا هذا المؤرخ نص هذه الرسالة بل اكتفى بذكر بعض محتوياتها ٠

٢) احمد النائب : « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ص ٣٢٨ ، وميكاكي « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ١٣٠ ٠

٣) فرمان السلطان بتعيين يوسف باشا واليا على البلاد ، اواسط شعبان ١٢١١ هـ (١٧٩٦ م) ٠ وقد اورد عزيز سامح نص هذا الفرمان في كتابه Simali Afrikada Turkler ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، وقد ترجمه لي الحاج محمد الاسطى — انظر الكتاب وثيقة رقم ٥ ٠

تأكد من قوة مكانته واعترف بولايته جميع السكان حتى تجاهل السلطان العثماني ولم يهتم بأوامره فيما يتعلق بالروسيا ، اذ نجد أن بحارته يتمكنون في شهر سبتمبر سنة ١٧٩٦ من أسر احدى السفن التابعة لهذه الدولة ، ولم يطلق سراحها الا بعد أن دفع له المبلغ الذي طلبه [١] .

وكان هذا التصرف من يوسف نتيجة لظروف البلاد الاقتصادية حيث انه كان في حاجة شديدة الى المال .

وكذلك لم يجد الفرمان الذي أرسله السلطان الى يوسف باشا سنة ١٧٩٧ طالباً منه بطريقة غير مباشرة الا يكون مثل ايالة الجزائر التي تتصرف في اعلان الحرب وعقد الصلح مع الدول الأوروبية بدون علمه، ويخبره بأنه مما يسره أن يعمل على تجديد المعاهدة التي كانت بين طرابلس والدانمارك حيث ان القائم بالأعمال الدانماركي قد قدم اليه طلباً يرجوه فيه تحقيق ذلك [٢] .

غير أن يوسف تمشياً مع حالة البلاد الاقتصادية رفض هذا الطلب واشترط لتجديد هذه المعاهدة زيادة الاتاوة المقررة في المعاهدة السابقة وقد بالغ في هذه الزيادة مما أدى الى انزال العلم الدانماركي اعلاناً بقطع المفاوضات بين البلدين ، كما سيأتي الحديث عن ذلك بالتفصيل أثناء الكلام على علاقة يوسف باشا بالدول الأوروبية .

كما أنه لم يهتم بالفرمانات التي كان السلطان يصدرها الى ايالات المغرب ، مطالباً باتخاذ اجراءات معينة نحو فرنسا لاعتدائها على مصر سنة ١٧٩٨ ، بل نجده يتصرف وفقاً لمصلحته ومتطلبات الموقف السياسي

---

١) ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ١٣٦ ·

٢) فرمان السلطان الى يوسف باشا بتجديد المعاهدة مع الدانمارك سنة ١٧٩٧ ، وقد اورد عزيز سامح نص هذا الفرمان في كتابه Simali Afrikada Turkler ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ ـ وقد ترجمه لي الحاج محمد الاسطى · انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٦ ·

في ذلك الوقت ، كما سوف يتضح ذلك عند الحديث عن التقارب بين يوسف باشا وفرنسا .

لم يقتصر تحدي يوسف باشا لأوامر السلطان على عدم تنفيذ نصوص الفرمانات فقط بل نجده يهزأ بها أيضاً ، فعندما قدم له قنصل الدانمارك في سنة ١٧٩٩ ، فرماناً من السلطان يطلب منه فيه ارجاع السفن الدانماركية الثلاث التي كان بحارته قد أسروها أجاب بقوله [١] :

« انكم تعتقدون ان الفرمان شيء كبير ، ولكن يجب أن تعرفوا أنه من الممكن الحصول على فرمانات مقابل أربعين قرشاً شرقياً ، وان هذه الفرمانات ليست هنا سوى قصاصات من الورق » .

غير أن هذا الأسلوب الذي اتبعه يوسف باشا مع السلطان من التحدي لأوامره والاستهزاء بفرماناته والمراوغة في تنفيذ قراراته ، نجد هذا الأسلوب يتغير الى أسلوب فيه شيء من عدم الصدق ، والخضوع والتسليم بالأمر الواقع وذلك حينما رأى يوسف ان من مصلحته الحصول على فرمان من السلطان بتولية ابنه علي خلفاً له .

يتضح ذلك من الرسالة التي أرسلها يوسف باشا الى السلطان العثماني بتاريخ ١٢٤٨ هـ الموافق لسنة ١٨٣٢ م بعد قيام الثورة ضده وتنازله عن الحكم لابنه علي . فنجده في هذه الرسالة قد أفرط في ذكر عبارات الولاء والخضوع والاخلاص للسلطان العثماني ولدولته ، كما افتخر فيها بأنه من شيمة عائلته عدم مخالفة الأوامر العلية ، وانهم على استعداد لخدمته لأن

---

١) ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ١٤٧ نقلا عن خطابي ج٠ ف٠ لوخنر المؤرخان في ١٠ يوليو سنة ١٧٩٩ ، ٣٠ مارس سنة ١٨٠٠ .

هذه الخدمة يعدونها فريضة واجبة العبودية نحو عرشه [1] .

هذه السياسة التي سار عليها يوسف باشا في علاقته مع الدولة العثمانية كانت عاملاً من العوامل التي جعلت الدولة العثمانية تحاول ان تضع حداً لهذا التحدي ، وقد اتيحت لها فرصة ذلك سنة ١٨٣٥ ، فأعلنت سقوط حكم الاسرة القرمانلية وارجاع البلاد الى الحكم العثماني المباشر .

سياسة يوسف باشا ازاء فرنسا

وهكذا نجد أن سياسة يوسف باشا الخارجية كانت تقوم على أساس تقديره للظروف السياسية وتتمشى وفقاً لحاجة البلاد الاقتصادية ، فمثلاً هناك عدة عوامل سياسية واقتصادية كانت أساساً لهذا التقارب الذي حدث بين يوسف باشا وبين الحكومة الفرنسية ، منها خشيته من ان الانتصارات التي أحرزها نابليون بونابرت ستدفعه الى التفكير في احتلال طرابلس لتكون قاعدة لانطلاقاته التوسعية ؛ بالاضافة الى رغبته في استقلال بلاده في حالة انتصار فرنسا كما عبر عن ذلك ناودي « Soverio Naudi » مندوب فرنسا غير الرسمي لاقرار الصلح مع طرابلس في سنة ١٨٠١ حيث قال [2] :

---

١) رسالة يوسف باشا الى السلطان يرجوه فيها تعيين ابنه علي واليا على طرابلس ، صورة من وثائق رئاسة الوزارة التركية رقم د ٢٠٢٤٢ بتاريخ ١٢٤٨هـ (١٨٣٢ م·) وتوجد صورة هذه الوثيقة الان بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب ، وهي باللغة التركية وقد ترجمها لي الحاج محمد الاسطى · انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٧ ·

٢) ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » هامش رقم ٢ ص ١٤٨ ·

« لقد سألني يوسف عما إذا كان نابليون بونابرت في حالة عقد صلح مع الباب العالي سيثير مسألة استقلال بلاد الغرب، مما يحمل على الاعتقاد بأنه كان يأمل أن ينال استقلاله عن الامبراطورية العثمانية عندما تقوم فرنسا المنتصرة باملاء شروط الصلح » .

ومما زاد في هذا التقارب ظهور طرابلس كحلقة اتصال بين الجيش الفرنسي في مصر وبين الحكومة الفرنسية من ناحية ، وكقاعدة لتزويد جزيرة مالطة التي انتزعها بونابرت من فرسان القديس يوحنا بالمؤن الغذائية من ناحية أخرى ، فما أن عرض على يوسف باشا في سنة ١٧٩٨ مشروع تزويد هذه الجزيرة بالمؤن الغذائية حتى وافق على ذلك ، رغبة منه في توطيد عرى الصداقة مع الحكومة الفرنسية ، والانتفاع بما وراء هذا المشروع من أرباح طائلة .

ولهذه الأسباب جميعها نجد ان يوسف باشا لم يهتم بالفرمان الذي أصدره السلطان العثماني يطلب فيهضرورة قطع العلاقات السياسية والاقتصادية مع فرنسا وتحاربها وذلك لاعتدائها على مصر .

ولما رأى السلطان ان فرمانه الأول لم يعمل به اضطر إلى ارسال فرمان ثاني وجعله على شكل تنبيه أو انذار وذلك سنة ١٢١٣ هـ الموافق لسنة ١٧٩٨ م [١] عبّر فيه عن أسفه لعدم امتثال داي الجزائر ويوسف باشا لأوامره السابقة حيث ان الجزائر لم تقطع علاقتها مع فرنسا وان القنصل

---

١ فرمان من السلطان العثماني الى داي الجزائر وباشا طرابلس يلح عليهما بضرورة تنفيذ اوامره السابقة فيما يتعلق بقطع العلاقات السياسية والاقتصادية مع فرنسا ، نظرا لاحتلالها لمصر · صورة من وثائق رئاسة الوزارة التركية رقم ٣٦٥١ سنة ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م) · وتوجد صورة هذه الوثيقة الان بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب · وهي باللغة التركية وقد ترجمها لي الحاج محمد الاسطى · انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٨ ·

الفرنسي لا يزال يقيم في طرابلس معززاً مكرماً . ثم طلب منها قطع العلاقات السياسية والاقتصادية مع فرنسا وسجن القنصل الفرنسي ووضع التجار من الفرنسيين تحت الحراسة ، ومنع تزويد السفن الفرنسية بالمواد الغذائية ، وأباح لهم مصادرة أية سفينة فرنسية يجدونها في البحر المتوسط والاستيلاء على ما فيها من أموال واسترقاق بحارتها .

ولكن يوسف باشا لم يهتم بهذا الانذار أيضاً واستمر في تزويد مالطة بما تحتاجه من المواد الغذائية ، وأرسل رسالة الى السلطان العثماني رداً على انذاره السابق ، وبالاطلاع على هذه الرسالة نجد ان يوسف باشا لم يتطرق فيها الى الحديث عن موضوع قطع العلاقات السياسية والاقتصادية مع فرنسا كما لم يشر فيها الى ذكر أي اجراء قام به نحو القنصل الفرنسي والتجار من الفرنسيين بل اكتفى بذكر أن عساكره مستعدة لحماية حدود بلاده ، وبأنه قد أرسل ثلاث سفن من أسطوله للقيام بجولات استطلاعية في مياه طولون [1] .

غير أن السلطان لم يرضَ بهذه الرسالة لأنه كان قد طلب من يوسف ان يقوم بأكثر من حفظ الايالة ومن القيام بجولات استطلاعية ، لذلك نجده يرد رسالة يوسف باشا اليه وقد كتب فيها نص الانذار الذي سبق ذكره .

وبالرغم من هذا الانذار الاخير استمر يوسف في علاقته الأولى مع فرنسا وكأنه لا تهمه إلا بلده وفيما عدا ذلك لا شأن له به . وكان لهذا التمادي أثره العميق في نفس « نلسن » قائد الاسطول الانجليزي في البحر الأبيض المتوسط اذ نجده يرسل رسالة الى السفير الانجليزي في

---

١ رسالة يوسف باشا الى السلطان العثماني ردا على انذاره السابق ، صورة من وثائق رئاسة الوزارة التركية رقم ٣٦٥١ بدون تاريخ . وتوجد صورة هذه الرسالة الان بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب وهي باللغة التركية ، وقد ترجمها لي الحاج محمد الاسطى . انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٩ .

استانبول بتاريخ ١٧ شوال ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م) . يخبره فيهـا بأن يوسف باشا قـد عقد صلحاً مع فرنسا في ١٦ رمضان سنة ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م.) وان تونس تتمثل بمـا فعلته الجزائر وطرابلس وتسعى هي الأخرى الى عقد صلح مع فرنسا ، ثم يطلب منه فيها بأن تتدخل الدولة العثمانية في هذا الأمر حالاً وبدون تضييع أي دقيقة [1] .

واتصل السفير الانجليزي على الفور بالسلطان العثماني واطلعه على نص الرسالة بعد ان ترجمها الى اللغة التركية ، ولكن نظراً لضعف السلطان فانه لم يستطع فعل أي شيء أكثر من أنه عاق على هذه الرسالة ببعض الأسطر ووعد السفير الانجليزي بأنه سوف يرسل نص هـذا التعليق الى الايالات المذكورة .

وكان هذا التعليق على النحو الآتي :

« لقد سمعنا بأنـكم تتمثلون الى الصلح مع فرنسا ، فان كان هذا صحيحاً فانه يتنافى مع المصالح العلية ، الفرنسي خائن للدين المبين ، وبناء عليه فدخولـكم معه في الصلح سراً مغاير للدين ومخالف بما اشتهرتم به من الشجاعة والاستقامة » .

وهكذا نرى السلطان وهو عاجز عن أن يقوم بأي عمل تأديبي ضد

---

١ رسالة نلسن الى السفير الانجليزي باستانبول ، بخصوص موقف ايالات الغرب من فرنسا اثناء احتلالها لمصر · وهذه الرسالة تتكون من ثلاثة اقسام ، يخص القسم الثاني منها ايالة طرابلس الغرب · واصل هذه الرسالة باللغة الانجليزية ولكن السفير الانجليزي ترجمها الى اللغة التركية وقدمها الى السلطان العثماني · ويوجد نص الرسالة المترجمة الى اللغة التركية بقسم الوثائق التابع لرئاسة الوزارة التركية تحت رقم ١٤٠٠٧ · وتاريخ هذه الرسالة هو ١٧ شوال ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م ·) · كما توجد صورة من هذه الرسالة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب · وقد ترجمها لي من التركية الى العربية الحاج محمد الاسطى · انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ١٠ ·

يوسف باشا فيقتصر على مخاطبته باسم الدين والشجاعة ويأمر القائمقام باشا بأن يطلب من القبطان باشا الاتصال بالشخصيات التي يعتمد عليها لحثهم على الحرب ضد الحكومة الفرنسية [١] .

واستمر يوسف باشا في علاقته مع فرنسا بشغله عن هـذه الفرمانات جمع ثمار مشروعه الاقتصادي الجديد الا وهو تموين الجيش الفرنسي في مالطة وفي مصر بالمؤن الغذائية .

وقد عمل بونابرت على الاتصال بالقنصل الفرنسي في طرابلس ليستعين به على بث الدعاية لسياسته « الاسلامية ». ففي سنة ١٧٩٨ [٢] كتب الى القنصل يطلب تزويده بالجرائد الفرنسية التي تأتي الى مالطـة وتونس ، كما يطلب منه الاتصال بالباشا ويخبره بأنه أي نابليون سوف يحتفل بالعيد النبوي الشريف [٣] ، وبأنه قدم جميع المساعدات الممكنة لقافلـة الحجاج الطرابلسية ، كما يأمره بأن يطلب من الباشا ارسال مواد تموينيـة كثيرة الى مالطة وضأن الى الاسكندرية .

وفعلاً قام القنصل « بوسيه » بتنفيذ ما أمره به نابليون ، وبـدأ حمَلة البريـد يسيرون بـين طرابلس ومصر بدون مراعاة يوسف لأي اعتبار .

---

١ فرمان من السلطان الى قائمقام باشا ، يامره بالعمل على تحريض ايالات الغرب على نقض الصلح مع فرنسا والقيام بمحاربتها · صورة من وثائق رئاسـة الوزارة التركية رقم ١٥٣١٧ سنة ١٢١٣ هـ · (١٧٩٨م ·) . وتوجد صورة هذا الفرمـان الان بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب · وقد ترجمه لي الحاج محمـد الاسطى · انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم (١١) ·

٢ Charles Feraud : « Annales Tripolitaines » publiées avec une introduction et des notes par Augustin Bernard. Tunis, Tournier, Paris, Vinbert 1927. p. 310-311.

٣ اراد نابليون بذلك ان يؤكد اسلامه للباشا كما اشاع ذلك حينما اراد احتلال مصر لكسب تأييد الناس له بصفته مسلما جـاء لتخليص المسلمين مما هم فيه مـن ضيق والام ·

يوسف باشا فيقتصر على مخاطبته باسم الدين والشجاعة ويأمر القائمقام باشا بأن يطلب من القبطان باشا الاتصال بالشخصيات التي يعتمد عليها لحثهم على الحرب ضد الحكومة الفرنسية [1] .

واستمر يوسف باشا في علاقته مع فرنسا يشغله عن هذه الفرمانات جمع ثمار مشروعه الاقتصادي الجديد الا وهو تموين الجيش الفرنسي في مالطة وفي مصر بالمؤن الغذائية .

وقد عمل بونابرت على الاتصال بالقنصل الفرنسي في طرابلس ليستعين به على بث الدعاية لسياسته « الاسلامية ». ففي سنة ١٧٩٨ [2] كتب الى القنصل يطلب تزويده بالجرائد الفرنسية التي تأتي الى مالطة وتونس ، كما يطلب منه الاتصال بالباشا ويخبره بأنه أي نابليون سوف يحتفل بالعيد النبوي الشريف [3] ، وبأنه قدم جميع المساعدات الممكنة لقافلة الحجاج الطرابلسية ، كما يأمره بأن يطلب من الباشا ارسال مواد تموينية كثيرة الى مالطة وضأن الى الاسكندرية .

وفعلاً قام القنصل « بوسيه » بتنفيذ ما أمره به نابليون ، وبدأ حملة البريد يسيرون بين طرابلس ومصر بدون مراعاة يوسف لأي اعتبار .

---

١ فرمان من السلطان الى قائمقام باشا ، يامره بالعمل على تحريض ايالات الغرب على نقض الصلح مع فرنسا والقيام بمحاربتها · صورة من وثائق رئاسة الوزارة التركية رقم ١٥٣١٧ سنة ١٢١٣ هـ · (١٧٩٨م ·) ، وتوجد صورة هذا الفرمان الان بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب · وقد ترجمه لي الحاج محمد الاسطى · انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم (١١٠) ·

٢ Charles Feraud : « Annales Tripolitaines » publiées avec une introduction et des notes par Augustin Bernard. Tunis, Tournier, Paris, Vinbert 1927. p. 310-311.

٣ اراد نابليون بذلك ان يؤكد اسلامه للباشا كما اشاع ذلك حينما اراد احتلال مصر لكسب تاييد الناس له بصفته مسلما جاء لتخليص المسلمين مما هم فيه من ضيق والام ·

وكان منهم من وفق في أداء مهمته ومنهم من حالت وفاتـه دون ذلك كما حدث « لأرنو » الذي كان في طريقـه براً الى مصر ولكن اشتبه في أمره بعض رجال سيف النصر فقبضوا عليه ، وحينما علموا بمهمته قتلوه بالرغم من مطالبة يوسف باخلاء سبيله .

كان لتحدي يوسف باشا لمشاعر نلسن أثر كبير في نفسه مما جعله يصمم على ضرورة الانتقام من الباشا ، ولكنه عدل عن فكرة الانتقام المفاجيء مراعاة لشعور السلطان العثماني ، حيث ان ايالات الغرب تعد في نظره ولايات عثمانية وان أي عمل عدواني عليهـا سوف يؤدي الى تعقيد الأمور بين الدولة العثمانية وحكومته .

وعلى هذا الأساس فكر في ارسال انذار إلى يوسف باشا عن طريق الدولة العثمانيـة يطلب فيه من يوسف قطع جميع العلاقات مـع فرنسا وكذلك طرد الجالية الفرنسية من المدينة [1] .

وما أن استلم السلطان هذا الانذار حتى أرسل على الفور مندوباً عنه إلى هذه الايالات للتأكد من تنفيذ أوامره السابقة .

حاول يوسف باشا أن يتظاهر بأنه كان يعمل وفقاً لأوامـر الباب العالي وان ما قيل عنه لا أساس له من الصحة . فأوعـز إلى القنصل الفرنسي بشحن المؤن التي اتفق على شحنهـا الى مالطـة قبل أن يصل المندوب كما أمره بانزال علم بلاده ووضع مسكنه تحت الحراسة المشددة.

ولكن هذه الاجراءات كانت وقتية حيث انتهت بمجرد مغادرة مندوب السلطان لطرابلس وعاد القنصل يزاول نشاطه كما كان يفعل من قبل .

وفي ١٦ ابريل سنة ١٧٩٩ وصل الى طرابلس مندوب ثان من السلطان سليم الثالث وطلب من يوسف باشا اعداد حملة للهجوم بها على الفرنسيين من الجهة الغربية في الوقت الذي يقوم فيه الجيش الذي يتجمع بسوريا

---

1 Costanzo Bergna : « Tripoli Dal 1510 Al 1950 » p. 252.

للهجوم من الجهة الشرقية . ولكن يوسف باشا أظهر لهذا المندوب استحالة تنفيذ هذا الطلب لعدم كفاية قواته العسكرية ولعسره المالي [١] .

كان لرفض يوسف باشا الاشتراك في هذه الحملة صداه لدى السلطان العثماني والحكومة الانجليزية حيث لم تمض عدة أيام على هذا الرفض حتى وصل القبطان هـاردي « Hardy » الى طرابلس واستطاع الحصول من الباشا على تأكيدات بعدم تقديم أي مساعدة الى فرنسا ، وحينما غـادر طرابلس أخذ معه القنصل لوكاس ، واستطاع هذا القنصل ان يقنـع نلسن بأن هذه التأكيدات لا يمكن الاعتماد عليها وان الباشا لن ينفذ ما وعد به كما شرح له معاملة يوسف للقنصل الفرنسي عنـد مجيء المندوب السلطاني وبعد مغادرة هذا المندوب لمدينة طرابلس .

ونتيجة لتشكك نلسن في نوايا الباشا أرسل بتاريخ ٩ مايو ١٧٩٩ ، نائبه الاميرال كامبل « Campell » في سفينة برتغالية الى طرابلس لحمل الباشا على تنفيذ قرارات السلطان وبما قدمه الباشا من تأكيدات .

وحينما وصلت السفينة الحربية التي تقل كامبـل والقنصل لوكاس الى ميناء طرابلس أطلقت لها مدافع القلعة التحية المعتادة وتوجه كامبل بصحبة لوكاس اثر نزولها من البارجة الى مقابلة الباشا وسلما اليه انذاراً نهائيـاً بضرورة تسليم القنصل الفرنسي بوسييه « Bousset » وبقية الجالية الفرنسية وبضرورة تنفيذ قرارات السلطان .

وعندما رفض الباشا هذا الانذار هدد كامبل بقذف المدينـة بالقنابل ان لم يستجب لطلبه . وهنا تختلف روايات بعض المؤرخين في النتائج التي ترتبت على تصميم الباشا على رفضه لهـذا الانذار ، فنجـد ان ميكاكي يقول [٢] :

---

١ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ١٤٣ ، ١٤٤ .
٢ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ١٤٥ ، ١٤٦ .

« ... ولكنه – أي كامبل – اضطر الى الرحيل لسبب اصابة بارجته بعطب مفاجيء ، ثم عادت البارجة ثانية بعد أربعة أيام وهي تطارد سفينتين من سفن المغامرين الطرابلسيين واستولت على احداهما وهي التي كان يقودها مراد الريس . كان يوسف يود الاستمرار في المقاومة ولكن إلحاح المحيطين به وصياح الجماهير اضطره الى العدول عن رأيه واعلان الاستعداد للمفاوضة وفي نفس اليوم سلم القنصل الفرنسي بوسييه أربعين فرنسياً الى كامبل فنقلهم الى مدينة بالرمو حيث أمر نلسون بنقلهم الى جنوه » .

بينما يروي كستانزو بيرن رواية أخرى فيقول [1] :

« وعندما رفض الباشا القرمانلي هذا الطلب تمكنت البارجة من حرق سفينتين وأسر واحدة من السفن التابعة للباشا ، ثم استعدت لقذف المدينة بالقنابل فسلم الباشا أمام القوة ورفع العلم الأبيض على السرايا ، وبدأت المفاوضات بين الطرفين (كامبل والباشا) ، ولقد لعب الباشا دوراً حاول فيه اللعب بالقنصل الانكليزي [2] ، ثم سلم له السيد بوسييه واثنين من صف ضباط ورؤساء السفن الفرنسية والبحارة الذين كانوا بالميناء » .

وبمقارنة هذا النص بسابقه يتضح لنا الاختلاف الكبير بينهما . ففي الوقت الذي يذكر لنا فيه كستانزو بيرن بأن استجابة الباشا للصلح كانت بمجرد سماعة للانذار بقذف المدينة بالقنابل ، أي في اليوم الأول لمجيء

---

١ Costanza Bergna : Tripoli Dal 1510 Al 1850 p. 253.

٢ لم يذكر لنا المؤرخ ما هو الدور الذي لعبه الباشا للقنصل الانجليزي .

كامبل . نجد أن ميكاكي يذكر لنا بأن هذه الاستجابة كانت في اليوم الخامس من مجيء كامبل الى طرابلس .

كما أن كستانزو بيرن يؤكد لنا بأن القنصل الفرنسي بوسييه كان ضمن الذين سلمهم الباشا الى كامبل بينما نجد ان ميكاكي لا يذكر ذلك صراحة .

ولكن الحقيقة تتضح بالرجوع الى خطاب بوسييه الذي أرسله الى تاليران وزير خارجية فرنسا بتاريخ ٢٤ ديسمبر سنة ١٧٩٩ [١] ، حيث نجد أن بوسييه يذكر في هذا الخطاب بأن رئيس بحرية الباشا حضر اليه في الساعة الرابعة من ٢٣ Florial أي يوم ١٥ مايو وطلب منه ضرورة مغادرة البلاد فوراً . وهذا يؤكد لنا بأن استجابة الباشا للصلح لم تكن في اليوم الأول لوصول كامبل حيث اننا نعلم أن كامبل وصل الى ميناء طرابلس في يوم ٩ مايو .

كما يذكر بوسييه عدم استطاعته مقابلة الباشا لمنع الحراس له وانه اضطر الى مغادرة البلاد بما عليه من ثياب تاركاً كل ما يملكه في أيدي الأهالي .

وهذا يؤكد انه كان ضمن الذين سلمهم الباشا الى كامبل .

وبالرغم من هذا التصرف من جانب يوسف باشا فإن العلاقات بينه وبين فرنسا لم تتأثر بما حدث . ولعل السبب في ذلك يرجع الى تأكد فرنسا من نوايا يوسف باشا وبأنه كان مجبراً على اتخاذ هذا الاجراء . حتى أننا نجد أن الباشا في ٢٠ اكتوبر سنة ١٨٠٠ أرسل رسالة بواسطة محمد الدغيس الى ديفواز « Devoise » قنصل فرنسا في تونس [٢] يؤكد

---

١ Charles Feraud : « Annales Tripolitaines » p. 315-316

٢ لم ترسل فرنسا قنصلا اخر خلفا لبوسييه الا بعد ان انتهت مشكلتها مع انجلترا فيما يختص باحتلالها لمصر . ففي سبتمبر سنة ١٨٠٢ عاد القنصل بوسييه الى طرابلس من جديد لاستلام مهام منصبه الاول .

له فيها سياسته الودية نحو فرنسا ويظهر أسفه لما حدث ، كما يعبّر فيها عن استعداده لتقديم أي مساعدة تطلب منه .

وفعلاً حينما جاء مندوب ديفواز في ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٠٠ وطلب من الباشا مساعدتهم على ارسال البريد إلى الجنرال مينو « Menou » في مصر ، وافق الباشا على هـذا الطلب بدون أي تردد أو مراعاة لشعور مواطنيه ذلك الذي لمسه بوسييه حينما غادر البلاد فعبّر عن ذلك في رسالته السابقة .

وبالاضافة إلى ذلك نجد أن نابليون بونابرت حينما فكـر في ارسال تعزيزات إلى جيشه المحاصر في مصر ، حاول الحصول على موافقة الباشا بالسماح لاسطوله بالالتجـاء إلى مينـاء درنة أو مرفأ بمبا في حالة تعذر امكان انزال الجيش بالقرب من الاسكندرية ، وكذلك حاول الحصول على موافقته بضمان سلامة مرور هذا الجيش عبر ايالة طرابلس إذا تعذر سفره إلى مصر بطريق البحر .

ولكن نابليون لم يرغب الدخول في مفاوضات بصفة رسمية مع الباشا لكي لا يثير شكوك الانكليز فيحاولوا حمل الباشا على عـدم قبول هذا الاتفاق . لذلك فقد قرر ارسال أحـد مترجمي القنصليـة الفرنسية في طرابلس وهو مالطي الأصل ويدعى سافيرو ناودي « Soverio Naudi » [١] لمفاوضة الباشا باسم حكومة الجمهورية الفرنسية بصفة غير رسمية .

وعندما وصل ناودي الى طرابلس في ١٢ مايو ١٨٠١ قابلـه الباشا بكل مظاهر الاحترام وقبل التفاوض معه ، وتمكن ناودي من الوصول مع الباشا الى عقد معاهدة هي في جوهرها صورة من المعاهدة التي وقعت في سنة ١٧٢٩ مع اضافـة بعض المواد التي تضمن لفرنسا حق مرور

---

١ ناودي ، كان ضمن الذين سلمهم يوسف باشا الى كامبل مع القنصل بوسييه .

جيوشها عبر أراضي ايالة طرابلس وحق اللجوء الى موانيها [1] .

ولكن الشعب أظهر عدم موافقته على هذه المعاهدة وقد عبر الشعب عن عدم رضائه ، حينما فشل الاسطول الفرنسي بقيادة جانتوم في محاولة انزال الجند بالقرب من الاسكندريـــة لتصدي الاسطول الانجليزي له ، ومحاولته الرسو أمام ميناء درنة . فبالرغم من المعاهدة السابقـة وبالرغم من رفع الاسطول الفرنسي للعلم الأحمر بهلاله الأبيض دليلاً على الصداقة فان أهالي درنة منعوا انزال الجند الى الميناء وذلك باطلاق نيران بنادقهم على القوارب المحملة بالجند . حتى اضطر قائد الاسطول ان يعـدل عن فكرة انزال الجند للسير براً الى الاسكندرية وأقلع في ٩ أغسطس متوجهاً الى ميناء طولون [2] .

وهكذا عبّر الشعب في برقة عن ارادته الحرة الأبية كما عبر عنهـا في مصراتة يوم أن قتل رجال سيف النصر « ارنو » رسول نابليون ، وكما ظهرت في سخط الجماهير على رصيف ميناء طرابلس يوم أن أجبر بوسييه على الرحيل .

ولكن بالرغم من مظاهر هذا الاستياء فإن يوسف باشا استمـــر في سياسته الأولى مع فرنسا ، حتى اننا نجـــده عندما طلب تاليران وزير خارجيتها من المندوب الفرنسي ناودي العمل على تعديل المعاهدة السابقة لأنه لم تعد هناك أية ضرورة لبقاء المواد الخاصة بضمان سلامـــة مـرور القوات الفرنسية عبر ايالة طرابلس إلى مصر بعد أن أصبح جلاء الجيش

---

١ ميكاكي : « طربلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ١٥٠ ، وقد ذكر هـذا المؤرخ ان نص هذه المعاهدة يوجد في كتاب ٦٠ روواردي كار بعنوان Traités de la France avec les Pays de l'Afrique du Nord. Paris. Pondance, 1906 p. 276-288. ولكن للاسف لم اتمكن من الحصول على هذا الكتاب ، كما انني لم استطع العثور على نص هذه المعاهدة وعلى نص معاهدة سنة ١٧٢٩ ضمن الوثائق الموجودة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب .

٢ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ١٥١ .

الفرنسي من مصر في حكم الأمر الواقع ؛ فبالرغم من ذلك نجد يوسف باشا يتمسك ببقاء هذه المواد بحجة ان في بقائها دليلاً على تعلقه بالجمهورية الفرنسية ، وبرهاناً على صداقته المخلصة لنابليون تلك الصداقة التي خاطر في سبيلها بشعبيته وعرشه بل وبحياته أيضاً .

ولكن يوسف باشا كان في الحقيقة يخشى بطش الدولة العثمانية بـه لتحديه لأمر الباب العالي ولانذارات نلسن ، وذلك بعـد أن تأكد من صحة ابرام الصلح بين فرنسا من جهة وانكلترا والدولة العثمانية من جهة أخرى . حتى اننا نجده عندما تأكدت له سلامته من هذا الخطر وبداية تدهور قوة الامبراطورية الفرنسية أخذ يغـير من سياسته الأولى ازاء فرنسا ، وبدأ التقارب بينه وبين انكلترا يزداد بشكل ملحوظ . ولم تعد لبوسييه قنصل فرنسا في طرابلس تلك المكانة الأولى لدى يوسف باشا بل كثيراً ما كان يغلظ القول له وخاصة عند اثارة يوسف لمسألة الدول التي انضمت إلى الامبراطورية فلم يعد يحصل منها على جزية سنويـة . كما أطلق يد مغامريه بالاعتداء على السفن الفرنسية أو الدول التابعة لها ، ولم تفد احتجاجات القنصل الفرنسي في تغيـير مسلك الباشا المفاجىء ازاء صديقته الأولى فرنسا .

وبعد أن كان يخشى من سطوة نابليون ويسعى للتقرب منه خوفاً من أن تتجه انظاره الى احتلال طرابلس ، نجـده يسخر من كل تهديد بقوله [1] :

« ان رمال مملكة طرابلس المتنقلـة ليست غنيمة جذابة في نظر بونابرت » .

كما يحدثنا ميكاكي عن انتهاك الباشا للمعاهدات فيقول [2] :

---

١ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ١٦٩ .

٢ ميكاكي : (المرجع السابق) ص ١٦٥ نقلا عن خطابات القنصل بوسييه بتاريخ ٢٤ مايو ١٨٠٨ ، ٦ سبتمبر ١٨٠٩ ، ٢١ اغسطس ١٨١٢ .

« ... وقـــد ذكر بوسييه في خطابه الى الدوق دي بسانو « Di Bassano » وزير الخارجية الفرنسية بتاريخ ٢٤ ديسمبر ١٨١٢ أكثر من خمس وخمسين مخالفة حدثت أثناء خمس سنوات، ولم تفد مخالفة فرنسا مع تركيا في تغيير مسلك يوسف الذي كان يقابل باحترام كبير سفراء تركيا الذين كانوا يرسلون الى طرابلس لاعلان تولي السلطان الجديد مثل مصطفى الرابع سنة ١٨٠٨ ومحمود الثـــاني ١٨٠٩ ولكي يحملوا الى الباشا فرمان التولية ، ولكن من جهة أخرى فانـــه كان لا يطيع أوامر الباب العالي ، اذ كان يصدر أوامره الى مغامريـــه بالاستيلاء على السفن العثمانية في موانىء الارخبيل ذاتها » .

حقيقة كان يوسف باشا قد غير سياسته نحو فرنسا عندما تأكد لـــه بداية ضعفها وازدياد قـــوة انجلترا ، وحقيقة كان يوسف باشا ينتهك حرمة المعاهدات التي بينه وبين فرنسا بتحريض من القنصل الانجليزي ، وناودي الذي طردته حكومة الثورة من منصبه .

ولكن الذي أشك فيه هو قول بوسييه ان الباشا كان يصدر أوامره إلى مغامريه بالاستيلاء على السفن العثمانيـة في موانىء بحر الأرخبيـــل . وأعتقد أن بوسييه أراد بذلك تغطيـــة فشله في حـمل الباشا على احترام المعاهدات ومنع سفنه من الاعتداء على السفن الفرنسية .

وهكذا اتخذت سياسة يوسف باشا مع فرنسا نمطاً جديداً يتشكل وفقاً لمصالح الباشا وتبعاً لتطورات الظروف السياسية ذاتها . فنرى انه أحياناً يسير تبعاً للمخطط الذي يرسمه القنصل الفرنسي ، وأحياناً أخرى وفقاً لرغبات القنصل الانكليزي ، مما أدى إلى ازدياد حدة التنافس بين هذين القنصلين ثم تطور هذا التنافس فكان عاملاً من العوامـل التي ساعدت على سقوط الدولة القرمانلية .

الحملة الامريكية على طرابلس

كما توضح لنا حوادث الحملة الأمريكية على طرابلس قصة كفاح يوسف من أجل أن يفرض سيادته على الدول التي كانت تتخذ البحر الأبيض المتوسط مجالاً لنشاطها ، وفي نفس الوقت تكشف لنا عن عامل من أهم العوامل التي ساعدت على سقوط الدولة القرمانلية بعد أن حاول يوسف أن يعمل بكل طاقاته للحيلولة دون هذا السقوط .

ولقد عرفت طرابلس السفن الأمريكية منذ أن كانت هذه السفن تزاول نشاطها تحت حماية العلم الانكليزي ، ولكن بعد أن تمكن الشعب الأمريكي من تحقيق سيادته وانتزاع حريته من الاستعمار الانكليزي سنة ١٧٧٦ ، أصبح من المحتم عليه أن يرعى شؤونه بنفسه وان يعمل على سلامة سفنه من اعتداء الأساطيل التابعة لأهالي الشمال الافريقي عليها .

غير أن الوصول الى اتفاق مع حكام الشمال الافريقي لم يكن بالأمر الهين بالنسبة لشعب حديث العهد بالاستقلال ، لما يتطلبه تحقيق ذلك من مبالغ باهظة تدفع كهدايا واتاوات سنوية لكل حاكم من حكام الشمال الافريقي في الوقت الذي يحتاج فيه هذا الشعب الى كل امكانياته من أجل بناء دولته الجديده .

وعلى ذلك اتجهت الولايات المتحدة الامريكية الى البرتغال طالبة حمايتها لسفنها، غير أنه سريعاً ما ظهر للمسؤولين في الحكومة الامريكية استحالة ذلك ، حيث ان السفن البرتغالية نفسها لم يكن لها أي احترام من جانب اساطيل الشمال الافريقي . فاتجهت انظارهم الى فرنسا ولكن فرنسا لم تقبل هذه الحماية لانها وانجلترا قد اتفقتا على خطة عدم تشجيع الدول الصغرى على منافسة الدول الكبرى في المجال التجاري في حوض البحر الأبيض المتوسط .

وبذلك لم يعد أمام الحكومة الامريكية من سبيل اللهم إلا بتعيين قناصل لها في دول شمال افريقيا أسوة بغيرها من الدول . وتمشياً مع هذه الفكرة حضر القنصل الامريكي الى طرابلس سنة ١٧٩٩ محملاً بالهدايا الى الباشا فاستقبله يوسف باشا بكل ترحاب واتفق معه على قيمة الاتاوة السنوية وعلى الهدايا .

ظنت أمريكا انها بذلك قد أصبحت سفنها في مأمن من اعتداء الاسطول الطرابلسي عليها ، غير أن يوسف باشا كان لا يقنع بما يقدم له وخاصة من الدول الصغرى التي لا يخشى عاقبة غضبها ، وهكذا لم تمض مدة طويلة حتى بدأ يظهر عدم موافقته على الاتاوة السنوية التي اتفق عليها مع القنصل الامريكي ، وأخذ يطالبه بمبالغ كبيرة ويلح عليه باقناع دولته بضرورة معاملته اسوة بما تعامل به الجزائر .

ولما أخذت الحكومة الامريكية تماطل في اجابة طلبه أصدر أمره سراً الى مغامريه بالاعتداء على السفن الامريكية ، ولم تغير احتجاجات القنصل من الأمر شيئاً .

وحينما وصلته رسالة من رئيس الجمهورية الأمريكية يعبر فيها عن نوايا بلاده الحسنة تجاه حكومة طرابلس،ولكن لم يجد فيها يوسف اجابة طلبه بصورة أكيدة ، فرد على هذه الرسالة باسلوب فيه شيء من الشدة والتحدي والانذار حيث قال في رسالته [١] :

« ... ويمكننا أن نسأل ان تعبيراتكم هذه يجب أن تتبعها الأعمال لا الكلام الأجوف ، ولهذا يجب أن تسعوا لاقناعنا

---

١ مصطفى بعيو : « دراسات في التاريخ اللوبي » مطابع عابدين القاهرة ، ١٩٥٢ ، ص١٤٨ .

ملاحظة : لم يذكر لنا الاستاذ مصطفى بعيو تاريخ الرسالة التي ارسلها رئيس الجمهورية الامريكية الى يوسف باشا وكذلك لم يذكر تاريخ الرسالة التي رد بها يوسف باشا عليه .

بطريقة حسنة التنفيذ ، أما اذا كان الأمر مجرد كلام يعني التملق دون التحقيق فكل منا يعمل حسبما يقتنع به » .

اعتبرت الحكومة الأمريكية هذه الرسالة بمثابة الانذار الأخير ، وأخذت تفكر في الطريقـــة التي تستطيع بها أن ترد على هذا التحدي من ناحية ولتنال بها رضاء جماهيرها الثائرة ضد أعمال الأسطول الطرابلسي من ناحية ثانية .

ولكن كيف الوسيلة الى تحقيق ذلك وهي لا تملك القوة التي بهـــا تستطيع ان تفرض ارادتها على يوسف باشا ؟

ويأتي الجواب على هذا التساؤل من صياح الجماهير الثائرة في الشوارع تطالب الكونغرس الأمريكي بأن يعمل عـلى انفاق الملايـــين على الدفاع ويمتنع عن اعطاء سنت واحد كاتاوة .

وبذلك رأت الحكومة الامريكية ضرورة الاسراع في بناء قوتها البحرية لتستطيع بها تحقيق آمال شعبها وتضمن سلامة سفنها ، غير أنها لم ترغب في اشعار يوسف بذلك قبل أن يكتمل بناء قوتها ، فالتجأت الى اسلوب المفاوضات لعلها تصل الى اتفاق مع يوسف ربما تستعد للانتقام .

فأوعزت الى سفيرها في لندن بمفاوضة مندوب الباشا الذي كان هناك ثم التجأت الى داي الجزائر بعد فشل مفاوضات لندن . وقـــد استطاع داي الجزائر حسن باشا وقنصل هولاندا أن يقنعا الباشا بعقـد صلح مع امريكا نظير دفعها مبلغاً قدره مائتان وخمسون ألف فرنك سنوياً [1] .

ووافق يوسف باشا على هذا الصلح مراعاة لشعور داي الجزائر ورجعت الطمأنينة في قلب قنصل هولاندا الذي كان يخشى من عدم استجابة يوسف لرجائها بعد أن فشل هو وحده في تحقيق ذلك .

---

١ Aziz Samih « Simali Afrikada Turkhler » P. (237-238).
ترجم ما يتعلق بموضوع رسالتي الحاج محمد الاسطى .

غير أن الحكومة الامريكية بعد وفاة حسن باشا داي الجزائر أخذت تماطل في دفع ما عليها من ديون ، ثم طلبت من ابن حسن باشا التوسط لدى يوسف باشا لتخفيض قيمة الاتاوة السنوية ولكن هذه الوساطة لم تأت بنتائج طيبة ، حيث ان يوسف باشا رفض الوساطة وأرسل اليه رسالة شرح له فيها نوايا الدول الأوروبية وما تبيته لحكومات الشمال الافريقي كما حذره من أن النصارى لا كلمة لهم وبأن عملهم قد بني على الحيلة والخداع ، وأعلمه بأنه ينوي الانتقام من حكومة السويد لتأخرها عن دفع ما عليها من أتاوات ولأنها تفكر في حرمانه من هذه الاتاوة . ثم أراد يوسف باشا أن يظهر لداي الجزائر مدى قوته فأعلمه بأنه سوف يعطي الحكومة الامريكية درساً لن تنساه ويجعلها تعترف بقوته ومكانته مثل غيرها من الدول ، وان الذي يمنعه من تحقيق هذه الرغبة هو تدخل داي الجزائر ، ثم ناشده باسم الاخوة ان يسحب وساطته ويقف على الحياد لأن في نية الحكومة الامريكية طلب وساطة القنصل الانجليزي ، وانه سوف لن يعترف بهذه الوساطة [1] .

وهكذا فشلت هذه الوساطة وأرسل يوسف باشا رسالة الى القنصل الامريكي في طرابلس ينذره فيها بضرورة الاسراع في دفع المبالغ المستحقة على دولته فوراً ، وإلا الاستعداد للحرب .

وحاول القنصل الأمريكي اقناع يوسف باشا بعدم جدوى الالتجاء الى الأعمال العدوانية ووعده بأنه سوف يبذل مساعيه للوصول الى اتفاق يضمن دوام الصداقة بين بلديهما ، ولكن يوسف باشا اعتبر هذا الرد دليلاً على الخوف أو الخيانة،فأصدر أوامره الى قائد الأسطول بالاستيلاء

---

١ رسالة يوسف باشا الى ابن داي الجزائر٠أورد نص هذه الرسالة عزيز سامح فيكتابه Simali Afrikada Turkhler صفحة ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ولكنه لم يذكر تاريخها ٠ وقد ترجمها لي محمد الاسطى ـ انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ١٢ ٠

على أية سفينة أمريكيـــة تقابله فأدى ذلك الى غضب القنصل الأمريكي فأنزل علم بلاده وغادر طرابلس وكان ذلك في سنة ١٨٠١ [١] .

غير ان المؤرخ كستانزو بيرنا ، يرى ان الذي أمر بانزال هذا العلم هو يوسف باشا ، فيقول [٢] :

« لما فشلت المفاوضات بين يوسف باشا وبين أمريكا ، أمر يوسف باشا بانزال العلم الأمريكي من على القنصلية الأمريكية وأحرقه أمام العموم » .

غير أنه وان كنا نصدق كستانزو بيرنا في أن الباشا هو الذي أمـر بانزال العلم الأمريكي ، الا ان هناك نوعاً من الشك في أن الباشا أحرق هذا العلم ، حيث انه من المعروف عن يوسف باشا انه كثيراً ما أمـر بإنزال أعـــلام بعض الدول التي لا تفي بالتزاماتها وتعمـــل على تحدي ارادته، ولكن بدون أن يلتجيء في أي مرة من هذه المرات الى اصدار أمره بإحراق أي علم من هذه الأعلام ، هذا من ناحيـة ، ومن ناحية أخرى لو أن العلم الأمريكي كان قد احرق فعلاً لما وجدنا ان امريكا تصدر أوامرها الى قنصلها في الجزائر تطلب منه ضرورة التوجه الى تونس للاجتماع بقنصليها في تونس وطرابلس والتوجه جميعاً الى طرابلس للتفاوض مع يوسف مرة ثانية لعلهم يصلون الى اتفاق معه .

وعلى العموم سواء أكان العلم الأمريكي قد احرق أم لا ، فإن مجرد انزاله يعني قطع العلاقات بين الدولتين .

وكان على أمريكا أن تقابل هذا التحدي بمثله، غير أننا نجدها تسعى الى السلام مرة ثانية ، فتصدر أوامرها الى قناصلهـا في الجزائر وتونس

---

١ Aziz Samih « Simali Afrikada Turkler » p. 237-238

٢ Costanza Bergna «Tripoli Dal 1510 Al 1850 » p. 255

وطرابلس بالاجتماع معاً في تونس والتوجه الى طرابلس لمقابلة الباشا ومحاولة الوصول الى تسوية سلمية معه .

وحينما وصل القناصل الثلاثة الى طرابلس ، اجتمع بهم الباشا وبدأت المفاوضات غير أنهم لم يصلوا الى أية نتيجة وذلك لاصرار الباشا على موقفه مما أدى الى قطع المفاوضات ورجوع القناصل الى أماكن عملهم ، وهم جميعاً على يقين بأنه لا فائدة من المفاوضات مع الباشا الا اذا كانت تحت دوي القنابل .

وفي اكتوبر سنة ١٨٠٢ أصدرت حكومة الولايات المتحدة الامريكية الأوامر الى القائد موريس « Maurice » بمهمة تلقين الباشا أول درس عملي . فتوجه موريس الى طرابلس وحاول ضرب المدينة بالقنابل ، غير أن مدافع القلعة والسواحل اضطرته الى البقاء بعيداً من أسوار المدينة فأصبح وكأنه يقوم بعملية حصار لا أثر لها ، وبعد ان فشل في الاقتراب من المدينة حاول التفاوض مع احد وزراء الباشا وهو محمد الدغيس لعله يصل الى اتفاق يرضي به حكومته .

غير أن يوسف لم يأبه لذلك واستمر في تصميمه الأول، ولما لم يستطع موريس تحقيق أي نجاح في مهمته اضطر الى فك الحصار ومغادرة شواطىء البلاد [١] .

كان لهذا الفشل أثره في نفس الحكومة الامريكية وحملت « موريس » مسؤولية فشله فأصدرت الأوامر بالتحقيق معه ، وكانت نتيجة هذا التحقيق فصله من الخدمة [٢] .

وصممت الحكومة الامريكية على ارسال اسطول مكون من سبع قطع حربية بقيادة بربل « Prebel » للانتقام من يوسف باشا ، وكانت أقوى

---

١ ميكاكي : « طربلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ١٥٦ ، ١٥٧ .

٢ P. Costanza Bergna : « Tripoli Dal 1510 Al 1850 » p. 256

هذه القطع تسليحاً هي السفينة المسماة بفيلادلفيا « Philadelphia » حيث كانت مزودة باثنين وأربعين مدفعاً . وخرجت هذه الحملة قاصدة مدينة طرابلس سنة ١٨٠٣ غير ان قائدها لم يشأ المخاطرة بجميع قوتـــه في الهجوم على طرابلس خوفاً من الفشل ولذلك قرر ارسال السفينة فيلادلفيا والسفينة فكس « Feux » للقيام بهذه المهمة .

وحينما ظهرت هذه السفن على مرأى من مدينة طرابلس في شهـــر اكتوبر سنة ١٨٠٣ ، أصدر الباشا أوامره بالاستعداد للدفاع عن المدينة ونظراً لأن المدافع المزودة بها السفينة فيلادلفيا كانت قريبة المدى ، فإنها لم تستطع الاقتراب من أسوار المدينة ، وكذلك الحال بالنسبة للسفينـــة الثانية واطمأن يوسف باشا من الخطر الذي كان يخشاه، ورأى ان مصير هذه المحاولة ستكون كسابقتها ، وفعلاً فضل بينبريدج Bainbridge قائد فيلادلفيا الاكتفاء بمحاصرة المدينة وارهاب يوسف باطلاق المدافع من بعيد .

واستمر هذا الحصار ما يقرب من عشرين يومـاً بدون الوصول الى أية نتيجة [١] مما جعل بينبريدج يفكـــر في فك الحصار والرجوع من حيث أتى غير أنه لم يتحقق له ذلك اذ وقعت سفينته في الأسر وألقى رجال الباشا القبض على من فيها .

وقد ذهب بعض المؤرخين [٢] الى ان سبب أسر هذه السفينة يرجع الى ان قائدها حينما كان يحاول الرجوع الى ميناء طرابلس بعد أن أجبرته قوة الرياح الى الالتجاء شرقي هذا الميناء ، فإنه تقابل مع قارب خفيف من البحرية الليبية فحاول مطاردته بدون عمل أي حساب لحالة الميناء وما

---

١ احمد النائب : « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ص ٣٢٦ .
٢ الاستاذ مصطفى بعيو « دراسات في التاريخ اللوبي » ص ١٥٢ .

فيه من صخور وأماكن ضحلة لا يتناسب عمقها مع حجم السفينة فجنحت وتوقفت عن العمل بسبب الاستمرار في المطاردة .

إلا آن مؤرخاً [1] آخر ذهب الى القول بأن أسر هـــذه السفينة كان نتيجة لمؤامرة دبرها لها أغا زريق [2] .

وتتلخص هذه المؤامرة في ارسال قارب خفيف ليقوم بمهمـة مناوشة فيلادلفيا ثم الانسحاب حينما تحاول هذه السفينة مطاردته لعلها تصاب من مدافع القلعة أو تغرق . وفعـــلاً نفذت هذه الخطة كما رسمت وشجع انسحاب القارب فيلادلفيا على مطاردته حتى وصلت الى مكان قليل العمق بالنسبة لحجمها فاصطدم أسفلها بقاع البحر فلم تستطع بعد ذلك الاستمرار في السير .

وفي أثناء اضطراب الجند نتيجة لما حدث لسفينتهم ؛ هاجمتهم سفن الباشا وتمكنت من أسر السفينة ، وسلم قائدها نفسه الى جند الباشا فجيء به وببحارته الى القلعة كأسرى حرب ، وقد اطلقت مدافع القلعة ومدافع الساحل عدة طلقات ابتهاجاً بهذا النصر الجديد .

كان لهذا الانتصار صداه العميق في نفوس الدول الاوروبيـــة حيث أنها رأت فيه انذاراً بالنسبة لها جميعاً بعدم قدرتها على تحدي ارادة هذا الباشا الذي ان لم تتحـــد ضده فان مصير سفنها سيكون تحت رحمته ، وانه سوف يملي شروطه بدون ان تستطيع أي دولة على حدة مساومتـه على هذه الشروط .

أما بالنسبة للحكومة الامريكية فانهـــا اعتبرت هذا الحادث انتهاكاً لمكانتها واهانة لشرف بحريتهـــا ، وهرع الشعب الامريكي الى الشوارع

---

1 P. Costanzo Bergna: «Tripoli Dal 1510 Al 1850» p. 256

٢ ملاحظة : لم يذكر لنا هذا المؤرخ ما هي وظيفة اغا زريق هذا بل اكتفى بمجرد ذكر اسمه فقط .

فيه من صخور وأماكن ضحلة لا يتناسب عمقها مع حجم السفينة فجنحت وتوقفت عن العمل بسبب الاستمرار في المطاردة .

إلا آن مؤرخاً [١] آخر ذهب الى القول بأن أسر هـذه السفينة كان نتيجة لمؤامرة دبرها لها أغا زريق [٢] .

وتتلخص هذه المؤامرة في ارسال قارب خفيف ليقوم بمهمة مناوشة فيلادلفيا ثم الانسحاب حينما تحاول هذه السفينة مطاردته لعلها تصاب من مدافع القلعة أو تغرق . وفعـلاً نفذت هذه الخطة كما رسمت وشجع انسحاب القارب فيلادلفيا على مطاردته حتى وصلت الى مكان قليل العمق بالنسبة لحجمها فاصطدم أسفلها بقاع البحر فلم تستطع بعد ذلك الاستمرار في السير .

وفي أثناء اضطراب الجند نتيجة لما حدث لسفينتهم ، هاجمتهم سفن الباشا وتمكنت من أسر السفينة ، وسلم قائدها نفسه الى جند الباشا فجيء به وببحارته الى القلعة كأسرى حرب ، وقد اطلقت مدافع القلعة ومدافع الساحل عدة طلقات ابتهاجاً بهذا النصر الجديد .

كان لهذا الانتصار صداه العميق في نفوس الدول الاوروبيـة حيث أنها رأت فيه انذاراً بالنسبة لها جميعاً بعدم قدرتها على تحدي ارادة هذا الباشا الذي ان لم تتحـد ضده فان مصير سفنها سيكون تحت رحمته ، وانه سوف يملي شروطه بدون ان تستطيع أي دولة على حدة مساومته على هذه الشروط .

أما بالنسبة للحكومة الامريكية فانهـا اعتبرت هذا الحادث انتهاكاً لمكانتها واهانة لشرف بحريتهـا ، وهرع الشعب الامريكي الى الشوارع

---

١ P. Costanzo Bergna: «Tripoli Dal 1510 Al 1850» p. 256

٢ ملاحظة : لم يذكر لنا هذا المؤرخ ما هي وظيفة اغا زريق هذا بل اكتفى بمجرد ذكر اسمه فقط .

مطالباً حكومته بضرورة القيام بعمل حاسم للحد من تهور هذا الباشا وليعيد الى الشعب الامريكي كرامته .

وفي الوقت الذي اجتاحت فيه واشنطن وعواصم الدول الأوروبية موجة من السخط والغضب، نجد ان الشعب في شمال افريقيا قابل هذا الانتصار بفرح شديد ، وخاصة انهم كانوا قد سمعوا قبل ذلك بأخبار « بربل » لكل من سلطان مراكش وداي الجزائر على تقديم الترضية عن الاهانات التي ألحقت بالسفن الأمريكية ؛ كما ارغم سلطان مراكش على تجديد المعاهدة التي كانت قد عقدت مع والده في سنة ١٧٨٦ . وتصريحه بأن صداقته مع امريكا ستظل دائمة الى الأبد [١] .

لقد اصبح اسر فيلادلفيا حديث الساعة عند الناس في اي مكان ، وبينما كان بربل متجهاً نحو طرابلس تقابل مع سفينة انكليزية فأعلمته بحادث فيلادلفيا ، فصمم على الانتقام لشرفه ، حيث كان القائد الأعلى لهذه الحملة . ولكن حينما ظهر له استحالة انقاذ هذه السفينة من الأسر قرر العمل على اشعال النيران فيها حتى لا يستفيد بها الباشا فيزداد خطره .

وأسندت هذه المهمة الى الملازمين استيفانو ديكاتور S. Decatur واستوارت Stewart على ان يقوم الأول بمهمة اشعال النار بينما يقوم الثاني بحراسته ومساعدته ضد الأعداء اذا لزم الأمر .

وكانت السفينة الشراعية التي بقيادة ديكاتور تسمى Interpred وكانت تابعة لاسطول الباشا منذ ان اهدتها اليه البحرية الانكليزية بعد أسرها من البحرية الفرنسية اثناء النزاع الانكليزي الفرنسي في مصر ، ثم استولت عليها البحرية الأمريكية في احدى رحلاتها البحرية [٢] .

---

١ مصطفى بعيو : « دراسات في التاريخ الليبي » ص ١٥١ .

٢ P. Costanzo Bergna: «Tripoli Dal 1510 Al 1850» p. 274-75

غادرت السفينة Interpred ميناء سيراكوز في اليوم الثالث من فبراير سنة ١٨٠٤ . وكان يقوم بمهمة ارشادهـا المرشد كتالانو « Catalano » وبمهارة هذا المرشد وجرأة قائدها وصلت Interpred الى فيلادلفيا وتمكن ديكاتور وصحبه من اشعال النار فيها على غفلة من حراسها النيام ، كما استطاع ديكاتور الانسحاب تحت جنح الظلام فلم يفق حراس الباشا إلا على أصوات الانفجارات ولهيب النيران .

كان هذا الحادث لا يقل أهمية عن حادث أسر السفينة نفسها ، ففي الوقت الذي خيم فيه الحزن على الباشا نتيجة لفقده لهذه السفينة من ناحية ولنجاح أمريكا من تحديه من ناحيـــة أخرى . وقام الكونجرس الامريكي فمنح ديكاتور سيف الشرف ورتبة ملازم أول ، كما منح كتالانو رتبـة مرشد فرقة تقديراً واعترافاً منـــه بشجاعتها ونجاحها في اداء مهمتها ، تلك المهمة التي عبر عنها « نلسن » بأنها أشجع وأجرأ عمل في العصر [١] . كما استبشرت الدول الاوروبية خيراً ورأت أنه من الممكن تحدي يوسف باشا واجباره على قبول شروطها .

وقد دفع هذا الاعتقاد الحكومة الامريكية أيضاً فأرسلت بربل مرة ثانية الى طرابلس لمحاولة حمل الباشا على عقد الصلح .

وفي يوم ٢٩ يوليو سنة ١٨٠٤ وصلت الحملة الى ميناء طرابلس ، وبدأ بربل في حصار المدينة وأرسل الى البـــاشا يعرض عليه التفاوض وينذره في حالة عدم موافقته بأنه سوف يضرب المدينة بالقنـابل ، غير أن الباشا لم يهتم بهذا الانذار فأخذ بربل في ضرب المدينة بدون رحمـــة أو توقف واستمر هذا الضرب لعدة ساعات ، ولكن البـاشا لم يستجب لطلب بربل ، بل زاده دوي القنـــابل تصميماً على المقاومة وقد أبلت مدافع القلعة والسواحل بلاءً حسناً ، حتى أن بربل عاود هجومه للمرة

---

١ مصطفى بعيو : « دراسات في التاريخ اللوبي » ص ١٥٧ .

الخامسة بدون أن يصل الى أي نتيجة بل كان بين كل غارة وأخرى يرسل الى الباشا طالباً منه التفاوض حتى على اطلاق الاسرى فقط وعرض ثمانين الف قرش في مقابل ذلك ، ثم رفع هذا المبلغ الى مائة الف بواسطة بوسييه القنصل الفرنسي في طرابلس .

رفض الباشا هذه العروض املاً منه في الحصول على مبالغ اكثر لثقته في فشل بربل في حمله على الصلح بالقوة ، ذلك الفشل الذي اصبح واضحاً من كثرة إلحاحه على المفاوضة وتوالي عروضه .

وفي يوم ٣ ابريل ارسل « بربل » رسالة الى بوسييه يرجوه فيها التدخل لدى الباشا لاقناعه بتبادل الأسرى ولكن الباشا كان قد مل كثرة المفاوضات التي لا فائدة من ورائها واعلم بوسييه انه على استعداد لقبول تبادل الأسرى وعقد الصلح مقابل دفع اربعمائة الف قرش بخلاف الهدايا والهبات المعتادة له ولضباطه [١] . فلم يوافق بربل على هذا الطلب واستمر في قذف المدينة بالقنابل ، ولما يئس من حمل الباشا على الصلح قرر الرجوع من حيث أتى .

وكانت نتيجة هذا الفشل قبول الحكومة الأمريكية لمشروع قنصلها السابق في تونس المستر وليم ايتون W. Eaton الخاص باثارة أحمد شقيق يوسف باشا ضد اخيه ، بعد ان كانت قد رفضت هذا المشروع معتمدة على قوة اسطولها .

ومن المعروف ان يوسف باشا حينما استولى على السلطة من اخيه احمد التجأ هذا الأخير إلى مصراتة خوفاً من بطش أخيه به ، ولكن يوسف لكي يتخلص من مشاكله استجاب لنصيحة بعض أصدقائه فعينه بيكاً على بنغازي ودرنة [٢] ، فتظاهر أحمد بقبوله لهذا المنصب ولكنه بدلاً من

١ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ١٦٠

٢ Charles Feraux «Annales Tripolitaines» p. 305

الذهاب الى بنغازي اتجه الى مالطة وبعد ان قضى فيها حوالى ثلاثة شهور اتجه الى تونس .

وفي أثنـــاء وجوده في تونس دارت محادثات بينه وبين « ايتون » القنصل الامريكي هناك حول امكان مساعدته في الرجوع الى عرش بلاده فوافق أحمد على ذلك . وكخطوة أولى في تنفيذ هذا الاتفاق طلب ايتون من باي تونس ان يتوسط لدى يوسف باشا بارجاع أحمد الى منصبــه الجديد في بنغازي وفعلاً وافق يوسف على هذا الطلب وعينه بيكاً عـلى درنة وكان ذلك سنة ١٨٠٢ .

ويقول ميكاكي في هذا الصدد ما يأتي [١] :

« ... لهذا الغرض قبل (أي أحمد) مغادرة تونس بعد أن انفق مع ايتون Eaton قنصل الولايات المتحدة في المدينة على مساعدته ، وبدلاً من أن يتوجه مباشرة الى برقـــة نزل في مالطة حيث دارت بينـــه وبين قواد الاساطيل السويديـــة مفاوضات سرية أدت هي والمسلك الذي سلكه أحمد بعـــد وصوله الى مقره الجديد الى اشتباه البـــاشا في أمره ، فلم يوافق على سفر اسرته وابحارها الى درنة ، لأنـه كان يريد ان يأخذ من أخيه تعهداً بالاخلاص له . ومما أكـــد شكه في أخيه وقوع خطاب بين يديه كتبه أحمـــد الى القائد موريس يذكره فيه بوعده له بقرض تبلغ قيمته أربعـــين ألف قرش وستة مدافع [٢] .

---

١ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ١٥٦ ، نقلا عن خطاب القنصل بوسييه المؤرخ في ٢٠ فيندميال السنة الحادية عشرة الموافق ١١ اكتوبر سنة ١٨٠٢ .

٢ يؤكد لنا هذا النص بأن معرفة « ايتون » لاحمد واتفاقه معه على العمل ضد يوسف باشا كان قبل مجيء ايتون الى طرابلس وليس بعدها ، كما قال بذلك الاستاذ مصطفى بعيو في كتابه « دراسات في التاريخ اللوبي » ص ١٥١ ، ١٥٢ .

وعندما اكتشف يوسف هذه المؤامرة قرر ارسال حملة لمحاربة أحمد ولكن هذا الأخير بادر بالهرب الى مصر بعد أن اساء سيرته بين أهالي المدينة .

وحينما وصلت انباء فشل بربل في حصاره الأخير لمدينة طرابلس الى ايتون الذي كان قد نقل من تونس الى مصر ، عاودته فكرة مشروعه الأول بعد أن سمع عن وجود أحمد لدى محمد بك الالفي أحد زعماء المماليك في الوجه القبلي .

فأخذ ايتون يلح على حكومته في قبول هذا المشروع ، ولما لم يكن أمام الحكومة الامريكية من وسيلة لقهر يوسف باشا أرسلت الى ايتون بموافقتها على ان يعمل على بحث هذا الموضوع من جديد مع أحمد .

وبناء على هذه الأوامر أرسل ايتون رسالة الى أحمد يحثه فيها على ضرورة الاجتماع به ، كما أرسل اليه خطاب أمان موقعاً من خورشيد باشا والي مصر .

وبالرغم من إلحاح محمد بك الالفي على أحمد بعدم الذهاب واهمال هذا المشروع إلا أن أحمد لم يتردد في الاجتماع بايتون واتفق معه على خطة العمل ضد أخيه يوسف باشا .

وتتلخص هذه الخطة في ان يقوم أحمد وايتون بما معهما من قوة بالهجوم على درنة من ناحية البر بينما تقوم ثلاث قطع من الأسطول الأمريكي بالهجوم على درنة من ناحية البحر . وبعد احتلال درنة يستمر أحمد بما معه من قوة في الزحف نحو طرابلس ، بينما تنضم قطع الأسطول الأمريكي التي قامت بالهجوم البحري على درنة الى الأسطول الأمريكي الموجود بمالطة بقيادة « ليبر » ، ثم تقوم جميع قطع الأسطول بالهجوم بحراً على مدينة طرابلس ، وبعد الاستيلاء على مدينة طرابلس يسلم حكم المدينة إلى أحمد نظير دفعه لمصاريف الحملة .

وفي ٨ مارس سنة ١٨٠٥ تحركت الحملة البرية بقيادة « ايتون » وكانت هذه الحملة تضم بجانب أحمد القرمانلي ما يقرب من خمسمائة من الوطنيين الذين كانوا قد تركوا برقة وذهبوا إلى مصر لأسباب سبق ذكرها ، بالاضافة إلى ثمانين اوروبياً من مختلف الجنسيات .

وعندما وصلت أنباء هذه الحملة الى أهالي درنة قرروا ضرورة التعاون مع البك الذي خلف أحمد في حكم المدينة للدفاع عن مدينتهم ، وذلك لما يحملونه من كراهية لأحمد القرمانلي لما ارتكبه من أعمال وحشية أثناء فترة حكمه القصيرة ولتحالفه مع « الكفار » .

غير أن القوة لم تكن متكافئة فقد تمكن « ايتون » من احتلال المدينة بعد معركة عنيفة وقع على اثرها « ايتون » جريحاً . ولولا تفرق جهد الاهالي في الدفاع عن المدينة من ناحية البحر والبر لما تمكن « ايتون » من احتلالها .

دخل أحمد القرمانلي مدينة درنة وأعلن نفسه باشا على الشق الشرقي وطلب من الأهالي الاعتراف به [1] فمنهم من استجاب لطلبه ومنهم من انضم الى القوة التي أرسلها يوسف باشا وصمموا على استمرار القتال .

أما « ليبر » قائد الاسطول الامريكي الذي كان بمالطة فانه بعد أن وصلته أنباء انتصار « ايتون » رأى ان الفرصة قد سنحت بالذهاب الى طرابلس واجبار الباشا على عقد الصلح . وفي ٢٧ مايو سنة ١٨٠٥ وصل الاسطول الامريكي بقيادة « ليبر » الى ميناء طرابلس غير انه لم يقم بضرب المدينة بالقنابل بل اكتفى بحصارها .

وازاء هذا الحصار رأى يوسف باشا أنه من الأفضل له أن يتفاوض مع الحكومة الامريكية لكي يتفرغ لاخماد الثورة الداخلية التي اشعل أحمد نارها في برقة ، وبفضل تدخل داي الجزائر والقنصل الانجليزي ، عقد

---

١ P. Costanzo Bergna : «Tripoli Dal 1510 Al 1850» p. 258

يوسف باشا معاهدة صلح مع الحكومة الامريكية في ٤ يونيو سنة ١٨٠٥، وتتكون هذه المعاهدة من عشرين مادة،وقد جاء في المواد الثلاث الأولى ما يأتي [١] :

المادة الأولى : يتمتع الرعايا الأمريكيون بالأفضلية على رعايا الدول التي تربطها بحكومة طرابلس علاقات ودية ، واذا منحت احدى الدولتين المتعاقدتين امتيازات أو تسهيلات لدولة أخرى فيجب أن يشمل ذلك الطرف الآخر في هذه المعاهدة الا اذا كان ذلك يؤدي الى ضرر .

المادة الثانية : الأمريكيون الذين أسرهم الطرابلسيون أثناء الحرب والبالغ عددهم ثلاثمائة ، والأسرى الطرابلسيون الذين أسرهم الأمريكيون والبالغ عددهم مائة يتم تبادلهم وتدفع حكومة الولايات المتحدة ستين الف فرنك تعويضاً لحكومة طرابلس مقابل اطلاق سراح المائتي أسير امريكي الزائدين عن نصاب المبادلة .

المادة الثالثة : تجلو في الحال جميع القوات البحرية الأمريكية الموجودة في طرابلس ودرنة وغيرها من الأقاليم وتتعهد الجمهورية المذكورة بألا تتعاون بطريق مباشر أو غير مباشر مع سكان طرابلس أو الأجانب عند قيامهم بحركات

---

١ ترجمة وثيقة باللغة التركية تشمل نصوص المعاهدة التي وقعها يوسف باشا مع الحكومة الامريكية بتاريخ ٤ يونيو سنة ١٨٠٥ ، ويوجد اصلها بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب ٠ وقد ترجمها الى اللغة العربية الحاج محمد الاسطى ـ ملحق الكتاب وثيقة رقم ١٢ ٠

وهذه المعاهدة منشورة ايضا في ذيل كتاب ميكاكي « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » من ص ٤٤ الى ص ٤٨ ـ جمع كمال الدين الخربوطلي ٠

معادية ضد حكومة طرابلس أو ضد الباشا ما دامت هذه المعاهدة سارية المفعول، وتساعد الجمهورية المذكورة في اخضاع ثورة أخيه أحمـد بك بقضاء درنة واذا وفقت في اخراجه من درنة تتعهد بايصاله وتسليمه الى اسرته بطرابلس .

وبالاطلاع على بقية نصوص هذه المعاهدة ودراستها تتضح لنا بعض الحقائق على جانب كبير من الأهمية ، يمكن تلخيصها فيما يلي :

١ – ان المعارك السابقـة التي دارت رحاها بـين الباشا والقوات الأمريكية كان النصر فيها دائماً للباشا ويتضح ذلك من عـدد الأسرى بين الطرفين .

٢ – ان الذي وضع مواد هذه الاتفاقية هي الحكومـة الأمريكية ، وان يوسف لم يكن عليه الا التصديق عليها فقط ، حيث ان أغلب مواد هذه الاتفاقية أو المعاهدة كانت في صالح الحكومة الأمريكية .

٣ – ان الحكومة الأمريكية في المادة الثالثة من هذه المعاهدة حاولت ايهام يوسف باشا بأن ثورة أحمد بك لم يكن لها فيها أي دخل كما انها في نفس الوقت أرادت أن تهدده بمساعدتها لأي حركة معادية للباشا ولحكمه اذا ما أقدم الباشا على نقض هذه المعاهدة لأي سبب من الأسباب .

٤ – يظهر من هذه المعاهدة أن يوسف باشا تنازل عن جميع مطالبه السابقة في نظير طرد أحمد بك وخروج الجيوش الأمريكية من بلاده ، اذ جاءت هذه المعاهدة خالية من أي نوع من أنواع التعويض الذي كان يجب على الحكومة الأمريكية دفعـه للباشا

نظير الخسائر التي تكبدتها المدينة نتيجة لضربها بالقنابل ، كما أن هذه المعاهدة جاءت خالية من ذكـــر أي اتاوة أو هدايا تقدمها الحكومة الأمريكية للباشا .

وبهذه المعاهـــدة انتهى ذلك الصراع المرير الذي استمر مدة طويلة بين يوسف باشا والحكومة الامريكية ، وغادر أحمد بك برقـــة بعد أن تخلت عنه امريكا ، وأصدر الباشا عفواً شاملاً عن جميع الذين أغراهم أحمد بنجاح مغامرته فانضموا اليه ، وان كان عاد فأجبرهم عـــلى دفع جزية اضافية ليعوض بها ما لم يستطع الحصول عليه من امريكا .

أما عن النتائج العامة التي ترتبت على نجاح هذه الحملة فيمكن اجمالها على النحو الآتي :

لقد كان هذا الصراع البحري الذي استمر مدة طويلة بين يوسف باشا والحكومة الامريكية ، هـــو العامل الأساسي في تكوين الاسطول الامريكي ، كما أدى هـــذا النجاح الذي حققته هذه الحملة الى زيادة اهتمام الحكومة الامريكية باسطولها والعمل على تطويره وتدعيمـــه ، حتى أصبح هذا الاسطول يحتل مكانة كبيرة بين أساطيل الدول المختلفة .

كما كان لهذا النجاح الذي حققته هذه الحملة ضد يوسف باشا أكبر الأثر في رفع الروح المعنوية لدى دول أوروبا ، فصممت على تجريب حقها في التحدي لارادة يوسف باشا بصفة خاصة ولارادة حكام الشمال الافريقي بصفة عامة .

وأخيراً كان هذا النجاح عاملاً أساسياً في تدهور الاسطول الطرابلسي وبالتالي تدهور الحالة الاقتصادية مما أدى الى سقوط حكم الأسرة القرمانلية كما سيتضح ذلك في الفصول القادمة من هذا البحث .

علاقات طرابلس ببقية الدول الأوروبية

لقد سلك يوسف باشا في سياسته الخارجية مع معظم الدول الأوروبية نفس الأسلوب الذي عامل به الحكومة الأمريكية قبل انتصارها الأخير .

ففي سنة ١٧٩٦ ، طلب من الدانمارك رفع الاتاوة السنوية نظير سلامة سفنها من اعتداء الأسطول الطرابلسي عليها وحاول القنصل الدانماركي الوصول الى تسوية سلمية مع الباشا غير انه فشل في تحقيق ذلك ، كما ان وساطة السلطان لم تغير من اصرار يوسف على طلباته السابقة .

وحاولت الدانمارك تخفيض طلبات الباشا عن طريق التهديد الغير المباشر فأرسلت سفينة حربية بقيادة فيشر « Fisher » الى ميناء طرابلس ، وحاول فيشر الوصول الى عقد صلح مع الباشا يضمن دوام الصداقة بين البلدين ، ولكن تمسك يوسف بمطالبه الباهظة أدى إلى فشل المفاوضات وانزال العلم الدانماركي احتجاجاً على تمسك الباشا بهذه المطالب .

وفي مايو سنة ١٧٩٧ أرسلت الدانمارك ثلاث قطع بحرية الى طرابلس لحمل الباشا على عقد الصلح مع الدانمارك ، غير ان اعتداد الباشا بقوة اسطوله جعلته لا يهتم بهذا التهديد ، بل أصدر أوامره إلى بعض القطع من أسطوله بالخروج إلى هذه السفن على أمل الظفر باحداها ، وما أن تقابلت سفن الباشا مع السفن الدانماركية حتى اشتبكت في معركة دامية استمرت إلى غروب الشمس ونتيجة لشدة الظلام اضطرت السفن الدانماركية إلى الانسحاب ، كما رجعت سفن الباشا إلى الميناء .

وقد جاء في رسالة أرسلها نائب قنصل البندقية في طرابلس

« Giuseppe Pezzi » الى المسؤولين بحكومة البندقية قوله [1] :

« ... وكانت هذه المعركة قاضية لو لم يمزقها ظلام الليل ، وكانت الخسائر من الجـانب الطرابلسي كثيراً من الموتى والجرحى وخسائر بالسفن ؛ والفرقة المعاديـة كادت تسبب أكثر من الخسائر لو اصطحبت معها قوة مناسبة ، حيث ان البريك والمركب صغيرتين ، بينما كان الطرابلسيون من جهتهم في امكانهم الحصول على بعض الأعداء ، لو نظمت قيادتهم ودارت المعركة على أحسن حال » .

وقد كانت نتيجة هذه المعركة مشجعة للدانماركين على معاودة هجومهم في اليوم الثاني ولكن الباشا أصدر أوامر مشددة الى رؤساء اسطوله بضرورة تلقين هذه السفن درساً لا ينسى ، ووعدهم بالمكافأة في حـالة النجاح وبالعقاب الشديد في حالة الفشل ، كما أجبر نائب قنصل البندقيـة عـلى بيـع السفينة التابعة للقائد باني « Pani » الذي سبق وان عرضها للبيع في ميناء الاسكندرية لكي يستطيع بها تقوية اسطوله اذا ما حدث لسفنه الحالية أي ضرر [2] .

وخرج أسطول الباشا لتنفيذ أوامره غير أن المعركة لم تستمـر حيث استطاع قائد احدى السفن الفرنسية أن يتوسط في عقد الصلح . ونظراً لمكانة فرنسا لدى الباشا ولخوفه من أن تنحـاز هذه السفينة إلى جانب الدانمارك فقد وافق على عقد الصلح وتم الاتفاق بين الحكومة الدانماركية

---

١ رسالة نائب قنصل البندقية Giuseppe Pezzi الى المسئولين بحكومة البندقية بتاريخ ٢٦ مايو سنة ١٧٩٧ ـ انظر ملحق الرسالة وثيقة رقم (٣) .

٢ تفاصيل ما حدث في شأن هذه السفينة ذكرها نائب القنصل البندقي في رسالته السابقة، كما سأتعرض لذكر بعض التفاصيل عنها عند الحديث عن علاقة الباشا بالبندقية .

والباشا سنة ١٧٩٧ على ما يأتي [١] :

١ – تدفع حكومة الدانمارك مبلغاً قدره ٧٠ الف قرش في الحال حتى يصدق الباشا على الصلح و ٣ آلاف أخرى إلى الوزراء [٢] .

٢ – ترسل ولاية طرابلس وفداً كل أربع سنوات إلى الدانمارك لاستلام هدية قيّمة للباشا ، وتحرير رئيسين موجودين تحت الرق بمالطة . هذا بالاضافة الى هدية القنصلية لتوزع من طرف القنصل الجديد كما كان يستعمل عادة .

وبذلك رفع العلم الدانماركي من جديد . ورجعت العلاقة بين البلدين على نحو ما كانت عليه في أول الأمر . ولكن حينما شعر يوسف بميل الدانمارك إلى المماطلة في تنفيذ هذا الاتفاق ؛ أصدر أوامره الى اسطوله بالاعتداء على السفن الدانماركية ، وقد استطاع هذا الأسطول في سنة ١٧٩٩ أسر ثلاث سفن دانماركية ، ولم تفد وساطة محمد الدغيس في ارجاع هذه السفن ، فالتجأت الدانمارك إلى السلطان مرة أخرى طالبة منه التدخل لاطلاق سراح هذه السفن وكما سبق القول فإن القنصل الدانماركي حينما قدم أمر السلطان إلى الباشا باطلاق سراح هذه السفن سمعه يقول [٣] :

---

١ رسالة نائب القنصل البندقي في طرابلس الى المسئولين بحكومة البندقية بخصوص نتائج المعركة التي وقعت بين الدانمارك والباشا بتاريخ ٢٦ مايو ١٧٩٧ . وقد اورد نص هذه الرسالة المؤرخ الايطالي جورجيو كابرفين في كتابه Tripoli E Venezia Nel Secalo XVIIIe ص ٤٥٠ و ٤٥١ – انظر ملحق الرسالة وثيقة رقم ١٤ .

٢ يرى ميكاكي في كتابه « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ١٣٧ ، ان المبلغ الذي اتفق عليه مع الدانمارك هو ٧٥٠٠٠ قرش تدفع حالا و ٧٠٠٠ كل ثلاث سنوات .

٣ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ١٤٧ .

« انكم تعتقدون ان الفرمان شيء كبير ، ولكن يجب ان تعرفوا أنه من الممكن الحصول على فرمانات مقابل أربعين قرشاً شرقياً ، وان هذه الفرمانات ليست هنا سوى قصاصات من الورق » .

ولم يطلق سراح هذه السفن إلا بعد أن تدخل القنصل الفرنسي من جديد وتعهدت حكومة الدانمارك بالوفاء بالتزاماتها الأولى .

وهكذا سارت العلاقات بين يوسف باشا وحكومة الدانمارك لا تستقر على حال معين ، ولكن كانت مجهودات القناصل كفيلة لازالة أسباب أي خلاف بدون الالتجاء الى الأعمال الحربية .

أما عن علاقة يوسف باشا بالسويد ، فاننا نجده في سنة ١٧٩٨ يطلب من القنصل السويدي دفع مائة الف فرنك مقدماً وثمانية آلاف كل سنة ، واعلمه انه في حالة عدم الاستجابة الى طلبه ، فانه سوف يأمر بانزال علم بلاده . ولما رأى الباشا ان حكومة السويد تماطل في اجابة طلبه أصدر أمره الى اسطوله بالاستيلاء على أية سفينة سويدية تقابله . ولم تمض مدة طويلة حتى تمكن هذا الاسطول من أسر سبع سفن سويدية وجيء بها الى ميناء طرابلس .

ولما كانت علاقة نابليون بونابرت قوية في ذلك الوقت بيوسف باشا ، رأت حكومة السويد الالتجاء الى نابليون بونابرت في مصر لعله يستطيع التوسط لدى الباشا في عقد صلح دائم معها . واستطاع رسول نابليون أن يقنع الباشا بعقد صلح مع السويد ، على أن تكون السفن السبع ملكاً للباشا وفي مقابل ذلك يطلق سراح المائة والعشرين بحاراً الذين كانوا أسرى لديه ، وان تدفع حكومة السويد مبلغاً قدره ثمانية آلاف فرنك

كل سنة وان يدفع لمرة واحدة مبلغاً قدره ثمانون ألف فرنك [1] .

وبهذه الشروط التي أوردها واتفق على نصها كل من النائب وعزيز سامح [2] ، وافق يوسف باشا على الصلح ، وان أتى ذكر ميكاكي لهذا الصلح خالياً من الحديث عن هذه السفن وعن الاسرى ، كما انه ذكر لنا مبالغ تختلف عن المبالغ التي سبق ذكرها فهو مثلاً يقول [3] :

« وفي شهر يونيه ١٧٩٨ تم مع ذلك الوصول الى اتفاق حصل الباشا بمقتضاه على مبلغ ٧٧٠٠٠ قرش دفعة واحدة ، على ان يدفع له ١٥٠٠٠ قرش كل ثلاث سنوات فضلاً عن سفينة محملة بالذخائر الحربية وهدايا ثمينة من المجوهرات وأقمشة وساعات ... الخ » .

ولكن بالرغم من هذا الاختلاف ، فإن قرب عصر النائب وعزيز سامح من هذه الأحداث يجعلني ارجح صحة رواية ميكاكي وخاصة انه لا يستند فيها على أية وثيقة تقطع الشك باليقين .

ومهما تكن شروط هذا الصلح فإن العلاقة الحسنة لم تستمر طويلاً بين يوسف باشا وحكومة السويد اذ نجد انه في سنة ١٨٠٢ ، تعود المشاكل بينهما من جديد نظراً لعدم اقتناع يوسف باشا بثمار هذا الصلح وبرغبته في الكسب الكثير ، فأصدر أمره الى رؤساء سفنه بالاعتداء على السفن السويدية ، وينفذ بحارته هذا الأمر بنشاطهم المعروف فيزداد عدد الأسرى السويديين في سجون الباشا ، ونتيجة لهذا الاعتداء الجديد التجأت حكومة

---

١ احمد النائب : «المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ص ١٣٠ ،
Aziz Samih: Simali Afrikada Turkler (236-38)

٢ احمد النائب : « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ص ٣٢٩ ، وعزيز سامح Simali Afrikada Turkhler ص ٢٣٦ و ٢٣٧ .

٣ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ١٢٧ .

السويد مرة ثانية الى القنصل الأول نابليون بونابرت طالبة منه التدخل لدى هذا الباشا الذي لا عهد له .

وفي ٣٠ سبتمبر سنة ١٨٠٢ وصل مندوب نابليون بونابرت وهو سباستياني « Sebastiani » في اسطول بحري الى ميناء طرابلس، واستطاع الاتفاق مع الباشا على عقد صلح جديد مع حكومة السويد تدفع بمقتضاه مائة وخمسين الف قرش كدفعة أولى وثمانية آلاف قرش كل عام على أن يطلق سراح الثلاثة ضباط ، أما بقية الأسرى فيبقون كرهائن حتى دفع هذا المبلغ المتفق عليه [1] .

وقد حقق هذا الصلح نوعاً من الاستقرار في العلاقات السياسية بين يوسف باشا وحكومة السويد، وشغل يوسف باشا بأحداث النزاع الأمريكي الذي استمر الى سنة ١٨٠٥ .

ولكن ما ان شعر يوسف باشا بقوته من جديد بعد تسوية النزاع مع الولايات المتحدة الامريكية حتى أخذ يواصل نشاطه الأول ، وكأن عدم توفيقه في هذه التسوية قد زاده قوة وتصميماً على الانتقام من الدول الصغرى ، فنجده ينتهز فرصة تأخر حكومة السويد في تسديد ما عليها من التزامات ، فألغى المعاهدة التي بينه وبين الحكومة السويدية ، وطلب لتجديدها دفع سمائة ألف فرنك مقدماً مع ابقاء الثمانية آلاف الأولى كما هي ، وهدد في حالة رفض الحكومة السويدية لهذا الطلب بأنه سوف يشن عليها حرباً لا صلح بعدها .

وازاء هذا التهديد رأت حكومة السويد من الأفضل لها البحث عن وسيط آخر يكون أكثر تأثيراً على الباشا من نابليون بونابرت الذي لم يعد الباشا ينظر اليه بنفس النظرة الأولى أيام قوته وانتصاراته الباهرة .

وعلى ذلك نجد أن الحكومة السويدية تطلب وساطة انجلترا وقد استطاع

---

[1] ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ١٥٦ .

القنصل الانجليزي ومندوب الحكومة السويدية الذي وصل في هذه الأثناء محملاً بالهدايا الى الباشا ، استطاع الاثنان معاً التأثير على يوسف باشا بعقد معاهدة جديدة تدفع بمقتضاها حكومة السويد مبلغ سبعة وسبعين ألف فرنك بدلاً من السمائة ألف وابقاء الثمانية آلاف كما هي ، كما عزل القنصل السويدي بناء على طلب يوسف [1] ، ثم أرسل يوسف باشا رسالة الى ملك السويد عبر فيها عن المحبة التي يكنها له ولحكومته ويشكره على الهدايا القيمة التي أرسلها اليه مع مندوبه ، كما عبر فيها عن اعجابه بهذا المندوب وعن ارتياحه لعزل القنصل السابق ولتعيين « اندريا كوستا» خلفاً له [2] .

---

١ ملاحظة : يذكر لنا احمد النائب في كتابه « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » صفحة ٣٥٥ ، بان المبلغ الذي اتفق عليه يوسف مع مندوب ملك السويد هو ٧٥ الف فرنك كما قال عزيز سامح . غير انه بالرجوع الى رسالة يوسف التي ارسلها الى ملك السويد والتي نشرها كمال الدين الخربوطلي في الملحق المذيل به كتاب ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » وثيقة رقم ٩ صفحة ٣٧ والتي سوف انشر نصها في ملحق هذا الكتاب تحت وثيقة رقم ١٥ ، نجد ان يوسف باشا ذكر فيها نفس المبلغ الذي ذكره عزيز سامح وهو ٧٧ الف فرنك . وبذلك يكون المبلغ الذي ذكره احمد النائب غير صحيح .

٢ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ملحق الكتاب ص ٣٧ ، وثيقة رقم ٩ جمع كمال الدين الخربوطلي ، انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ١٥ .
ملاحظة : اولا ـ اعتقد ان تاريخ رسالة يوسف باشا الى ملك السويد هو ٢ رجب سنة ١٢٢٧ وليس ٢ رجب سنة ١٢٢٣ كما نقلها كمال الدين الخربوطلي في الوثيقة رقم ٩ سالفة الذكر . وذلك لان احمد النائب يذكر لنا في كتابه « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » صفحة ٢٣٥ ، بانه في سنة ١٢٢٧ هـ وصلت الى يوسف باشا هدايا من ملك السويد ، وعقدت بينهما معاهدة وعزل القنصل السويدي بطرابلس . كما نجد ان عزيز سامح يؤكد لنا قول احمد النائب ، حيث يذكر لنا في كتابه Simali Afrikada Turkler صفحة ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، بان وصول مندوب ملك السويد الى طرابلس ، وعقد المعاهدة بين يوسف باشا وحكومة السويد ، وعزل القنصل السويدي السابق الذي تم بناء على طلب يوسف وتعيين القنصل الجديد ، كل ذلك حدث في سنة ١٢٢٧ .

←

ومما قاله يوسف باشا في وصف القنصل السويدي السابق ما يأتي :

« ان قنصلكم الموجود في طرابلس هو شيخ أقرب الى الشر منه الى الخير ، فقد طلبت من مندوبكم التحقيق في أمره لأنه كان سبباً في تعكير محبتنا وفساد علاقتنا فصار عزله من طرف وكيلكم واقامة مكانه أندريا كوستا، وهو رجل عاقل وعارف أصول البلاد فنطلب منكم اعتماده والسلام » .

واستجاب ملك السويد لطلب يوسف باشا ، فاعتمد «أندريا كوستا» قنصلاً لدى حكومة ايالة طرابلس الغرب ، واستمرت العلاقات مدة طويلة يسودها جو من التفاهم بين البلدين .

وتمشياً مع هذه السياسة فقد طلب يوسف باشا من القنصل البندقي زيادة الاتاوة السنوية التي كانت تدفعها جمهورية البندقية لوالده . فطلب القنصل البندقي مهلة للاتصال بحكومته للتشاور معها في شأن هذه الزيادة ووافق الباشا على طلبه .

وفي يونيو ١٧٩٥ أرسلت جمهورية البندقية الكولونيل الشفاليه تومازو جوندولمر « Gavaliere Tommos Gondulmer » الى طرابلس من أجل التفاوض مع الباشا وقد تمكن جوندلمر من الوصول إلى اتفاق مع الباشا تدفع بمقتضاه حكومة البندقية إلى الباشا ثلاثة آلاف وخمسة ريالات بندقية (Séquin) سنوياً [١] .

←

ثانيا ـ لقد جاء في السطر الرابع من رسالة يوسف باشا الى ملك السويد اثناء مدحه لهذا الملك ما ياتي :

« ورئيس الطريقة المسيحية والامة العيساوية وافضل من اتبع الانجيل في عصره » ٠ والصواب هو « الامة النمساوية بدلا من الامة العيساوية » وللاسف لم ينبه الى هذا الخطا في القسم الذي خصص في اخر الكتاب لتصحيح بعض الاخطاء المطبعية ٠

١ وصل استلام موقع من يوسف باشا ، وقد نشر صورة هذا النص باللغة التي كتب بها وهي اللغة التركية ، جورج كابوفين في كتابه Tripoli E Venezia el Secalo XVIIIe صفحة ٥٩٠ ، وقد ترجمه لي من التركية الحاج محمد الاسطى ٠ انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ١٦ ٠

كما استطاع جوندلير اقناع الباشا باضافة ثلاث مواد على معاهدة الصلح التي كانت بين علي باشا القرمانلي وجمهورية البندقية . وهذه المواد الجديدة يمكن تلخيصها فيما يلي [١] :

نصت المادة الأولى على أن تتمتع دولة البندقية وسفنها بالامتيازات التي تتمتع بها الدول الكبرى ، وكذلك يتمتع رعاياها بكافة الامتيازات والتسهيلات الجمركية التي يتمتع بها رعايا الدول الأخرى سواء أكان ذلك في الحاضر أم في المستقبل .

كما حددت هذه المادة مدة ثلاثة أيام تعطى للشخص سواء أكان من رعايا البندقية أو البنادقة أنفسهم ، إذا ما أراد هذا الشخص ان يعتنق الدين الاسلامي ، على أن يحجز طوال هذه المدة بقنصلية البندقية [٢] .

أما المادة الثانية ، فقد نصت على ان أي شخص سواء أكان من رقيق المسيحيين أو من الذين ينتمون الى البندقية ، يلتجىء الى ظهر أي سفينة حربية من سفن البندقية ، فانه يعتبر حراً ولا يحق لاحد ملاحقته.

كما نصت المادة الثالثة ، على عدم اعتداء بحارة الباشا على أية سفينة بندقية أو أي سفينة تحمل اذن سفر من الممثل العام أو من أحد وكلائه أو نوابه من البندقيين والتي تستعمل خطوط المواصلات بين الخليج وشريقو ، وكذلك عدم اعتدائهم على أية سفينة داخل موانىء البندقية ، وفي حالة الاعتداء فان الباشا لا بد ان يوقع على المعتدين أشد العقوبات .

كما نصت هذه المادة على أنه في حالة رفض قنصل البندقية اعطاء جواز سفر لأي شخص من الرياس الذين لهم سوابق في الاعتداء فلا يحق للباشا ان يجبره على تغيير رأيه .

---

١ وثيقة الصلح المبرمة بين يوسف باشا وجوندولير بتاريخ ٦ يونيو ١٧٩٥ . وقد نقل نص هذه الوثيقة جورج كابوفين في كتابه السابق صفحة ٥٨٧ ، ٥٨٨ . وتوجد هذه الوثيقة بملحق الكتاب تحت وثيقة رقم ١٧ .

٢ المقصود من هذه المدة هو ان يحاول القنصل حمله على تغيير رأيه .

وبالرغم من ان هذه المواد في غير صالح الباشا ، لأن المادة الثانية منها قد أعطت الفرصة لأي شخص من الرقيق في أن يتخلص من حياة الرق وينال حريته ولا يتطلب منه ذلك سوى الهروب الى إحدى سفن البنادقة التي كثيراً ما كانت تأتي الى ميناء طرابلس ، وهـذا يقلل من مصادر دخله حيث كان الاسرى يباعون كالرقيق في الأسواق .

أما المادة الثالثة فإنها قد حددت مجال نشاط سفن الباشا وهذا يقلل من مصدر دخل الايالة ، حيث كان البحر هو المصدر الرئيسي للدخل في ذلك الوقت .

غير أنه بالرغم من هذه الملاحظات فإن يوسف باشا قد قبل اضافة هذه المواد الثلاث إلى المعاهدة السابقة ، ووقع عليها . وذلك لأنه أولاً في حاجة إلى المال ، وثانياً لنيته المعتادة ازاء هذه الدول . فهو يعمـل على استغلال هذه الدول إلى أقصى حد مستطاع وعلى ذلك فهو ينظـر إلى هذه المساعدات على أساس انها حبر على ورق ، فإذا ما وجد ان من مصلحته انتهاك هذه المعاهدات فإنه لا يتردد عن فعـــل ذلك دون الاهتمام بما سوف يترتب على ذلك من نتائج .

ففي أثناء نزاعه مع الدانمارك الذي سبق وتحدثت عنه ، رأى ان من مصلحته أخذ السفينة التابعة للقائد باني « Pani » التي كان قد عرضها للبيع في ميناء الاسكندرية خوفاً من استيلاء الأسطول الجزائري عليها ، فأخطر نائب القنصل البندقي بضرورة بيعها اليه على ان يكون ثمنها نفس الثمن الذي طلبه باني « Pani » في الاسكندرية ، وحينما حاول نائب القنصل تذكير الباشا بأن ثمنها الآن لا يمكن أن يقارن بثمنها الأول حينما كانت مهددة بالاستيلاء عليها ، أما الآن فهي في أمان وتستطيع القيام برحلات تدر على صاحبها أضعاف ثمنها . وأخيراً فإن بيعهـا لا يمكن مهما كان الثمن لأن ذلك يعد انتهاكاً للحياد الذي يجب على البندقية أن تقفه من المتحاربين .

فحاول يوسف باشا تذكيره بماضي دولته حيث انهـا ساعدت علي برغل بالبارود في أثناء احتلاله لمدينة طرابلس ، ثم بصفقة الأسلحة التي اشتروها هم من البندقية في أثنـاء وجودهم في تونس ، هذا بالاضافة إلى المساعدة التي قدمها والده للبنادقة في حربهم مع تونس خلافاً للقواعد المقدسة للدين الاسلامي [١] .

ولما رأى يوسف ان « جوسيبي بيزي » لم يهتم بهذه الملاحظات هدده باعلان الحرب على البندقية فخشي نائب القنصل على نفسه من غضب الباشا ووافق على هذا البيع ومما قاله في رسالته السابقة تبريراً لعملية هذا البيع ما يأتي [٢] :

« ... وبهذا اتضحت اليه مقاومتي واعترف بأنـه لا يستطيع قهرها إلا بالقوة فقال : اذا لم استجب طوعاً لطلبه فسيعلن الحرب على الجمهورية ، وبهذه الطريقة ستكون لديه الصلاحية باحتلال السفينة وأخذ بحارتها اسرى وأنا أولهم ويكبلني بالحديد بدون رحمـة وفي الحال سوف يستعمل جميع وسائل القوة لتحقيق ذلك » .

وتتضح لنا من هذا النص الطريقة التي كان يستعملهـا يوسف باشا لتحقيق مطالبه ، وهي طريقة التهديد باعلان الحرب،وانه كان لا يخشى

---

١ رسالة نائب قنصل البندقية في طرابلس الى المسئولين بحكومة البندقية بتاريخ ٢٦ مايو ١٧٩٧ ـ انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٣ .
ملاحظة : الغريب ان يوسف باشا راى ان في سماح والـده للبنادقة باستعمـال الموانىء الطرابلسية في اثناء حربهم مع تونس عملا يخالف القواعد المقدسة للدين الاسلامي . ونسي انه هو نفسه قد ساعد فرنسا بكل الوسائل التي في استطاعته في اثناء احتلالها لمصر .

٢ رسالة نائب القنصل البندقي الى المسئولين بحكومة البندقية بتاريخ ٢٦ مايو ١٧٩٧ ـ انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٣ .

فعل أي شيء في سبيل الحصول على هذه المطالب . كما يرسم لنا هذا النص صورة صادقة لوضع القناصل في طرابلس ، يوم ان كان يوسف باشا في أوج قوته وعظمته .

وقد ظهرت معاني هذه القوة والعظمة في تلك الاستغاثة التي أطلقها نائب القنصل البندقي حينما استدعاه الباشا للتحقيق معه بعد أن سمع بأن أحد زوارقه بقيادة الرئيس مصطفى قد أوقف من طرف سفينة قيادة بندقية باحدى موانيء الألبان وانه عومل معاملة سيئة وتعسفية حتى أرغم طاقمه على الفرار . فحاول نائب القنصل أن يشرح له أسباب الحادث ويعلمه بأن القائد هو البادي بالاعتداء ، الا أن يوسف صمم على ضرورة ارجاع هذا القائد وتعويضه تعويضاً كاملاً عن الاضرار التي لحقت به من جراء اعتقاله .

فاستغاث نائب القنصل بحكومته قائلاً [1] :

« ... وقد هددني بالويل في حالة عدم موافاته بمطالبه ، فأكرر لكم أيها المواطنون بأنه أصبح من الضروري حضور قوة عمومية في هذه الناحية لسبب تخويف هذا الأمير المتهور وانهاء جميع المحالفات معه ، لأنني على يقين بأنه لن يتأخر عن تنفيذ تهديده سالف الذكر » .

ومما سبق يتضح لنا نوع العلاقات السياسية التي كانت بين جمهورية البندقية وبين حكومة طرابلس الغرب، الى أن آلت أملاك هذه الجمهورية

---

١ رسالة نائب قنصل البندقية الى المسئولين في حكومته بتاريخ ٣ اغسطس ١٧٩٧ يشرح لهم فيها الصعوبات التي يلاقيها من الباشا ويطلب منهم ارسال قوة لتخويفه وقد اورد نص هذه الرسالة جورجيو كابوفين في كتابه Tripoli E Venezia Nel Secalo XVIIIe من ص ٢٥٤ الى ٢٥٦ ـ انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٢٠ ، ٢١ .

الى النمسا بعد معاهدة كامبيو فورميو « Campio Formio » في أول اكتوبر سنة ١٧٩٧ [١] .

أما عن علاقة يوسف باشا بالنمسا واسبانيا وهولاندا وتوسكانيا وحكومة الصقليين ، فقد كانت طيبة نوعاً ما ، لحرص هذه الدول على عدم محاولة اثارة غضب الباشا ضدها ، بل كانت تسعى في كثير من الأحيان الى كسب رضائه بالاستجابة السريعة لطلباته ، والوفاء بما عليها من التزامات .

وكانت مجهودات قناصل هذه الدول أو من يحل محلهم كفيلة بانهاء أي اشكال قد يحدث بين الباشا وحكوماتهم .

والحقيقة ان الباشا كان من وقت لآخر يطالب بعض هذه الدول برفع قيمة الاتاوة المتفق عليها ويهدد بشن الحرب ، بل نجد في بعض الأحيان ان سفنه تخرج بأمر منه للاعتداء على بعض سفن هذه الدول ، ولكن بعد المفاوضات يصل الطرفان الى اتفاق جديد بطريقة سلمية ، بدون أن تلتجىء هذه الدول الى ارسال أساطيلها لضرب مدينة طرابلس بالقنابل كما حدث مثلاً بين يوسف باشا وحكومة سردينيا في سنة ١٨٢٥ .

وترجع حوادث النزاع بين يوسف باشا وحكومة سردينيا الى سنة ١٨١٦ حينما رفضت هذه الأخيرة دفع الأتاوة السنوية ، مطالبة بأن تعامل معاملة انكلترا وفرنسا اللتين اعفيتا من دفع الاتاوات السنوية [٢] .

رفض الباشا هذا الطلب وأنذر اما الاستمرار في دفع الاتاوة أو الحرب.

---

١ عقدت هذه المعاهدة بين النمسا وفرنسا ، بعد ان هزم الجيش الفرنسي الذي كانت فرنسا قد اعدته للهجوم على النمسا عن طريق الدانوب فاستجاب نابليون بعد هذه الهزيمة لطلب النمساويين في عقد الهدنة وفعلا عقد صلح « كامبيو فورميو » في اول اكتوبر سنة ١٧٩٧ ، وبمقتضاه تخلت النمسا عن املاكها في ايطاليا في مقابل حصولها على جمهورية البندقية ... الخ .

٢ Aziz Samih «Simali Afrikada Turkler»

غير أن هذا التهديد لم ينفـذ اذ استطاع كـل من اللورد اكسموت « Lord Exmouth » قائد الأسطول الانكليزي في البحر الأبيض المتوسط ووارنجتون « Warrington » القنصل الانكليزي في طرابلس، ان يتوسطا لدى الباشا في عقد صلح مع مملكة سردينيا ووافق الباشا على هذه الوساطة، وأناب ملك سردينيا اكسموت لتوقيع هذه المعاهـدة نيابة عنه ، وذلك بتاريخ ٢٩ ابريل ١٨١٦ [١] .

وتتكون هذه المعاهدة من أربع مواد أساسية ومادة اضافية ، وقـد نصت المادة الأولى من هذه المعاهدة على توطيد عرى الصداقة والمحبـة بين البلدين ، وعلى مساواة سردينيا بالامتيازات التي نالتها انكلترا قبل هذه المعاهدة .

كما تنص المادة الثانية ، على حرية التجارة وتنظيمها بين البلدين .

وتحدد المادة الثالثة ، نوع جوازات السفر التي تمنح لسفن سردينيا ، وتحريم استخدام هذه الجوازات من طرف أية دولة أخرى .

وتمنع المادة الرابعة ، أية سفينة من سفن الدولتين من الاعتداء على أية سفينة معادية تكون داخل المياه الاقليمية لأي من الدولتين المتعاقدتين.

أما المادة الاضافية ، فقد تعهد فيها اكسموت نيابة عن ملك سردينيا بدفع أربعة آلاف دولار اسباني كهدية قنصلية إلى الباشا عند تعيـين القنصل وبدفع نفس هذا المبلغ عند تعين كل قنصل جديد .

وكلف اكسموت وارنجتون بادارة أعمال هذه القنصلية الى جانب عمله الأصلي الى ان حضر بورتولوميو بوكاردي « Bartolomio Boccardi » قنصلاً لسردينيا في طرابلس وذلك في أغسطس سنة ١٨١٦ .

---

١ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ـ انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ١١ جمع كمال الدين الخربوطلي ص ٤١ ، ٤٢ . وسوف أنشر هذه المعاهدة في ملحق الرسالة تحت وثيقة رقم ١٨ .

وصل هذا القنصل ومعه الهدايا المعتاد تقديمها للباشا وكذلك المبلغ المنصوص عليه في المعاهدة السابقة فقابله الباشا بكل احترام .

وفي سنة ١٨١٧ حل اوغو « Ugo » محل بوكاردي وأحضر معه ما أحضر سابقه واستمر في منصبه الى سنة ١٨٢٢ ومنذ ذلك التاريخ بدأت حكومة سردينيا تغير قناصلها بدون الوفاء بشروط المعاهدة السابقة [١] .

غضب يوسف باشا من هذا التصرف ، وأصدر أمره الى القنصل السرديني فوكس « Foux » بضرورة دفع الأربعة آلاف المتفق عليها في المعاهدة السابقة وحدد له موعداً لا يزيد عن ستين يوماً لدفع هذا المبلغ.

وحينما انقضى هذا الموعد ولم تدفع حكومة سردينيا هذا المبلغ راجع يوسف باشا فوكس في هذا الخصوص ، وأظهر تساهلاً على غير عادته حيث طلب من فوكس دفع ألف قرش حالاً حتى يأتي رد حكومته . ووافق فوكس على هذا الطلب وأعطاه صكاً بهذا المبلغ يدفع في ليفورنو بعد خمسة وعشرين يوماً ولكن حكومته لم توافق على ذلك .

ويقول ميكاكي في هذا الصدد ما نصه [٢] :

« ان حكومة سردينيا لم توافق على عمل فوكس هذا ، وأخطرته بأن الصك سيدفع ولكن خصماً من مرتبه . وفي ٦ يونيو عندما أصر يوسف على طلب دفع الفرق بين المبلغين حرر فوكس بعد ان استشار وارنجتون صكاً بمبلغ ثلاثة آلاف قرش تدفع في مرسيليا . ولكن حكومة سردينيا لم تقبل الحجج التي أبداها فوكس وأصدرت أمراً بعدم دفع هذا الصك وأمرت بعودة بارودي الى مقر عمله في الحال » .

---

١ احمد النائب : « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ص ٣٤٥ .

٢ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

كان لهذا التصرف أثره في نفس الباشا ، ففي ٧ أغسطس أصدر أمره الى فوكس بانزال علم بلاده وهدد بمصادرة السفن السردينية التي تأتي الى الميناء واحتجاز ربانها وبحارتها .

وحينما سمع ملك سردينيا بهذا الانذار صمم على ان يجرب حظه مثل ما فعلت الولايات المتحدة الامريكية،فأصدر أمره باعداد حملة حربية لايقاف هذا الطيش التركي، كما عبر عنه، بالقوة . وأعد اسطولاً حربياً يتكون من السفينة الحربية « ماريا تريزا » والفرقاطة « كوميرشيو » والمدمرتين « نبريدي » و « فيجيلانتي » وأربع سفن صغيرة للنقل، واسندت قيادة هذا الأسطول الى فرنشيسكو سيفوري « Francesco Sivori » [١] .

وفي ١١ سبتمبر سنة ١٨٢٥ خرج هذا الأسطول من ميناء جنوا ، ووصل هذا الأسطول الى تونس يوم ٢٣ من هذا الشهر ، وفي يوم ٢٥ وصل هذا الأسطول الى ميناء طرابلس . ولما كان قائد هذا الأسطول على يقين بأن ميناء طرابلس خالية من الأعماق المنظمة فضلاً عن ضيق محفوف بالمخاطر لمن يحاول الدخول فيه بدون خبراء مهرة ، فإنه قرر القيام بجولة استطلاعية ليضمن سلامته ونجاحه وذلك بتحديد خط سيره داخل الميناء في أثناء الهجوم المقبل .

ولتحقيق هذه المهمة رفع على احدى السفن علم الأمان الدولي وتقدمت هذه السفينة نحو المدينة بحجة رغبة سيفوري في تسليم بعض الأوراق الى نائب القنصل ، كما أظهر رغبته في السلام ، غير ان الباشا كان لا يعلم بنية هذا القائد فاشترط شروطاً كثيرة لقبول الصلح ومنها الغاء معاهدة

---

١ وثيقة تشرح حملة سردينيا على طرابلس ، سبتمبر ١٨٢٥ ، وتوجد هذه الوثيقة بمتحف النهضة بميلانو بايطاليا وقد ترجمها الى العربية السيد احمد راسم قدري ونشر ترجمتها العربية الحاج محمد الاسطى بمجلة الافكار الصادرة بطرابلس الغرب سنة ١٩٥٩ ـ السنة الرابعة ـ عدد رقم ٢٠ ص ٢٢ ، ٢٣ ـ انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ١٩.

١٨١٦ ، فلم يوافق سيفوري على هذا الطلب بطبيعة الحال حيث انه لم يكن عنده الأمر بالتفاوض . وليظهر للباشا عدم موافقته هذه أسند مهام القنصلية الى وارنجتون واتجه نحو اسطوله منذراً بالقيام بالأعمال الحربية .

وبالرجوع الى الوثيقة السابقة التي تصف حملة سردينيا على طرابلس نجد أن سيفوري لم يستطع الاقتراب من المدينة نظراً لشدة هيجان البحر، ولكن بالرغم من ذلك فانــه حاول القيام بمحاولة لاغراق سفن الباشا المنتشرة تحت القصر .

وفي ساعة متأخرة من الليل فتحت المدفعية نيرانها على قطع الاسطول الطرابلسي بغرض نشر الفزع في قلوب الأهالي غير أن النتيجة كانت عكسية لم تأت بما كان منتظراً منها ، لأن توجيه النيران كان خاطئاً .

وفي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل تحركت جميع القطع البحرية نحو الميناء حسب الخطة المرسومة تحرسهـا المدمرة « نيريدي » ، وفي الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل كان الاسطول السرديني هـدفاً لنيران بطاريات الميـنـاء وذلك عندما لمح الحارس تحرك هذا الاسطول فأعطى اشارات الانذار، وعلى أثر ذلك تدفقت النيران من كل مكان ، من الحصون والمدفعية ومن الرشاشات وحملة البنادق من العرب المعسكرين على الساحل بالقرب من السور ، ورد الاسطول على هذه النيران بالمثل واستمرت هــذه المعركة حوالى ساعة كانت الخسائر فيها كثيرة من الجانبين .

وتقدمت الفرقة الثالثة نحو مصنع السفن الطرابلسية وباب الجمرك محاولة اشعال النيران في هذا المصنع ولكن نيران الحصن والحاميـة حالت دون تحقيق ذلك . وتمكنت بعض القوات من النزول الى الارض ، فتصدى لها رجال الباشا ودارت بينهم معركة بالسلاح الأبيض فكانت من أشد المعارك التي خاضها جند الباشا ، وبفضل شجاعتهم هذه ونظراً لوجود

السور الذي يحمي المصنع فلم تستطع قوات العدو الوصول اليه فارتدت الى سفنها خائبة .

أما عن الأحداث التي تلت هذا الفشل فإننا نجد ان كاتب هذه الوثيقة الأميرال « تاهون دي ريفيل » يختم وثيقته بقوله [1] :

« ويكفي القاء نظرة على هذه الحوادث لندرك مبلغ رباطة الجأش التي يتحلى بها جنودنا تحت وابل من نيران العدو ، ومنذ ذلك الحين لم يعد الباشا يقوم بتهديدات ولا بأعمال استفزازية ، بل ازدادت حركة المواصلات بين ايطاليا وطرابلس بعد أن تدخل القنصل الانكليزي وعقد صلحاً بين يوسف القرمانلي وبين سردينيا ، تدفع سردينيا بمقتضاه مبلغاً قدره سبعة آلاف فرنك حالاً مع اعفائها من الضريبة السنوية » .

وبالرغم من النتائج التي حققتها هذه الحملة فإن ما جاء في هذه الوثيقة لخير شاهد على كفاءة الجندي الطرابلسي وشجاعته وبسالته في مختلف ميادين القتال مهما اختلفت أدوات الفتك والدمار فيها .

ولما لم يتحقق ليوسف باشا ما كان يرجوه من هذه الدول طالب الحكومة البابوية بتسليم الهدايا المتفق عليها في المعاهدات السابقة ، وعندما لم يحصل على طلبه أصدر أوامره الى مغامريه بالاستيلاء على السفن التابعة للدولة البابوية . ولم تمض مدة طويلة حتى تمكن مغامرو الباشا من الاستيلاء على ثلاث من هذه السفن وجيء بها الى ميناء طرابلس ، وأعلن الباشا ان هذه السفن لن يطلق سراحها الا بعد أن تقدم له الحكومة البابوية الهدايا المتفق عليها سابقاً .

انتظر البابا أن يقوم القنصل الانكليزي وارنجتون بأي عمل لارجاع هذه

---

١ الوثيقة التي تصف حملة سردينيا على طرابلس ـ انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ١٩ .

السفن وخاصة أنه المكلف بتمثيل الدولة البابويـة في طرابلس ، وعندما تأكد له أن وارنجتون يتردد في التدخل لاجبار الباشا على ارجاع هـذه السفن ، لجأ البابا الى فرنسا طالباً منها ارجاع هذه السفن ومعاقبة الباشا على هذا التحدي [1] .

وهنا نتساءل عن الأسبـاب التي جعلت وارنجتون يتخذ هذا الموقف المتردد من هذه المسألة ؟

وفي اعتقادي ان الجواب على ذلك يرجع أولاً ، الى التنافس الشديد الذي بدأ بين كل من وارنجتون القنصل الانجليزي وروسو القنصل الفرنسي من أجل التقرب الى الباشا على أمل الفوز بنيل ثقته وبالتالي تحقيق مصالح دولته . وثانياً ، كان وارنجتون متحمساً لمشروعه الجديـد ، وهو جعل مدينة طرابلس قاعدة للكشف الجغرافي في دواخل افريقيا ، وبثقته بأن هذا المشروع لن يكتب له التوفيق بدون مساعدة الباشا .

ولهـــذه الأسباب لم يتدخل وارنجتون في مسألة السفن البابوية لكي لا يغضب الباشا فيزداد التقـــارب بينه وبين روسو من ناحية ، وفشل مشروعه من ناحية ثانية .

وهكذا نرى أنه في الوقت الذي يعطينا فيه وارنجتون صورة من صور الاستعمار الأوروبـي الذي يقوم على الدهاء والسياسـة لتحقيق أغراضه ، نجد أن روسو يعطينا الصورة الثانية لهذا الاستعمار الذي يقوم على استعمال القوة لتحقيق هذه الأغراض .

اذ أنه في الوقت الذي كان فيه وارنجتون متردداً ، رأى روسو أن الفرصة قد سنحت لرفع مكانة دولته في نظر العالم الاوروبـي ، فتدخل مطالباً الباشا بارجاع هذه السفن ، على أمل ان البـاشا سيستجيب لطلبه ولكنه حينما وجد أن الباشا متمسك بموقفه وأن تدخله هذا قد أفسد عليه

---

[1] P. Costanzo Bergna: « Tripoli Dal 1510 Al 1850 p. 274-75

علاقته مع الباشا ، هدد باستعمال القوة في حالـة عدم استجابة طلبه . ولما لم يهتم الباشا بهذا التهديد أخبر روسو حكومته بالحادث وأيـد فكرة البابا في ضرورة الانتقام من هذا الباشا .

وفي ١٣ فبراير سنة ١٨٢٦ وصل الأسطول الفرنسي الى ميناء طرابلس بقيـادة ارنو دي لاسولساي « Arnaus de la Saulsays » وطالب الباشا بضرورة تسليم السفن فوراً الى الحكومة البابوية ، وترضية روسو عما لحقه من اهانات واطلاق ثلاث وثلاثين طلقة تحية للعلم الفرنسي بدلاً من السبع والعشرين طلقة كما جرت به العادة من قبل .

حاول يوسف باشا رفض هذه الطلبات ولكنه حينما تأكد له استعداد الأسطول لقذف المدينة بالقنابل وافق على هذه الطلبات والحقد يملأ قلبه على روسو وحكومته .

وفي يوم ١٨ فبراير سنة ١٨٢٦ عقـد اتفاق بين الباشا والحكومـة الفرنسية تقرر بمقتضاه ما يأتي [١] :

أولاً : ان ترد في الحال سفن رومـا التي تم الاستيلاء عليها مـع حمولتها .

ثانياً : ان تحترم في المستقبل السفن التي يرفرف عليها العلم البابوي .

ثالثاً : ان يدفع مبلغ الفي قرش تعويضاً لأصحاب السفن المستولى عليها وقباطنتها وبحارتها .

رابعاً : ان تعتبر فرنسا أحق الدول الأوروبية بالرعاية .

تألم الباشا من نتائج هذا الصلح الذي اجبر على الخضوع له والتسليم به ورأى ان روسو هو المسؤول الأول عما حدث ، فصمم على رد هذه الاهانة له .

---

١ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ١٩٢ .

وقد جرت العادة في العهد القرمانلي بأن يتوجه الباشا أو من ينوب عنه الى قنصليات الدول المختلفة،حينما يحتفل أحد القناصل بمناسبة ذكرى جلوس رئيس دولته على عرش البلاد . كما جرت العادة أيضاً على أن القنصل صاحب الحفل يتوجه في اليوم السابق على قيام هذا الاحتفال للتشرف بمقابلة الباشا ويسلم له الدعوة كتابياً محدداً فيها المناسبة ومكان وساعة الاحتفال ، وبعد ذلك يعلمه الباشا عن موافقته على الحضور بنفسه أو باسم الشخص الذي سوف يمثله في حضور هذا الاحتفال .

وفي يوم ٣ نوفمبر ١٨٢٦ ، طلب روسو مقابلة الباشا لدعوته لحضور الحفل الذي سيقام يوم ٤ نوفمبر سنة ١٨٢٦ بمناسبة جلوس الملك شارل العاشر على عرش فرنسا .

فرأى الباشا أن الفرصة قد سنحت لرد الاهانة التي ألحقها به روسو فوافق على المقابلة وأعلم روسو بأنه مهما حدث فإنه لا يزال صديقاً لفرنسا وبأنه يسعده حضور هذا الحفل بنفسه للتعبير عما يكنه من حب لفرنسا ولصاحب جلالتها .

وبعد أن خرج روسو من عند الباشا ، اتصل بجميع قناصل الدول الأوروبية ورؤساء البعثات الدينية ودعاهم لهذا الحفل وأعلمهم بأن الباشا سيحضر بنفسه للمشاركة في هذا الاحتفال .

وبينما كان الجميع في انتظار تشريف الباشا،اذا بوزيره حسونة الدغيس يحضر الى القنصلية الفرنسية لابلاغ روسو بأن الباشا لا يستطيع الحضور لشعوره بألم مفاجيء .

وربما كان اعتذار الوزير مقبولاً لو أنه بقي حتى الانتهاء من مراسيم الاحتفال ، غير أن مغادرته للقنصلية بسرعة بعد الانتهاء من كلامه مع روسو جعل هذا الاخير يشعر بأن الباشا قصد بذلك إلحاق اهانة علنية به وبدولته وطالب روسو الاجتماع بالباشا غير ان طلبه قد رفض،فأنزل علم بلاده واستعد للرحيل . وعندما سمع الباشا بذلك خشي من تأزم

الموقف ، فطلب من قنصل اسبانيا اقناع روسو بالعدول عن رأيه،فوافق روسو على طلب القنصل الاسباني على شرط ان يعيد بحارة الباشا رفع العلم الفرنسي بأنفسهم ، وان تطلق المدفعية ثلاثاً وثلاثين طلقة في الصباح وفي المساء تحية لهذا العلم وان يستمر ذلك ثلاثة أيام ، ثم في اليوم الرابع يحضر الباشا بنفسه الى القنصلية ويرسل نجله سيدي عثمان في المساء ، ثم يكرر الباشا هذه الزيارة في اليوم الثاني ، ويعزل وزير خارجيته الذي كان معروفاً بعدائه لفرنسا وان ينفيه أيضاً من البلاد .

ووافق الباشا على هــذه الطلبات غير انه بمجرد ذهابه الى القنصلية تنازل روسو عن بقية طلباته [1] .

قد يقول البعض إن هذه الشروط مبالغ فيها ، وان الباشا لا يمكن أن يوافق عليها لأنها تعد انتهاكاً صريحاً لكرامته وكرامة دولته .

ولكن بتتبع تاريخ هذا الباشا ، فاننا نجده قد وافق فيما قبل على ما هو أشد وأعظم من هذه الشروط .

ففي سنة ١٨١٥ ، وبعد قرارات مؤتمر فينا ، تمكن أحـد مغامري البـاشا من أسر سفينة انكليزية مشحونة بالبضائع وجيء بها الى ميناء طرابلس ، واطلقت لها المدافع جرياً على هذه العادة تحية لهذا الانتصار . فاحتج وارنجتون على هذا الاعتداء ، ورفع الامر الى المحكمة الانكليزية في مالطة ، وصدر حكم هذه المحكمة بارجاع هذه السفينة وبتغريم المغامر الذي استولى عليها بمبلغ خمسمائة فرنك .

وخوفاً من تدخل الحكومــة الانكليزية وافق الباشا على هذا الحكم وأطلق سراح السفينة ، غير انه لم تمضِ مدة طويلة حتى تمكن مغـامر آخر من الاستيلاء عـلى سفينة انكليزية ثانية ، وجاء بها الى ميناء

---

١ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ١٦٤ .

طرابلس [1] ، وما أن سمع الباشا بهذا الحادث حتى خشي عواقبه فأمر بعدم اطلاق المدافع وسارع بتقديم الاعتذار لوارنجتون عما حدث .

ولكن وارنجتون لم يراجع مالطة في هذه المرة ، وصمم على ضرورة شنق هذا المغامر على نفس السفينة التي أسرها ليكون بذلك عبرة لغيره .

حاول الباشا رفض هذا الطلب ، غير أن وارنجتون أصر على تنفيذ طلبه ، فأظهر الباشا موافقته على شرط ان يقوم بعملية هذا الشنق جماعة من المسلمين . ولكن وارنجتون لم يقبل هذا الاقتراح وتمسك بطلبه وعلى ان يكون شنقه بأيدي البحارة الذين كان هو قد أسرهم ، ولم يجد الباشا بدأ من التسليم بهذا الطلب وشنق المغامر كما أراد وارنجتون [2] .

وقد علق المؤرخ كستانزو بيرنا على ذلك الحادث بقوله [3] :

« لم يبق هذا الحادث مغفوراً [4] ليوسف من رعيته؛ ولم يعد في نظرهم ذلك الأمير الشجاع النشط ، الذي كان يستطيع رفع رأسه عالياً أمام الدول الأوروبية؛ ومن هنا بدأت كراهية الأهالي للعائلة القرمانلية، لأنها لم تستطع أن تحافظ على كرامة شعبها ضد ظلم الكافرين » .

---

١ وليس كما قال ميكاكي ، في كتابه طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي ، صفحة ١٧٩ ، من ان سفينة انجليزية قد فاجأت الريس المغربي وهو سائر بسفينته بين طرابلس ومالطة وعادت به الى ميناء طرابلس ، لانه لو كان الحادث كما ذكره ميكاكي ، لما كان هناك اي داع لهذه المشاكل .

٢ P. Costanzo Bergna: «Tripoli Dal 1510 Al 1850, p. 260, 61

وميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ١٧٩ .

٣ P. Costanzo Bergna : « Tripoli Dal 1510 Al 1850 » P. 261, 62.

٤ أعتقد ان كستانزو بيرنا يعني بهذه الجملة ، ان يوسف باشا قد ارتكب خطأ في حق شعبه حينما سلم احد مغامريه الى القنصل الانجليزي لشنقه ، وان الشعب لم يغفر ليوسف هذا الخطأ بل اصبح عملاً من عوامل كراهية الشعب له .

ولكن بالرغم من شهادة هذا المؤلف فإن يوسف باشا كان لا يرضى أن يستسلم لخصمه بسهولة ، بل نجده يقاوم ما دام يجد في نفسه القدرة على المقاومة . فحينما حاولت نابولي في سنة ١٨٢٧ أن تعمل مثلما عملته حكومة سردينيا ، فأعلنت عدم دفعهـا للاتاوة السنوية ، وطالبت الباشا أن يعاملها مثل غيرها من الدول التي لا تدفع اتاوات سنوية ، نجد أن الباشا لم يستسلم بسهولة لهذا الطلب،وأعلن ضرورة وفاء نابولي بالتزاماتها والا فإنه سوف يعلن الحرب عليها [١] .

وحاول قنصلها في طرابلس عمل المستحيل من أجل اقناع الباشا بعدالة مطلب حكومته ، التي لا تطلب أكثر من أن تعامـل معاملة الكثير من الدول ، غير ان الباشا لم يهتم بهذا القنصل،بل زاده هذا الالحاح تمسكاً برأيه .

وفي ابريل سنة ١٨٢٨ ، أرسلت حكومة نابولي سفينتين حربيتين هما لاسيرينا « La Cirena » وايزابيلا « Isabella » الى طرابلس لتهديـــد الباشا لعله يوافق على هذا الطلب،غير ان الباشا صمم على ضرورة دفعها للاتاوة السنوية ، ولما كان القائدان غير مكلفين بضرب المدينة في حالة رفض الباشا لطلبها ، فإنهما رجعا إلى بلادهما .

وفي أغسطس سنة ١٨٢٨ ، وصل الى ميناء طرابلس اسطول ضخم وطلب قائده من وارنجتون التدخل لدى الباشا لاجابة طلب دولته،وحاول

---

١ احمد النائب : « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ص ٣٤٧ و ٣٤٨ ،
Aziz Samih : « Simali Afrikada Turkler » (239-40)
P. Costanzo Bergna « Tripoli Dal 1510 Al 1850 » p. 275.

ملاحظة : في الوقت الذي نجد فيه ان هؤلاء المؤرخين قد اتفقوا على أن سبب قيام الحرب بين يوسف باشا وحكومة نابولي هو محاولة هذه الاخيرة الامتناع عن دفع الاتاوة السنوية ، نجد ان ميكاكي في كتابه « طرابلس الغـــرب تحت حكم اسرة القرمانلي » صفحة ١٩٤ و ١٩٥ يذكر بان سبب هذه الحرب هو رفض الباشا تجديد معاهدة سنة ١٨١٦ بدون دفع مبلغ كبير من المال وذلك ، لان احد طرفي المعاهدة قد توفي وهو الملك فردناند الاول الذي وقع باسمه اكسمارت هذه المعاهدة .

وارنجتون التوسط ، غير أن مجهوداته باءت بالفشل لاصرار الباشا على موقفه وعندئذ أخذ الاسطول في ضرب المدينة بالقنابل . وقد قاومت مدافع الحصون والقلاع في ذلك اليوم مقاومة شديدة حتى لم يستطع هذا الاسطول الاقتراب من أسوار المدينة ، وبقيت قطعه تطلق مدافعها دون أن يكون لها أي تأثير .

وأخيراً وفق وارنجتون في عقد معاهدة بين الباشا وحكومة نابولي على الشروط الآتية [1] :

أولاً : تسلم حكومة نابولي الأسرى من الطرابلسيين بغير مقابل .

ثانياً : تدفع حكومة نابولي لطرابلس مبلغ ٣٣ ألف فرنك مع اعفائها من الاتاوة السنوية .

ثالثاً : تدفع حكومة نابولي هدية عند تعيين كل قنصل .

وهكذا انتهت هذه الأزمة ورجع الاسطول النابوليتاني الى بلاده ورفع علم هذه الدولة على قنصليتها في طرابلس وسط تحية مدافع الحصون والقلاع.

وفي الحقيقة انه بالرغم من كثرة هذه الحروب وتعدد أشكالها وألوانها حتى غدت عملية حصرها وتسجيل وقائعها أمراً صعب التحقيق بالنسبة للباحث لتداخلها وتعدد جهاتها سواء أكان ذلك في اخضاع الثورات الداخلية ، أو في اجبار الدول الأوروبية على الخضوع لمشيئة الباشا ،

---

١ احمد النائب : « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ص ٢٤٧ و ٢٤٨
Aziz Samih : « Simali Afrikada Turkler » (239-40).

ملاحظة : في الوقت الذي يتفق فيه كل من النائب وعزيز سامح على ان الذي كان وسيطا في هذا النزاع هو وارنجتون نجد ان ميكاكي في كتابه « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي صفحة ١٩٨ ، يرى ان روسو القنصل الفرنسي هو الذي قام بدور الوساطة بعد انسحاب اسطول نابولي بدون ان يصل الى تحقيق هدفه .

لخير شاهد على ان الجندي الطرابلسي أدى واجبه بشجاعة نادرة وانه لم يتردد في أية لحظة عن تحمل مسؤولياته كاملة .

وانه مهما كانت آراء المعاصرين وحكمهم على يوسف باشا ، فإن في كفاحه المرير ضد هذه الدول المختلفة والمتعددة من أجل سيادته والرفع من مكانة دولته في المجـــال العالمي ، لخير دليـــل على ما يمتاز به من شخصية قوية وشجاعة نادرة وطموح لا حدود له .

مسألة أمن البحر المتوسط والغاء الرق

يتضح لنا ممـــا سبق ما عانته الدول الأوروبية الصغـرى من أضرار المغامرات البحرية الطرابلسية،التي كانت على الدوام ملبية لأوامر الباشا ، عاملة على اجبار هذه الدول على الخضوع لمشيئته،ولدفع ما يقرره عليها من اتاوات وهدايا سنوية نظير أمن وسلامة سفنها من الاعتداء عليها .

وبالرغم من شعور هذه الدول بأن في استجابتها لهذه المطالب دليلاً على المذلة والمهانة، الا انها كما رأينا بقيت مدة طويلة عاجزة عن القيام بأي عمل موحد يخلصها من هذا الخضوع والاستسلام لمشيئة حكام الشمال الافريقي بصفة عامة ويوسف باشا بصفة خاصة .

وقد يرجع سبب ذلك الى ما كانت تعانيه هـذه الدول من ظروف داخلية مضطربة نشأت عن قيام الثورة الفرنسية ، وما أوجدته من مبادىء وتعاليم تتعارض ونظم الحكم السائدة ، في ذلك الوقت ، بالاضافة الى أن ما خلفته حروب نابليون بونابرت أثرت تأثيراً كبيراً على سياستها الداخلية والخارجية .

وعلى هذا الأساس بقيت كل واحدة من هذه الدول تعالج مشاكلها

مع يوسف باشا بطريقتها الخاصة ، وحسبما يناسب حالتها المالية .

وحينما شاء القدر بسقوط نابليون بونابرت ، رأت الدول الكبرى صاحبة الانتصار وهي انجلترا وروسيا وبروسيا والنمسا ، الاجتماع في مؤتمر حدد مكانه بمدينة « فيينا » لمعالجة المشكلات التي ترتبت على قيام الثورة الفرنسية وحروب نابليون . كما سمح لفرنسا بحضور هـذا المؤتمر ، واستطاعت بفضل مهارة مندوبها « تاليران » ان تشارك في مناقشاته .

وكان جدول أعمال هذا المؤتمر يشمل العديد من المسائل الهامة، كان من بينها مسألة أمن البحر المتوسط ، الذي استطاع وزير خارجية سردينيا البارون فاليزا « Valleza » عرضها على هـذا المؤتمر ، بعد أن أثارت انكلترا مسألة الغاء تجارة الرقيق [1] .

وكان من ضمن المتحمسين لهـذه المسائل الاميرال سيدني سميث « Sidney Smith » حيث أرسل في أغسطس سنـة ١٨١٤ مذكرة الى الدول صاحبة الشأن يذكر فيهـا انه ليس من المعقول في الوقت الذي تبحث فيه مسألة تحريم تجارة الرقيق على سواحل افريقيـا الغربية ، الا يهتم العالم بأعمال السطو التي يقوم بها المغامرون في موانىء افريقيا الشمالية وطالب بتأليف اسطول دولي تقتصر أعماله على وضع حد للغزو في البحر الأبيض المتوسط [2] .

وفي سنة ١٨١٥ أصدر المؤتمر قراراً بالغاء القرصنة واسترقاق المسيحيين غير أنه في الوقت الذي كانت فيه فرنسا ترغب في تنفيذ هذا القرار ، نجد أن انكلترا لا ترغب في هذا التنفيذ،لأنه ليس من مصلحتها القضاء على نيابات الغرب خشية ان تحل محلها فرنسا أو غيرها فيؤدي ذلك الى اضعاف نفوذها في البحر الأبيض المتوسط ، وخاصة وان علاقـاتها مع

---

١ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ١٧١ .

٢ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ١٧١ .

يوسف باشا حسنة للغاية منذ ان احتلت جزيرة مالطـة وعرضت على يوسف الاستمرار في مشروعه الأول ألا وهو تزويد هذه الجزيرة بمـا تحتاج اليـه من المواد الغذائية ، مما جعل لقنصلها المكانة الاولى لدى الباشا . حتى انه كما رأينا كان يصدر أمره الى بحريته بمزاولة نشاطهـا البحري بدون الاهتمام بهذا المؤتمر بل وكأنه لا وجود له على الاطلاق .

وكدليل على عدم اهتمام الباشا بهذا المؤتمر نجد ان ميكاكي يذكر لنا نقلاً عن خطابي القنصل الانكليزي وارنجتون والقنصل الفرنسي «مير» بأن عدد السفن التي استولى عليها بحارة الباشا قد بلغت في حوالى منتصف سنة ١٨١٥ ، ست سفن دانماركية تقدر حمولتها بما يساوي خمسمائة ألف قرش ، وما لا يقل عن ألف وخمسمائة أسير ايطالي سجنوا داخل حمامات طرابلس [١] .

غير أنه بعد عودة اسرة البوربون الى عرش فرنسا ووصول قنصلها « مير » الى طرابلس سنة ١٨١٥ ، أخذت العلاقات السياسية بين يوسف باشا والحكومة الانكليزية تزداد سوءاً يوماً بعد يوم ، ولم يعد لقنصلها وارنجتون أي تأثير على ارادة الباشا كما كان قبل ذلك ، حتى انه فشل في حمله على عقد صلـح مع كل من الامبراطورية النمساوية ومملكـة الصقليين .

وحينما شعرت انكلترا بأن فرنسا أصبح لها النفوذ المطلق عـلى الباشا قررت الانتقام منه ، فانتهزت فرصة الاعتداء على سفنها من قبل بعض السفن الجزائرية ، فأعلنت عدولها عن موقفهـا السابق ، وقررت تنفيذ قرارات مؤتمر فيينا فيما يتعلق بأعمال الغزو واسترقاق المسيحيين، وكونت

---

١ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ١٧٢ ، نقلا عن خطابي وارنجتون بتاريخ ١٨ فبراير و ٩ مايو ١٨١٥ وخطاب القنصل الفرنسي مير بتاريخ ٤ ديسمبر ١٨١٥ .

حملة لتحقيق ذلك أسند قيادتها الى اكسموث « Exmouth » .

ونظراً لالتجاء كل من ملك سردينيا وملك الصقليين الى انكلترا طالبين مساعدتها للتوسط لدى الباشا على عقد الصلح معها . فقد أمرت الحكومة الانكليزية اكسموث بأن يعمل بالاضافة الى مهامه الأولى على إجبار الباشا على عقد صلح مع كل من الدولتين السابقتين [1] .

هذه هي الأسباب والعوامل التي دفعت انكلترا الى ارسال حملتها بقيادة اللورد اكسموث ، لا كما يرى الأستاذ بعيو حيث يقول [2] :

« وقد خجلت بريطانيا لهذا النجاح الباهر الذي حصلت عليه الولايات المتحدة وهي الناشئة الجديدة في الميدان البحري والتي لا تقاس قوتها البحرية بشيء بجانب القوة البريطانية في هذا الميدان . فتشجعت لتجريب حظها من جديد وقد واتتها الفرصة فأرسلت اللورد اكسموث « Lord Exmouth » وسابقاً السير ادوارد بيللر « Sir Edward Peller » بقوة بحرية كبيرة للحصول على ما فازت به الولايات المتحدة وكانت وجهته تونس ومدينة طرابلس واستطاع ان ينجح الى حد كبير في تحقيق بغيته وتحصل من يوسف على تعهد بالالغاء التام لاستعباد المسيحيين بل ذهب الى أبعد من هذا وأصبح بما له من قوة تهديدية يتدخل في علاقات يوسف باشا مع بقية دول البحر الأبيض المتوسط في مثل هذا الخصوص » .

وذلك لأننا قد رأينا مدى المكانة التي كان يتمتع بها القنصل الانكليزي لدى الباشا في كثير من السنوات . وان قلّت هذه المكانة أحياناً ، فإن

---

١ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ١٧٤ و ١٧٥ .
P. Costanzo Bergna : « Tripoli Del 1510 Al 1850 » P. 265-66.

٢ مصطفى بعيو : « دراسات في التاريخ اللوبي » ص ١٦٢ .

حملة لتحقيق ذلك أسند قيادتها الى اكسموث « Exmouth » .

ونظراً لالتجاء كل من ملك سردينيا وملك الصقليين الى انكلترا طالبين مساعدتها للتوسط لدى الباشا على عقد الصلح معها . فقد أمرت الحكومة الانكليزية اكسموث بأن يعمل بالاضافة الى مهامه الأولى على إجبار الباشا على عقد صلح مع كل من الدولتين السابقتين [1] .

هذه هي الأسباب والعوامل التي دفعت انكلترا الى ارسال حملتها بقيادة اللورد اكسموث ، لا كما يرى الأستاذ بعيو حيث يقول [2] :

« وقد خجلت بريطانيا لهذا النجاح الباهر الذي حصلت عليه الولايات المتحدة وهي الناشئة الجديدة في الميدان البحري والتي لا تقاس قوتها البحرية بشيء بجانب القوة البريطانية في هذا الميدان . فتشجعت لتجريب حظها من جديد وقد واتتها الفرصة فأرسلت اللورد اكسموث « Lord Exmouth » وسابقاً السير ادوارد بيللر « Sir Edward Peller » بقوة بحرية كبيرة للحصول على ما فازت به الولايات المتحدة وكانت وجهته تونس ومدينة طرابلس واستطاع ان ينجح الى حد كبير في تحقيق بغيته وتحصل من يوسف على تعهد بالالغاء التام لاستعباد المسيحيين بل ذهب الى أبعد من هذا وأصبح بما له من قوة تهديدية يتدخل في علاقات يوسف باشا مع بقية دول البحر الأبيض المتوسط في مثل هذا الخصوص » .

وذلك لأننا قد رأينا مدى المكانة التي كان يتمتع بها القنصل الانكليزي لدى الباشا في كثير من السنوات . وان قلّت هذه المكانة أحياناً ، فإن

---

١ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ١٧٤ و ١٧٥ .
P. Costanzo Bergna : « Tripoli Del 1510 Al 1850 » P. 265-66.

٢ مصطفى بعيو : « دراسات في التاريخ اللوبي » ص ١٦٢ .

مجرد مجيء بعض قطع الأسطول الانكليزي واستعراض قوته أمام سواحل طرابلس ، كان كفيلاً بإرجاع هذه المكانة الى ما كانت عليه من قبل.

بل رأينا أن هذا الأسطول قد أجبر الباشا سنة ١٧٩٩ ، على تسليم القنصل الفرنسي ورعاياه الى الحكومة الانكليزية ، وأجبره كذلك على عقد معاهدة صلح مع البرتغال ودفع مبلغ اثني عشرة الف قرش ولم يترك له سوى سفينته المغامرة المأسورة [١] .

ثم ان حملة اكسموث كانت سنة ١٨١٦ ، والحملة الأمريكية على طرابلس كانت سنة ١٨٠٥ ،فإذا كانت انكلترا ليس لها على الأقل مثل الامتيازات التي حصلت عليها امريكا ، فما الذي جعلها لا تفكر في الحصول على هذه الامتيازات الا بعد احدى عشرة سنة من انتصار امريكا ؟ ألم يكن أهون عليها طلب هذه الامتيازات بعد ان اجبرت الباشا على تسليمها قنصل أعظم وأقوى حكومة في ذلك الوقت ؟ وأخيراً ان أهم طلبات اكسموث حينما وصل الى طرابلس في ٢٩ ابريل ١٨١٦ كانت تتلخص في تعهد الباشا بعدم استعباد المسيحيين والاعتراف بأن جزر الايونيان وهانوفر تابعة للتاج البريطاني . وبعقد صلح مع كل من ملك سردينيا وملك الصقليين وتعيين قناصل لهما في طرابلس مقابل دفع مبلغ أربعة آلاف قرش اسباني كهدية قنصلية عند بدء تعيين كل منهما ودفع مبلغ مماثل عند تعيين أي قنصل بعد ذلك ، واطلاق سراح ١٤٤ أسيراً من سردينيا ومن جنوا كما اطلق سراح ٤٣٣ أسيراً من نابولي مقابل خمسين ألف قرش [٢] .

ومما سبق يتضح لنا أن مهمة اكسموث كانت لتحقيق هذه الاغراض

---

١ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ١٤٧ .

٢ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ١٧٦ .

وليس للحصول على مثل هذه الامتيازات التي حصلت عليها امريكا بعد انتصارها على يوسف باشا .

ومما هو جدير بالذكر انه في الوقت الذي كان فيه اكسموث يقوم بتحقيق هذه الاغراض ، كان هناك مؤتمر منعقد في لندن بدعوة من وزير خارجية انكلترا لمناقشة اقتراح بانشاء عصبة بحرية لمنع القرصنة في البحر المتوسط .

غير أن هذا الاقتراح رفض لعدم موافقة كل من فرنسا والنمسا وروسيا عليه لأن هذه الدول وان تعللت بأن استخدام القوة يجب أن يكون من الباب العالي بحكم ان هذه الايالات تابعة له ، فهي في الحقيقة لا تريد ان تكون القيادة العامة لهذا الاسطول المشترك في يد انكلترا .

أما عن يوسف باشا فإنه بمجرد ان غادر اكسموث طرابلس وابتعد عن العيان أصدر أمره الى مغامريه بمزاولة نشاطهم البحري ، وقد تمكن رجال الباشا من أسر بعض السفن التابعة لدولة البابوية وطاقم سفينة صيد على شواطىء توسكانيا وحينما جيء بمن فيها الى طرابلس ، سخر الباشا قائلاً : ان الأسرى لن يصبحوا عبيداً كما كان الحال في الماضي ولكن سيصبحون أسرى [١] .

وهكذا بقيت مسألة أمن البحر المتوسط تتأرجح بين المؤتمرات الاوروبية الى سنة ١٨١٨ ،حينما عقد مؤتمر اكس لاشابيل « Aix La Chapelle » فنوقش هذا الموضوع من جديد،ولما لم تصل الدول المجتمعة الى الاتفاق على مشروع موحد ، قررت ارسال انذار الى نيابات الشمال الافريقي ينص على ان أي اعتداء على تجارة الدول الأوروبية سوف يقابل بالقوة وكلفت انكلترا وفرنسا بإبلاغ هذه الايالات هذا الانذار [٢] .

---

١ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ١٧٨ .

٢ P. Costanzo Bergna : Tripoli Dal 1510 Al 1850 P. 266-67.

وليس للحصول على مثل هذه الامتيازات التي حصلت عليها امريكا بعد انتصارها على يوسف باشا .

ومما هو جدير بالذكر انه في الوقت الذي كان فيه اكسموث يقوم بتحقيق هذه الاغراض ، كان هناك مؤتمر منعقد في لندن بدعوة من وزير خارجية انكلترا لمناقشة اقتراح بانشاء عصبة بحرية لمنع القرصنة في البحر المتوسط .

غير أن هذا الاقتراح رفض لعدم موافقة كل من فرنسا والنمسا وروسيا عليه لأن هذه الدول وان تعللت بأن استخدام القوة يجب أن يكون من الباب العالي بحكم ان هذه الايالات تابعة له ، فهي في الحقيقة لا تريد ان تكون القيادة العامة لهذا الاسطول المشترك في يد انكلترا .

أما عن يوسف باشا فإنه بمجرد ان غادر اكسموث طرابلس وابتعد عن العيان أصدر أمره الى مغامريه بمزاولة نشاطهم البحري ، وقد تمكن رجال الباشا من أسر بعض السفن التابعة لدولة البابوية وطاقم سفينة صيد على شواطىء توسكانيا وحينما جيء بمن فيها الى طرابلس ، سخر الباشا قائلاً : ان الأسرى لن يصبحوا عبيداً كما كان الحال في الماضي ولكن سيصبحون أسرى [1] .

وهكذا بقيت مسألة أمن البحر المتوسط تتأرجح بين المؤتمرات الاوروبية الى سنة ١٨١٨ ،حينما عقد مؤتمر اكس لاشابيل « Aix La Chapelle » فنوقش هذا الموضوع من جديد،ولما لم تصل الدول المجتمعة الى الاتفاق على مشروع موحد ، قررت ارسال انذار الى نيابات الشمال الافريقي ينص على ان أي اعتداء على تجارة الدول الأوروبية سوف يقابل بالقوة وكلفت انكلترا وفرنسا بإبلاغ هذه الايالات هذا الانذار [2] .

---

١ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ١٧٨ .

٢ P. Costanzo Bergna : Tripoli Dal 1510 Al 1850 P. 266-67.

وفي يوم ٨ اكتوبر سنة ١٨١٨ وصل الاسطول الانكليزي بقيادة فريمانتل « Fremantl » والأسطول الفرنسي بقيادة الأميرال جوربان دي لوجرافييه « Le Gravier » وابلغا الباشا بنص الانذار. وبالرغم من تصريحه لهما بأنه سوف يترك الغزو ، الا انهما قد طلبا منه الرد على هذا الانذار كتابة .

وفيما يلي نص الخطاب الذي قبل به يوسف باشا قرارات المؤتمر كما ذكره ميكاكي [١] .

« سادتي ، تسلمنا الآن خطابكم الرسمي المؤرخ بتاريخ اليوم ورداً عليه نتشرف باخباركم بأن صاحب الجلالة ملك فرنسا وصاحب الجلالة ملك انكلترا لا يجب ان يجهلا انه لم تخرج من موانئنا منذ عهد بعيد أية سفينة غزو لاقلاق أية دولة أوروبية ، وان نيابتنا تتجه وستتجه دائماً لارضاء رغبات جلالتي ملك انكلترا وملك فرنسا ، وتجنب أعمال الغزو ، وان نعيش على وفاق تام مع جميع الدول الاوروبية . هذه هي نيتنا موضحة في المذكرة التي سلمناها مختومة بخاتمنا الملكي [٢] لابلاغها الى المؤتمر والتي نراعيها بكل أمانة واخلاص. تحريراً في طرابلس في يوم ٢٧ ذي الحجة سنة ١٢٣٤ » .

يعد قبول يوسف باشا لهذا الانذار والتعهد بتنفيذ ما جاء فيه بالاضافة الى تعهده السابق بعدم استرقاق المسيحيين ، عاملاً من أهم العوامل التي ساعدت على سقوط حكمه وحكم اسرته من بعده .

---

١ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ١٨٤ ، هامش رقم ٢ ، نقلا عن خطاب القنصل الفرنسي « مير » بتاريخ ١٢ اكتوبر ١٨١٩ .

٢ بالرجوع الى مراسلات يوسف باشا المختلفة وخاصة التي لا يكتبها بنفسه نجد ان الكتاب تارة يصفونه بأمير الامراء ، وتارة اخرى بالباشا ، وفي هذه الرسالة قد وصف بانه ملك .

والغريب ان يوسف باشا يوقع على هذه الرسائل راضيا باي صفة يقرن بها اسمه .

حيث أنه بقبوله الغاء تجارة الرقيق وانهاء أعمال الغزو البحري ، فقد أهم مصادر ثروته ، وأصبح يعاني ضائقة اقتصادية شديدة ، وقد زاد في شدتها محاولة بعض الدول الأوروبية الصغرى كسردينيا ونابولي التخلص من دفع ما فرض عليها من اتاوات سنوية وقد نجحت في تحقيق ذلك كما رأينا . فدفعته حاجته الشديدة الى المال الى الاستدانة بشروط مثقلة، مما أدى الى التدخل الأجنبي في شؤون البلاد ، وحينما عجز عن دفع ما عليه من ديون التجأ الى غش العملة واثقال كاهل المواطنين بالضرائب، فاجتاحت البلاد ثورات عارمة كانت نتيجتها الاطاحة بحكم هذه الأسرة ورجوع البلاد الى الحكم العثماني المباشر من جديد .

موقف يوسف باشا من الولايات الاسلامية المجاورة

أما عن علاقة يوسف باشا بحكام الولايات الاسلامية المجاورة وهي تونس ومصر ، فقد كانت حسنة في أغلب الأوقات ، وان طرأ على هذه العلاقات شيء من التأزم في بعض الأحيان ، فان هذا التأزم سرعان ما يزول وتعود العلاقات الطيبة بينهم من جديد .

بل كانت مصر وتونس على الدوام تمنحان الحماية والرعاية لكل من يلجأ اليها سواء أكان من حكام الاسرة القرمانلية أو من مختلف طبقات الشعب ، كلما دفعتهم الحاجة الى هذا الالتجاء .

فمثلاً ، حينما احتل علي برغل مدينة طرابلس سنة ١٧٩٣ ، التجأ أفراد العائلة القرمانلية الحاكمة آنذاك الى تونس ، وهناك قابلهم باي تونس حمودة باشا بكل مظاهر الاحترام والتقدير ، ورفض مساعدة علي برغل حينما طلب منه تزويده بالسلاح والذخيرة لكي يستطيع بذلك

توطيد دعائم حكمه في البلاد [١] .

ولما اعترف السلطان العثماني بعلي برغل ، وأرسل اليه فرمان التولية أرسل كذلك إلى حمودة باشا يطلب منه عدم تقديم أية مساعدة للعائلة القرمانلية ، غير أن حمودة لم يهتم بأوامر السلطان،وحينما وجد ان الفرصة مواتية للعمل على اعادة هذه العائلة إلى وطنها ، فإنه لم يتردد ، وقد تحقق له ذلك في سنة ١٧٩٥ ، حينما استطاع الجيش التونسي اعادة هذه الأسرة إلى الحكم من جديد ، بل ان هذا الجيش انتظر ما يقرب من شهرين في مدينة طرابلس لاخماد أية حركة مناوئة قد تستهدف الاطاحة بحكم هذه الأسرة . وحينما تأكد هذا الجيش من استقرار الأمور في البلاد رجع من حيث أتى .

وكما سبق القول ، فقد قدرت تكاليف هذه الحملة بمائة وستين الف محبوب،دفع منها مقدماً عشرون الفاً والباقي جعل ديناً بسند على الحكومة القرمانلية .

وكان حمودة باشا أيضاً من ضمن الذين بذلوا جهوداً مشكورة لدى السلطان العثماني من أجل جعله يوافق على تعيين يوسف باشا والياً على طرابلس .

غير أن يوسف باشا تنكر لكل هذا الجميل ، فحينما استولى على السلطة من أخيه أحمد ، وأصبح سيد البلاد المطاع والآمر الناهي،وكثرت أمواله بفضل المكانة التي كان يتمتع بها أسطوله في البحر الأبيض المتوسط رفض تسديد بقية الديون التي كانت تطلبها منهم الحكومة التونسية نظير ارجاع عرش البلاد اليهم، وتعلل يوسف باشا في رفضه بأن السند سابق

---

١ 1. B. Roy : « Documents sur l'expédition de Tripoli en 1209 de l'Hégire (1795) ». P. 283.
Revue Tunisienne, Juillet, 1906, XIIIe Année No. 58.
بملكية الجمعية الجغرافية المصرية . رقم ١٤٢ .

الذكر ليس بتوقيعه وانما هو بتوقيع أحمد ولذلك فإنه لا يعترف به ، ولا يمكن تسديده ، وخاصة وان أهالي اغدامس كانوا منذ خمس سنوات يدفعون الضرائب إلى تونس بدلاً من دفعها إلى طرابلس .

ولم يكتف يوسف باشا برفض تسديد هذا الدين ، بل قرر في سنة ١٨١٠ ضم اغدامس إلى طرابلس حيث انها تعتبر جزءاً متمماً لها [١] .

فأرسل حملة إلى اغدامس أسند قيادتها إلى ابنه علي ، وحينما وصلت هذه الحملة إلى اغدامس رفض الأهالي الخضوع لسلطة يوسف باشا ، فقام علي بمحاصرتها لمدة ثلاثة أيام . ولما شعر أهالي المدينة بعجزهم عن المقاومة وخشي الناس من أن هذا الجيش سوف ينتصر في النهاية وانهم سوف يتعرضون للسلب والنهب ، اجتمع العلماء منهم والوجهاء وطلبوا من علي بك الأمان نظير الاعتراف بسلطة الباشا فوافقهم على ذلك واشترط لرفع الحصار ما يأتي [٢] :

أولاً : دفع ضعف الضرائب التي دفعوها لتونس في مدة الخمس سنوات الماضية . وقد قدرت هذه الضرائب بعشرين ألف مثقال من الذهب .

ثانياً : دفع مائة وعشرين ألف محبوب أي حوالى ٤٨٠ ألف فرنك نفقات الحملة [٣] .

ثالثاً : اعادة دفع الضرائب كالمعتاد الى طرابلس سنوياً .

---

١ احمد النائب : « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ج ١ ص ٣٣٤ .

٢ Aziz Samih : « Simali Afrikada Turkler ».

٣ يذكر احمد النائب في كتابه : « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » صفحة ٣٣٤ بأن المبالغ التي فرضها علي بن يوسف باشا على اهالي اغدامس هي : عشرون الف مثقال من الذهب العين ، وعشرون الف محبوب على غير ما قال به عزيز سامح .

ووافق الأهالي على هذه الشروط ودفعوا له ما انفق عليه وعين عليهم بعض الموظفين من عنده ورجع محملاً بالأموال .

وفيما عدا هذه المشاكل فان العلاقة بين يوسف وتونس كانت حسنة بصفة عامة وزاد خطر تهديد محمد علي باشا باحتلال الشمال الافريقي في قوة هذه العلاقة وزيادة التقارب بين البلدين .

وكذلك الحال بالنسبة لمصر فقد كانت العلاقة بينها وبين طرابلس طيبة في أغلب فترات حياة يوسف باشا ، وقد فتحت مصر ذراعيها مرحبة بكل واحد جاء اليها سواء من اجل الحماية ، أو طلباً للرزق أو فراراً من الظلم والاضطهاد .

وكان من بين من جاءها للحماية ، أحمد بك شقيق يوسف باشا ، وقد عاش فيها مدة طويلة سواء أكان ذلك قبل مجيء الحملة الأمريكية الى طرابلس سنة ١٨٠٥ أو بعدها . وتزوج فيها من اسرة مللوم، وحينما توفي سنة ١٨١١ دفن فيها أيضاً. وكذلك قصدها عثمان بن يوسف باشا وعاش فيها مدة وحينما توفي بالاسكندرية دفن فيها كما يدفن في بلده ووطنه .

كما اختارتها قبائل الجوازي والفوائد موطناً ثانياً لها بعد أن اضطرت الى مغادرة أراضي برقة كما سبق القول ، وكذلك انسحبت اليها قبيلة أولاد علي بعد غارة يوسف عليهم ولا يزال الكثير من أفراد هذه العائلة يعيشون الى اليوم في صحراء مصر الغربية .

ولم تتأزم العلاقة السياسية بين مصر وطرابلس إلا بعد أن انتشرت الأنباء عن محاولة محمد علي باشا الاشتراك مع فرنسا في حملتها على الشمال الافريقي اثر النزاع الذي حدث بين داي الجزائر والحكومة الفرنسية سنة ١٨٢٧ .

أما عن أسباب هذا النزاع فهي متعددة ومختلفة الجوانب ، غير أن أهمها بالنسبة للحكومة الفرنسية حادثة الاعتداء على قنصلها ديفال «Deval» .

فقد كان لأحد رعايا داي الجزائر حسين باشا ، شركة مع بعض تجار من الفرنسيين ، وفي احدى المرات ادعى الشركاء الذين هم من الفرنسيين أنهم أصيبوا بخسائر ، ولم يتحصل منهم شريكهم الجزائري على أي شيء. وكان هذا الشريك من اليهود ويدعى « بكري أبو جناح » فاشتكى إلى الداي ، وبعد مفاوضات كثيرة بين الداي والقنصل الفرنسي تم الاتفاق بينهما على دفع مبلغ كبير من المال تعويضاً لبكري .

ولكن بكري ، شعر بأن الداي ينوي الاستيلاء على هذا المبلغ حين تسليمه له ، فاتفق مع بعض التجار من الفرنسيين ، فادعوا بأنهم يطلبون من بكري ديوناً لم يسددها لهم ؛ وطلبوا من القنصل الفرنسي وقف المبلغ الذي كان قد وعد بدفعه لبكري .

وحينما حان موعد سداد المبلغ طلب الداي رفع الايقاف وسداد الدين فامتنع القنصل الفرنسي عن ذلك مستنداً إلى أن المال المعرقل مال المدين والغرماء لهم الحق فيه إلا إذا ضمنه من يرضون بذمته [١] .

فكتب الداي رسالة إلى الحكومة الفرنسية بهذا الخصوص ، غير أن الحكومة الفرنسية لم ترد على الداي مباشرة ، بل أرسلت ردها إلى قنصلها في الجزائر وطلبت منه ابلاغ الداي به .

وفي ابريل سنة ١٨٢٧ ، بينما كان القنصل الفرنسي ديفال في مقابلة مع الداي طلب منه الداي تفسير سبب عدم رد حكومته عليه ، فأجابه القنصل اجابة شعر الداي انها تحمل معنى الاحتقار له ، وكانت بيده منشة لطرد الذباب فضرب بها القنصل على وجهه وطرده .

كان لهذا الحادث صداه في الأوساط الفرنسية ، ولكن نظراً للظروف

---

١ الشيخ محمد بيرم التونسي : « صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاخبار » المطبعية الاعلامية بمصر ، ١٣٠٢ هـ ـ الطبعة الاولى ج ٤ ، ص ٨ ، ٩ ، يوجد هذا الكتاب بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٥٥٢٢ .

السياسية التي تمر بها فرنسا في ذلك الوقت ، فإنهـا لم تشأ الدخول في حرب مع الداي .

ولكن أخذت تفكر في وسيلة ترد بها كرامتها التي جرحت ، لذلك قررت في ٢٣ يونيو سنـة ١٨٢٩ ، ارسال المـلازم دي لابريتونير « De La Bretonnière » قائد السفينة « بروفينس » إلى الجزائر ليطلب من الداي الاعتذار عما حدث منه .

وفي ٣٠ يوليو ١٨٢٩ وصل بريتونير إلى الجزائر وقابل الباشا وقدم اليه ثلاثة مطالب نظير اعادة العلاقة الودية بين البلدين ، وهذه المطالب هي ارسال الداي أحد مندوبيه إلى ملك فرنسا لكي يعتذر له عما حدث واطلاق الأسرى الذين عنده ، وعقد هدنة توطئة للوصول إلى صلح بين الطرفين .

ولكن الداي رفض هذه المطالب،وعندئذ اضطر بريتونير إلى الرجوع إلى بلده ، وشاءت الرياح أن تجبر السفينة « بروفينس » عـلى المرور بجانب بطاريات الشاطىء فظنها رجال الداي انها تنوي ضربهم ، فأطلقوا عليها النيران فأصيبت ببعض الأضرار ، ورغم ذلك فإن السفينة استمرت في سيرها ولم يشأ قائدها الدخول في معركة وحيداً [١] .

وحينما وصلت أنباء هذا الحادث إلى باريس ثار الشعب مطالباً الحكومة بعمل حاسم ازاء هذه الاعتداءات المتكررة .

وازاء هذا السخط لم يجد بولينياك رئيس وزراء فرنسا مفراً من اعادة بحث المشروع الذي قدمه دروفتي « Drovetti » قنصل فرنسا العـام في مصر الى وزير الخارجية الفرنسية السابق لافيروني « La Ferrony » والذي لم ينفذ في ذلك الوقت .

---

١ G. Douin «Mohamed Ali et l'expédition d'Alger (1829-30)» Le Caire 1930, p. I. II. III.

ويقضي هذا المشروع بمعاقبة داي الجزائر بواسطة محمد علي باشا ، حيث يستطيع هـــذا الأخير تنظيم حملة يمكنه بها التغلب على الولايات البربرية الثلاث وهي : طرابلس ، وتونس ، والجزائر ، بدلاً من قيام فرنسا وحدها بهذا العمل فتثير بذلك غيرة الانكليز واحتجاجهم عليها[1] .

ولقد كان لهذا المشروع أهميـــة كبرى في نظر بولينياك ، لأنه من ناحية سوف يرد لفرنسا اعتبارها بعد اهانة الداي لها ، ثم يزيد في عرى الصداقة بـــين فرنسا ومحمد علي فتتحقق بذلك رغبته في توجيه سياسة فرنسا في البحر الأبيض المتوسط نحو مصر لاهميتهـــا الاستراتيجية في نظر فرنسا .

وعلى هذا الأساس نجده يوافق على مشروع دروفتي ، وخـاصة انه علم منه بأن محمد عـــلي باشا لم يطلب نظير اشتراكه في هذا المشروع سوى الحصول على موافقة السلطان المبدئية ، وعلى مساعدة من الحكومة الفرنسية قيمتها عشرة ملايين فرنك .

لذلك أصدر بولينياك بعد مشاورة الملك أوامره الى السفـير الفرنسي بالقسطنطينية الجنرال جويمينو « Guilliminot » للعمل على الحصول عـلى هذه الموافقة ، والى ميميو « Mimaut » القنصل الفرنسي العام في مصر بعد دروفتي ، لاستئناف المفاوضات مع محمد علي باشا ، كما أرسل اليـــه الملازم « هودار » لمعاونته في هذه المفاوضات .

وعندما قدم السفير الفرنسي بالقسطنطينية هذا المشروع للسلطان العثماني محمود الثاني فانه رفضه ، وصرح بأن التدخل يجب أن يكون من عنده وذلك بارسال موظف آخر الى الجزائر وهو طاهر باشا الذي عرف بعدائه

---

١ Dodwell H. : «The founder of Modern Egypt».
«A Study of Mohamed Ali» 1st. Ed.
University Press, Cambridge, 1931, p. 97.
مكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٣٥٧٦٢ .

لفرنسا ، وانه بكل تأكيد سوف يستطيع ارجاع الداي الى صوابه بدون أن تكون هناك حاجة الى استعمال القوة [1] .

أما محمد علي باشا الذي كان في الحقيقة لا يرغب في المضي في هذا المشروع الى نهايته ، فانه بعد ان سمع برفض السلطان لهذا المشروع ، فكر في ايجاد وسيلة لاطالة هذه المفاوضات ، فأعلم « ميمو وهودار » بأنه مستعد للاستمرار في هذا المشروع ، على أن تكون لحملته صبغة واحدة وهي الصبغة الاسلامية، لأنها أساس نجاحه ، ولهذا فانه لا يرغب في المساعدة من فرنسا سواء أكانت هذه المساعدة عن طريق البر أو البحر . وانما هو في حاجة الى أربعة ملايين ريال كسلفة ، وان تهديه الحكومة الفرنسية في نفس الوقت أربع سفن حربية ذات الثمانين مدفعاً .

فوجىء ميمو وهودار بهذا التغيير الذي طرأ على تفكير محمد علي باشا. وحينما حاولا اقناعه بأن موضوع هذه السفن لم يكن للحكومة الفرنسية أي علم بها ، وطلبوا منه أخذ مبلغ كبير من المال نظير التنازل عن طلب هذه السفن،صمم محمد علي باشا على طلبه ، وكأنه قد وجد فيه منفذاً له من هذا المشروع الذي وجد نفسه قد أقحم فيه . وأعلمهم بأن طلبه هذا الخاص بالسفن كان دائماً جزءاً أساسياً من مناقشاته السابقة مع دروفتي .

ونتيجة لاصرار محمد علي على طلبه ، قرر هودار السفر إلى باريس لأخذ رأي بولينياك في هذا الموضوع ، وحينما اجتمع بولينياك بأعضاء حكومته لمناقشة طلب محمد علي باشا ، رأى البعض منهم أنه من غير المشرف أن يحل علم دولة أخرى محل العلم الفرنسي على هذه السفن ، وهدد وزير البحرية بالاستقالة في حالة الموافقة على هذا الطلب ، كما أن

---

١ Guilliminet, 2 Décembre 1929, (Douin: Mohamed Ali et l'expédition d'Alger : pp. 53 sqq).

لفرنسا ، وانه بكل تأكيد سوف يستطيع ارجاع الداي الى صوابه بدون أن تكون هناك حاجة الى استعمال القوة [1] .

أما محمد علي باشا الذي كان في الحقيقـة لا يرغب في المضي في هذا المشروع الى نهايته ، فانه بعد ان سمع برفض السلطان لهذا المشروع ، فكر في ايجاد وسيلة لاطالة هذه المفاوضات ؛ فأعلم « ميمو وهودار » بأنه مستعد للاستمرار في هذا المشروع ، على أن تكون لحملتـه صبغة واحدة وهي الصبغة الاسلامية ، لأنها أساس نجاحه ، ولهذا فانه لا يرغب في المساعدة من فرنسا سواء أكانت هذه المساعدة عن طريق البـر أو البحر . وانما هو في حاجة الى أربعة ملايين ريال كسلفة ، وان تهديه الحكومة الفرنسية في نفس الوقت أربع سفن حربية ذات الثمانين مدفعاً .

فوجيء ميمو وهودار بهذا التغيير الذي طرأ على تفكير محمد علي باشا . وحينما حاولا اقناعه بأن موضوع هذه السفن لم يكن للحكومـة الفرنسيـة أي علم بها ، وطلبوا منه أخذ مبلغ كبير من المـال نظير التنازل عن طلب هذه السفن ، صمم محمد علي باشا على طلبه ، وكأنه قـد وجد فيه منفذاً له من هذا المشروع الذي وجد نفسه قد أقحم فيه . وأعلمهم بأن طلبه هذا الخاص بالسفن كان دائماً جزءاً أساسياً من مناقشاته السابقـة مع دروفتي .

ونتيجة لاصرار محمد علي على طلبه ، قرر هودار السفر إلى باريس لأخذ رأي بولينياك في هـذا الموضوع ، وحينما اجتمـع بولينياك بأعضاء حكومته لمناقشة طلب محمد علي باشا ، رأى البعض منهم أنـه من غير المشرف أن يحل علم دولة أخرى محل العلم الفرنسي على هـذه السفن ، وهدد وزير البحرية بالاستقالة في حالة الموافقة على هذا الطلب ، كما أن

---

[1] Guilliminet, 2 Décembre 1929, (Douin: Mohamed Ali et l'expédition d'Alger : pp. 53 sqq).

وزير الحربية الذي كان يرى آمالــه وطموحه الشخصي في هذه الحملة فلم يوافق على أن يسمح لنفسه بأن يحـل ابراهيم باشا محلهـــا أي انه لم يوافق على أن يكون شرف هذا النصر لابراهيم باشا وبذلك لم ينل هذا المشروع موافقة الحكومة الفرنسية [١] .

واقترح تعديل هذا المشروع بحيث لا يتعارض مع رغبـة محمد عـلي من ناحية ومن ناحية أخـرى تتخلص فرنسا من اعطـاء هذه السفن . ويتلخص هذا المشروع الجديد في أن تدفع الحكومة الفرنسية لمحمد علي مبلغاً من المال يساوي ثمن هذه السفن التي طلبها وتتعهد بحمايته إذا تعرض لأي اعتداء من جانب دولة أخرى .

ولكن محمد علي رفض هذا المشروع، كما رفض فكرة فرنسا الأخرى وهي انشاء أربع سفن حربية له على نفقتها في الترسانة الفرنسية ، وأصر على طلبه الأول .

أثارت هذه المفاوضات قلق الدول الأخرى ، فنجد ان روسيا مثلاً وان لم تعلن موافقتها أو معارضتها لهذا المشروع ، إلا انها صرحت بأنه لا يمكن تنفيذه .

أما انكلترا فإنها أعلنت معارضتها التامـة لهذا المشروع ، وأصدرت أوامرها إلى سفيرها بالقسطنطينية باقناع السلطان بضرورة عدم موافقته على اشتراك محمد علي في هذا المشروع ، واستطاع السفير أن ينجح في أداء هذه المهمة وكذلك حاول قنصلها في مصر اقناع محمد علي لتغيير رأيه .

وكان دافع انكلترا على هذه المعارضة هو خوفهـا من ازدياد النفوذ الفرنسي في هذه المناطق مما سوف يؤدي إلى الاضرار بمركزها في البحر الأبيض المتوسط .

---

١ Dodwell H. : «The founder of Modern Egypt» «A study of Mohamed Ali», p. 101.

كما أعلنت النمسا معارضتها لهذا المشروع . أما سردينيا فإنها بالاضافة إلى معارضتها لهذا المشروع فإنها تقدمت باقتراح يقضي بضم طرابلس الى مصر ، واعطاء الجزائر الى فرسان مالطة ، والاعتراف باستقلال تونس تمهيداً لاحتلالها فيما بعد [1] .

غير أن بولينياك لم يهتم بمعارضة هذه الدول ، فحينما رفض محمد علي باشا المشروع الفرنسي الثاني ، لم ييأس من هذه المفاوضات ، وقدم الى محمد علي باشا مشروعاً جديداً ، يقضي بقيام حملة مشتركة من فرنسا ضد الجزائر ، ومن مصر ضد طرابلس وتونس . ولكن محمد علي باشا رفض هذا المشروع أيضاً ، واعلن عن عدم استعداده للقيام بأي عمل حربي ضد هذه الولايات الاسلامية ، لأن ذلك سوف يفقده مكانته وشعبيته بين مواطنيه .

وبذلك انتهت هذه المفاوضات بصفة نهائية ، وقامت فرنسا وحدها سنة ١٨٣٠ باحتلال مدينة الجزائر .

وتوضح لنا أحداث هذه المفاوضات وتطوراتها بين محمد علي باشا والحكومة الفرنسية ملاحظة هامة وهي ان هذا المشروع قد وضعه دروفتي القنصل الفرنسي في مصر ، وانه قدمه لمحمد علي باشا مظهراً له مزايا التعاون مع فرنسا في حملتها على الجزائر بدلاً من ازعاجه لاوروبا بمغامراته في سوريا فوافق على ذلك .

كما يتضح لنا من سير هذه المباحثات ، ان محمد علي لم يكن جاداً في المضي في هذا المشروع إلى نهايته، وانما كان هدفه من هذه الموافقة هو رفع مكانته في نظر السلطان وانكلترا .

فقد كانت العلاقات السياسية بينه وبين السلطان متأزمة بسبب انسحابه من حرب اليونان وتركه للسلطان وحده في ميدان القتال ، وكذلك لعدم

---

[1] ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ٢١٩ ، ٢٢٠ .

مساعدته في حربه مع روسيا في البلقان ، فأراد بذلك أن يظهر له بأنه لا زال باقياً على ولائه لعرشه بدليل انه اشترط على فرنسا الحصول على موافقته أولاً قبل اشتراكه في هذا المشروع .

أما من ناحية انكلترا فأراد أن يظهر لها انه عامل قوة في هذه المنطقة بدليل ان فرنسا وهي الدولة الكبرى تطلب اشتراكه في مشروعها هذا ليتحقق لها النجاح . وانها هي أي انكلترا تستطيـــع أن تعتمد عليه في وقف تقدم الروس نحو الهند فتسعى إلى صداقته ، فيزول بذلك الحاجز الذي كان يعرقل عليه تنفيذ خططه التوسعية في بلاد الشام .

وعلى هذا الأساس نجده يراوغ في مباحثاته مع فرنسا فكلما تقدمت اليه بحل يرفضه ويطالب بشروط جديدة .

ولما رأى ان هذه المساومة لم تحقق له الفائـــدة المرجوة ، سئم هذه المفاوضات وأعلن رفضه النهائي لهذا المشروع .

أما عن صدى هذه الأحداث في طرابلس، فإننا نجد أن يوسف باشا ما أن علم بهذه المفاوضات حتى حاول التقـــرب إلى وارنجتون القنصل الانكليزي في طرابلس لعله يجد منه المساعدة إذا لزم الأمر لذلك ، كما اكثر من اتصالاته مع كل من باي تونس وداي الجزائر للتشاور في خطة العمل ، ولمتابعة تطورات الموقف .

وحينما وصلته الأنباء بالمشروع الفرنسي الأخير استدعى مجلسه للتشاور في الأمر ، وأظهر أعضاء المجلس استعدادهم للدفـاع عن وطنهم ضد أي اعتداء كما كلف المجلس الحاج محمد شلبي بيت المال ، بالسفر الى برقة لجمع الجيوش استعداداً للقتال .

وأظهر الشعب استعداده للتضحية في سبيل وطنه ، وكان حماس أهالي الساحل والمنشية مغرياً للباشا لدرجة انه أصدر أوامره بتوزيع السلاح والذخيرة عليهم ، فاستعمل هذا السلاح فيما بعد في قتال يوسف وابنه علي بدلاً من استعماله في قتال فرنسا ومحمد علي .

كما طلب يوسف باشا من وارنجتون العمل على الحصول على معلومات أكيدة عما قيل عن استعدادات محمد وحشده للجيوش استعداداً للهجوم بها على برقة .

ولم يستطع وارنجتون تهدئة روع الباشا حتى بعد أن أكد له بأن حكومته لن توافق أبداً على توسيع رقعة الأراضي المصرية، وان مصلحتها السياسية تجعلها حريصة على بقاء نيابات الغرب الثلاثة على حالتها الراهنة [1] .

ولكن بالرغم من هذا التأكيد فان قلق يوسف باشا أخذ في ازدياد مستمر الى أن وصلته رسالة من الحاج محمد شلبي أكد له فيها بأن الاستعدادات التي يقوم بها والي مصر ليس لغرض الهجوم بها على طرابلس، وانما من أجل بلاد الشام ، كما أكدت له المصادر الانكليزية فشل فرنسا في الوصول الى اتفاق مع محمد علي وان هذا الأخير رفض بصورة نهائية الاشتراك في المشروع السابق . ۱

وبذلك اطمأن يوسف باشا وهدأت نفسه القلقة المضطربة ، ولم تمض مدة طويلة حتى عادت العلاقات الحسنة بين الشقيقتين كسابق عهدها .

---

١ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ٢٢١ .

الفصل الثالث

سياسة يوسف باشا الداخلية

النظام الاداري

القضاء والتعليم

الصناعة والزراعة

التجارة

الجيش والأسطول

النظام الاداري

لقد ظلت البلاد طوال العهد القرمانلي على نفس التقسيمات الادارية التي كانت عليها في العهد العثماني الأول ، أي انها كانت تنقسم إلى ثلاثة ألوية وكل لواء كان ينقسم إلى عدة أقضية وكل قضاء إلى عدة نواحي .

وتمثل طرابلس وبنغازي أهم هذه الألوية ، وكان الباشا القرمانلي يحكم اللواء الأول بنفسه ويسند حكم اللواء الثاني إلى أحد أبنائه أو من يثق في اخلاصه وولائه من أقربائه ، ويتمتع هذا الحاكم بلقب « بك » وله في لوائه ما للباشا من سلطة واختصاصات .

أما عن أهم الوظائف في العهد القرمانلي فهي وظيفة البك وكانت تسند عادة إلى أحد أبناء الباشا ، ومن مهامه رئاسة القوات العسكرية ونشر الأمن والنظام في البلاد وتحصيل الضرائب ، غير أن البك في عهد يوسف باشا كان في بعض الأحيان يسند مهام جمع الضرائب إلى بعض رؤساء الجند .

ويلي البك في الأهمية رئيس البحرية أو قبطان الميناء وكانت مهمته الاشراف على الأسطول وتوفير كل ما يحتاجه من لوازم مختلفة ويقوم بتجهيز السفن للقيام بالمهمة التي تسند اليها ، كما يضع النظام والترتيبات الخاصة بكيفية ابحارها وتحصيل الضرائب الجمركية وكان من بينهم

المسيحيون الذين أعتنقوا الدين الاسلامي وفضلوا البقاء في طرابلس على الرجوع إلى بلادهم .

وكان لرئيس البحرية في العهد القرمانلي مكانة سامية أهلته في كثير من الأحيان إلى مصاهرة الباشا ، كما حدث في عهد علي باشا القرمانلي وفي عهد إبنه يوسف باشا حيث زوج كل منهما احدى بناته إلى رئيس بحريته وذلك أملاً في الحصول على ولائه له .

أما الخازندار كما كان يسمى في عهد يوسف باشا باسم وزير المالية فكانت مهمته الاشراف على الشؤون المالية وارسال الرسائل الرسمية الى غير ذلك من المهام التي يرى الباشا اسنادها اليه .

كما أوجد يوسف باشا وظيفة جديدة اطلق على صاحبها اسم كبير الوزراء ، ووظيفة ثانية اطلق على صاحبها اسم وزير الخارجية [1] وكان لهذين الوزيرين مكانة عظيمة في عهد يوسف باشا ، فهو وان كان مستشاره الخاص ايطالي الجنسية [2] الا أنه كان لا يقدم على عمل ما إلا بعد الرجوع الى هذين الوزيرين لأخذ وجهة نظرهما في أي أمر من الامور . كما كان يرسل من يشاء منهما الى الدول الاوروبية لانهاء أي مشكلة من المشاكل التي كانت تحدث أحياناً بين يوسف باشا وبعض هذه الدول ، وكان لهذا المندوب مطلق الحرية في التفاوض وما يقرره كان يقبله يوسف بدون اعتراض .

ونظراً لما كان لهذين الوزيرين من مكانة سامية لدى يوسف باشا ، فإننا نجد قناصل الدول الكبرى مثل انكلترا وفرنسا يتنافسون في الحصول

---

١ محمد نوري ومحمود ناجي : «طرابلس الغرب تاريخي» استانبول ١٢٣٠ ص ١٤٣، ١٤٤ وهو باللغة التركية وقد ترجم لي منه ما يتعلق بموضوع رسالتي الحاج محمد الاسطى .

٢ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ٢١٠ .

على صداقتهما ليكون هذا الوزير وسيطاً لدى الباشا اذا ما احتاج الأمر الى وساطة .

أما الكيخيا الكبير فمهمته تقديم المشورة للباشا إذا ما طلب منه ذلك، أي انه مستشار الباشا الثاني ، غير أن يوسف باشا كان في الحقيقة لا يقصر مشورته على شخص معين،بل نجده يلجأ في كثير من الأحيان الى استشارة من يرى انه من الممكن الاستفادة برأيه فيما يصعب عليه من أمور .

ويحل الكيخيا الصغير محل الكيخيا الكبير في حالة غيابه أو مرضه ، بالاضافة الى الاهتمام بشؤون القلعة ورئاسة حرس الباشا ، كما كان يعهد اليه بتربية البلك وتعليمه .

وبالاضافة الى هذه الوظائف كانت هناك وظيفة القائد ومهمته حكم بعض النواحي ، وشيخ البلد ومهمته مساعدة البلك في حفظ النظام في البلاد ، أما القاضي فمهمته الفصل فيما يقع من خصومات بين الأهالي وخاصة فيما يتعلق بالأحوال الشخصية كالزواج والطلاق والارث ؛ إلى غير ذلك من الامور التي يتطلب الحكم فيها الرجوع الى احكام الشريعة الاسلامية .

وكان الباشا الحاكم الأول في البلاد يساعده مجلس يطلق عليه اسم الديوان ، ويتألف عادة من رئيس البحرية والخازندار أو وزير المالية وشيخ البلد والقاضي الشرعي وقائد الانكشارية ، وأربعة من الموظفين للقيام بالأعمال الكتابية واثنين من المترجمين ، أحدهما يقوم بالترجمة من العربية الى التركية والثاني من التركية الى العربية ، وان كان يوسف في بعض الحالات الطارئة يجمع الى هؤلاء الأعضاء بعض أعيان البلاد للتشاور فيما يحدث بالبلاد من حالات طارئة .

أما في الظروف العادية فان الديوان يتكون من الأعضاء الذين سبق ذكرهم . ويعقد الديوان جلساته من الصباح الى الظهر وفي خلال هذه

الفترة يسمح للأهالي بالتقدم اليه للتعبير عن رغباتهم وتقديم مــا لديهم من الشكاوى ، ويقوم الديوان بمناقشة ما يقدم اليــه من أمور ويصدر قراراته فيها .

أما في فترة ما بعد الظهر فـلا يحق للأهالي مراجعــة الديوان حيث يقصر أعماله على البحث في الأمور المتعلقة بالدولة .

ويعطل هذا الديوان جلساته الرسمية يوم الجمعــة ، أما يوم الثلاثاء فإن هذا المجلس يعقد جلسة خاصة يحضرها الباشا وكبير الوزراء ووزير الخارجية ليعرض فيها أعضاء الديوان مـا قاموا به من أعمـال ، ولأخذ رأي الباشا في بعض الأمور التي لا يحق للديوان أخذ أي قرار فيها قبل الرجوع إلى الباشا .

ولهذا المجلس صلاحية اصدار الأحكام على المجرمين بأي نوع من العقوبات التي يراها مناسبة ، غير أن الحكم بقطع أحد أعضاء الجسم أو الاعدام لا ينفذ إلا بعد موافقة الباشا .

ويذكر لنا الرحالة الانكليزي الكابتن ليون [١] « Lyon » الذي زار طرابلس أثناء حكم يوسف باشا ، ان وسائل العقاب في طرابلس تختلف اختلافاً كلياً عن تلك التي تزاول في أوروبا ، حيث ان الكثير من هذه العقوبات تقرر بحسب ما تنص عليه الشريعة الاسلامية ، فعقاب السرقة مثلاً ، قطع اليد ، غير انه إذا تكرر هذا العمل فإن العقوبــة في هذه الحالة تشمل اليد أو الرجل الاخرى وان هذه العملية تتم بواسطة موسى الحلاقة ، وبعد تنفيذ هذه العقوبة يغطس بقية العضو في سمن ساخن وبعد

---

١ Captain G.F. Lyon R.N. : «A narration of Travels in Northern Africa in the years 1818, 19 and 20». London 1821, p. 16. 17.

ذلك يسمح للمعذب بالذهاب مع اصدقائه [1] .

كما كان هناك الحكم بالسجن مدداً متفاوتة في سجن القلعة المظلم ، وكانت هناك ثلاثـة سجون أحدها خاص بالاتراك والاثنان الآخران خاصان بالمغاربة وكان على المسجونين تدبير نفقات أكلهم على حسابهم الخاص .

ومن أنواع هذه العقوبات أيضاً الضرب بالعصا أو السوط من الخلف أو على الأقدام ، وكانت هذه العقوبة في بعض الأحيان قاسية مما يتسبب عنها الوفاة ، حيث ان الحكم بالجلد يصل في بعض الأحيان الى أربعمائة أو خمسمائة جلدة ، وان كانت الخمسون في العادة هي المسموح بها .

وكان هناك بعض الموظفين يكلفهم الديوان لمراقبة تنفيذ هذه العقوبات. ويذكر لنا هـذا الرحالة قصة طريفة وهي ان بعض المجرمين كانوا يستطيعون بواسطة الرشوة أو بغيرها التأثير على هؤلاء الموظفين: فيسمحون لهم بحشو سراويلهم لكي يتجنبوا الكثير من العذاب [2] .

وبالرغم من أن هذا الرحالة ، يذكر لنا بأن هذه العقوبة أي عقوبة الجلد تكون في العادة بالنسبة للناس قليلي الأهمية ، إلا انه يعود فيذكر لنا بأن هذا العقاب يكون بالتساوي في جميع المناصب تبعاً لمشيئة الباشا، حتى انه إذا غضب من أبنائه أو وزيره أو شيخ البلد ، لا بد أن يجبروا على الاذعان لذلك ، مثلهم مثل أسفل رعاياه ، والا يجب أن يعتبروا

---

[1] يرى المؤرخ كستانزو بيرنا في كتابه «Tripoli Dal 1510 Al 1850» صفحة ٢٤٨ ، بان يوسف باشا لكي يطهر المدينة من السرقة التي كثرت نتيجـــة للاضطرابات الاخيرة ، فانه بمجرد استلامه للحكم اسس عقاب الحكم بالقتل على كل من يرتكب جريمة النشل او السرقة .

[2] Captain G.F.R.N. : «A narrative of Travels in Northern Africa in the years 1818, 19 and 20». London 1821, p. 16. 17.

ذلك يسمح للمعذب بالذهاب مع اصدقائه [1] .

كما كان هناك الحكم بالسجن مدداً متفاوتة في سجن القلعة المظلم ، وكانت هناك ثلاثة سجون أحدها خاص بالاتراك والاثنان الآخران خاصان بالمغاربة وكان على المسجونين تدبير نفقات أكلهم على حسابهم الخاص .

ومن أنواع هذه العقوبات أيضاً الضرب بالعصا أو السوط من الخلف أو على الأقدام ، وكانت هذه العقوبة في بعض الأحيان قاسية مما يتسبب عنها الوفاة ، حيث ان الحكم بالجلد يصل في بعض الأحيان الى أربعمائة أو خمسمائة جلدة ، وان كانت الخمسون في العادة هي المسموح بها .

وكان هناك بعض الموظفين يكلفهم الديوان لمراقبة تنفيذ هذه العقوبات. ويذكر لنا هذا الرحالة قصة طريفة وهي ان بعض المجرمين كانوا يستطيعون بواسطة الرشوة أو بغيرها التأثير على هؤلاء الموظفين؛ فيسمحون لهم بحشو سراويلهم لكي يتجنبوا الكثير من العذاب [2] .

وبالرغم من أن هذا الرحالة ، يذكر لنا بأن هذه العقوبة أي عقوبة الجلد تكون في العادة بالنسبة للناس قليلي الأهمية ، إلا انه يعود فيذكر لنا بأن هذا العقاب يكون بالتساوي في جميع المناصب تبعاً لمشيئة الباشا، حتى انه إذا غضب من أبنائه أو وزيره أو شيخ البلد ، لا بد أن يجبروا على الاذعان لذلك ، مثلهم مثل أسفل رعاياه ، والا يجب أن يعتبروا

---

١ يرى المؤرخ كستانزو بيرنا في كتابه «Tripoli Dal 1510 Al 1850» صفحة ٢٤٨ ، بان يوسف باشا لكي يطهر المدينة من السرقة التي كثرت نتيجة للاضطرابات الاخيرة ، فانه بمجرد استلامه للحكم اسس عقاب الحكم بالقتل على كل من يرتكب جريمة النشل او السرقة .

٢ Captain G.F.R.N. : «A narrative of Travels in Northern Africa in the years 1818, 19 and 20». London 1821, p. 16. 17.

أنفسهم مجردين من جميع وظائفهم أو رتبهم أو ألقاب شرفهم في أية درجة تقل بواسطتها [١] .

وفي اعتقادي ان المؤلف أراد أن يبين لنا شدة الباشا وعدالته ، بأنه كان لا تأخذه في الحق لومة لائم ، وانه كان يصدر أحكامه حتى على أقرب الناس اليه ، لأنني إلى الآن لم أعثر على نص عند هذا المؤلف أو غيره من المؤرخين يؤكد لي بأن الباشا قد عاقب بالضرب أي فرد من الذين سبق ذكرهم ، حتى أن ابنه محمداً حينما حاول قتله لم يعاقبه حتى بمجرد الضرب بل عفا عنه وعينه حاكماً على بنغازي [٢] .

أما عن أنواع العقوبات الأخرى ، فإن هنـــاك بعض الجرائم التي تعتبر كبائر في نظر القانون وفي هذه الحالة فإن الحـــكم فيها يرجع إلى هوى الباشا حيث يقرر استعمال الشنق أو الخنق أو قطع الرأس . وكان الذين يقومون بتنفيذ هذه العقوبات هم اليهود لثقة الباشا في اخلاصهم له ، اذ لم يزاول هذه المهنة أي فرد من المسلمين .

ويحدثنا المؤرخ كستانزو بيرنا عن قيام اليهود بهذه المهمة فيقول [٣] :

« وقد أسس العقاب بالموت على أية سرقة أو نشل،وخصص العناصر اليهودية لتنفيذ هذه العقوبات، ولكن بدون أن يخفى عليه المخاطر التي قد تكون هذه العناصر عرضة لها في حالة ما إذا اصيب الحـكم القرمانـلي بالانتكاس ، فاهـــتم باليهود وكفل لهم حياة مطمئنة، فانتهز اليهود هذه الفرصة وانتشروا في طرابلس الغرب » .

---

١ Captain G.F. Lyon R.N. : «A Narrative of Travels in Northern Africa in the years 1818, 19 and 20», p. 17.

٢ Paolo Della Vella M.D. : «Narrative of an expedition from Tripoli in Barbary to the Western Frontier of Egypt in 1817» 1st. Ed. London 1822, p. 5.

٣ P. Costanzo Bergna: «Tripoli Dal 1510 Al 1580», p. 284.

والحقيقة أن هؤلاء اليهود وان تمتعوا في أوائل عهد يوسف باشا بكثير من الامتيازات حتى أصبحوا أغنى طبقات المجتمع في ذلك الوقت، إلا انهم في أواخر عهده قد دفعوا الثمن غالياً نتيجة لما فرض عليهم من ضرائب باهظة ومتعددة ، وكان عليهم دفعها بدون أن يملكوا حق الاعتراض عليها .

كما أن ما تمتعت به البلاد من هدوء واستقرار وأمن في أوائل عهده انقلب كل ذلك في أواخر عهده إلى فوضى واضطراب وثورات عارمة سارعت بسقوط دولته بل وأسرته أيضاً .

وكان القاضي الحنفي هو الممثل للشريعة الاسلامية في الديوان ويحل محله القاضي المالكي في حالة غيابه أو مرضه أو وجود أي طارىء آخر يمنعه من حضور اجتماعات هذا الديوان .

القضاء والتعليم

أما عن النظام القضائي فإنه كان هناك قاضيان احدهما حنفي المذهب من الأتراك ، يصدر قرار تعيينه من دار الخلافة ، فيحضر الى طرابلس لمباشرة أعماله ويستمر في منصبه الى أن يصدر قرار آخر بعزله فيرجع من حيث أتى ويحل القادم محله . أي انه لم يكن للباشا الحق في تعيينه أو عزله بالرغم من أنه حنفي المذهب والحاكم المطلق في بقية أمور الدولة والذي ليس للسلطان عليه أي نفوذ وليس تابعاً له إلا من الناحية الاسمية فقط .

أما القاضي الثاني فيعين من قبل الباشا بدون الرجوع الى دار الخلافة على أن يكون من أهل البلاد ومالكي المذهب ، حيث ان أغلب السكان يتبعون المذهب المالكي .

أما المذهب الأباضي ، فبالرغم من كثرة اتباعه وانتشاره في أغلب المناطق الجبلية في البلاد وخاصة في غريان ونالوت وجادو ، فان الدولة لا تعترف به رسمياً .

وفي سنة ١٧٦٨ حدث تغيير في قاعدة تعيين القضاة اذ أصدر علي باشا القرمانلي قراراً بتعيين حسن بن الحاج سليمان التوغار قاضياً في طرابلس ، وان كان هذا القاضي من أصل تركي وحنفي المذهب ، إلا أنه من مواليد طرابلس وان تعيينه كان من الباشا ولم يكن من دار الخلافة [١] .

وبذلك أصبح كلا القاضيين يعينان من قبل الباشا ان شاء أبقاهما في مناصبها وان شاء عزلها مما جعلها يغضان النظر عن كثير من المحرمات التي كانت موجودة في طرابلس كالخمر والدعارة مثلاً. حتى ان الرحالة « ليون » [٢] يذكر لنا بأن الخمر كانت أكثر شيوعاً في مدينة طرابلس منه في أغلب مدن انكلترا ، وانه كانت توجد منازل عامة للخمر حيث يجلس المغاربة على الأبواب يشربون بدون شك أو ارتياب ، كما يذكر لنا بأن حراس الباشا أنفسهم كان بعضهم قد أدمن شرب الخمر .

ويؤكد لنا الرحالة علي بك العباسي الذي زار طرابلس ، أيضاً، في عهد يوسف ، كثرة وجود هذه الحانات وان الذين يديرونها كانوا من المسلمين الذين يشربون النبيذ بالرغم من أن القانون يمنع بيع المسلمين للخمر، كما يذكر لنا بأن ايراد الدولة من الخمر كان مائة الف فرنك [٣] .

---

١ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ٣٠ .

٢ Captain G.F. Lyon R.N.: «A Narrative of Travels in Northern Africa in the years 1818, 19 and 20», p. 13-14.

٣ Voyages d'Ali Bey El Abbassi en Afrique et en Asie pendant les années 1803, 1804, 1805, 1806 et 1807. Tome Troisième, Paris 1814, p. 31, 32.

أما عن عمل هذين القاضيين فانه كان النظر في القضايا التي تعرض عليهما فيما يتعلق بالأحوال الشخصية كالزواج والطلاق والارث ، بالاضافة الى الفصل فيما يقع بين الأهالي من مشاكل فيما يتعلق بالأعمال التجارية .

وكان من حق الأهالي التظلم من الأحكام التي تصدر ضدهم من هذين القاضيين الى مجلس آخر يتكون من اثنين من المفتين ، أحدهما حنفي والآخر مالكي وهما أيضاً يعينان من قبل الباشا ، فتحال اليهما أوراق القضية التي يرى صاحبها انه قد ظُلم فيها ، وكان لهذين المفتيين الحق في التصديق على منطوق الحكم الأول أو تعديله . وفي حالة عدم اتفاقهما على قرار معين ، فان أوراق القضية تحال الى مجلس آخر يتكون من عدد من علماء المذهبين والقضاة السابقين ويجتمع هذا المجلس في المسجد الكبير ويناقشوا القضية من جديد وفي هذه الحالة يكون حكمهم فاصلاً فيها .

ويتضح لنا من احدى الوثائق التي عثرت عليها في دار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب ، ان القاضي الحنفي يعتبر هو قاضي المدينة الأول ، والمسؤول عن بقية القضاة في جميع مدن الايالة ، وان من حقه تعيينهم وكذلك عزلهم [1] .

وهكذا كان القضاء نزيهاً في أوائل عهد يوسف باشا وكان الناس يطمئنون الى عدالة الحكم الذي يصدر في أية قضية من القضايا ، ولكن في أواخر عهده أصبحت ارادته فوق كل القوانين ، وأصبح القضاة يحكمون بحسب مشيئة الباشا التي لا حدود لرغباتها .

أما عن التعليم فإنه كان يسير وفقاً لما ألفه الناس في العهد العثماني الأول ، حيث كانت المساجد تقوم بدور المدارس في أيامنا هذه ، بل

---

١ قرار بعزل احد القضاة بتاريخ ٢٤ ذي القعدة سنة ١٢٢٣ هـ - سجل المحكمة الشرعية لسنة ١٢٢٣ - انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٢٢ .

وكما لا زالت عليه الحالة الى الآن في بعض المساجد في مدن وقرى المملكة الليبية حيث يرسل الأهالي أطفالهم إلى هذه المساجد لقراءة القرآن على يد الفقهاء وخاصة في فترة ما بعد الظهر ، بعد أن يرجع هؤلاء الأطفال من مدارسهم .

وبذلك كانت المساجد في العهد القرمانلي تؤدي أكثر من وظيفة ، فهي المكان الذي يقصده الناس لأداء صلواتهم ، وهي المكان الذي يجتمع فيه الناس لمناقشة أمور دينهم ودنياهم ، وهي المكان الذي يجتمع فيه القضاة لحل المنازعات التي تقوم بين الأهالي، كما هي المكان الذي يقصده طلبة العلم للتعليم والهداية .

وكان الطلبة يجلسون على الأرض في شبه حلقات في هذه المساجد يتوسطهم الفقيه لتعليم المبادىء الأولية في القراءة والكتابة ، ثم يتدرج معهم في تحفيظ آيات القرآن الكريم إلى أن يحفظ الطالب القرآن كله .

وكان اليوم الذي يتم فيه الطالب حفظ القرآن من الأيام الخالدة في حياة كل أسرة حيث يقوم أهل الطالب بنحر الذبائح وتقام الأفراح تكريماً للطالب على تفوقه . وكان بعض هؤلاء الطلبة الذين أكملوا حفظ القرآن الكريم يشقون طريقهم في الحياة على الوجه الذي يرغبونه بأنفسهم حيث تحول ظروف أسرهم المالية دون اكمال تعليمهم في خارج البلاد ، والبعض الآخر ممن تسمح لهم ظروف أسرهم المالية وهم قلة فإنهم يسافرون إلى مصر أو تونس للتخصص في مختلف فروع الشريعة الاسلامية، ثم يرجعون إلى وطنهم فيكون منهم القضاة والفقهاء والمعلمون .

وفي الحقيقة ان حكام الاسرة القرمانلية ، كانوا يولون التعليم اهتماماً كبيراً فكانوا يشجعون العلماء ويحترمونهم ويستمعون الى نصحهم في كثير من الأحيان حتى ان المؤرخ ابن غلبون وهو أحد العلماء الذين تخرجوا من الجامع الأزهر الشريف يحدثنا عن أحمد باشا القرمانلي وحبه للعلم

والعلماء فيقول [1] :

« ومن مراعاته لجناب العلم الذي به حفظ مباني الشريعة جمعه العلماء بين يديه لفصل الخصومة، وتصريحه لهم بالمجلس: احكموا بحكم الله ولو علي ، وقبول شفاعتهم فيما شفعوا فيه في غالب الأمر » .

وكان لتشجيع حكام الاسرة القرمانلية للعلم والعلماء اثره في زيادة الاقبال على التعليم فأدى ذلك الى احياء اللغة العربية وازدهارها ازدهاراً كبيراً حتى أصبحت وثائق الدولة الرسمية يحرر أغلبها باللغة العربية بعد ان كانت اللغة التركية هي الغالبة .

غير أنه مما يؤخذ على يوسف باشا عدم محاولته ادخال أي تغيير على نظم التعليم ، بل لم يحاول مجاراة مصر في نهضتها التعليمية في ذلك الوقت فلم ينشىء المدارس الحديثة ولم يرسل البعثات في مختلف فروع العلم كما فعل محمد علي باشا اذ ذاك .

أما عن التعليم في بقية مدن الايالة فقد كان يسير على نفس النمط الذي كان سائداً في مدينة طرابلس نفسها ، بل انه من الغريب ان نجد أن حكام بعض المدن النائية كمرزق في مستوى من الوعي الثقافي جعلهم يقيمون عيداً للعلم في كل سنة يكرمون فيه المتفوقين من أبناء المدينة .

فيذكر لنا الرحالة « ليون » [2] الذي زار هذه المدينة في عهد يوسف

---

١ محمد خليل بن غلبون الطرابلسي : « التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الاخبار » ص ٢٠٦ .

٢ Captain G.F. Lyon R.N. : «A narrative of Travels in Northern Africa in the years 1818, 19 and 20», p. 187.

باشا بأن العادة قد جرت في عهد سلاطينها [1] من الوطنيين ، أن يقام في يوم معين من كل سنة احتفال من أجل الأطفال الذين أكملوا تعليمهم، حيث كان هؤلاء الأطفال يركبون على ظهور الخيل في أجمل لباس يستطيع أصدقاؤهم الحصول لهم عليه . ويقف الفقيه على ربوة عالية من الرمال في اتجاه غربي المدينة حاملاً في احدى يديه علماً صغيراً وفي يده الأخرى عصا ، ويقف الأطفال على مسافة منه،وعندما يبسط العلم ويضعه على الأرض ، فإن جميع الأطفال يتسابقون في الجري للوصول إلى هذا العلم ومن يستطيع منهم أخذه من على الأرض فإنه يكون الأول على أقرانه ، وفي هذه الحالة يكافئه السلطان بحلة فاخرة وبعض النقود ، ثم يركب الجميع على خيولهم يتقدمهم الفائز للطواف حول المدينة .

وحينما أوقفت هذه المسابقات بعد وصول المكني [2] فإن الآباء اشتكوا بأن أولادهم ليس لهم الآن أي باعث أو ترغيب في الدراسة .

يتضح لنا مما ذكره ليون مدى اهتمام الناس بالتعليم في ذلك الوقت، وكذلك اثر هذه الاحتفالات في تشجيع الطلبة على الاجتهاد والتقدم .

كما انه يجب ان نلاحظ أنه كان هناك نوع من التعليم المهني ، ويتم هذا التعليم عن طريق الصبينة ، حيث كان يرسل بعض الأهالي أولادهم الى بعض الصناع للعمل معهم بأجر أو بدون أجر على حسب ظروف الصانع وعائلة الصبي ، وكان الصبي في أثناء عمله يتعلم مهنته عن طريق ملاحظته للصانع : وكان الصناع أنفسهم لا يبخلون بتعليم الصبية أصول الصناعة وتطويرها،حتى اننا نجد أنه في العهد القرمانلي كان هناك العديد

---

١ كان حكام فزان يطلق عليهم في العهد القرمانلي لفظ « سلطان » .

٢ محمد المكني كان يوسف باشا قد ارسله لحكم فزان سنة ١٨١٢ كما سيأتي شرح ذلك فيما بعد عند الحديث عن الثورات الداخلية في الفصل الرابع من هذا الكتاب .

من الصناع المهرة في مختلف أنواع الصناعات التي كانت موجودة في ذلك الوقت كصناعة الذهب والفضة والنسيج والصابون والبسط والأحذية الى غير ذلك من أنواع الصناعات المختلفة .

وهكذا ساهم الشعب في تعليم أبنائه العديد من الصناعات المختلفة بعد أن تأخرت الحكومة في القيام بواجباتها من انشاء المدارس المهنية وارسال البعثات التدريبية الى الدول المتقدمة صناعياً .

الصناعة والزراعة

وكانت الصناعة في العهد القرمانلي تقوم على أساس الطريقة اليدوية أي الطريقة التي تعتمد على يد الانسان لا على الآلة في القيام بالصناعات المختلفة . وكانت هناك العديد من الصناعات منها صناعة الجرود والعباءات والبطاطين ، وتصنع هذه الأنواع من أصواف الأغنام التي توجد بأعداد كثيرة في جميع انحاء الايالة، كما ان أهم الأماكن التي اشتهرت بصناعة الجرود والعباءات هي منطقة الجبل الغربي وخاصة مدينة نالوت .

ويذكر لنا جوزيف كاكيا [1] ، ان الجرد الجبالي نسبة إلى الجبل الغربي والذي مقياسه حوالى ١٦×٥ أقدام يتراوح ثمنه ما بين ٤٥ و ٥٠ قرشاً وثمن العباءة حوالى ٢٠ قرشاً،أما ثمن البطاطين فإنه يختلف باختلاف مقياس الواحد منها،فالبعض كان مقياسها ٢٥×٦ أقدام وثمنها ٢٥ قرشاً والبعض الآخر كان مقياسها ١٨×٤٥,٥ قدم وثمنها ١٦ قرشاً .

ويتضح لنا من هذه الأثمان الزهيدة ، مدى الأزمة المالية التي كانت

---

١ جوزيف كاكيا : « ليبيا في العهد العثماني الثاني » من ١٢٣،١٢٩ .

تعانيها البلاد في ذلك الوقت حتى أصبح للقرش هـذه القيمـة الشرائية العالية مما أدى إلى زيادة العرض وقلة الطلب لعدم وجود القدرة الشرائية لدى الأهالي .

ويلاحظ أن هذه المصنوعات تختلف في خفتها باختلاف خيوط الغزل نفسها حيث كان الصوف يغزل محلياً ، ولكن نظراً لعدم وجود آلات الغزل فإن خيوطه كانت غليظة لا تنفع في الصناعة الخفيفة مما دفع أصحاب هذه الصناعات إلى استيراد خيوط الغزل الرفيعة من تونس وخاصة مدينة جربة حيث كانت تونس تستوردها من انكلترا .

وإلى جانب هذه الصناعة كانت هناك صناعة الذهب والفضة ، فقد كان تجار فزان يستوردون الذهب اما على هيئة تراب واما عـلى شكل قضبان صغيرة من السودان ، ثم يقومون ببيع هذا الذهب في طرابلس ومصر وخاصة الذهب الذي كان على هيئة تراب حيث يحول في مصر إلى سبائك ثم يعاد تصديره الى طرابلس .

والجدير بالذكر أن تجارة الذهب سواء أكانت بـين فزان والسودان أو بين فزان ومصر ، فانها كانت تقوم على أساس التهريب خوفاً مـن استيلاء سلطان فزان على هـذا الذهب نظراً لطمعه وحبه الشديد لجمع المـال [1] .

أما عن صناعة الذهب في طرابلس فانها كانت تقوم على أساس نظام دقيق واشراف كامل من الحكومة حيث كان هناك موظف مهمته وزن وختم جميع أنواع الحلى المصنوعة من الذهب ، وكان كل صانع تثبت عليه تهمة الغش أو التلاعب في هذه الصناعة بأي شكل من الأشكال ،

---

١ Captain G.F. Lyon R.N. : «A narrative of Travels in Northern Africa in the years 1818, 19 and 20», p. 155.

فانه كان يقع تحت طائلة القانون، حيث كان يحكم عليه أول مرة بالسجن أو الغرامة ، فان عاد يصادر مـا عنده من ذهب ويحكم عليه بالسجن والغرامة معاً .

أما عن صناعة الجلود فانها كانت متقدمة نوعاً ما ، وكانت هنـاك مدابغ محلية لصناعتها ، كما كان التجار يستوردون هذه الجلود في بعض الأحيان جاهزة من السودان ويصدرونها الى مصر ثم يعاد استيرادها من مصر على شكل جلود ملونـة بألوان مختلفة ، وكان أهم هذه الألوان شهرة هو اللون الذهبي المسمى سمانتو « Samanto » حيث كانت النساء تقصه الى قطع صغيرة لاستعماله كزينة في شعرهن وذلك عن طريق ضفره مع خصلات الشعر مما يكسبه لمعاناً وجمالاً [١] .

وكانت تقوم على هذه الجلود صناعات متعددة منها صناعة الأحذية والصنـادل والشنط وسروج الخيـل إلى غـير ذلك من أنواع الصنـاعات الجلدية .

كما كانت هناك صناعة السيوف المختلفـة والبنـادق الطويلة ، حيث كان الصناع يستوردون البنادق على هيئة قطع غـير مجمعة ثم يقومون بتجميعها وتركيبها وصناعة الأخشاب اللازمة لها وبذلك يكون ثمنها أقل بكثير من ثمن البندقية التي تستورد جاهزة .

أما عن أهم الصناعات التي حققت ربحاً كبيراً للدولة فهي صناعـة السفن وكانت هذه الصناعة معروفة منذ الفتح الاسلامـي ، وان كانت قد ازدهرت في العهد القرمانلي وبصفة خاصة في عهد يوسف باشا حتى أصبح الأسطول الطرابلسي في أوائل عهـده من أقوى أساطيـل البحـر الأبيض المتوسط ، وبه استطاع فرض سيطرته عـلى أساطيل كثير من

---

١ Captain G.F. Lyon R.N. Op. cit., p. 159.

الدول مما جعلها تسعى بشتى الطرق للحصول على رضائه لتؤمن بذلك سلامة سفنها من اعتداء الأسطول الطرابلسي عليها .

وكانت الأخشاب اللازمة لهذه الصناعة تستورد اما من الأناضول واما من بعض الدول الاوروبية كالبندقية مثلاً ، كما اننا نجد أن اسبانيا في سنة ١٧٩٧ ، قد أرسلت إلى يوسف باشا مهندساً متخصصاً في بناء السفن ومعه بعض العمال الإخصائيين رغبة منها في تقوية عرى الصداقة والمحبة مع يوسف باشا [١] .

وكان لمجيء هذا المهندس وهؤلاء العمال أثر كبير في زيادة خبرات الصناع من الطرابلسيين حتى أصبح في طرابلس مجموعة كبيرة من الصناع المهرة في هذا الميدان .

ومن أهم الصناعات الأخرى التي كانت موجودة في ايالة طرابلس في ذلك الوقت صناعة الصابون وصناعة الخمور وكانت هذه الصناعة الأخيرة تدر ربحاً كبيراً على الدولة نتيجة للضرائب التي كانت تفرض على المصانع وعلى الحانات ، كما ان زراعة الكروم كانت من أهم أنواع المزروعات بالنسبة للمزارع لما تدره عليه من ربح عظيم حيث كان العنب يباع بأثمان مرتفعة نسبياً بالنسبة لغيره من الفواكه ، وذلك نتيجة لتحويله إلى خمر يباع علناً في الحانات كما ذكر ذلك الرحالة ليون تحت سمع وبصر الحكومة ، بل اننا نجد ان هذا الخمر قد ذكر في الشرط التاسع والعشرين من المعاهدة المبرمة بين علي باشا القرمانلي وبين اسبانيا سنة ١٧٨٤ ، وقد جاء في هذا الشرط ما يأتي [٢] :

---

١ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ١٣٧ .

٢ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ـ . ملحق الكتاب وثيقة رقم ٥ ـ جمع كمال الدين الخربوطلي ص ٢٥ .

« ان كان بعض بحرية الاصبنيول [1] اشترى خمر من الطبارم [2] – ولم يدفعوا حقه – القنصل الاصبنيول لا يضمن ولا يطالبوه ولا يمسكوه في ذلك ولا يمسك البحرية إذا أرادوا السفر ».

لقد ازدهرت هــذه الصناعات العديدة في اوائل عهد يوسف باشا نتيجة للهدوء الذي تمتعت به البلاد ، فأدى ذلك الى ازدهار التجارة بين طرابلس ومصر والسودان وبقيــة الدول الاوروبية فكثرت بذلك المواد الاولية اللازمة لهذه الصناعات وفتحت أمامها الأسواق الخارجية ، ولكن ما لبثت هذه الصناعات حتى أخذت في التدهور وذلك في أواخر عهده لاضطراب الأحوال الداخلية مما أدى الى تحول طريق التجارة من عــبر ايالة طرابلس ، فقلّت بذلك المواد الأولية كما قفلت في وجهها الأسواق الخارجية بالاضافة الى الكساد الذي أصاب الاسواق الداخلية لعدم استقرار قيمة العملة المتداولة بين الناس حيث كانت تتغير هذه القيمة من وقت لآخر بسبب هوى الباشا ومشيئته .

أما عن الزراعة في العهد القرمانلي فانها تنقسم الى نوعين أساسيين هما زراعة الحبوب ، وزراعة الفواكه والخضر . ويعتمد النــوع الأول من هذه الزراعة على الأمطار اعتماداً كبيراً حيث انه اساس وجوده ، فكلما كان العام كثير الأمطار ، زاد الخير وكثر المحصول وعم البلاد الرخاء ، وصرحت الحكومة بتصدير الزائد عن حاجة البلاد الى الاسواق الخارجية. وكلما قلت الأمطار قل المحصول وخيم على البلاد شبح المجاعة والقحط فيرتفع ثمن هذه الحبوب ويمنع تصديرها الى الخارج ، وفي بعض الأحيان اذا اشتد هذا القحط فان الدولة القرمانلية تلتجيء الى الدول الصديقــة لطلب نجدتها ومساعدتها، كما حدث ذلك في سنة ١٧٨٤ ، حينما تعرضت

---

١ بحرية الاصبنيول = البحرية الاسبانية
٢ الطبارم = الحانات

البلاد الى قحط شديد نتيجة لغياب الامطار مما دعا علي باشا القرمانلي الى طلب نجدة سلطان مراكش الذي أرسل اليه عدة مرات مبالغ من المال وسفناً مشحونة بالغلال وكذلك فعل باي تونس [1] .

ولم تحاول الدولة القرمانلية ادخال أي تحسين على وسائل الحرث والحصاد بل بقي الحيوان والمحراث هما أساس الحرث ، والرونج [2] الذي يديره الحيوان كذلك هو أساس الحصاد ، كما انها لم تقدم أي مساعدة للفلاح ، بل نجد على العكس من ذلك ان بعض أفراد العائلة القرمانلية يزاحمون الأهالي وخاصة الفقراء منهم باشتغالهم بزراعة القمح والشعير لحسابهم الخاص للمتاجرة فيها حيث انهم كانوا يملكون مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية سواء كانت ملكيتهم لها ناتجة عن أن هذه الأراضي كانت تابعة للدولة العثمانية فآلت ملكيتها اليهم أو ان هذه الأراضي كانت تابعة لبعض العائلات والقبائل التي هاجرت من ايالة طرابلس إلى تونس أو مصر فاستولت الدولة على أراضيهم .

اذ انه بالرجوع إلى سجل المعاشات الخاصة بالعائلة القرمانلية بعد سقوط دولتهم [3] ، حيث قامت الدولة التركية باحصاء ممتلكاتهم ، يتبين لنا ان أفراد هذه العائلة كانوا يملكون مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية وكذلك العديد من المزارع التي كانت تعتبر من أكبر وأعظم المزارع في ذلك الوقت .

غير أن الفلاح أخذ يشق طريقه معتمداً على نفسه ومتوكلاً على خالقه غير مهتم بهذه المنافسة ما دام يجد في النهاية قوته وقوت أولاده .

---

١ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ١٠٩،١١٠ ·

٢ الرونج = النورج ·

٣ يوجد هذا السجل الى الان بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب كما يحتوي هذا السجل على قيمة الرواتب الشهرية او المساعدات الشهرية التي كانت الدولة العثمانية تقدمها الى كل فرد من افراد الاسرة القرمانلية بعد سقوط دولتهم ·

ولم يشعر الفلاح بخطورة موقفه إلا منذ سنة ١٨١٥ حينما بدأ يوسف باشا يحتكر بعض أنواع التجارة ومنها تجارة الحبوب ، لحاجته الشديدة إلى المال .

ونحن نعرف معنى احتكار الحاكم لنوع معين من التجارة ، لأنه بذلك يكون هو المشتري الوحيد والبائع الوحيد ، فيحدد السعر الذي يناسبه في الشراء وفي البيع أيضاً ، فتكون النتيجة وبالاً على المشتري والبائع معاً .

ونتيجة لشعور الطبقات الفقيرة من الفلاحين والمواطنين بخطر هــذا الاحتكار أخذت عوامل الكراهية تنمو في نفوسهم نحو هذه الاسرة حتى كان لهذه الكراهية في النهاية الأثر الكبير في اسقاط حكم هــذه الاسرة كما سيتضح ذلك في الفصول القادمة من هذا الكتاب .

أما عن النوع الثاني من الزراعة وهي زراعة الفواكه والخضر فانهـا كانت تعتمد على مياه الآبار بالاضافة الى اعتمادها على المطر ، وكانت مياه الآبار ضرورية خاصة بالنسبة لري الخضر حيث كان بعضها يحتاج الى المياه عدة مرات في الاسبوع وتزداد حاجة هذه الخضر الى المياه في فصل الصيف لانعدام سقوط الأمطار فيه .

ويلاحظ أن الزراعة كانت أكثر تقدماً في طرابلس عنها في بنغازي وذلك نتيجة لكثرة المياه من ناحية ولوفرة اليد العاملة من ناحية أخرى ، غير انه بالرغم من عرق الفلاح والمزارع وكدهما في سبيل الحصول على الرزق لها ولاولادهمـا فانهما لم يسلما من يوسف باشا سواء أكان ذلك نتيجة لكثرة الضرائب أو لسياسة الاحتكار وبيع محاصيل البـلاد مقدماً لسداد ما عليه من ديون .

التجارة

وكما كان استقرار الأمن في البلاد في أوائل عهد يوسف باشا عاملاً مهماً في ازدهار الصناعة ، فإنه كان كذلك عاملاً أساسياً في ازدهار التجارة ، حتى أصبحت مدينة طرابلس حلقة اتصال بين مدن افريقيا الوسطى والمدن الأوروبية حيث كانت طرق القوافل تربط طرابلس بوادي وبرنو وبقية مدن السودان عن طريق فزان واغدامس .

وكانت تجارة هذه المدن تأتي إلى مدينة طرابلس ومنها تنقل بواسطة التجار من الأوروبيين إلى كثير من المدن الأوروبية ، كما يقوم تجار طرابلس وفزان بنقل بعض المصنوعات وبعض أنواع التجارة الأوروبية إلى تلك المدن الافريقية .

كما نشطت حركة التجارة بين فزان وطرابلس وبين مصر وتونس حيث كان تجار فزان وطرابلس ينقلون إلى مصر وتونس الكثير من أنواع التجارة التي اشتهرت بها المدن الافريقية التي سبق ذكرها . ثم يحضرون إلى هذه المدن ما اشتهرت به مصر وتونس من مختلف انواع تجارتهما .

كما ازدادت الصلات التجارية بين مصر وبنغازي وبرز تجار جالوا وجلوا كوسطاء في هذا الميدان حيث كانوا ينقلون إلى بنغازي ، ومنها إلى مصر ما اشتهرت مدن السودان به من أنواع التجارة ثم يحملون إلى السودان أهم الصناعات المصرية وما تستورده بنغازي من الأسواق الأوروبية .

واهتم يوسف باشا بهذا النشاط التجاري نظراً لما يدره عليه من ربح كبير وذلك عن طريق الضرائب التي كان يفرضها على هؤلاء التجار وعلى أنواع معينة من التجارة . وقد دفعه اهتمامه هذا إلى انشاء العديد

من الفنادق لاقامة هؤلاء التجار ، وشدد عقوبة السرقة أو النهب فأدخل بذلك الطمأنينة على نفوسهم فأخذوا يفدون على طرابلس من كل مكان. كما نظم المحطات التي كان يتم فيها اللقاء بين تجار فزان وطرابلس مع تجار السودان وبقية مدن افريقيا الوسطى للقيام بعملية التبادل التجاري بينهم ، فزودها بكل وسائل الراحة والأمان .

ولكن بالرغم من ذلك فان بقية أفراد العائلة القرمانلية لم يكفهم مزاحمة الأهالي في الزراعة اذ نجدهم يزاحمونهم حتى في التجارة ، وليس ذلك في عهد يوسف باشا فقط بل حتى في عهد من سبقوه ، فلقد عثرت على بعض الوثائق في دار المحفوظات التاريخية لمدينة طرابلس الغرب تبين بوضوح الى أي مدى كان أفراد هذه العائلة يشتغلون بالأعمال التجارية شأنهم في ذلك شأن بقية افراد الشعب .

فتحدثنا احدى هذه الوثائق عن ان ابناء المرحوم حسن بك بن علي باشا القرمانلي قد أقاموا قضية بتاريخ ١٣ رجب سنة ١٢٠٥ هـ (١٧٩٠م.) ضد الشيخ الحاج مصطفى بن الحاج عبدالله المسلاتي يطالبونه بدفع المبالغ التي كانت عليه لوالدهم وكذلك تسديد ثمن الأشياء التي باعها له والدهم قبل وفاته ولم يسدد ثمنها الى الآن ، وهي عبارة عن سبع من الابل وما يقرب من السبعين عنزاً وبغلة وكمية من الشعير [١] .

ولم يكتف الرجال فقط من افراد هذه الأسرة بمزاحمة الأهالي في الاشتغال بالأعمال التجارية بل نجد بعض النساء من هذه الأسرة يزاحمن بقية أفراد الشعب في الاشتغال بالتجارة شأنهن في ذلك شأن بقية الرجال

---

١ وثيقة تشرح تفاصيل الدعوى التي اقامها وكيل ابناء حسن بك بن علي باشا القرمانلي على الشيخ الحاج مصطفى بن عبدالله المسلاتي بتاريخ ١٣ رجب سنة ١٢٠٥ هـ (١٧٩٠م) وهذه الوثيقة باللغة العربية ويوجد نصها الاصلي بسجل المحكمة الشرعية لسنة ١٢٠٥هـ . وصفحات هذا السجل غير مرقمة ويوجد بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب . انظر تفاصيل هذه الدعوى بملحق الكتاب وثيقة رقم ٢٢ .

من عائلتهن حيث وجدت وثيقة من بين الوثائق السابق ذكرها ، يرجع تاريخها إلى ١٠ شوال سنة ١٢١١ هـ (١٨٩٧ م) ، تحدثنا هذه الوثيقة عن ان سيدي احمد رايس المرسي قد اقام دعوى على حسن بن ابراهيم طلوز ، وذلك لأن هذا الأخير قد جاءه وطلب منــه ان يقرضه مبلغاً من المال ليتاجر به ، فدفع له من مال زوجته السيدة حواء بنت المرحوم علي باشا القرمانلي مبلغاً قدره ثلاثمائة ريال واشترط عليه ان يقوم بعـد عودته من السفر وبيع بضاعته برد نفس المبلـغ إلى السيدة المذكورة ، وكذلك نصفها في الأرباح . ولكــن الذي حدث ان حسن طلوز باع بضاعته ولم يعط صاحبة رأس المـال أي مكسب بل ولم يعطهـا حتى رأس مالها الأول .

ويتضح لنا من هذه الوثيقة أمراً هاماً وهو انه كان من حق صاحب رأس المال ان يحدد للشخص الثاني الذي يريد الاشتغال بماله ، البلدان التي يجب عليه ان يقصر نشاطه التجاري فيها ولا يحق له مزاولة التجارة بماله في أي بلد سواها [١] .

وهكذا اتضح لنا مما سبق مدى منافسة بعض أفراد هــذه الأسرة الحاكمة سواء أكانوا ذكوراً أم اناثاً لافراد شعبهم في فلاحتهم وتجارتهم مما جعل هذا الشعب يكن لهذه العائلة كراهية لا مثيل لها وقـد زاد في هذه الكراهية ما فعله يوسف باشا من اجراءات سيأتي ذكرها فيما بعد .

أما عن الأسواق التجارية التي كانت موجودة في ذلك الوقت فاننـا نجد ان الرحالة ليون يذكر لنا ثلاثة أسواق ، احدهـا هو السوق الذي

---

١ وثيقة تشرح تفاصيل الدعوى التي اقامها سيدي احمد رايس المرسي على حسن ابراهيم طلوز بتاريخ ١٠ شوال ١٢١١ هـ (١٧٩٧م) وهذه الوثيقة باللغة العربية ، ويوجد نصها الاصلي بسجل المحكمة الشرعية الذي يشمل القضايا التي حدثـت خلال السنوات من ١٢٠٧ الى سنة ١٢١٥ هـ . صفحة ١٠٩ . ويوجد بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب .
انظر تفاصيل هذه الدعوى بملحق الكتاب وثيقة رقم ٢٤ .

بداخل أسوار المدينة وكان على هيئة صفوف من المتاجر الصغيرة المتقابلة، وتفتح هذه المتاجر يومياً ، ويطلق على هذا السوق اسم « السوق الكبير» أما السوقان الآخران فانهما يعقدان اسبوعياً خارج اسوار المدينة على الرمال، وكان أحدهما يعقد يوم الثلاثاء من كل اسبوع وبذلك سمي باسم هـذا اليوم ، والثاني يعقد كل يوم جمعة وهو يبعد بحوالى أربعة أميال من وسط حدائق المنشية ، وبذلك سمي بسوق الجمعة [1] .

وان هذه الأسماء لا زالت موجودة في مدينة طرابلس الى يومنا هذا بدون تغيير .

« ويؤكد لنا الرحالة علي بك العباسي الذي زار طرابلس في العشر السنوات الأولى من القرن التاسع عشر بأن الميزان التجاري مع أوروبا كان في صالح طرابلس حيث ان قيمة صادراتها تزيد بحوالى الثلث على قيمة وارداتها، غير ان هذا الميزان التجاري يكون بعكس ما سبق إذا قورنت صادراتها بوارداتها مع الشرق وداخل افريقيا [2] . »

أما عن انواع التجارة في ذلك الوقت فإنه بالرجوع إلى كتاب الرحالة ليون نجد ان تجار فزان كانوا يحملون إلى السودان وبرنو وراداي جميع انواع الخرز والمرجان والابر والمخائط والحرير والأقمشة والشيلان الحمراء والمرايات والسيوف الطويلة والمسدسات والبنادق أحياناً ، وبعض انواع السجاد والذي كان يصنع في مصراتة وبعض نواحي طرابلس الأخرى . وكذلك السجاد التركي والقفاطين المصنوعة من الحرير او من القطـن

---

١ Captain G.F. Lyon R.N. : «A Narrative of Travels in Northern Africa in the years 1818, 19 and 20», p. 7.

٢ Voyages d'Ali Bey El Abbassi en Afrique et en Asie pendant les années 1803, 1804, 1805, 1806 et 1807», p. 33-34.

والحرير معاً والبرانيس الكبيرة الحمراء ، وكان بعضها مزيناً بالحرير أو بقيطان او شرائط ذهبية والخيول .

ومن الطريف ان ليون يذكر لنا بأن هذه الخيول إذا كانت طويلة القامة فإن الواحد منها يباع بسرعـــة بخمس عشرة وفي بعض الأماكن الأخرى حتى بعشرين زنجية [1] .

ومن أنواع هذه التجارة أيضاً أشرطة من الزجاج الأسود والأزرق من صنع البندقية والبارود وحجر الصوان وبعض أنواع الأقمشة القطنية الرفيعة من أجل الشيوخ لاستعمال ذلك في صنع قصانهم وعمائمهم وكذلك بالات من التيل المفتول والمحلى بالذهب حيث كان البعض يغزله ويخلطـــه مع ملابسهم القطنية وكذلك المبارد والمطارق وبعض أنواع العطور الى غـير ذلك من أنواع السلع التجارية .

وفي مقابل ذلك يحضر هؤلاء التجـــار من السودان ، العبيد وخاصة الاناث لارتفاع سعرهن عن الذكور حيث كان ثمن الذكر يساوي ثلث وفي بعض الأحيان نصف ثمن الانثى .

" ويحضرون كذلك الزباد وهو من أهم أنواع العطور الذي يستخلص بطرق معينة من بعض أنواع القطط الكبيرة المتوحشة ، حيث تكون هذه المادة مخبأة تحت ذيول هذه القطط ، ويصل ثمن القطة الكبيرة المتوحشة على حسب تقدير ليون الى ١٠ أو ١٢ دولاراً كما يذكر أن بعض الأشخاص يبيعونها بثلاثة أو أربعة عبيد [2] ."

---

١ Captain G.F. Lyon : «A Narrative of Travels in Northern Africa in the years 1818, 19 and 20», p. 152-153.
«...Which it tall well seel readily for fifteen or seven in some places twenty negresses».

٢ Captain G.F. Lyons R.N. : «A Narrative of Travels in Northern Africa in the years 1818, 19 and 20», p. 153-154.

ومن أنواع هذه السلع التجارية أيضاً الاقطان بمختلف أنواعها وأشكالها والجلود وخاصة جلود النعام بريشها والشنط والصنادل الفاخرة من أجل الزينة والتوابل وأحياناً أسنان الفيل . وكذلك القمصان الواسعة ويطلق على أحسن نوع منها اسم « Samia » وهو عبارة عن خليط من القطن الأزرق ومن الحرير الأبيض ، ويرى ليون ان القميص الواحد من هذه القمصان اذا بيع بانثى زنجية فان هذه المقايضة تكون عادلة [١] .

أما عن أنواع التجارة التي كانت بين فزان ومصر، فيحدثنا ليون [٢] عن أن أهمها كان العبيد وخاصة من الاناث والذهب والفلفل الأحمر والنمور وريش النعام وجلود النمور والأسود والقطط ، والطرونة التي كان يحصل عليها من واداي وكانت تمضغ مع الدخان والأغنام ، التي كانت تجلب من السودان ذات الذيول الطويلة وكان ثمن الواحدة منها في مصر حوالى ٣٠ دولاراً ، وكذلك ببغاوات السودان والجلود السودانية إلى غير ذلك من أنواع السلع التجارية .

وفي مقابل ذلك يحضر التجار المصريون الذين هم في الغالب من أهالي اوجله ، العديد من أنواع السلع التجارية كالحرير على هيئة قماش أو فتلة والعمائم المصنوعة من الشاش وكان يلبسها الأغنياء فقط ، وكذلك الذهب على هيئة أسلاك أو أشرطة ، والقماش المخطط بالحرير والقطن وشيلان الكاشمير التي كانت تحضر بكثرة وفي الغالب تشترى من قبل تجار مراكش وكذلك أشرطة من الحرير والقطن وقمصان القطن المخطط تستعمله السيدات ، ومناديل من الحرير للرجال وسجاجيد من القطن المخطط والجلود المصبوغة باللون الأخضر التي تسمى « Zengarr » وكذلك الجلود الملونة باللون الذهبي والتي سبق ذكرها .

---

١ Captain C.F. Lyon «Op. cit.». p. 155.

٢ Captain G.F. Lyon R.N. : «A Narrative of Travels in Northern Africa in the years 1818, 19 and 20, p. 157-58.

وبعض الأقمشة الصوفية والقفاطين الجاهزة وأواني الطبخ والخرز والعقود بأنواعها وأشكالها المختلفة والخيام والصابون والسيوف والسكر والخشب والكافور لاستعماله ضد الرائحة المنبعثة من الموتى ، والدخان المستعمل في الغليون واللبان ، وبعض الفتيات الرشيقات " ويرى ليون ان التجار لم يعد يحضرون هذه الفتيات بكثرة وذلك نتيجة الى ان الكثير من الفزانيين لم تعد لهم القدرة الكافية على شرائهن كما كان الحال في الماضي [1] .

أما عن أنواع السلع التجارية التي كان يحضرها التبو من برنو ، فان أهمها كان العسل وبعض القمصان والحلفا والاغنام والماعز ، ويذكر لنا ليون قصة طريفة تتلخص في ان هؤلاء التجار كانوا يحضرون جلود الاسود للمتاجرة فيها ولكن هذه الجلود لم تعد توجد في أسواق برنو وذلك لأن سلطانها كان يشتري كل هذه الجلود لجواريه للنوم عليها حيث كان يعتقد بدون أدنى شك في ان من تنام على جلد الأسد فانها لن تحمل اي أن النوم على جلد الأسد يمنع الحمل [2] .

كما كان التبو يحضرون من توات « Tuat » الذهب الذي كان يحصل عليه من تمبكتو إما على شكل تراب واما على شكل سبائك وان كان

---

١ Captain G.F. Lyon «A Narrative of Travels in Northern Africa in the years 1818, 19 and 20», p. 158.

ملاحظة : لم يذكر لنا هذا الرحالة ما هو السبب الذي جعل سكان فزان لم تعد لهم القدرة على شراء تلك الفتيات بينما كانوا في الماضي يشترونهن .
وفي اعتقادي ان السبب في ذلك ربما يرجع الى عاملين ، العامل الاول ، هو انه ربما ان ثمنهن قد ارتفع عما كان عليه وبذلك لم يجد غالبية السكان القدرة على شرائهن ، اما العامل الثاني فانه ربما يرجع الى ان محمد المكنى الذي خرج في سنة ١٨١٢ على رأس حملة لاخضاع فزان ، فانه بعد ان سيطر على البلاد بدأ في نهب وسلب اموال الناس وخاصة الذين قد اشتهروا بثرائهم وبذلك لم تعد لهم القدرة على شراء تلك الفتيات بالكثرة التي كان التجار يعتادونها .

٢ Captain G.F. Lyon R.N. : «A Narrative of Travels in Northern Africa in the years 1818, 19 and 20», p. 169.

بكميات قليلة لأنه أصبح نـادراً ، وكذلك الأحزمة المذهبة والصناديق الخاصـة بالكتب والمصاحف وكتب الدين الأخرى ، وكانت أغلفتها تكتب بخط جميل وغالباً ما تزين بأحرف من الذهب أو بألوان غنية ، وكذلك الكحل والحيول وبعض اللعب المختلفة .

" أما عن أهم المدن الأوروبية التي كانت بينها وبـين ايالة طرابلس صلات تجارية فهي مرسيليا وأهم ما كانت تستورده منها طرابلس وبنغازي الأقمشة والحديد والسكر والنبيذ ، كما تستورد بنغازي وطرابلس من مدينة ليفورنو مختلف الأقمشة الحريريـة والصوفيـة والدمقس والورق والبـارود والبنادق ، ومن البندقية الحرير والتيل والآلات الحربية والزجاج وقضبان الحديد الصلب ، ومن مالطة أجود أنواع النبيذ ومن نابلي سبائك الفضة.

كما تصدر بنغازي وطرابلس الى هذه المدن مختلف أنواع السلع التي تأتي اليها من السودان وبرنو ووراداي ، كما تصدران إلى تلك الـدول الأوروبية أهم المنتجات المحلية ."

" فمثلاً تصدر بنغازي إلى هذه الدول الحلفا وجلد وريش النعام والماشية والصوف والحبوب وبصفة خاصة إلى مالطة [1] . وتصدر طرابلس الجلود والبلح والنطرون والملح وبصفة خاصة إلى البندقية ."

" كما كانت تستورد طرابلس من تونس زيت الزيتون والبلح والطواقي الحمراء التي لا زالت تستورد إلى الآن وكذلك خيوط الغزل الرفيعة التي تستعمل في صناعة الجرود والعباءات الخفيفة . وكانت طرابلس تستورد أيضاً من الجزائر ومراكش القمـح والأرز أيام الجفاف [2] " علماً بأن ايالة طرابلس كانت تستورد هذا الصنف الأخـير كذلك من مصر ، فكما سبق وأشرت في فصل سابق من هذا البحث ، بأنه حينما انقطـع

---

1 Paolo Della Cella M.D. : «Narrative of an expedition from Tripoli in Barbary to the Weastern Frontier of Egypt in 1817.» 1st. Ed. London 1822, p. 103.

٢ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ٣١ .

وصول الأرز إلى طرابلس في أثناء احتلال علي الجزائرلي لها اضطر هذا الأخير إلى تقديم البرغل إلى جنده بدلاً من الأرز مما جعل هؤلاء الجند يتضايقون من كثرة أكله فأطلقوا هذا الاسم عليه فاشتهر به وأصبح علماً للدلالة على شخصيته ، حتى اننا نجد الكثير من المؤرخين يذكرون اسمه مقروناً بكلمة « برغل » .

" وبالاضافة الى هذه السلع التجارية التي سبق ذكرها كانت هناك الغنائم البحرية التي كان المغامرون يحضرونها من غزواتهم البحرية ".

فلقد كان البحر يعتبر من أهم مصادر الرزق بالنسبة للحكومة القرمانلية وكان رجال الباشا يخرجون بأمر منه للاستيلاء على السفن التابعة للدول الاوروبية التي كانت بينها وبين الباشا منازعات حول قيمة الاتاوة أو نوع الهدايا أو لأي سبب من الأسباب . وكان هؤلاء المغامرون يرجعون الى مدينة طرابلس وقد ظفروا بكثير من الغنائم سواء أكانت على شكل بضائع أو سفن أو أسرى .

وكانت هذه البضائع تباع في الأسواق المحلية ، وبعضها كان يصدر الى المدن الافريقية التي كانت بينها وبين طرابلس علاقات تجارية .

أما السفن المستولى عليها فان بعضها كان يضم الى الاسطول الطرابلسي بعد ان يرفع عليها العلم الوطني الذي كان على شكل شريط مخطط أفقياً الى أحمر وأصفر [١] . وبعضها الآخر فان الباشا كان يبيعه لمن يرغب في شرائه سواء أكان من مواطني الايالة او من خارجها ، ومن ذلك انه باع قارباً من القوارب التابعة لحكومة نابولي والذي كان مغامروه قد استولوا عليه ، الى أحد التجار من التونسيين واسمه أبو سلامه بو شاداخ بمبلغ قدره ألف وثمانمائة ريال دورد ، وان هذا القارب قد أصبح ملكاً

---

١ Captain G.F. Lyon : «A Narrative of Travels in Northern Africa in the years 1818, 19 and 20», p. 71.

من املاكه الخاصة وانه حر التصرف فيه [1] .

أما عن الاسرى فانهم كانوا الى سنة ١٨١٦ ، يباعون كالعبيد ولم يتحسن وضع هؤلاء الأسرى إلا بعد مجيء اكسموث باسطوله الى طرابلس في ٢٧ ابريل سنة ١٨١٦ ، واجباره للباشا على عدم استرقاق المسيحيين، وفعلاً منذ ذلك التاريخ أخذ يوسف باشا يعامل هؤلاء الأسرى لا كعبيد بل كأسرى حرب [2] .

وقد برز اليهود في هذا الميدان كوسطاء في تحرير هؤلاء الأسرى واطلاق سراحهم منذ عهد علي باشا القرمانلي ، حيث كانوا يقومون بشراء هؤلاء الاسرى ثم يقومون بارسالهم الى ذويهم ، على شرط أن يقوم أهلهم بدفع القيمة التي يحددها هؤلاء اليهود الى بعض المنظمات اليهودية التي كانت قد تأسست لهذا الغرض في بعض المدن الاوروبية ، كما كان يهود هذه المنظمات يشترون الاسرى الذين هم من أهل طرابلس من الدول الاوروبية ثم يقومون بارسالهم الى أهلهم ، على أن يقوم أهلهم بدفع المبلغ المطلوب،مقابل اطلاق سراحهم،الى بعض أفراد الجالية اليهودية في طرابلس .

والى جانب اشتغال اليهود في هذه التجارة ، فانهم كانوا أيضاً يمثلون حلقة الاتصال في التجارة العادية بين أوروبا ومدن ايالة طرابلس ، حتى ان المؤرخ كستانزو بيرنا يذكر لنا بأنهم كانوا يحتكرون التجارة في طرابلس وعلى ساحل افريقيا بأكمله [3] .

---

١ اقرار من يوسف باشا يعترف فيه بانه قد باع لاحد التجار من التونسيين قاربا بتاريخ ربيع الاول سنة ١٢٤٤ هـ (١٨٢٨ م.) ــ انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٢٥ .

٢ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ١٧٨ ، نقلا عن خطاب القنصل الفرنسي مير بتاريخ ١١ اغسطس سنة ١٨١٦ .

٣ P. Costanzo Bergna : «Tripoli Del 1510 Al 1850», p. 284.

كما يؤكد لنا ميكاكي سيطرة اليهود هذه على الميدان التجاري حيث يقول [1] :

« وكانوا أغنى طبقات سكان المدينة ، اذ كانت تتركز تجارة البلاد في أيديهم ، وكان لهؤلاء اليهود علاقة باليهود الايطاليين ولذلك كانوا الوسطاء لاطلاق سراح الاسرى المسيحيين وشراء حريتهم ، كما كانوا يسيطرون على تجارة السودان بواسطة أبناء طائفتهم في الجبل الذين كانوا يرسلون الى السودان جزءاً كبيراً مما كانت تحصل عليه البلاد من أعمال الغزو » .

والحقيقة ان يوسف باشا كان في أوائل عهده يشجع هؤلاء اليهود ويعتمد عليهم ويوليهم ثقته وعطفه حتى وصل عددهم في طرابلس في أوائل السنوات العشر الأولى من القرن التاسع عشر إلى ما يقرب من الفي يهودي .

ويرى المؤرخ كستانزو بيرنا ان السبب في هذه المكانة التي نالها اليهود عند يوسف يرجع إلى انه وجد فيهم عنصراً مطيعاً ، أميناً ، مساعداً وملبياً للطلب عند الحاجة إلى الاقتراض، وانه أي يوسف لا زال يتذكر وصية والده اليه حينما اضطر الى مغادرة طرابلس إلى تونس، بأن يُلتجأ اليهم عند اللزوم ، وان والده نفسه قد أبقى عليه ديوناً منهم [2] .

وقد ترتب على هذه المكانة التي نالها اليهود سواء في عهد علي باشا أو في عهد ابنه يوسف باشا وعلى اشتغالهم بالتجارة وخاصة تجارة الأسرى أن أصبح بعض هؤلاء اليهود من أكبر أغنياء البلاد ، حتى ان الرحالة علي بك العباسي ، يذكر لنا بأن ما يقرب من الثلاثين منهم كانوا أغنياء

---

١ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت اسرة القرمانلي » ص ٢٠٦ .

٢ P. Costanzo Bergna: «Tripoli Dal 1510 al 1850», p. 284.

جداً ، أو كما يسمون في عصرنا هذا « بكبار الرأسماليين » [1] .

وكان لهذا الغنى ولتلك المكانة التي نالها اليهود عند يوسف باشا أثرهما في نفوس المسلمين ، ففي سنة ١٨٠٠ حينما زار أحد شرفاء ودان مدينة طرابلس ولاحظ مظاهر هذا الغنى على هؤلاء اليهود ،اتصل بيوسف باشا وأعلمه بأنه ليس من العدل ان يلبس هؤلاء اليهود أفخر الملابس وتتحلى الكثير من نسائهم بأثمن المجوهرات وأجملها ،بينما العنصر العربي لا يعاني الا الفقر والحرمان .

فأجابه يوسف باشا بقوله [2] :

« ان ازدهار اليهود هو نتيجة اجتهادهم في العمل ، في الوقت الذي كان فيه العنصر الثاني يتمرغ في الكسل ويبحث عن شهوات النفس » .

غير أنه مراعاة لشعور هذا الولي [3] ولمشاعر شعبه أوصى رؤساء اليهود بعدم ارتداء الملابس الفخمة واظهار الكماليات .

---

١ Voyages d'Ali Bey El Abbassi en Afrique et en Asie pendant les années 1803, 1804, 1805, 1806 et 1807, p. 33.

٢ Costanzo Bergna: Tripoli Dal 1510 Al 1850, p. 284, 85.

٣ لقد كان يوسف باشا يحترم الاولياء احتراما شديدا ويعلي من مكانتهم ويقبل شفاعتهم وينفذ الكثير من رغباتهم حتى وان تعارضت هذه الرغبات مع مصلحته في بعض الاحيان ، وقد عثرت على وثيقة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس بتاريخ ٢٧ شوال ١٢٢١ هـ (١٨٠٦ م٠) **سوف انشرها في ملحق هذا الكتاب الخاص بالوثائق تحت رقم ٢٦** ، وقد جاء في هذه الوثيقة أمر من يوسف باشا الى جميع الحكام المسئولين بمدينة ازليتن بضرورة احترام بعض الاولياء ذكرهم في هذه الوثيقة ، وعدم الاعتداء عليهم وتوفير كافة اسباب الراحة والهناء لهم ، بل وصل به احترامه هذا الى ان حدد بعض الاماكن القريبة من منازلهم وجعلها حرما مقدسا ، فمن دخله كان آمنا على نفسه وعلى ماله ، فلا يجوز لاحد الاعتداء عليه ما دام في حدود هذا الحرم ، كما انه يمنع على اي موظف دخول هذا الحرم الا اذا كان لاجل التبرك واخذ الفاتحة ، كما انه جدد هذا العهد في سنة ١٢٢٩ وفي سنة ١٢٣٢ هـ (١٨١٣ م٠ ١٨١٦ م٠) ٠

غير أن هذه المكانة التي كان يتمتع بها هؤلاء اليهود بدأت تقل تدريجياً ، وأخذت علاقتهم مع يوسف باشا تتطور تبعاً لتطور ظروف الأزمة المالية التي كان يعانيها في أواخر حكمه،حتى اننا نجده لم يكتف بما كان قد فرضه عليهم من اعطاء الجزية الشخصية واجبارهم على تقديم الشحم والعطور وأدوات الزينة إلى قصره ، فإنه ألزمهم كذلك بدفع مبالغ كبيرة من المال كضريبة اجبارية بغير وجه حق ، وهدد بانزال العذاب على كل من يرفض دفعها .

ولم يقتصر الأمر على هذا فحسب بل نجد أن ميكاكي في أثناء حديثه عن التغير الذي طرأ على سياسة يوسف باشا ازاء هؤلاء اليهود يقول [١] :

« اتخذ الباشا اجراءات شديدة ضدهم وأمر باعتبار جميع العقارات والأملاك التي لا توجد لها عقود مكتوبة من أملاك الدولة ، وكانت تتمثل خطورة هذا الاجراء في انه وفقاً لنظام اليهود الربانيين (اهازاكا) ، ان من يسكن بيتاً مدة تزيد على ثلاث سنوات بدون أن يجد معارضة من صاحبه يصبح ملكاً له » .

واستمر يوسف باشا في سياسته العدائية نحو هؤلاء اليهود لا لذنب عظيم ارتكبوه في حقه وانما لحاجته الشديدة بل الملحة الى المال ، وكانوا بحكم كونهم أغنياء المجتمع والذين تكدست في خزائنهم الثروات الطائلة نتيجة لاستغلالهم لمكانتهم ولقربهم منه فانه أراد أن يدفعهم الثمن غالياً نظير ماكانوا يتمتعون به من نعيم ورفاهية تحت ظلال سلطته وفي عهده الأول .

ويجدر بنا قبل أن ننهي الحديث عن الأسواق التجارية في ايالة طرابلس

---

١ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ٢٠٧ .

وعن أهم السلع التي كانت تباع فيها ، ان نتحدث عن تجارة الرقيق في هذه الايالة ، لنكمل بذلك رسم معالم الصورة للحياة الاقتصادية في ذلك الوقت .

فمن المعروف ان الرقيق في ذلك الوقت كان ينقسم الى نوعين: النوع الأول هو الذي كان المغامرون يحصلون عليه أثناء غزواتهم البحرية، وقد عرف بلونه الأبيض حيث كان الاسرى قبل سنة ١٨١٦ يعاملون معاملة العبيد ، فبعضهم كان يشتريه اليهود الذين سبق الحديث عنهم ، ومنهم من لم يشتر من طرف هؤلاء اليهود لأن أسرته لا تملك ثمن تحريره وعتقه فهؤلاء كانوا يبقون كأسرى في طرابلس وكانت الحكومة القرمانلية تعاملهم معاملة حسنة نوعاً ما وكانت في بعض الأحيان تسمح لهم بالعمل لدى بعض الأشخاص بشرط أن يدفعوا جزءاً من أجورهم إلى خزينة الدولة [1] .

أما من كان منهم على جانب من الثقافة أو كانوا يجيدون بعض الحرف أو الصناعات فإنهم كانوا محل اهتمام الحكومة القرمانلية وعنايتها حتى أن بعضهم قد وصل إلى وظيفة رئيس البحرية ، وكانت هذه الوظيفة من أهم الوظائف في العهد القرمانلي .

ومن الجدير بالذكر أن هؤلاء الأسرى جميعاً كانوا يعاملون معاملة طيبة مما دفع بعضهم إلى اعتناق الدين الاسلامي ، وتفضيل البقاء في طرابلس على العودة إلى بلادهم ، أو كما عبر عن ذلك المؤرخ ستانلي لين بول حيث قال ان بعض هؤلاء الأسرى كانوا يرفضون تحرير أنفسهم ويفضلون حياة الأسر في الشمال الافريقي على العودة إلى بلادهم

---

١ Voyages d'Ali Bey El Abbassi en Afrique et en Asie pendant les années 1803, 1804, 1805, 1806 et 1807, p. 24.

حيث تنتظرهم الفاقة والمعاملة السيئة من الحكام [١] .

-١ وأما النوع الثاني من الرقيق فهو ذلك النوع الذي كان التجار يحضرونه من أواسط افريقيا وقد عرف بلونه الأسود وكانت مدينة طرابلس سوقاً هاماً لتجارته . "

" وكان السودان من أهم البلاد الافريقية التي كان التجار يستوردون منه هذا النوع من التجارة البشعة ، وكانت هناك بعض القواعد المتعارف عليها بين تجار الرقيق تنظم طريقة بيع وشراء هؤلاء العبيد :

" فمثلاً كان يسمح للمشتري قبل انهاء عملية المبايعة بايواء العبد سواء كان ذكراً أو انثى في داره لمدة ثلاث ليال ، وذلك بعد دفع عربون لصاحبه قدره ربع الثمن المتفق عليه . وذلك لاختبار هذا العبد من حيث كونه صالحاً للمتاجرة فيه أو غير صالح . "

" وكانت الصفات التي تجعل العبد غير صالح للمتاجرة فيه هي أن يكون مصاباً بالجنون أو ان يكون قد ألف التبول أثناء الليل أو الشخير عند النوم أو ان يكون مصاباً بالزهري ، فاذا ما خلا العبد من هذه العيوب فإنه يعد صالحاً وعلى المشتري دفع بقية المبلغ الى صاحب العبد . أما اذا ما وجدت احدى هذه الصفات في العبد فانه يرجع الى صاحبه وعلى صاحبه رد العربون الذي أخذه من المشتري . "

" أما فيما يختص بالانثى من الرقيق فانها كانت تخضع لنفس الاختبار الذي كان يخضع له الذكر ، غير انه اذا كانت هذه الانثى بكراً واعتدى المشتري على بكارتها في أثناء فترة التجربة فانها في هذه الحالة لا ترد الى صاحبها بل يكون المشتري ملزماً بالاحتفاظ بها [٢] ."

---

١ Lane Poale (Stanley) «The Barbary Corsairs» 1e. éd. T.F. Unwin, London, 1890, p. 243-44.

٢ د. فؤاد شكري واخرون : « بناء دولة مصر . محمد علي » الطبعة الاولى – دار الفكر العربي . القاهرة ، ١٩٤٨ ص ٥٥٩ .

وكما سبق فإن ثمن الأنثى أعلى من ثمن الذكر ، فإن ثمن الذكر يساوي ثلث وفي بعض الأحيان نصف ثمن الأنثى . وذلك نتيجة للاقبال على شراء الاناث لأهميتهن في القيام بالأعمال المختلفة .

كما يحدثنا الرحالة ليون الذي زار مدينة فزان واطلع على حياة الرقيق فيها وبصفة خاصة في مدينة مرزق ، بأن عدد هؤلاء الرقيق في هذه المدينة كان حوالى عُشر سكانها وكان أغلبهم قد احضروا من بلادهم وهم صغار السن ثم كبروا في منازل أسيادهم فنالوا احترام أهل المنزل لهم، بل ان بعضهم كان محل ثقة سيده ، حتى انه لم يعد هناك اختلاف كبير بين شعورهم وشعور الرجال الأحرار [١] .

كما أن العادة قد جرت على عدم بيع رقيق المنازل الا في بعض الحالات النادرة . وان منهم من كان ينال حريته عند وفاة أحد أفراد الأسرة التابعين لها ، أو في مناسبة عيد الأضحى ، إذ كان الناس أغنياء فإنهم كانوا يعتقون أي يحررون أحد العبيد سواء أكان ذكراً أو أنثى . ومن تحرر فإنه يكون من حقه أن يتزوج وان يستقر حيث يعتبر كأنه قد منح حقوقه الجنسية .

كما انه يحدثنا بأن الجارية إذا أنجبت طفلاً من سيدها ، فإن هذا الطفل يعتبر حراً وله كامل الحقوق. أما إذا أنجبت طفلاً من غير سيدها فإن هذا الطفل يكون ملكاً لسيدها ويكون من حقه بيعه وبيعها .

أما اذا انجبت المرأة الحرة – أي التي سبق عتقها – طفلاً من عبد فان هذا الطفل يقاسم والدته حالتها فيصبح حراً مثلها [٢] .

ولقد استمرت هذه التجارة معترفاً بها طوال العهد القرمانلي ، بل

---

١ Captain G.F. Lyon: «A Narrative of Travels in Northern Africa in the years 1818, 19 and 20», p. 288.

٢ Captain G.F. Lyon: «A Narrative of Travels in Northern Africa in the years 1818, 19 and 20», p. 288, 89.

نجدها تستمر مدة طويلة بعد سقوط دولتهم ، كما تدل على ذلك بعض الوثائق الموجودة في دار المحفوظات التاريخية بمدينـــة طرابلس . حيث توجد رسالتان إحداهما بتاريخ ٢٩ من ذي الحجة سنة ١٢٥٨ (١٨٤٢م) أرسلها بعض تجار الرقيق الى والي ايالة طرابلس محمد أمين باشا يشكون فيها من تعديل نظام ضريبة التصدير ، ويتضح من هذه الرسالة ان تاجر الرقيق كان في أول الأمر يدفع في حالة بيع الرقيق ضريبة قدرها ٩ ٪ من ثمن بيع أي فرد من الرقيق ، أما في حالة التصدير الى الاناضول أو مدينة « مدلى » فانه يدفع ضريبة تصدير قيمتها ٣٪ من ثمن شراء العبد . أما في حالـــة التصدير الى مدينة استانبول أو أزمير فانه لا يدفع في طرابلس أية ضريبة ، وانما يدفع في مدينة استانبـول عن كل فرد من الرقيق مائة وتسعة وتسعين قرشاً استانبولياً ، وفي مدينة أزمير فانه يدفع هناك مائة وثمانية عشر قرشاً ، أو بمعنى أوضح إذا كان التصدير الى دولة الخلافة فان ضريبة التصدير لا تدفع في طرابلس وانما تدفع هناك لتستفيد الدولة من كل عوائد هذه التجارة الكثيرة بدلاً من استحـــواذ الولاة عليها ، أما إذا كان التصدير إلى دولة أخرى : فان ضريبة التصدير تدفع في طرابلس . مما جعل الوالي نفسه يفكر أيضاً في الاستفادة مـن هذه الضريبة التي تذهب كلها الى الدولة العثمانية ، فأدخل تعديلاً على هذه الضريبة بحيث أصبح البائع لا يدفع أي ضريبة تشجيعاً للبائعين على الاكثار من جلب العبيد،أما المشتري فانه يدفع عن كل واحد من الرقيق تسعة محابيب استانبولية عند الشراء وثلاثة محابيب عند التصدير ، وذلك لمعرفته بمدى ربحهم من هذه التجارة ، غير أن هؤلاء التجار لم يعجبهم هذا التعديل وأرسلوا اليه شكوى يطلبون فيها منه ان يخفف عنهم عبء

هذا التعديل لأن هذه التجارة هي حرفتهم الوحيدة التي يعيشون منها [1] .

والظاهر أن العبيد كانوا يتعرضون للاهانة والجوع والمذلة في أثناء جلبهم الى سوق مدينة طرابلس : فأصدر الوالي العثماني أمره الى المسؤولين في دولته يأمرهم بالاهتمام بالعبيد واحترامهم وعدم تجويعهم . وذلك لأن الوثيقة الثانية نجدها عبارة عن رسالة أرسلها مدير اغدامس وكبار الشخصيات بها الى الوالي العثماني بتاريخ ١٧ صفر ١٢٦٧ هـ (١٨٥٠ م) يعلمونه فيها بأنهم امتثلوا لأوامره السابقة وبأنهم سوف ينفذونها وبأن العبيد أو الأسرى كما يسمونهم سوف يعاملون معاملة حسنة الى غير ذلك من الأمور [2] .

أما إذا أردنا أن نحدد تاريخاً معيناً لمحاولة منع الدولة العثمانية استمرار هذه التجارة بصفة رسمية فإننا يمكن أن نعتبر سنة ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣ م) بداية لهذه المحاولة،حيث توجد وثيقة ثالثة وهي عبارة عن رسالة أرسلها علي بك قائمقام اغدامس إلى محمود نديم باشا وإلى ايالة طرابلس بتاريخ ١٢ صفر سنة ١٢٦٧ الموافق ١٥ اغسطس سنة ١٨٦٣ ، يخبره فيها بأنه استلم أمره الشريف القاضي بتحريم تجارة العبيد ، وانه قد نبه على التجار بأن الدولة من تاريخ هذه الرسالة سوف تحرر أي عبد تجده لديهم ، وبأن أي شخص يزاول هذه التجارة من الآن فصاعداً فسوف يحكم عليه في أول مرة بالسجن لمدة سنة وسوف تضاعف هذه العقوبة في المرة

---

١ رسالة من بعض تجار الرقيق الى والي ايالة طرابلس الغرب بتاريخ ٢٩ من ذي الحجة ١٢٥٨ هـ (١٨٤٢ م) . هذه الرسالة باللغة العربية ، ويوجد اصلها بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٢٧ .

٢ رسالة من مدير اغدامس وكبار الشخصيات بها الى والي ايالة طرابلس الغرب حول موضوع معاملة الاسرى (العبيد) بتاريخ ١٢ صفر ١٢٦٧ هـ (١٨٥٠ م) وهذه الوثيقة باللغة العربية ويوجد اصلها بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب ـ انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٢٨ .

الثانية اما في المرة الثالثة فإنه سوف يسجن مدة طويلة [١]".

" وهكذا بدأ العمل الجدي على انهاء هذه التجارة في ايالة طرابلس تلك التجارة التي هي من أحط أنواع التجارة التي عرفتها البشرية في تاريخها الطويل ".

الجيش والأسطول

لم يحاول يوسف باشا انشاء ما يسمى بالجيش النظامي وذلك لكي لا يتحمل مصاريف هذا الجيش في وقت السلم ، بل كان في الأوقات العادية يحتفظ بفرق حرسه الخاص وبجماعات من الانكشارية ، واتبع نفس السياسة التي سار عليها سلفه من حكام الأسرة القرمانلية،وهي انه أعفى سكان الساحل والمنشية من الكراغلة أو الكولاوغليه من الضرائب في نظير اشتراكهم في الحرب عند الحاجة اليهم .

فكان يوسف باشا كلما كان في حاجة إلى جيش قوي للقيام بأي مهمة من المهمات ، فإنه كان يطلب من رؤساء الكراغلة امداده بالعدد الذي يحدده من الجند ، وكان هؤلاء الرؤساء يلبون طلبه .

وقد عبّر عن ذلك ميكاكي بقوله [٢] :

« لم يحتفظ (أي يوسف باشا) بجيوش ثابتة عدا حرسه

---

١ رسالة من علي بك قائمقام اغدامس الى محمود نديم باشا والي ايالة طرابلس حول منع تجارة الرقيق بتاريخ ٢٩ صفر ١٢٨٠ الموافق ١٥ اغسطس ١٨٦٣ م. وهذه الوثيقة باللغة العربية ويوجد اصلها بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب ـ انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٢٩ .

٢ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ١٣٤ و ١٣٥ .

الخاص وجماعات الكول اوغليه الذين كان يستطيع استخدامهم في الخدمة العسكرية عند الضرورة ، ويعين عدد الجند الذين كان على كل رئيس ارسالهم اليه عند الطلب بحيث يستطيع تأليف جيش من عشرة آلاف فـارس وأربعين الف من المشاة » .

كما كان يوسف باشا في الأزمات الشديدة كقيام ثورات مثلاً فانـه كان يطلب من بعض شيوخ القبائل المواليـة له ، امداده بالعدد الذي يراه من المحاربين ، وكان هؤلاء الشيوخ يلبون أيضاً طلبه ، فنجد أن الرحالة العباسي يقول في هذا الصدد ما نصه [1] :

« لم يكن للباشا جيش نظامي ، وكان كلما احتـاج الى قوة ليقوم بالحرب فانه كان يدعو كل القبائل فيأتون اليه حاملين أعلامهم ، وبهذه الطريقة كان يمكنه ان يجمع حوالى عشرة آلاف فارس وأربعين ألف من المشاة [2] » .

ولما كان جيش الباشا يجمع بهذه الطريقة فان مروره أمام الناس كان يلفت انتباههم ، حيث انه كان يسير بدون نظام في الحركة أو وحدة في نوع الأسلحة أو اللباس العسكري . وقد وصف لنا هذا الجيش الدكتور باولو دلاسيلا « Paolo Della Cella » الذي كان قد رافق أحمد بك كطبيب له في أثناء حملته التي أرسلها يوسف باشا في سنة ١٨١٧ لاخضاع ابنـه

---

١ Voyages d'Ali Bey El Abbassi en Afrique et en Asie pendant les années 1803, 1804, 1805, 1806 et 1807, p. 27.

٢ يلاحظ ان ميكاكي قد ذكر لنا في النص السابق نفس هذا العدد ، وان اختلف مع العباسي في المصدر الذي يكونه . وهذا يجعلني ارجع بان ميكاكي قـد اخذ هـذا العدد عن العباسي وان جعل مصدره الكراغلة بدل القبائل العربية ، وذلك لان الرحالة العباسي كان قد زار طرابلس والف كتابه قبل ان يؤلف ميكاكي كتابه الذي كان كتاب العباسي احد المراجع التي اعتمد عليها في تاليفه كما يتضح ذلك من قائمة المراجع التي ذكرها ميكاكي في اخر كتابه .

محمد بك واخماد ثورته التي أشعلها في برقة . فقد وصف الدكتور باولو دلاسيلا هذا الجيش بقوله [1] :

« ومما يلاحظ على هذا الجيش انه لم يكن هناك أي نوع من النظام في حركاته ولا أي تشابه أو تناسق في أسلحته ، وكان الجندي مسلحاً ببندقية رديئة وبمسدسين أردأ ويرتدي معطفاً مهلهلاً من الصوف ويلبس بدلاً من الحذاء قطعتين من جلد الجمل المجفف في الشمس ومربوطة حول اقدامه بالحبال وثلاثة أكياس مثبتة في وسطه كل واحد يحتوي منفصلاً على بارود ورصاص وحشو من القطن أو القش . وكان على هذا الجندي تدبير طعامه وعتاده على حسابه الخاص ، ومع ذلك فإنه كان يسر بارتداء هذا الزي وانخراطه في جيش الباشا ، لأنه كان يعيش على حساب الأهالي الذين يمر ببلادهم وينهب كل ما يقع تحت يده » .

أما عن أهم الأعمال التي قام بها هذا الجيش فهي كثيرة ومتعددة منها انه في سنة ١٨٠٣ أرسل يوسف باشا أحد الموظفين لجمع الضرائب من غريان غير أن الأهالي قتلوه ، فأرسل اليهم يوسف باشا حملة تأديبية بقيادة الخازندار الحاج محمد اغا ، وتمكنت هذه الحملة من السيطرة على البلاد وقتل رئيس الثوار الشيخ عبد الوافي ، وبذلك خضع الأهالي لمشيئة الباشا . وفي سنة ١٨١٠ قرر يوسف باشا ضم اغدامس إلى ايالة طرابلس حيث انها تعتبر جزءاً منها واجبارها على اعطاء الضرائب له بدلاً من اعطائها إلى تونس ، وأرسل حملة بقيادة ابنه علي استطاع كما سبق

---

١ Paolo Della Cella : «Narrative of an expedition from Tripoli in Barbary to the Frontier of Egypt in 1817», p. 9-10.

ذكره تحقيق هذه الرغبة وأصبحت أغدامس منذ هذا التاريخ تابعة لطرابلس بدلاً من تبعيتها لتونس .

وفي سنة ١٨١٢ رفض حاكم فزان دفع ما عليه من مبالغ مالية الى الباشا ، وقد كان اقليم فزان يحكم بواسطة أحد الحكام من ابناء الاقليم ويسمى بالسلطان . وكان حكام الاسرة القرمانلية لا يتدخلون في أمره طالما كان يدفع مبلغاً معيناً كل سنة نظير استقلاله بحكم فزان ، أما في حالة عدم ارساله لهذا المبلغ فكان الباشا القرمانلي في هـذه الحالة يرسل اليه حملة لمحاربته واخضاعه لنفوذه وفي بعض الأحيان يعزل هذا السلطان ان لم يقتل أثناء الحرب ويعين الباشا القرمانلي من يشاء مكانه .

وفي هذه السنة أي سنة (١٨١٢) كان سلطان فزان هو الشيخ محمـد الشريف وكان قد اتفق مع يوسف باشا على حكم اقليم فزان نظير دفعه سنوياً مبلغاً قدره خمسة آلاف ريال ، غير انه كما يقول أحمد النائب[1] ، لم يهتم بحكم الغلاء ورفض ارسال هذا المبلغ وانهمك في الملـذات وأولع بالغناء ومعاشرة المضحكين ، فقرر يوسف باشا تأديبه ، فأرسل اليه حملة بقيادة محمد المكني ، وعند وصول هذا القائد الى مدينة مرزق تظاهـر للسلطان بأن الغرض من قدومه هو تأديب حاكم برنو ، وانه ينوي الاستراحة في مرزق بضعة أيام ، فرحب السلطان بقدومه وأنزله وجيشه في ضيافته .

وفي أثناء اقامته بمرزق وبالتحديد خارج أسوار المدينة اجتمع به ابن أخ السلطان وأعلمه بما آلت اليه حالة البلاد في عهد عمه ، فأغراه المكني في نهاية الحديث بقتله ووعده بتعيينه مكانه ، وبعد أن نفذ هذا الشاب هذه المؤامرة دخل المكني المدينة بجيشه وجمع العلماء ووجهاء البـلاد وبطريقة الخداع أيضاً استطاع المكني أن يجعل هذا الشاب يعترف أمام الجميع بأنه هو الذي قتل عمه لانقاذ البلاد من الفوضى والضيق والاضطراب

---

[1] احمد النائب : « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ص ٤٣٥ .

ثم طلب المكني منهم اصدار حكمهم عليه فنادى الجميع بقتله . وبقتله أصبح المكني الحاكم المطلق في البلاد بدون مشقة .

غير أن ليون يحدثنا بأن محمد المكني كان يعد العمل لمثل هذا اليوم من مدة طويلة ، حيث انه كان قد لاحظ كثرة خيرات هذا الاقليم نتيجة لزياراته الكثيرة اليه لأخذ المبالغ السنوية من السلطان . مما جعله يتأكد من ان المبلغ السنوي الذي يدفعه السلطان يعد قليلاً بالنسبة لما يتحصل عليه من ثروات كثيرة ، فأخذ يلح على الباشا بضرورة تغيير هذه الأسرة الحاكمة ويغريه بأنه إذا ما أسند حكم هذا الاقليم اليه فإنه سوف يدفع اليه خمسة عشر الف دولار سنوياً بدلاً من خمسة الآلاف التي يدفعها الحاكم الحالي وقد تمكن بدهائه من تحقيق رغبته هذه [١] .

وكما كان اقليم فزان تحت سلطة أحد الحكام ولا يستفيد منه يوسف باشا الا مبلغاً معيناً يدفع اليه كل سنة ، فإن منطقة الجبل الغربي كانت كلها تحت سلطة شيوخ بني أنوير من المحاميد ، وكان على كل شيخ يتولى الحكم دفع مبلغ معين الى الباشا القرمانلي في نهاية كل سنة ، ويقسم حاكم الجبل هذا المبلغ على المدن الكبيرة التي تحت سلطته .

ويحدثنا بعض المؤرخين مثل أحمد النائب وعزيز سامح [٢] بأنه في سنة ١٨١٥ كان الحاكم على منطقة الجبل الغربي هو الشيخ أبو القاسم بن الشيخ خليفة المحمودي ،وفي هذه السنة حاولت قبائل نالوت الخروج على طاعته ورفضت دفع المبلغ المقرر عليها ، وحاول الشيخ أبو القاسم اخضاع هذه القبيلة الثائرة ولكنه فشل في اخضاعها ، فاستنجد أخيراً بيوسف باشا فأرسل اليه حملة بقيادة ابنه أحمد كما أرسل معه ابنه علي لمساعدته ،

---

١ Captain G.F. Lyon : «A narrative of travels in orthern Africa in the years 1818, 19 and 20», p. 237-238.

٢ احمد النائب : « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ص ٣٣٦ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ . و Aziz Samih: «Simali Afrikada Turkler, p. 237-238.

وانضمت الى هذه الحملة القبائل الموالية للباشا بما فيها الشيخ أبو القاسم.

وحينما وصلت هذه الحملة الى مدينة نالوت اشتبكت مع القبائل الثائرة في معركة كبيرة انتهت بخضوع الثـوار لسلطة الشيخ أبـي القاسم ، كما اجبروا على دفع المبالغ المتبقية عليهم ، وكذلك مصاريف الحملة ، ولما لم يجدوا الاموال الكافية لسداد هذه المبالغ أخذ أحمد منهم رقيقاً في مقابل المبلغ المتبقي عليهم . وقد حدد أحمد النائب هؤلاء العبيد بمائتين وخمسين بينما حددهم عزيز سامح بمائتين فقط .

كما يؤكد لنا عزيز سامح بأن سبب انتصار الحملة على الثوار كان يرجع إلى استعمال الجنود للمدافع التي لم تكن هذه القبائـــل قد تعودت رؤيتها من قبل ، وبذلك فإنها لم تستطع الصمود أمام قذائفها .

وبعد رجوع هذه الحملة إلى طرابلس أخذ أبناء الباشا يغرونه بفائدة الاستيلاء على منطقة الجبل لكثرة خيراتها ووفرة نعيمها حتى صمم الباشا على ضرورة ضمه تحت سلطته مباشرة .

وانتظر مدة طويلة لتحقيق هذا الحلم خوفاً من قيامه بأي عمل مبكر فيثير الشكوك حوله ، وفي سنة ١٨٢١ قرر تنفيذ مشروعه ، فاستدعى الشيخ أبي القاسم إلى طرابلس وأظهر له من الحب والتقدير والاحترام ما يليق بمكانته وأنزله في قصر الضيافة معززاً مكرماً، وفي احدى الليالي كما يؤكد لنا أحمد النائب وعزيز سامح : أصدر الباشا أوامره إلى أحد أتباعه بالعمل على اغتياله. وحينما نفذت هذه الجريمة ، أظهر الباشا تأسفه لما حدث وقبض على اثنين من الخبازين واتهمهما بقتله وبدون محاكمة حكم عليهما بالاعدام [١] .

وهناك ملاحظة هامة احب ان ألفت النظر اليها وهي انني قد تحدثت

---

١ احمد النائب : « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ص ٣٤٤ و ٣٤٥ و
Aziz Samih : Simali Afrikada Turkler», p. 239.

عن رواية احمد النائب وعزيز سامح في آن واحد ، وذلك لأن هـذا الأخير قد نقل روايته عن أحمد النائب وانه نقلها بدون أن يتأكد من صحتها فوقع في الخطأ الذي وقع فيه النائب قبله .

إذ يحدثنا كل من الرحالة دروهام ديكسون وكلبرتون « Druham Dixon and Clapperton » [1] بأن الشيخ أبا القاسم بعد ان استمتع بمساء من الرقص والموسيقى في حجرات الباشا الخاصة استأذن بالرجوع الى داره بعد ان لثم اليد التي أشارت بأمر قتله ، وفي الممر أما باب داره أصابته طلقة من مسدس في ذراعه وأخرى في جسمه فترنح الشيخ الكبير[2] على سجادته ثم بين ذراعي زوجته معلناً بأن قاتله هو ابن اخته الشيخ محمود بالقاسم ولد سعداوي ، ثم هجم عليه بعض الأشخاص حيث طعنوه سبع طعنات بالخنجر ففارق على أثرها الحياة ، ثم هرب الأشخاص الثلاثة الذين أخذوا على عاتقهم مهمة الاغتيال الى القنصلية الانكليزية طالبين حمايتها . غير ان القنصل الانكليزي أرسل ترجمانه في صباح اليوم التالي الى الباشا لاعلامه بالتجاء القتلة اليه وبأنهم لن يجدوا الحماية تحت العلم الانكليزي ، فأعرب الباشا لهذا الترجمان عن شعوره ازاء هذا الحادث وأعلمه بأنه صدم عند سماعه لهذا الحادث وانه تأسف على ان القتلة قد أخذوا ملجأ لهم في القنصلية وحيث انها لها حرمتها فانه لذلك لا يستطيع انتهاك هذه الحرمة وخاصة انه علم بأن القتلة لديهم أسلحة وينوون المقاومة ثم أرسل الباشا وزيره الى القنصل لكي يعرب له عن حياء الباشا من هذا الأمر .

---

1. Druham Dixon and Clapperton : «Narrative of Travels and discoveries in Northern and Central Africa in the years 1822, 1823 and 1824», London, John Murray, 1826, p. XII – XIII.

2. يلاحظ ان دورهام ديكسون وكلبرتون احيانا يطلقان على الشيخ ابي القاسم اسم الشيخ واحيانا اسم ابو القاسم فقط واحيانا اخرى يسميانه باسم والده فيقولان عنه خليفه .

غير أن القنصل أجابــه بأن للباشا مطلق الحرية في ارسال أي قوة ترضيه وأن يستعمل أية وسيلة يراها أفضل لأخذهم من تحت العلم حتى لا يكون هذا العلم مفضوحاً باعطائه الحماية للقتلة .

وفعلاً أرسل البــاشا ستة عشرة رجلاً من رجال القلعة المختارين ودخلوا القنصلية وقــد سلم المساكين أنفسهم اليهم وهم يرتعشون بدون مقاومــة بالرغم من أن أسلحتهم جاهزة للاستعمال ، وانه في أقل من ساعة شنقوا على أسور القلعة .

ومما سبق يتضح لنا بأن يوسف باشا قد أوعز الى الشيخ محمود بالقاسم ورفاقه بمهمة القتل والالتجاء الى القنصلية الانكليزية على أمل انها سوف تحميهم فينجون من القتل ، غير انه بعـد ان رفض القنصل الانكليزي هذه الحماية وجد يوسف باشا بأن تآمره سوف يفضح ان لم يظهر غضبه على هؤلاء القتلة ويرسل من يحضرهم من القنصلية لينـالوا جزاء عملهم هذا ، وبقتلهم أزاح يوسف عن نفسه تهمة التـآمر وأظهر نفسه أمـــام شعبه وخاصة أمـــام قبيلة القتيل بمظهر الباشا العادل الذي لا تأخذه في الحق لومة لائم .

وبذلك أصبح الذين قتلوا هم القتلة أنفسهم وليس صناع الخبز الأبرياء كما قال بذلك أحمد النائب وعزيز سامح .

ويرجع السبب في ترجيحي لرواية دروهام ديكسون وكلبرتون عـلى رواية أحمد النائب وعزيز سامح إلى ان دروهام ديكسون وكلبرتون قد زارا مدينة طرابلس بعد زمن قصير من وقوع هذه الجريمـة ، اذ ان رحلتهما إلى شمال ووسط افريقيا قد بدأت سنة ١٨٢٢ وانتهت سنة ١٨٢٤ وانهما قد ألفا كتابهما سنة ١٨٢٦ ، وبذلك يكون عهدهما أقــرب إلى زمن وقوع الجريمة من عهد النائب وعزيز سامح .

أما عن السبب الذي جعل وارنجتون القنصل الانكليزي يرفض حماية

القتلة ، ففي اعتقادي انه يرجع إلى ان وارنجتون كان متحمساً لجعل طرابلس قاعدة لمشروع الكشف الجغرافي في أواسط افريقيا وكان يحرص كل الحرص على روابط وعلاقات قوية مع زعماء القبائل في دواخل طرابلس لكي يحموا هؤلاء الرحالة ويقدموا لهم ما يطلبونه من خدمات.

وحينما وقع هذا الحادث وطلب القتلة حمايته رفض هذه الحماية خوفاً من أن ان تسوء العلاقة بينه وبين قبيلة القتيل التي كانت من اقوى واعظم قبائل الجبل الغربي ، فلا يتحقق النجاح الذي كان ينشده لمشروعه السابق اذ ان هذه القبيلة ومن يتبعها من قبائل طرابلس سوف تناصبه العداء وسوف تعترض سبيل أي رحالة ان لم تقتله .

وهنا نتساءل هل استطاع يوسف باشا تحقيق حلمه بالاستيلاء على الجبل الغربي وضمه إلى سلطته المباشرة ؟

وبالرجوع إلى ما ذكره عزيز سامح نرى ان يوسف باشا نظراً لما كان يعانيه من ضائقة مالية يتجه نظره إلى الجبل الغربي فيرسل في سنة ١٢٤٤ هـ (١٨٢٨ م) حملة بقيادة ابنيه احمد وعلي لمحاولة الاستيلاء على الجبل ، وحينما وصل جيش الباشا إلى هناك اخذت القبائل تجمع نفسها وتوحد صفوفها استعداداً للقتال ، وقد تمكنت من التضييق على جيش الباشا الذي وقف بدون قتال لمدة ثلاثة شهور قضاها في المفاوضات . وحينما شعر يوسف باشا بخطورة الموقف نظراً لمحاصرة جيشه ولعدم قدرته على القتال دفعه خوفه على أبنائه وجيشه وسمعته الى الالتجاء إلى اولاد ابو سيف للتدخل لانهاء الأزمة . ونظراً لكون اولاد ابو سيف من المرابطين ولهم كلمة مسموعة عند هذه القبائل ، فإنهم استطاعوا عقد صلح بين الطرفين ، تعهد أهل الجبل بمقتضاه باعطاء الضريبة السنوية كعادتهم وفي مقابل ذلك اعترف يوسف باشا بزعامة غومة بن الشيخ خليفة المحمودي على منطقة الجبل [1] .

---

[1] Aziz Samih : Simali Afrikada Turkler», p. 239.

غير أنه يلاحظ أن أحمد النائب يختلف مع عزيز سامح في تحديد السنة التي أرسل فيها يوسف باشا قواته الى الجبل الغربي ، اذ يحددها النائب بسنة ١٢٤٢ هـ ، كما يختلف معه في القائد الذي قاد الحملة حيث ان النائب يذكر علي بك فقط بدون أي ذكر لأحمد [١] .

ولكن بالنظر الى ما ذكره ميكاكي من ان يوسف باشا حينما هرب ابنه محمد بك الى مصر بعد محاولة قتله والثورة عليه ، عين ابنه أحمد في منصب بيك غير أن هذا البيك حاول في سنة ١٨٢٦ الثورة على والده وقتله وقتل جميع المسيحيين الموجودين في البلاد ، ولكن المؤامرة اكتشفت واكتفى الباشا بعزله من منصب البيكوية وتعيين ابنه علي في منصبه [٢] .

وهذا ما يجعلني أرجح رواية النائب من حيث تحديد سنة ارسال الحملة ومن حيث ان قائدها كان علي بك وحده ،لأن أحمد بعد اكتشاف مؤامرته وعزله ذهب إلى برقة ومنها اتجه إلى مصر .

ومن الأعمال التي قام بها جيش الباشا أيضاً، خروجه في سنة ١٨١٧ لاخضاع الثورة التي قام بها محمد بك الابن الأكبر ليوسف باشا .

وكان هذا الشاب معجباً بنفسه وبما حققه من انتصارات كبيرة في ميادين القتال سواء أكان ذلك في طرابلس أم في برقة حتى انه استطاع أن يخضع القبائل التي حاولت الخروج على طاعة والده واجبارها على دفع ما عليها من أموال متأخرة [٣] .

---

١ أحمد النائب : « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ص ٢٤٧ .

٢ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ٢٠٨ .

٣ يذكر لنا ميكاكي في كتابه : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » صفحة ١٦٦ ان محمد بيك قد ارسله والده في سنة ١٨١١ لاجبار بعض القبائل الثائرة في برقة على الخضوع لسلطته ، وفي اثناء رجوعه من برقة في السنة التالية حاول احمد سيف النصر ان يقطع عليه طريق العودة غير ان محمد قتله وحمل معه رأسه المبتور الى طرابلس .

←

وقد دفعه غروره واعجابه بنفسه إلى محاولة اغتيال والده ، ففي سنة ١٨١٧ ، بينما كان مع والـده يتناقشان في بعض الأمور ، حاول طعن والده بسكين ، غير أن والده قد نُبـه إلى تلك المحاولة بواسطة احدى جواريه التي كانت موجودة في تلك اللحظـة ، فكانت بذلك سبباً في نجاته ، وبدلاً من أن يعاقبه والده على ذلك نجـده يعفو عنه ويكتفي بابعاده فقط فعينه حاكماً على بنغازي ودرنة [١] .

وعندما وصل محمد إلى بنغازي استطاع أن يضم اليه قبائل الجوازي وأعلن الثورة ضد والده . وازاء هذا التمرد الجديد قـرر يوسف باشا ارسال حملة بقيادة ابنه أحمد الذي عينه في منصب أخيـه اذ منحه لقب البيكاوية ، وكانت مهمة هذه الحملة هي القضاء على هذه الثورة ومعاقبة الثوار عـلى ثورتهم والقبض على ابنه الذي كان بمثابة الزعيم لأولئك الثوار .

وقد عين الباشا الدكتور باولو ديلا سيلا طبيباً خاصاً للبيك في أثنـاء حملته وقد ترك لنا هذا الدكتور كتاباً قيّماً ذكر فيه تفاصيل خط سير هذه الحملة وما قامت به من أعمال وما حققته من نتائج بالاضافة إلى ملاحظاته على البلاد التي زارها وهو في رفقة البيك .

أما عن هذه الحملة فإنه قد حدد يوم ١١ فبراير سنة ١٨١٧ موعداً لتحركها . وفي هذا اليوم خرج الباشا لتوديع ابنه أحمد بيك ورافقه إلى

و لكن بالرجوع الى ما ذكره بعض المؤرخين مثل احمد النائب في كتابه « المنهل العذب فـي تاريخ طرابلس الغرب » صفحـة ٣٣٢ وعزيز سامح فـي كتابـه : « Simali Afrikada Turkler صفحة ٢٣٧ و ٢٣٨ يتضح لنا بأن محمد بيك كان قد قتل احمد سيف النصر لا سنة ١٨١١ كما ذكر ميكاكي وانما سنة ١٨٠٥ ، يوم ان اخذ احمد سيف النصر يعترض طريق السفن التي كانت تأتي الى سرت ، واجبار التجار على دفع الضرائب اليه .

١ Paolo Della Cella : «Narrative of an expedition from Tripoli in Barbary to the Western Frontier of Egypt in 1817, p. 5.

قرب حدائق المنشية ثم رجع الباشا ومضى أحمد في سيره لتحقيق الأهداف التي من أجلها قامت هذه الحملة .

وكان أحمد بك محل تقدير واحترام كل رؤساء القبائل والمشايخ الذين مر بهم في أثناء سيره كما انه كان يتابع تحركات أخاه الثائر ولم ترتح نفسه إلا بعد أن قابله عند مصراتة أربعة من شيوخ بنغازي وأظهروا له ترحيبهم بقدومه وأعلموه بالأعمال الوحشية التي ارتكبها شقيقه ، كما أخبروه بأن الأهالي قد صمموا على مساعدته والقتال معه ، وذلك بمجرد أن يروا طلائع جيشه ، فكان لما سمعه البك أطيب الأثر في نفسه وأخذ يسرع في سيره ، وكان جيشه يزداد عدداً على طول الطريق الذي سار فيه . غير أنه بقدر ما كان هذا الجيش يزداد عدده بقدر ما كان البيك يزيد في تحقيره لأولئك الذين كانت ظروفهم المادية لا تساعدهم على دفع الهدايا اليه عند مروره بهم. فقد كان البيك يجبر القبيلة التي لا تقدم له الهدايا عند مروره بها ، على السير مع جيشه بحيواناتها ومواشيها وبنسائها وأطفالها وشيوخها معللاً حكمته في ذلك ، بأن هذه القبائل اذا ما اجبرت على السير مع جيشه فانها لن تستطيع مساعدة الثائر [1] .

وقد علق الدكتور باولو ديلا سيلا على هذه الحشود الغير منتظمة المضطربة بقوله :

« لقد أعادت الى الذهن هذه التجمعات الغير منتظمة من الجند ورعاة الغنم والنساء والأطفال والاعداد التي لا تحصى من الجمال والمواشي والأغنام ؛ ما يتحدث عنه في التاريخ بالهجرات الجماعية للامم القديمة » .

كما يحدثنا هذا الدكتور عن حالة البدو الاجتماعية بأنها سيئة للغاية

---

١ Paolo Della Cella : «Narrative of an expedition from Tripoli in Barbary to the Western Frontier of Egypt in 1817», p. 90 to 95.

حيث كان الجهل سائداً والامراض منتشرة وخاصة بين الشباب والأطفال [1] .

أما عن الثائر فانه لم يكد يسمع بمجيء هذه الحملة حتى أخذ في الانسحاب شرقاً نحو مصر تاركاً خلفه جرائمه البشعة من سلب ونهب وقتل للأبرياء بدرجة ارتاحت معها نفسه المحبة لرؤية الدماء . حتى ان المؤرخ شارل فيرو يصفه بقوله [2] :

« لم تشهد افريقيا التي كان القدماء يسمونها ببلد الوحوش ، وحشاً أكثر شراسة وتوحشاً وحباً لسفك الدماء ، مثل الباي محمد القرمانلي الابن الأكبر ليوسف باشا ، وكان غبياً متهوراً عديم الاحساس » .

أما عن أحمد فانه أخذ طريقه ماراً بالابيار وشحات ودرنة الى أن وصل الى خليج « بومبا » بدون أن يجد أية مقاومة من أخيه الثائر الذي كان كلما وصل أحمد الى مكان ينتقل هو الى المكان الذي يليه ، وهكذا الى ان دخل الأراضي المصرية ، وعندئذ رجع البيك أحمد الى درنة ومنها اتجه الى بنغازي . وأظهر أحمد تسامحاً كبيراً بالنسبة للذين انضموا الى أخيه وخاصة قبيلة الجوازي ، مما جعل شيوخ هذه القبائل يحضرون اليه طالبين عفوه راضين بعقابه على ما بدر منهم ، غير ان أحمد قابلهم بكل مظاهر الاحترام وتظاهر لهم برضائه عنهم ، وطلب منهم ان يختاروا اثنين وعشرين شخصاً من بين العائلات الأكثر غنى وثروة لارسالهم الى طرابلس ليجددوا للباشا كما قال باولو ديلا سيلا ، يمين الولاء والاخلاص باسم كل القبائل [3] .

---

١ Paolo Della Cella op. cit., p. 103.

٢ C.L. Feraud: «Annales Tripolitaines publiées avec une introduction et des notes par Augustin Bernard. Tunis, Fournier, Paris, Vinbert 1927», p. 331.

٣ Paolo Della Cella : «Narrative of an expedition from Tripoli in Barbary to the Western Frontier of Egypt in 1817», p. 18L.

وهكذا نرى أن هذا العدد الذي طلبه أحمد كان لغرض تجديد يمين الولاء والاخلاص للباشا وليسوا كرهائن كما قال بذلك ميكاكي وكستانزو بيرنا [1] .

وان كان أحمد قد غدر بهم حيث أمر برميهم في البحر ، فإن هذا التصرف ليس بالغريب عنه ، لأننا نجده بعد أن أظهر لقبيلة الجوازي الصفح عما بدر منها ، عاد فوجه اليها الدعوة لحضور حفلة تسليم البرنس الأحمر إلى رؤسائها،وقبل الجوازي الدعوة على حسن نية وقدموا بعائلاتهم إلى مدينة بنغازي ونصبوا خيامهم على مقربة من المدينة .

وفي يوم ٥ سبتمبر ١٨١٧ توجه رؤساؤهم وعددهم خمسة وأربعون إلى قصر البيك ، وفي أثناء تقديم القهوة لهم هاجمهم حراس البيك وقتلوا الكثير منهم ومن وجد منهم الفرصة فهرب من النوافذ وجد حراس القصر في انتظاره . ثم خرج الجند لنهب خيام القبيلة واستولوا على كل ما وقعت أيديهم القذرة عليه ومن بقي من هذه القبيلة حياً فإنه هاجر إلى مصر فراراً من الظلم والطغيان .

ولم يكتف الباشا بما أزهقه جنده من أرواح بريئة وبما شهدته أراضي ايالة طرابلس من دماء غزيرة ؛ بل انه في سنة ١٨٣١ ، حينما انتهز عبد الجليل سيف النصر حالة الاضطراب والفوضى التي عمت البلاد فأعلن ثورته ضد يوسف باشا مما جعل هذا الأخير يرسل اليه الآلاف من الجند لاخضاع هذه الثورة التي كانت عاملاً من العوامل الأساسية في سقوط حكم الأسرة القرمانلية .

ونظراً لأهمية هذه الثورة وما ترتب عليها من نتائج حاسمة في تاريخ ايالة طرابلس فإنني أرجىء الحديث عنها إلى الفصل القادم من هذا البحث.

---

١ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ١٨١ و
P. Costanzo Bergna : «Tripoli Dal 1510 al 1850», p. 280.

ومما تجب ملاحظته هو ان هذا الجيش بالرغم من ولائه ليوسف باشا وطاعة أوامره كما رأينا ، الا أن يوسف باشا لم يستطع تنفيذ أوامر سلاطين الدولة العثمانية الخاصة باصلاح الجيش وتنظيمه على النمط الأوروبي الحديث . وذلك لأن سلاطين الدولة العثمانية وخاصة ابتداء من عهد السلطان مصطفى الثالث (١٧٥٧ - ١٧٧٤ م) ، حينما تأكد لهم فساد الانكشارية وفقدانها للروح العسكرية وميلها إلى الهرج واحداث القلاقل في الدولة العثمانية ، حاولوا العمل على اصلاح هذا الجيش وتنظيمه على الطريقة الأوروبية الحديثة [١] .

وحينما تولى السلطان سليم الثالث ، حكم الدولة العثمانية (١٧٨٩ - ١٨٠٦ م) حاول تكوين فرق جديدة من المشاة وألبسها الزي الأوروبي وفتح الباب أمام أفراد الانكشارية للانضمام إلى هذه الفرق الجديدة كما أرسل إلى ولاته في الايالات التابعة للدولة العثمانية يطلب منهم تنفيذ هذا النظام الجديد ، وكان يوسف باشا من ضمن هؤلاء الولاة الذين وصلهم هذا الأمر .

غير أنه كما وقفت الانكشارية في الدولة العثمانية نفسها ضد هذا النظام ورفضت الاعتراف به ، نجد ان زعماء الانكشارية في ايالة طرابلس وقفوا ضد هذا النظام أيضاً ورفضوا الاعتراف به ولم يستطع يوسف باشا تنفيذ هذا النظام .

وحينما تولى السلطان محمود الثاني حكم الدولة العثمانية (١٨٠٨ - ١٨٣٩ م) صمم على التخلص من الانكشارية ليستطيع القيام بعملية الاصلاح في الجيش العثماني ، وبعد أن تمكن من القضاء عليهم بضربه

---

١ د. محمد انيس : « الدولة العثمانية والشرق العربي - (١٥١٤ - ١٩١٤) » ص ٢١٤ ، ٢١٥ .

لشكناتهم بالمدافع سنة ١٨٢٦ [١] ، أرسل الى يوسف باشا يأمره بتطبيق النظام الجديد في ولايته ، لكن يوسف باشا يظهر أنه لقي نفس المعارضة الأولى ، حتى اننا نجده في الرسالة التي أرسلها الى السلطان سنة ١٢٤٨ هـ ١٨٣٢ م ، وكذلك في رسالته التي أرسلها الى خليل رفعت باشا رئيس البحار ، يرجع سبب قيام الثورة ضده الى محاولته تطبيق النظام العسكري الجديد في الايالة كما سيأتي الحديث عن ذلك في الفصل القادم من هذا الكتاب عند الحديث عن تنازل يوسف باشا عن الحكم لابنه علي [٢] .

أما عن الاسطول في عهد يوسف باشا ، فانه كان في أوائل عهده يعد مظهراً من مظاهر القوة ، وعاملاً من العوامل الأساسية التي استطاع عن طريقها يوسف باشا ومن سبقوه من الحكام فرض سيادتهم واملاء شروطهم على كثير من الدول الاوروبية ، مما جعلها تحاول بكل الوسائل التقرب الى هؤلاء الحكام وخاصة في أوائل عهود قوتهم لكسب صداقتهم فتنال بذلك سلامة سفنها من اعتداء اسطولهم عليها .

وقد أولى حكام الاسرة القرمانلية هذا الاسطول كامل عنايتهم ورعايتهم فأخذوا يعززونه بالرجال والسلاح والعتاد ما وجدوا الى ذلك سبيلاً .

ويمكن ان نقسم البحرية في العهد القرمانلي الى نوعين : النوع الأول، وهي البحرية الرسمية التي تشمل الاسطول التابع للدولة . وكان رئيس

---

١ د. محمد انيس : « الدولة العثمانية والشرق العربي (١٥١٤ ـ ١٩١٤) » ص ٢١٥ .

٢ رسالة يوسف باشا الى السلطان العثماني يشرح له فيها اسباب تنازله عن الحكم لابنه علي ، ويرجوه فيها تعيين ابنه علي واليا على البلاد وثيقة رقم د ٢٠٢٤٢ ، سنة ١٢٤٨ هـ. (١٨٣٢ م.) ـ انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٧ . وكذلك رسالة يوسف باشا الى خليل رفعت باشا رئيس البحار يرجوه التوسط لدى السلطان للحصول على فرمان بتولية ابنه علي واليا على طرابلس .

وقد نقل نص هذه الرسالة ، محمد بهيج بن مصطفى عاشر في كتابه « طرابلس غرب تاريخي » صفحة ٢١٦ ، ٢١٧ ، وهو باللغة التركية وقد ترجم منه هذه الرسالة الحاج محمد الاسطى ـ انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٣٠ .

هذا الاسطول يعد من أهم الشخصيات البارزة في العهد القرمانلي ، وقد أهلته وظيفته هذه في كثير من الأحيان الى مصاهرة الاسرة الحاكمة ، كما سبق وأشرت الى ذلك في عديد من المرات .

أما النوع الثاني ، فهي مجموعة السفن التابعة لبعض الأشخاص من المغامرين الذين يشتغلون لحسابهم الخاص ، وكانوا في نظير استعمالهم للميناء أو المرسى ، وحماية الدولة لهم عند اللزوم ، يدفعون اليها نسبة معينة من ثمن الغنائم التي كانوا يتحصلون عليها أثناء مغامراتهم البحرية .

وكان نشاطهم ومغامراتهم لا تقل عن نشاط ومغامرات رجال البحرية الذين يتبعون رسمياً لسلطة الدولة ، حتى ان فرنسا كما سبق وأشرت ، اضطرت في ٣ مايو سنة ١٧٥٢ الى اجبار محمد باشا القرمانلي على اضافة نص جديد الى المعاهدة المبرمة بينهما بتاريخ ٦ يونيو سنة ١٧٢٩ ، يجبر هؤلاء المغامرين على عدم التعرض للسفن الفرنسية لأي سبب من الأسباب، ومن يتعرض منهم لهذه السفن فانه سوف يعاقب بمنتهى الشدة وبالاعدام أيضاً .

وكانت الدولة القرمانلية تتغلب على مشكلة الاخشاب اللازمة لبناء هذه السفن باستيرادها من الاناضول أو من بعض الدول الصديقة وخاصة من البندقية في كثير من الأحيان .

وكان الاسطول القرمانلي يتكون من السفن التي تصنع محلياً في ترسانة الدولة ومن بعض السفن التي كانت الدولة العثمانية وبعض الدول الاوروبية تهديها الى حكام هذه الأسرة وكذلك من بعض السفن التي كان الباشوات يشترونها أو يستولون عليها بواسطة مغامريهم .

وكان يوم انزال السفينة الجديدة الى البحر يعد من الأيام الخالدة في تاريخ البلاد . حيث كان يتم ذلك وسط احتفال كبير يدعى اليه كبار رجال الدولة والوجهاء والأعيان . وتصف لنا السيدة تولي رتشارد ، احدى هذه الاحتفالات التي كانت قد دعيت الى مشاهدتها ، بأنها كانت

رائعة حيث كان هناك عبـــد أسود من عبيد البيك قد أُخذ الى السفينة أثناء نزولها من الترسانة الى البحر ؛ وأوثق في مقدمة السفينـــة ليكون فألاً حسناً لها [1] .

وقد تم انزال هذه السفينة بين مظاهر الفرح والابتهاج واحتشد كثير من الناس لمشاهدتها حتى عجز الوزير الأول مصطفى عن رؤية ذلك العبد المعلق كما جيء بخروف ناصع البياض في مثل لون الثلج وقد زين بالزهور وحمل الى ظهر السفينة . وفي اللحظة التي بدأت فيها السفينة النزول الى الماء ذبح هذا الخروف وقدم قرباناً لله تفاؤلاً بالمستقبل الزاهر للسفينة ، وقد تم ذلك وسط تحية المدافع من على الشاطىء ومن السفن المختلفـــة الراسية في الميناء [2] .

كما يحدثنا كستانزو بيرنا ، بأن العادة قد جرت في العهد القرمانلي بأنه حين رجوع السفينة من مغامراتها ظاهرة وتدخل الميناء ، فإن المدافع الساحلية تطلق عدة طلقات تحية لها ؛ ويسرع قائدها بالذهاب إلى السرايا ليؤدي التحية إلى الباشا وليزوده بالأخبار [3] .

ومما سبق يتضح لنا مدى اهتمام حكام الأسرة القرمانلية بالأسطول ، ذلك الاهتمام الذي جعل من أسطولهم قوة لها مكانتها بين أساطيل البحر الأبيض المتوسط ولا غرابة في ذلك فقد كان البحر بالنسبة لهم المصدر الرئيسي لدخل الدولة حتى انه حينما انقطع هذا المصدر بعد تحريم المغامرات

---

١ اعتقد انه بالرغم من ان السواد لا يكون دليلا على الفال الحسن ، الا انهم في ذلك الوقت لا يقصدون بالعبد لونه ، وانما لما يجنونه من الارباح الطائلة من وراء تجارة الرقيق ، حتى ان كثرتهم تعد دليلا على الخير والثراء .

٢ Tully Richard: «Ten years residence at the Court of Tripoli», p. 103, 104.
ملاحظة : في اثناء حديث هذه المؤلفة عن نحر الخروف انه « قدم كقربانا لمحمد » «As a sacrifice to Mohamet» غير انني اعتقد أنهـــا تقصد الله ، وعلى ذلك جعلت الترجمة « وقدم قربانا لله » .

٣ Costanzo Bergna : «Tripoli Dal 1850 Al 1850», p. 260.

البحرية واسترقاق المسيحيين ، عاش يوسف باشا في ضائقة مالية أطاحت بحكمه حين استحكمت حلقاتها .

ومن الجدير بالملاحظة ان النشاط البحري كان شيئاً معترفاً به وكان يعد دليلاً على القوة والشجاعة ، وكان المسلمون ينظرون اليه على انه نوع من أنواع الجهاد ضد العدو . بالرغم من أن بعض المؤرخين من الأوروبيين يصفون هذا النشاط من جانب الأساطيل الاسلامية على انه نوع من أنواع القرصنة . وقد فاتهم بأن المؤرخ لين بول قد ذكر في كتابه « قراصنة البربر » The Barbary Carsairs ان المسيحيين كانوا حتى القرن الرابع عشر الميلادي هم رؤساء القراصنة في البحر الأبيض وانهم كانوا يتعاملون بكثرة في البضائع المسروقة والعبيد [١] .

وان كان في رأيي ان يوسف باشا القرمانلي قد تمادى في هذا النشاط بدرجة أفقدته صبغته الاسلامية وأصبح بالنسبة له باباً من أبواب الرزق لا يستطيع العيش بدونه حتى ان معاهدات السلام التي كان يعقدها مع الدول الأوروبية لا يلتزم بها أياماً وان أكثر فشهوراً معدودة ثم ينتهز أي سبب من الأسباب ليتخذه ذريعة لانتهاك حرمة هذه المعاهدات من جديد .

أما عن أهم الأعمال التي قام بها هذا الاسطول ، فانني قد سبق وتحدثت عنها بالتفصيل في أثناء حديثي عن علاقة يوسف باشا بالدول الاوروبية في الفصل الثاني من هذا البحث .

غير أنه يجب ان نلاحظ أن نشاط هذا الاسطول لم يقتصر فقط على تلبية أوامر الباشا بمهاجمة سفن الدول التي بينها وبين الباشا منازعات لأي سبب من الأسباب ، بل انه كان يحارب جنباً الى جنب مع اسطول

---

١ Lane Paole: «The Barbary Corsairs», p. 25.
«Up to the fourteenth Century the Christians were the chief pirates of the Mediterranean and dealt largely in stolen goods and slaves...»

الدولة العثمانية حيث كانت بعض قطع منه ملتحقة بصفة دائمة بالاسطول العثماني .

فلقد عثرت على وثيقــة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب يرجع تاريخها الى سنة ١٢٤٤ هـ (١٨٢٨ م) وهي عبارة عن رسالة له بعث بها قائد الاسطول العثماني أو رئيس البحار كما كان يسمى في ذلك الوقت الى السلطان يشرح له فيها الدور الذي قامت به هـذه السفن في مختلف المعارك التي اشترك فيها الاسطول العثماني ، وكيف ان هذه السفن لم تعد قادرة على الاستمرار في العمل لتناقص عــدد جندها من ناحية ولتأثير مياه البحر فيها من طول بقائها فيه من ناحية أخرى . ثم يحدثه عــن هؤلاء الجنود بأنهم قد أمضوا مدة ثلاث سنوات منذ التحاقهم بالاسطول العثماني الى الآن وهم صابرون على البقاء بالرغم من رغبتهم في الراحة، وانهم من كثرة ارهاقهم وتعبهم لا يملكون القدرة على الجولان في البحر.

ثم يقترح عليه الموافقة عــلى السماح لهم بالذهاب الى طرابلس على شرط أن يعودوا في الربيع القادم للالتحاق من جديد بالأسطول العثماني .

كما يقترح عليه أيضاً اهداء رئيسهم المسمى « عمر » كرك وبقيــة الرؤساء شيلاناً تقديراً لما قاموا به من أعمال وليداوموا على الدعاء له ، وان يرسل كذلك رسالة شكر الى يوسف باشا، وقد نفذت هذه الاقتراحات بعد موافقة السلطان عليها [١] .

ولعل أهم المعارك البحرية التي اشتركت فيها هذه السفن مع الأسطول العثماني هي معركة نفارين البحرية « Navarin » التي حدثت في ٢٠ اكتوبر سنة ١٨٢٧ م .

---

١ رسالة من رئيس البحار الى السلطان العثماني ، بخصوص السفــن الطرابلسية التابعة للاسطول العثماني ، وهي صورة من وثائق رئاسة الوزارة التركية رقــم ٢٠٩١١ ، سنة ١٢٤٤ هـ (١٨٢٨ م) ، وتوجد صورة هذه الرسالة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب وهي باللغة التركية وقد ترجمها لي الحاج محمد الاسطى ، انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٣١ .

ويرجع السبب في حدوث هذه المعركة الى الثورة التي قام بها الثوار من اليونانيين سنة ١٨٢٣ ضد الدولة العثمانية للحصول على استقلال بلادهم من الدولة العثمانية، ولقد اتسعت هذه الثورة بدرجة جعلت السلطان العثماني محمود الثاني يطلب المساعدة من محمد علي باشا والي مصر سنة ١٨٢٤ .

ولقد تطورت ظروف المسألة اليونانية بعد أن استجاب محمد علي باشا لطلب السلطان فأرسل اليه بتاريخ ١٦ يوليو سنة ١٨٢٤ أسطولاً يتكون من تسعين سفينة بها حوالى ١٧٠٠٠ جندي بقيادة ابنه ابراهيم باشا [١] .

وكان للانتصارات الباهرة التي حققها ابراهيم باشا على الجيوش اليونانية في كريت والموره واحتلاله لمدينة نفارين وكلاماتا وتربيولستا سنة ١٨٢٥ أثرها العميق في نفس روسيا وانكلترا، لدرجة ان انكلترا بادرت بارسال الدوق ولنجتون الى روسيا لتوحيد خطة العمل بينهما ازاء تقدم ابراهيم باشا في الأراضي اليونانية وانتصاراته المتتالية .

وفي ٤ ابريل سنة ١٨٢٦ عقدت روسيا مع انكلترا اتفاقية تقرر بمقتضاها حث الدولة العثمانية على عقد هدنة مع اليونانيين ومنحهم قدراً من الاستقلال الذاتي ، بدون ان تتفق روسيا وانجلترا على استعمال القوة في حالة رفض الدولة العثمانية لهذا الطلب .

غير أن احتلال ابراهيم باشا لمدينة مسيولونجي في ٢٢ ابريل سنة ١٨٢٦ أثار سخط الرأي العام في روسيا وانجلترا وكذلك فرنسا ، فاتفقت هذه الدول الثلاث على عقد معاهدة في لندن في ٦ يوليو ١٨٢٧ ، نصت هذه المعاهدة على العمل على وقف الحرب بين الدولة العثمانية واليونان وعلى منح اليونان حق الاستقلال الذاتي ، وعلى ان تتدخل هذه الدول الثلاث

---

١ محمد فريد بك : « تاريخ الدولة العلية العثمانية » الطبعة الثانية ، القاهرة مطبعة محمد افندي مصطفى ١٨٩٦ ، ص ٢٠٨ .

بالقوة في حالة رفض الدولة العثمانية أو اليونان لوقف الحرب [1] .

وعندما رفضت الدولة العثمانية وقف القتال ، أرسلت الدول المتحالفة وهي انكلترا وفرنسا وروسيا أساطيلها الى ميناء نفارين ، وأسندت قيادة هذا الأسطول إلى أمير البحـــر الانكليزي « كدرنجتون » Codrington وفي أثناء غياب ابراهيم باشا داخل المورة حدث سوء تفاهم بين أسطول الحلفاء وأسطول الدولة العثمانية ، كانت نتيجته حدوث معركة نفارين في ٢٠ اكتوبر سنة ١٨٢٧ ، وقد انتهت هذه المعركة بانتصار الحلفاء على الدولة العثمانية وتحطيم العديد من قطـــع أسطول الدولة العثمانية وأسطول محمد علي باشا .

وكانت نتيجة هذا الانتصار هو اصدار محمد عـــلي باشا أوامره إلى ابنه ابراهيم باشا بسحب جيوشه والرجوع إلى مصر وقيام الحرب بين روسيا والدولة العثمانية سنة ١٨٢٩ ، وحصول اليونان على الاستقلال سنة ١٨٣٢ .

وكان لانتصار الحلفاء في نفارين أثره العميق في نفوس سكان ايالة طرابلس الغرب ، فنجد أن ميكاكي يحدثنا عن هذا الأثر فيقول [2] :

« وفي أوائل فبراير سنة ١٨٢٧ وصل إلى طرابلس خبر معركة نفارين الذي أثار شعور الكراهية ضد الأوروبيـــين ، وساد المدينة رعب شديد خاصة بين المالطيين ، ولكن لم يحدث بها مذابـــح ، وذلك لأن فرنسا وانكلترا أسرعتا بارسال بعض سفنها الحربية إلى طرابلس » .

---

١ محمد رفعت : « تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية » القاهرة ــ دار المعارف ١٩٥٩ ، ص ٧١ .

٢ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ١٩٥ .

الفصل الرابع

اضطراب الحكم

وتنازل يوسف باشا عن الولاية

سوء الحالة الاقتصادية وتدهورها

ضعف شخصية الباشا وازدياد نفوذ القناصل

الثورات الداخلية

الضرائب الاستثنائية وتنازل يوسف باشا عن الحكم

سوء الحالة الاقتصادية وتدهورها

لقد كان يوسف باشا في أوائل عهده يعد مثلاً صادقاً للحاكم الصالح الذي استطاع ان يحقق لشعبه الكثير من الانتصارات ، كما تمكن بقوة شخصيته وبعزيمته الصلبة ان يفرض ارادته على الكثير من الـدول التي كانت تتخذ البحر الأبيض المتوسط مجالاً لنشاطها التجاري .

وقد تكدست في خزائنه المبالغ الطائلة التي كان يجنيها من الاتاوات السنوية التي كانت الدول الاوروبية تدفعها سنوياً نظير أمن وسلامة سفنها من اعتداء الاسطول الطرابلسي عليها ، أو من المبالغ التي كان يفرضها على هذه الدول عند تعيين قناصلها في مدينـة طرابلس ، أو من تلك الغنائم التي كان بحارته يحصلون عليها من غزواتهم البحرية بالاضافة الى المبالغ التي كان بعض الحكام من الشعب يدفعونها اليـه نظير استقلالهم في التصرف في ادارة مدنهم أو مقاطعاتهم ، وكذلك ما يجنيه من الجمرك والضرائب المختلفة .

" إلا أن الباحث لا يستطيع ان يحدد مبلغاً معيناً يمكن أن يعتبره بمثابة الدخل الثابت للدولة في ذلك الوقـت ، نظراً لأن مصادر هـذا الدخل تتغير من آن لآخر " ، إما نتيجة لرفض بعض الدول الالتزام بدفع تلك الاتاوات ونجاح بعضها في تحقيق رغباتها هذه عن طريق الوساطة أو عن

طريق القوة كما فعلت امريكا سنة ١٨٠٥ وكما فعلت سردينيا بالاضافة الى فرنسا وانكلترا .

واما لرفض بعض أولئك الحكام اعطاء ما عليهم من مبالغ سنوية واعلان تمردهم على الباشا فتمضي نتيجة لذلك مدة قد تكون طويلة في بعض الأحيان لا يدفعون فيها أي مبلغ حتى تتمكن قوات الباشا من اخضاعهم من جديد .

غير أن المؤرخ كستانزو بيرنا استطاع الحصول على تقرير أرسله مير « Mure » القنصل الفرنسي في طرابلس الى وزارة البحرية الفرنسية بتاريخ أول يوليو سنة ١٨٢٠ ، يصف فيه الحالة الاقتصادية في البلاد ويذكر مبالغ معينة من دخل الايالة في ذلك الوقت [1] .

يتحدث مير في هذا التقرير عن ان ملاحة ازواره قد أهملت حتى ان دخلها أصبح ١٠٠٠ قرش في السنة وان اغدامس كانت تدفع سنوياً ٢٠٠٠ قرش ، ومرزق ٥٠,٠٠٠ قرش [2] ، واوجله ٥٠٠٠ قرش نظير حريتها في تجارة غبار الذهب والرقيق الزنجي والتمور وريش النعام والعاج. وكان حاكم بنغازي ودرنة يدفع ٥٠,٠٠٠ قرش ، بينما مصراتة والزاوية والبلدان الأخرى المطلة على البحر كان يفرض عليها اتاوة اقليمية ثم كانت تدفع الأعشار عن المنتجات الزراعية بضواحي مدينة طرابلس وعلى الجبل وكانت هذه المناطق تزود الايالة بمبلغ ١٥٠,٠٠٠ قرش .

وكان دخل الايالة من الجمارك ٥٠,٠٠٠ قرش ، ومن الخمر ١٥,٠٠٠ قرش،وكانت الضريبة المفروضة على اليهود تساوي في مجموعها

---

١ P. Costanzo Bergna «Tripoli Dal 1510 Al 1850», p. 281, 282.

٢ لم يتحدث لنا غيره من المؤرخين عن السبب في رفع هذا المبلغ الى هذا الحد حيث كان المعروف ان سلطان فزان يدفع خمسة الاف كل سنة ثم بعد ان آل الحكم الى محمد المكنى اخذ يدفع خمسة عشرة الفا (١٥) ثم بعد ان عزل المكنى لم يحدثنا اي مؤرخ عن المبالغ السنوية التي التزم بدفعها الحكام الجدد .

٤٠٠٠ قرش ، وكانت الدانمارك تدفع اتاوة سنوية لضمان حرية ملاحتها قدرها ٥٠٠٠ قرش ، والسويد ٨٠٠٠ قرش ، وهولاندا ٥٠٠٠ قرش[١] .

وان واردات العقارات الخاصة بالعائلة القرمانلية كانت توزع على افرادها بواقع ٤٠٠٠ قرش وكانت توجد ايرادات أخرى وهي عبارة عن الغرامات التي كانت تفرض على المجرمين او الخالين أو المماطلين في دفع ما عليهم من ضرائب . وكان مجموع هذه الغرامات حوالى ١٠٠,٠٠٠ قرش .

ثم قدر دخل الايالة بصفة اجمالية من كل هذه المصادر التي ذكرها بمبلغ ٥٤٩ ألف قرش [٢] .

وهنا يجب ان نلاحظ أن هذا المبلغ لم يكن قليلاً بالنسبة لذلك الوقت كما قد يتبادر الى أذهان البعض . اذ انه بالرجوع الى التقرير السابق ، نجد ان مير « Mure » يحدثنا بأن الذين كانوا يعيشون على هذا الدخل هم الباشا بأولاده ونسائه وخدمه ، وان مصاريف النساء كانت باهظة من حيث الهدايا والجواهر والروائح والعطور الى غير ذلك من متطلباتهن. وكذلك مرتبات الوزراء والحرس الخاص وسلاح الفرسان والجنود الأتراك

---

١ لم يذكر بقية الدول نظرا لاعفاء بعضها من دفع الاتاوة ورفض البعض الاخر دفعها ، كما انه لم يتحدث عن الغنائم البحرية لانه كما سبق وذكرت قد امتنع يوسف باشا منذ حملة « اكسموث » عن استرقاق المسيحيين اي انهم لم يعد يباعون في الاسواق كالعبيد وانما اصبحوا يعاملون معاملة اسرى حرب .

٢ يلاحظ انه بجمع المبالغ التي ذكرها مير «Mure» ومقارنتها بالمبلغ الاجمالي اتضح ان هناك فرقا قدره ١٠٤،٠٠٠ قرش ومعنى ذلك ان ايرادات العقارات الخاصة بالعائلة القرمانلية كان يساوي هذا الفرق ، ومن ذلك نستنتج ما ياتي : ا ــ بقسمة هذا الفرق على نصيب الواحد يتضح لنا ان عدد افراد العائلة القرمانلية الذين كان لهم الحق في هذه الايرادات هو ٢٦ شخصا . ب ــ يدلنا ذلك عن جشع افراد هذه العائلة فهم لم يكتفوا بمزاحمة الاهالي بالاشتغال بالزراعة والتجارة فحسب بل يزاحمونهم حتى في تأجير العقارات .

ومرتبات ضباط الديوان ومكافأة رؤساء القبائل والأعيان ، وخصوصاً أعيان الدواخل ليضمن ولاءهم .

ويقدر مير « Mure » هذه المصاريف بأنها تستوعب ثلثي الدخل أما الثلث الآخر فإنه كان يصرف على اعداد الحملات العسكرية والقوات التي كانت ترسل لجمع الأموال من الدواخل وكذلك مساعدة المحتاجين من الأهالي [1] .

والحقيقة ان يوسف باشا كان في أوائل عهده يساعد الكثيرين من المحتاجين وكان يرسل عطاياه إلى من يرى انه في حاجة اليها . كما كان يشمل بكرمه ورعايته جميع الفقراء وخاصة في المناسبات الوطنية والأعياد الدينية .

هذا بالاضافة الى اهتمامه الكبير بتحصين البلاد ضد هجمات العدو وتعزيز قوته بالسلاح وبالسفن والعتاد . وقد وجدت لوحة من الرخام يرجع تاريخها الى سنة ١٨٠٠ ، نقشت عليها بعض الأبيات من الشعر مهداة الى يوسف باشا بمناسبة تشييده لبرج جديد للدفاع عن البلاد ، وهذه الأبيات هي [2] :

اذا ما مررت ببرج جديد	فقف داعياً لأمير البلاد
وقل له يوسف باشا نلت المنى	وأهداك ربي سبيل الرشاد
فجددت سوراً وعمرت دوراً	تنال قصوراً بها في الميعاد
وأومضت برقاً وأطويت ورقاً	وأحييت بلقاء دار الجهاد
وألحفت عرجاً وأحضنت فرجاً	وأسست برجاً لحفظ العباد
وقل ان ترد فهم تاريخه	وهبت الجمال وحزت المراد

---

١ P. Costanzo Bergna «Tripoli Dal 1510 Al 1850», p. 283.

٢ توجد هذه اللوحة بدار المحفوظات التاريخية ـ قسم المنقوشات بطرابلس الغرب .

كما وجدت لوحة أخرى يرجع تاريخها الى سنة ١٨٢١ عليها بعض الأبيات من الشعر مهداة كذلك الى يوسف باشا بمناسبة تشييده لمسجد جديد بقرية الحشاد بطرابلس ، وهذه الأبيات هي [١] :

ذا مسجد تلوح أنواره والعلم من أركانه يروى
انشأه كنز الورى يوسف بلغة الرحمن ما هوى
الملك المخلص نيته لربه في السر والنجوى
راجي به ثواب خالقه والمرتقى في جنة المأوى
يا رب بلغه مقاصده بالمصطفى ذي الكوثر الأروى
صلى الله عليه والآل ما ترنم الطير من الشجوى
لما انتهى البنيان أرخته بهاء أسس على التقوى

ويظهر لنا من هذه الأبيات مدى اهتمام يوسف بتحصين البلاد حتى تستطيع الصمود أمام قوات الاعداء ، كما انها تظهر لنا مدى اهتمامه الشديد بالدين وبالعلم معاً ؛ فهو ينشىء هذا المسجد في قرية لا في المدينة نفسها : لأنه رأى ان المدينة بها من المساجد ما يكفيها سواء من حيث كونها الأماكن الطاهرة التي يؤدي فيها الناس صلواتهم ، أم من حيث كونها كمدارس لتعليم القرآن الكريم .

أما القرى فإنها في حاجة إلى مثل هذه المساجد لتؤدي مهمتها من الوجهتين الدينية والتعليمية ، وليوفر على طلبة العلم وخاصة من الصغار قطع المسافات البعيدة للوصول إلى أحد مساجد المدينة لتلقي العلم على يد الفقهاء غير أنه لم تساعده الظروف القاسية على السير في هذا الطريق .

وبالرغم مما في تاريخه من مآخذ ، الا انه عرف بطموحه الذي

---

١ توجد هذه اللوحة بدار المحفوظات التاريخية ـ قسم المنقوشات بطرابلس الغرب .

لا حـدود له وبشجاعته وصموده أمام أوروبا وغـير أوروبا بما لها من أساطيل وجيوش وعناد .

وأخيراً شاءت الظروف أن يعيش يوسف باشا في أزمة مالية أخذت حلقاتها تشتد ضيقاً يوماً بعـد يوم ، وقد بدأت طلائع هذه الأزمة في تحدي أمريكا لارادته سنة ١٨٠٥ ، واستطاعت بقوتها ان تتحصل على اعفاء من دفع الاتاوات السنوية ، ثم جاء مؤتمـر فيينا سنة ١٨١٥ وما تلاه من مؤتمرات أوروبية كانت نتائجها تحريم المغامرات البحرية واسترقاق المسيحيين ، فكان لهذا الاجماع الأوروبـي ولاستجابة يوسف باشا له خير مشجع للدول الصغرى كنابولي وسردينيا وغيرهما على منع دفع الاتاوات السنوية . ثم كان مجيء الأسطول الفرنسي سنة ١٨٣٠ بقيادة روزاميـل « Rosamel » من أهم العوامل في ازدياد شدة الأزمة المالية التي يعانيها يوسف باشا حيث استطاع روزاميل اجباره بصفة نهائية على تحريم استرقاق المسيحيين والامتناع عن المغامرات البحرية أو كما يسمونها « القرصنة » ، والغاء الاحتكار التجاري وكذلك الهدايا المقررة على بعض الدول الأوروبية عند تعيين ممثلـين لهـا بايالة طرابلس ، كما سيأتي ذكر هذه المعاهدة بالتفصيل فيما بعد [١] .

وبذلك اتجه نظر يوسف باشا الى البحث عن مصدر آخر لعله يستطيع به الخروج من هـذه الضائقة المالية التي توشك ان تؤدي بحكمه الى الهاوية .

---

١ ترجمة وثيقة باللغة التركية تشمل نصوص المعاهدة التي وقعها يوسف باشـا مع فرنسا بتاريخ ١١ اغسطس سنة ١٨٣٠ ، ويوجد اصلها بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب ، وقد ترجمها الى العربية الحاج محمد الاسطى - انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٣٢ .
وهذه الوثيقة منشورة ايضا في ذيل كتاب ميكاكي « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » من ص ٥٢ الى ص ٥٦ .

وبدأ تفكيره يتجه الى احتكار بعض أنواع التجارة لعله يجد بذلك مخرجاً من هذه الأزمة ، ولقد تمادى في هذا الاحتكار وخاصة بعد قرارات مؤتمر فينا سنة ١٨١٥ ، حتى أصبحت تجارة الحبوب مقصورة عليه وحده، ثم احتكر تجارة بعض أنواع من الصناعات المحلية والمستوردة، وكذلك شراء كل ما يلزم جيشه وقصره .

ونظراً لقلة المال لديه أخذ يتعامل مع التجار الأجانب عن طريق نظام البطاقات ، فكان يشتري منهم البضاعة ويحرر لهم بطاقات بالمبالغ المطلوبة على بعض المدن ، ويذهب صاحب البطاقة ببطاقته الى حاكم المدينة المعينة في البطاقة ليأخذ ما يستحقه .

وقد عثرت على صورة من هذه البطاقات أو التذاكر كما كانوا يسمونها في ذلك الوقت ، وقد حرر يوسف باشا هذه البطاقة لصالح ثلاثة من رعايا توسكانيا على مدينتي بنغازي ودرنة بتاريخ ١٦ رمضان سنة ١٢٤٥ ، ويتضح منها ان الطريقة المتبعة في كتابة هذه البطاقات هي أن يحدد فيها المبالغ المطلوبة ونوع السلع التي تدفع للدائنين ومقدار وثمن كل سلعة ، وكانت أهم هذه السلع هي الزيت والصوف والسمن وجلد الماعز [١] .

ويوم أن كانت الحالة الاقتصادية متحسنة وهذه البطاقات قليلة فإن حكام هذه المدن كانوا يدفعون بدون تأخير أو مماطلة ؛ ولكن لما بدأت الحالة الاقتصادية تزداد سوءاً يوماً بعد يوم فإنهم أخذوا يماطلون في دفعها وأخذ الباشا يعد بالسداد في آجال محددة وتنتهي الآجال ولا يحصل أصحاب البطاقات على أموالهم مما دفعهم إلى الالتجاء إلى قناصلهم لحمايتهم .

---

١ صورة من التذاكر التي كان يمنحها يوسف باشا لدائنيه على بعض المدن بتاريخ ١٦ رمضان سنة ١٢٤٥ هـ (١٨٣٠ م) وهي باللغة العربية وقد نقلتها عن الاصل بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب . انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٢٣ .

وبتدخل هؤلاء القناصل يضطر يوسف باشا إلى عقد اتفاقات لتنظيم سداد هذه الديون ويتحمل بل وبمعنى أصح ويحمل شعبه نتيجة هذا التأخير حيث كانت تفرض عليه فوائد باهظة نتيجة لتأخيره في سداد قيمة هذه البطاقات .

ويتضح ذلك من الاتفاقيتين التي عثرت عليهما بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب ، وهذه الاتفاقيات كانت بين يوسف باشا ورعايا توسكانيا .

وتتكون الاتفاقية الأولى[١] من سبعة شروط وقد وقعت في ١٤ رمضان سنة ١٢٤٥ هـ (١٨٣٠ م) ، وينص الشرط الثاني منها على ان تقسم المبالغ المطلوبة من يوسف باشا على ثلاث سنوات ، يدفع ٤٢٪ من قيمة المبلغ المطلوب في السنة الأولى التي حددت بدايتها بأول رمضان سنة ١٢٤٥ هـ (١٨٣٠ م) و ٥٠٪ في السنة الثانية والقيمة الباقية و ٨٪ في السنة الثالثة على ان تضاف اليها قيمة الأرباح المحددة في الشرط الثالث من هذه الاتفاقية نتيجة لهذا التأخير ، على ألا يعتدي الباشا على ايرادات المدن التي حددتها الاتفاقية وهي بنغازي ودرنة ، بأي وجه من الوجوه .

ويحدد الشرط الثالث من هذه الاتفاقية قيمة هذه الارباح وهي ١٢,٥٪ كما ينص الشرط الرابع على انه في حالة تأخير سداد هذا المبلغ فان الارباح تزيد بنسبة ٢,٥٪ عن قيمة الارباح الأولى وتكون هذه الزيادة شهرياً .

أما الاتفاقية الثانية فإنها تتكون من سبعة شروط أيضاً وقد وقعت في

---

١ الاتفاق الذي تم بين يوسف باشا ورعايا توسكانيا حول الديون التي عليه منهم بتاريخ ١٤ رمضان سنة ١٢٤ هـ (١٨٣٠ م) وهي باللغة العربية ويوجد أصل هذا الاتفاق بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب · انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٣٤ ·

١٧ جمادى الأول سنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣١ م) [١] ، ويتضح منهـا أن يوسف باشا اضطرته شدة الضائقة المالية إلى بيع محاصيل الأقاليم مقدماً ولعدة سنوات ، ولأكثر من طرف واحد ، مما دفع رعايا توسكانيا إلى تعديل المعاهدة الأولى لحفظ أموالهم المطلوبة من الباشا ، وذلك عن طريق أخذ نصيبهم من المحاصيل قبل نفادها .

فيقضي الشرط الأول من هذه المعاهدة على أن يدفع الباشا في خلال الأربعة شهور القادمة قيمة ١٠٪ من المبالغ المطلوبة منه ، على أن يدفع ثلثي هذا المبلغ ذهباً وفضة وقد حدد ثمن الذهب والفضة أما الثلث الباقي فمن بعض أنواع السلع السابق ذكرها .

وينص الشرط الثاني على أن يتعهد الباشا بدفع ٦٥٪ من باقي المبلغ المطلوب من لزمة « أي محصول » هذا العام سواء أكان هذا الدفع يتم عن طريق السلع أو عن طريق النقود .

وينص الشرط الثالث على ان يدفع باقي المبلغ وهو ٢٥٪ من لزمة العام القادم ، ويحدد الشرط الرابع مقدار الغرامة التي تدفع نتيجة لتأخير دفع أي قسط من هذه الأقساط وقد حددت هذه الغرامة بمقدار ٣٠٪ من قيمة الناقص .

أما الشرط السابع من هذه المعاهدة فيلزم الباشا في حالة ثبوت الاشاعة القائلة بأنه قد اقترض من فرنسا مبالغ ماليـة بواسطة الحاج محمد بيت المال وانه جعل سداد هذه المبالغ على بنغازي ، فانه في هذه الحالة يكون ملزماً بكتابة كمبيالات على البنك بالمبالغ التي عليه للدائنين .

ولقد عثرت على كمبيالة يرجع تاريخها الى سنة ١٨٢٧ وهي لا تختلف

---

١ اتفاقية يوسف باشا مع رعايا توسكانيا حول الديون التي عليه منهم بتاريخ ١٧ جمادى الاول سنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣١ م) ، وهي باللغة العربية ويوجد اصلها بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب
انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٣٥ .

كثيراً عن نظام وشكل الكمبيالات المتعارف عليها في عصرنا الحاضر .

وتشعرنا هذه الشروط بما تحمله من معاني الاجبــار والاكراه بمدى شدة الازمة المالية التي كان يعانيها يوسف باشا ، وبأن محاصيل البلاد لم تعد كافية لسداد ما على الباشا من ديون في مواعيد استحقاقاتها الرسمية مما جعله يطلب تأجيل الدفع الى أوقات أخرى راضياً بما يفرض عليــه من زيادة فــاحشة في نسبة الأرباح على الأموال المتأخرة . فأدى ذلك بالتالي الى تحميل البلاد من الديون ما لا قدرة لها على سدادها .

فكانت نتيجة ذلك بالاضافة إلى نظام الاحتكار الذي اتبعه منذ سنة ١٨١٥ وإلى بيع محاصيل البلاد مقدماً ولعــدة سنوات ان أصبحت حالة البلاد الاقتصادية تزداد سوءاً وتدهوراً يوماً بعد يوم .

" وقد زاد في سرعة هذا التدهور اضمحلال التجارة الداخلية والخارجية وكساد الصناعة المحلية نتيجة للعوامل السابقة بالاضافة إلى عدم استقرار وثبوت العملة المتداولة بين الناس سواء أكان ذلك من حيث نوعهـا أو قيمتها . "

لقد شلت قسوة الأزمة المالية تفكير يوسف باشا لدرجة لم يعد في وسعه القيام بأي عمل من شأنه اصلاح الحالة الاقتصادية ، وتحول فجأة من حاكم يعيش من أجـل شعبه ووطنه إلى حاكم يعيش من أجـل ملذاته وشهواته .

كما ازداد ادمانه للخمر بدرجة أفقدته القدرة على القيام بأعباء دولته فأطلق لأبنائه العنان في تسيير أمورها . ثم قسم بينهم حكم الايالة: فأسند حكم غريان الى ابنه علي بك وحكم مصراتة إلى ابنه مصطفى بك والخمس لعــثمان بك وورفلة لعمـر بك وازليتن لابراهــيم بك ودرنة لمملوكه مصطفى بك [1] .

---

[1] احمد النائب : « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ص ٣٤٨ ، وص ٣٤٩ .

غير أن تعيين هؤلاء الأبناء وهذا المملوك كان وبالاً على البلاد وعلى والدهم أيضاً ، وذلك لأنهم بدلاً من أن يحاولوا عمل المستحيل لانعاش الحالة الاقتصادية واكمال ما أهمله والدهم ، نجدهم يبقون جميعاً في مدينة طرابلس ويعين الواحد منهم وكيلاً عنه في حكم البلاد التي أسند حكمها اليه ، ويوصي هذا الوكيل بجمع كل ما يستطيع جمعه من الأموال وارسالها اليه لا الى والده لكي يستطيع بها هو كذلك الانفاق على ملذاته وشهواته اسوة بوالده الكبير .

وبذلك فقد يوسف باشا حتى ما كان يتحصل عليه من هذه المدن . ولما لم يعد أمامه أي أمل في الخروج من هذه الضائقة ، واتجه نظره وتفكيره الى وسيلة سقيمة ألا وهي غش العملة المتداولة بين الناس مما أدى الى كساد تام في التجارة الداخلية والخارجية ، وذلك نتيجة لعدم ثبوت قيمة هذه العملة حيث أصبحت نسبة النحاس تزداد في النقود الذهبية والفضية بشكل مذهل .

ويحدثنا المؤرخ محمد بهيج ، بأن الثمن لم يثبت يوماً كاملاً ، لتغير قيمة الوحدة بين الصباح والمساء . ويضرب لذلك مثلاً ، بأنه اذا كانت قيمة الوحدة من النقود تساوي في الصباح مائة قرش ، فان قيمة هذه الوحدة تهبط في المساء الى عشرين قرشاً ، وذلك لزيادة وزن النحاس في الوحدة بين الصباح والمساء . حتى ان الشخص الذي يشتري حديقة مثلاً بستمائة قرش بالعملة السليمة ويبيعها اليوم بستمائة فالحقيقة انه باعها بمائة فقط [1] .

كما أكثر يوسف باشا من سحب العملة المتداولة بين الناس واحلال عملة جديدة محلها وكانت الطريقة المتبعة في هذه الحالة أن يعلم الباشا

---

[1] محمد بهيج بن مصطفى عاشر : « طرابلس غرب تاريخي » استانبول بدون تاريخ ، من ص ٩٢ الى ص ٩٥ .

أولاً قاضي المدينة بذلك ثم يقوم هذا القاضي بكتابة منشور يعلم فيه الناس بنوع العملة الجديدة وعلاماتها وقيمتها .

ومن الطريف أن قاضي المدينة في سنة ١٢٣٩ هو أحمد بن حسين التوغار شعر بخطر تمادي الباشا في تغيير قيمة العملة وكثرة سحبها واحلال عملة جديدة محل التي سحبت فأراد أن يعبر عن شعوره هذا بطريقة لا يناله منها خطر،فبعد أن أكمل صيغة المنشور ختمه بقوله [١] :

« رزقنا الله خير ذلك ووقانا شره بجاه سيدنا محمد وآله وصحبه » .

كما يحدثنا ميكاكي بأن الباشا كان يوقع أشد العقوبات على كل من يرفض التعامل بهذه العملة فاذا كان مسلماً فانه كانت تقطع يده وقدمه وتصادر أملاكه ، وإذا كان يهودياً فانه كان يحكم عليه بالموت شنقاً ، أما اذا كان مسيحياً مشمولاً بحماية قنصل دولته فكان ينفى من البلاد [٢] .

وفي رسالة أرسلها يوسف باشا الى قنصل سردينيا بتاريخ ٢٠ فبراير سنة ١٨٣٢ ، يعلمه فيها بأنه سك عملة جديدة وبأن هذه العملة سوف تكون لها الصفة الرسمية ، ويطلب منه ان يعلم رعاياه تحريرياً بضرورة قبولها وان من يرفض التعامل بها فإنه سوف يطرد من البلاد [٣] .

---

١ منشور بتغيير قيمة العملة وظهور عملة جديدة بتاريخ ٢٤ صفر سنة ١٢٣٩ وهو باللغة العربية ، ويوجد اصله بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب ـ انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٣٧ ٠

٢ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ٢٠٥ ٠

٣ رسالة يوسف باشا الى سردينيا بخصوص سك عملة جديدة بتاريخ ٢٠ فبراير سنة ١٨٣٢ ٠ وهي باللغة العربية ٠ ويوجد اصلها بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب ٠

انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٣٨ ٠

ولكن هل تحقق ليوسف باشا أمله ورضي الناس بالتعامل بما يصدره من عملة جديدة ؟

لعل فيما حدث لليهودي المدعو يهوذا أربيب « Yuda Arbib » ما يوضح الاجابة عن هذا السؤال .

لقد كان هذا اليهودي تاجر فاكهة وصدر في يونيو سنة ١٨٣١ منشور بسحب العملة المتداولة واحلال عملة جديدة بدلها فرفض هذا التاجر بيع فاكهته قبل ظهور العملة الجديدة فرفع أمره إلى الباشا فما كان منه الا ان حكم بتعذيبه عذاباً شديداً ليكون عبرة لغيره من الأقوياء ، ويتلخص هذا العذاب بخلع ملابسه ودهن جسمه بالعسل ثم تخشيبه أمام مدخل الكنيس اليهودي . وفعلاً نفذ هذا العذاب في هذا اليهودي ، واستمر الناس ينظرون اليه بدون أن يستطيع أي فرد أن يقوم بعمل شيء ما ، إلى أن مر أحد الرعايا الانكليز واسمه انجلو مردوكاي « Anglo Mardocai » من مواليد جبل طارق فاتجه نحو هذا اليهودي وأنزله من على الحائط بدون أن يجد أي معارضة من الجند ، ثم ذهب إلى يوسف باشا ونصحه بالكف عن الاستمرار في هذه الطريقة لأنها سوف تؤدي الى قيام ثورة عارمة قد تكون نتيجتها الاطاحة بحكمه [١] .

وهنا نتساءل مرة ثانية ، ما هي الأسباب التي جعلت أحد رعايا انكلترا بالذات هو الذي يجرؤ على تحدي ارادة الباشا ؟ ثم لماذا لم يجد أية مقاومة من الجند ؟

وفي اعتقادي ان السبب في ذلك يرجع إلى قوة انكلترا ونفوذها على الباشا مما جعل هذا الشخص يقوم بما قام به وهو متأكد من سلامته من

---

١ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ .
P. Costanzo Bergna : «Tripoli Dal 1510 Al 1850», p. 285.

سوء العاقبة ، بدليل انه بعد أن أنقذ اليهودي اتجه مباشرة إلى مقابلة الباشا وخرج بدون أن يصاب بسوء فعلاً .

أما عن موقف الجند منه ، فإني أعتقد أن السبب في ذلك يرجع إلى خوفهم من أن يجبر الباشا على القصاص منهم ان اصيب هذا المغامر بسوء وذلك نتيجة لمعرفتهم بنفوذ انكلترا وضعف ارادة الباشا ازاءها .

ومما سبق يتضح لنا ان جميع الخطوات التي اتخذها يوسف باشا لمعالجة الأزمة المالية التي كان يعانيها لم تكن حلولاً عملية حيث كانت نتائجها جميعاً كساداً تاماً في التجارة والصناعة،وبالتالي انحطاطاً وتدهوراً في حالة البلاد الاقتصادية ، مما جعل الناس يتحولون من مرحلة التكهن بسقوط الدولة إلى مرحلة التأكيد .

ضعف شخصية يوسف باشا وازدياد نفوذ القناصل

وهكذا فشلت كل محاولات يوسف باشا للخروج من هذه الأزمة المالية ولم يعد أمامه من حل سوى الاستدانة من التجار الأجانب في المدينة. فأخذ يستدين منهم بفوائد باهظة غير انه نظراً لحاجته الملحة الى المال فانه لم يهتم بكثرة هذه الفوائد ، وتمادى في الاستدانة بغير حساب ، حتى انه كان يستدين للانفاق على ملذاته وشهواته ، ثم يستدين لسداد ما عليه من ديون .

وحينما تراكمت عليه الديون وعجز عن سدادها أخذ يماطل في دفعها مما جعل أصحاب هذه الديون يلتجئون الى قناصلهم لاجبار الباشا على سداد ما عليه من ديون .

ووجد هؤلاء القناصل الى الفرصة مناسبة للضغط على الباشا واخضاعه

لمشيئتهم ، وكان أشد هؤلاء القناصل تنافساً على السيطرة على شخصية الباشا هما القنصل الانكليزي وارنجتون والقنصل الفرنسي روسو «Rousseau» .

ومما يلفت النظر في هذه المناسبة أن نجد ان المؤرخ أحمد النائب ومحمد بهيج بن مصطفى عاشر يذكر أن السبب في مغادرة القنصل الفرنسي روسو أراضي ايالة طرابلس ومجيء الاسطول الفرنسي سنة ١٨٣٠ بقيادة روزاميل ، هو نتيجة للخصام الذي حدث بين الباشا وروسو ، بعد أن تدخل هذا الأخير وطلب من الباشا دفع ديون رعاياه [١] .

غير أنه بالرجوع الى ما ذكره بعض المؤرخين من الاوروبيين مثل كستانزو بيرنا وميكاكي ،نجد ان السبب في مغادرة روسو ومجيء الاسطول الفرنسي بقيادة روزاميل لم يكن هو نفس السبب الذي ذكره النائب ومحمد بهيج ، حيث نجدهما يرجعان ذلك الى اتهام روسو بتدبير اغتيال الرحالة الانكليزي غوردون لينج « Gordon Laing » [٢] .

ويتفق هذان المؤرخان على ان هذا الرحالة كان قد وصل الى طرابلس في مايو سنة ١٨٢٥ للقيام برحلة استكشافية لبقية بلاد السودان الغربي حتى تمبكتو ، وانه بعد وصوله الى طرابلس تزوج من ابنة وارنجتون القنصل الانكليزي هناك ، ثم بعد زواجه مباشرة أي في يوم ١٦ اغسطس سنة ١٨٢٥ بدأ القيام برحلته هذه التي شاء القدر أن يلقى فيها مصرعه بعد ان توغل خارج حدود ايالة طرابلس،وان روسو قد اتهم بالاشتراك في تدبير أمر اغتياله .

غير أنه يجب ان نلاحظ أن هذين المؤرخين قد عادا فاختلفا في تحديد

---

١ احمد النائب : « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ص ٣٤٩ ، و ص ٣٥٠ ، محمد بهيج بن مصطفى عاشر « طرابلس غرب تاريخي » ص ١٠٥ ، ١٠٦ .

٢ ميكاكي : طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » من ص ٢١٢ الى ص ٢١٨ .
P. Costanzo Bergna: «Tripoli Dal 1510 Al 1850», pp. 286, 87, 88.

مصدر اتهام روسو بالاشتراك في هذه الجريمة أو بتعبير أوضح من الذي اتهم روسو بالاشتراك في هذه الجريمة هل هو الباشا أم وارنجتون ؟

فبينما نجد أن ميكاكي يقول [1] :

« وبسبب ما كان يشعر به وارنجتون من غيرة ازاء روسو ، ولأسباب أخرى لا يمكن تحديدها ، فقد بدأ ضده حملة افتراء ووشايات مدعياً بأن دسائس روسو كان لها دخل في مقتل لينج . وعندما دعت الحكومة البريطانية وارنجتون لتفسير بعض نقاط غامضة في هذا الشأن اتهم صراحة زميله بأنه حصل على أوراق الميجور لينج التي حملها الحضر الى طرابلس وسلمها إلى حسونة الدغيس التي سلمها بدوره إلى روسو ، وعندما علم روسو بهذا الاتهام طلب من وارنجتون تفسيراً عن ذلك فرفض أن يجيبه الى طلبه ، فأبلغ روسو وزير خارجية فرنسا لافيروناي « La Ferronays » بذلك وطلب منه اتخاذ اجراءات للدفاع عن شرفه وكرامته » .

ثم يحدثنا عن سبب مغادرة روسو لطرابلس بعد هذا الاتهام فيقول [2] :

« استطاع وارنجتون ان يجعل الباشا يستدعي محمد الدغيس شقيق حسونة الأصغر وينتزع منه بالتهديد تصريحاً بأن أوراق لينج قد حملت فعلاً إلى حسونة الدغيس الذي سلمها إلى قنصل فرنسا ...

وقد طلب روسو من الباشا ترضية عن هذه الاهانة العلنية وعندما لم يحصل عليها أنزل علم بلادة في يوم ٥ ديسمبر وأبحر الى تونس » .

---

١ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ٢١٦ ، ٢١٧ .

٢ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

ويتضح لنا من هذين النصين ان أول من اتهم روسو بالاشتراك في هذه المؤامرة هو وارنجتون لا الباشا وان الباشا لم يتدخل في هذه القضية إلا أخيراً وبالتحديد سنة ١٨٢٩ وان سفر روسو لم يكن نتيجة لتصريح أصدره الباشا وانما كان نتيجة لتصريح أدلى به محمد الدغيس .

غير انه في الوقت الذي يؤكد فيـه ميكاكي هـذه الحقائق نجد ان كستانزو بيرنا يؤكد ان البـاشا هو أول من اتهم روسو بالاشتراك في قتل لينج حيث يقول [١] :

« لقد اغتاظ الباشا من روسو لتوصيله أخبار وفاه لينج الى وارنجتون وكذلك اخباره بأن أوراق الرحالة قد أتلفها البدو ، فصرح لوارنجتون بأن مؤلفات الضحية التي يبحث عنها كانت كاملة بيد القنصل الفرنسي وان هـذا الأخير لم يكن بريئاً بأي حال من الأحوال من الانتماء الى أسباب هذه الجريمـة التي ذهب ضحيتها لينج ، واعتقد وارنجتون في هذا التصريح وطلب من روسو تسليم الأوراق التي ابلغ انها لديه وعندمـا علم روسو بهذا الخبر طلب مقابلة يوسف بـاشا في الحال ، وقد هـدد بمغادرة طرابلس في حالة عدم استقباله له قبل الليل ، وحيث ان هذا التهديد لم يلاق أي اهتمام وبقي بدون تأثير فان روسو أنزل علم بلاده وأبحر الى مرسيليا » .

ويتضح لنا من هذا النص ان الذي اتهم روسو بالاشتراك في هـذه المؤامرة هو الباشا لا وارنجتون كما قال ميكاكي . وان اقحام الباشا لنفسه في هذه القضية كان منذ بدايتها لا في آخر مراحلها كما يفهم من كلام ميكاكي سالف الذكر .

---

١ P. Costanzo Bergna: «Tripoli Dal 1510 Al 1850», p. 286-287.

ونظراً لتطورات الحوادث التي تلت مغادرة روسو لطرابلس ، فإنني أرجح رواية كستانزو بيرنا على روايتي ميكاكي ، لسبب واحد مهم وهو انه بعد أن تأزمت العلاقات السياسية بين انكلترا وفرنسا ، قررت الحكومتان القيام بتحقيق لاثبات صحة هذا الاتهام،أو بطلانه ، وكانت نتيجة التحقيقات اثبات براءة القنصل الفرنسي مما نسب اليه . وعلى أثر ذلك قررت الحكومة الفرنسية تأديب يوسف باشا فأرسلت أسطولها بقيادة روزاميل الذي وصل طرابلس في ٩ أغسطس سنة ١٨٣٠ ، واجبر الباشا على توقيع معاهدة تتكون من احدى عشرة مادة وملحق [١] .

وبالرجوع إلى نصوص هذه المعاهدة ، نجد ان المادة الأولى منها قد أثبتت ان يوسف باشا هو الذي اتهم روسو كما قال بذلك كستانزو بيرنا حيث نجد انه قد نص في هذه المادة ، على ضرورة اعتذار يوسف باشا رسمياً عن الأراجيف والاشاعات التي قيلت في حق روسو ويرسل رسالة إلى ملك فرنسا يعبر له فيها عن اخلاصه له ولحكومته وان يرسل أحد أولاده أو اصهاره إلى القنصلية الفرنسية عند عودة روسو ليطلب العفو عما صدر منه .

أما المادة الثانية ، فقد نصت على تحريم القرصنة بصفة نهائية . والمادة الثالثة نصت على الغاء الرق وتحرير الاسرى ، الذين يوجدون بطرابلس أثناء توقيع هذه المعاهدة ، أما الاسرى الذين ربما يقعون في يد رجال الباشا أثناء قيام حرب بينه وبين أية دولة في المستقبل ، فيجب ان يعاملوا معاملة حسنة وان يتم تبادلهم بعد انتهاء الحرب .

كما نصت المادة الرابعة ، على منع يوسف باشا من زيادة قوته البحرية ؛أما سفنه الحالية فان التي يصيبها أي تلف فقد سمح له بتجديدها

---

١ معاهدة يوسف باشا مع الحكومة الفرنسية بتاريخ ١١ اغسطس سنة ١٨٣٠ ، انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٣٢ سالفة الذكر .

على ان تكون بنفس حجم ومواصفات السفينة التي أصابها التلف .

ونصت المادة الخامسة والسادسة من هذه المعاهدة على نوع المعاملة التي يجب ان تعامل بها سفن الحكومة الفرنسية ، كما حددت مسؤولية الباشا في أثناء تعرض هذه السفن لأي اعتداء سواء من بحارته أو من الثائرين عليه .

أما المادة السابعة ، فقد نصت على اعطاء الدول الاوروبية حق تعيين ممثلين لها في ايالة طرابلس ، والغاء الهدايا التي كانت تجبر على اعطائها ليوسف باشا عند هذا التعيين [1] .

كما نصت المادة الثامنة على حرية التجارة ومنع الباشا من احتكاره لبعض الأصناف التجارية التي كان يحتكرها في الماضي .

وألزمت المادة التاسعة،يوسف باشا بدفع ٨٠٠ الف فرنك كمصاريف عسكرية لفرنسا على ارسالها لأسطولها إلى طرابلس ، ويشمل هذا المبلغ الديون التي عليه من رعايا الحكومة الفرنسية ، وقد قسم هذا المبلغ على دفعتين ، يدفع نصفه في ١٦ اغسطس سنة ١٨٣٠ ، أما نصفه الثاني فيدفع في ديسمبر سنة ١٨٣٠ .

أما الملحق الذي اضيف الى هذه المعاهدة فهو عبارة عن بيان بعدد السفن التي يملكها يوسف باشا أثناء عقد هذه المعاهدة ، مع ذكر نوع تسليحها .

---

١ ذكر ميكاكي في كتابه : «طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي» صفحة ٢٢٤ ، بان المادة السابعة من هذه المعاهدة تنص على ما ياتي: « ان يوسف بعد دفع اربعمائة الف فرنك مقدما التزم بدفع مبلغ مماثل بصك موعده ٢٠ ديسمبر التالي ، وتعهدت الحكومة الفرنسية بدورها بدفع ديون الرعايا الفرنسيين قبل حكومة طرابلس » ٠
ويلاحظ ان المادة السابعة كما ذكرت لا تنص على ما ذكره ميكاكي ، حيث ان ذكر هذا المبلغ قد جاء في المادة التاسعة ، كما نلاحظ ايضا ان المادة التاسعة قد حددت شهر ديسمبر من سنة ١٨٣٠ لدفع بقية المبلغ لاشهر ديسمبر سنة ١٨٣١ كما قال ميكاكي ٠

لقد كان تسليم يوسف باشا بما جاء في هذه المعاهـــدة من مواد ، وخاصة تلك التي حرمته من المغامرات البحرية ومن استرقاق المسيحيين ومن الهدايا والاحتكار التجاري ، يعتبر عاملاً من أهم العوامل في تفاقم الأزمة المالية التي كان يعانيها ، والتي كانت نتيجتها الاطاحة بحكمـــه وبحكم من جاء بعده حيث ان هذه الموارد التي حرم منهـا يوسف باشا كانت تمثل المصدر الرئيسي لدخل الايالة في ذلك الوقت .

لقد عمل يوسف باشا على تنفيذ هذه الشروط فور توقيعها حيث بدأ بجمع نصف المبلغ المطلوب من رعاياه وقد أدت وسائل العنف التي اتبعها في جمع هذا المبلغ إلى اثارة سخط الناس وغضبهم عليه ، وقد وقـــع العبء الأكبر منها على عاتق اليهود الذين أصبحوا هدفـاً لنهب يوسف وسطوه على أموالهم بحق أو بغير وجه حق .

كما أرسل الى لوي فيليب ملك فرنسا الرسالة التي نصت عليها المادة الاولى من المعاهدة التي سبق ذكرها ، وقد قبل لوي فيليب هذه الرسالة وأجاب طلب يوسف باشا الشفوي الخاص بتغيير روسو ، وعين بدلـه المسيو شوبيل « Shoubel » ، وفرح يوسف باشا لاستجابة طلبه وعندما وصل القنصل الجديد في ٢٩ يونيو ١٨٣١ ، استقبله يوسف استقبـــالاً عظيماً وتوثقت بينهما عرى الصداقة والمحبة ، ولعل ذلك بفضل اسطوله لدرجة انه عندما طالب بدفع القسط الثاني حينما فات موعد سداده وطلب منه العمل على الغائه اعتذر عن عدم استطاعته تغيير أحد نصوص المعاهدة ، وانما بدل اجبار الباشا على دفعه في الحال فانه استجاب لطلب علي بك وبعض الوزراء بالاكتفاء بدفع مائة ألف فرنك حالاً وأعطاهم مهلة لمدة ثلاثة أشهر قادمة لسداد باقي المبلغ .

كما اقترح على يوسف باشا وضع نظـــام جديد للجمرك وللضرائب لعله يساعده على حل هذه الأزمة وقد استحسن يوسف باشا هذه الفكرة وعهد اليه بوضع هذا النظام وعرضه عليه لاقراره ، وفعلاً أصدر يوسف

باشا نظاماً جديداً للجمرك يتكوّن من ثلاثة عشر فصلاً هي كالآتي :

الفصل الأول : كل ما يدخل البلاد براً وبحراً يؤخذ عليه ٣٪ يستثنى من ذلك الآلات التي تستعمل في الحرب والمواد التي تصنع منها السفن .
ويؤخذ على خشب الجوز والمشط والملاعق ٦٪ .

الفصل الثاني : لا يسمح بتصدير الحبوب من طرابلس وفي حالة الترخيص بتصديرها يؤخذ ١,٥ فرنك [1] عن كل كيلة طرابلسية من القمح و ١٥ قرشاً عن كل كيلة من الشعير .
ويؤخذ عن كل مائة اقة من الزيت ١,٥ فرنك وعن كل قنطار من تمر طرابلس وفزان ١٢ فرنكاً وعن كل

---

١ ملاحظة : كانت توجد في أسواق ايالة طرابلس كافة انواع العملة الاوربية وكـان معترفا بها ومتداولة بالاضافة الى انواع العملة المحلية غير ان اشهر انواع العملة الاوروبية تداولا هو الفرنك الفرنسي والليرة الايطالية والقرش الاسباني ٠
اما عن العملة المحلية فانها كانت تصنع من ثلاثة مواد هي الذهب والفضة والنحاس وتتكون العملة الذهبية من : الشريفي ، وهو يساوي ٤٨ خمسينا والنصف شريفي والمحبوب الطرابلسي وهو يساوي ٢٨ خمسينا ٠ اما العملة الفضية فيما عدا الخمسين السابقة فكانت تتكون من اليوزليح Yualih الذي كان يعادل ١٠ خمسينـات وترزكات الخمسين Tescant الذي كان يعادل ٩ خمسينات ونصف والبارة التي كانت كل ١٢،٥ بارة تعادل خمسينا ٠
بالاضافة الى العملة التي ضربت في عهد يوسف وابنه علي ومنها « البيناسك » ، وهو يعادل ٢٤ خمسينا والعادلية والاسليح Islih وهذه الاخيرة من نحاس مفضض وابو ستماية وهو فلس من النحاس الاحمر وقيمته اربعة فلوس من النحاس بالاضافة الى القرش العادي ٠
ويلاحظ : ان فزان في اواخر العهد القرمانلي كان لها عملة خاصة بها وتحمل هذه العملة اسم عبد الجليل سيف النصر بعد اعلان ثورته على يوسف باشا ٠ وقد نقش على وجهي العملة ما يأتي :
نقش على الوجه الاول « السلطان عبد الجليل بن غيث اعزه الله » وعلى الوجـه الثاني « ضربت في مدينة فزان » كما يلاحظ ان كل ٢٦ خمسين تعادل في ذلك الوقت قرشا اسبانيا ٠

رأس بقر ٤٨ قرشاً وعن كل رأس غنم ٨ قروش . وإذا صدرت الأبقار من بنغازي يؤخذ عن كل رأس ٦٦ قرشاً والغنم ١٢ قرشاً وعن كل ٥٠ أقة من السمن ٦٠ قرشاً .

الفصل الثالث : تعفى من الرسوم الجمركية جلد البقر واللحم والفحم والصابون .

الفصل الرابع : المسكرات

يؤخذ ٣٪ على جميع أصناف الخمر أولاً ، ثم عن كل ١٠٠ أقة من العصير ٣٠ قرشاً،وعن كل ١٠٠ أقة من العراقي ٦٠ قرشاً وعن كل ١٠٠ أقة من السبيرتو « الكحول » ٢٠ قرشاً .

أما الخمر الذي يصنع محلياً لأصحاب الرخص فإنه يؤخذ عن كل قنطار ٢٤ قرشاً كما تؤخذ ضريبة عن العنب الذي يصنع منه الخمر بواقع ٢٤ قرشاً عن كل حمل جمل .

الفصل الخامس : يدفع كل من عنده رخصة جزارة ٢٤ قرشاً عن كل رأس بقر يذبح اذا كان من الدرجة الأولى ، ١٨ قرشاً إذا كان من الدرجة الثانية . وعلى الجمال ٢٢ قرشاً وعلى كل رأس غنم أو ماعز مائة بارة .

الفصل السادس : يدفع كل من يصنع صابون ٣٦ قرشاً عن كل قنطار .

الفصل السابع : يؤخذ مبلغ ١٨ قرشاً عن كل قنطار بطيخ من البسم .

الفصل الثامن : يؤخذ عن كل قنطار رماد يصنع منه الصابون ٤ قروش و ٣٢ بارة .

الفصل التاسع : كل من يقيم خيمة أو سرداق في سوق الثلاثاء أو سوق الجمعة يدفع أرضية قرشان .

الفصل العاشر : تؤخذ ٦ قروش عن كل حمل من النطرون و ١٥٠ قرشاً عن كل حمـــل من ريش النعام و ٥ قروش عن كل حمل من ناب الفيل . و ٥٪ من الحبوب التي تباع في الأسواق المحلية و ٤ قروش و ٣٠ بارة عن كل قنطار من زيت الزيتون .

الفصل الحادي عشر : تؤخـــذ ٦ قروش عن كل قنطـــار من الحرير والزعفران والقرمز ، كما يعين الباشا موظفين لمراقبـــة الموازين والمكاييل لمعرفة صلاحيتها ودقتها وسوف يعاقب بالحبس والغرامة كل من توجد لديه موازين أو مكاييل غير مختومة وسوف يجري مفعول هذا القرار اعتباراً من ٣٠ يوم من تاريخه [١] .

---

١ لم اجد على الورقة التي نقل فيها هذا النظام تاريخا لاصداره وتوجد هذه الورقة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس ، كما ان النائب ومحمد بهيج اللذين تحدثا عن مساعدة القنصل الفرنسي شوبيل للباشا بوضع نظام جديد للجمرك لم يذكرا تاريخ اصداره · وانما اعتقد أن صدوره في الشهور الاولى من حضرر هذا القنصل ، اذ انه حضر كما سبق القول في ٢٩ يونيو ١٨٣١ ·

الفصل الثاني عشر : يؤخذ عن كل ٤٥ مثقالاً من الذهب ٢٤ قرشاً
وعن كل مائة درهم فضة ٢٤ قرشاً كرسوم عن
الختم كما تؤخذ عن كـــل مائـــة مثقال ذهب
٢٤ قرشاً وعن كل الف درهم فضة ٢٤ قرشاً
كرسوم ميزان .

الفصل الثالث عشر : تشكل لجنة ينتخبها حضرة الباشا من أعيان الأهالي
والأجانب لمراقبة تنفيذ هذا الشرط والنظـــر في
الشكاوى المقدمة من الأهالي وتجدد هذه اللجنـــة
كل سنة [١] . //

" كان هذا النظام الجديد هو آخر محاولة من يوسف باشا لحـل أزمته المالية غير انه فشل مثل فشل غيره من الحلول السقيمة التي التجأ اليها وأصبح منتظراً لحكمه التداعي بين عشية وضحاها ٪

كان لهذا التقارب الذي حدث بين يوسف بـــاشا والقنصل الفرنسي حتى أصبح هو المخطط لسياسته الداخلية والخارجيـــة ، أكبر الأثر في نفس وارنجتون القنصل الانكليزي مما جعله يظهر عدم ارتياحه عن المعاهدة التي عقدها يوسف باشا وروزاميل وخاصة المادة الأولى منها . وبعد أن كانت هـــذه المادة لا تهمه في أول الأمر لأنه لا زال صاحب القوة والنفوذ على الباشا ، عاد بعد أن انتزع منه القنصل الفرنسي الجديد هذه

١ اعتقد ان المقصود بدخول الاجانب في هذه اللجنة هو لغرض حماية التجار الاجانب من ظلم الباشا ومنعا لمحاولة استبزاز اموالهم عن طريق اتهامهم بالتلاعب في هذه الموازين والمكاييل ، كما ان موافقة يوسف على ادخالهم في اللجان الرسمية التابعة للدولة يعد دليلا على ضعفه من ناحية وعلى التدخل الاجنبي في شئون البلاد الداخلية من ناحية اخرى .

المكانة ، وأظهر للباشا رغبته في الغاء هذه المعاهدة ، غير أن الباشا لم يستطع أن يقامر بحكمه من أجل ارضاء وارنجتون ولذلك لم يهتم بطلبه مما جعل وارنجتون يهدد بإنزال علم بلاده ان لم يلغ الباشا هذه المعاهدة في الحال . وحينما رفض الباشا الموافقة على الطلب بالرغم من هذا التهديد ، فإن وارنجتون أصدر أوامره بإنزال علم بلاده من على مقر القنصلية [1] .

خشي الباشا عاقبة انزال هذا العلم وحاول اقناع وارنجتون بتغيير موقفه وعندما تأكد له اصرار وارنجتون على طلبه ، كتب إلى قائد الأسطول الانكليزي في البحر الأبيض بما حدث ، وعندما استلم يوسف رد هذا القائد ، لم يجد فيه ما يفرحه بل وجد على العكس من ذلك ان القائد يطلب منه ضرورة العمل على تسديد ديون رعاياه .

وازاء هذا التهديد جمع يوسف باشا مجلسه للتشاور في أمر وارنجتون وهذا الطلب الجديد وكذلك البحث عن وسيلة لجمع بقية القسط الفرنسي وبعد مناقشة طويلة اقترح المجلس ارسال مندوب الى انكلترا لشرح تطورات الموقف والعمل على الحصول على الموافقة بتأجيل دفع ديون رعاياها إلى ما بعد تسديد ديون فرنسا .

ونظراً لأن حاكم بنغازي خليل بك القرمانلي قد عجز عن حمل القبائل على دفع ما فرض عليها من مبالغ لتسديد بقية المبلغ الذي تطلبه فرنسا، فان المجلس اقترح كذلك ارسال الحاج محمد بيت المال الى بنغازي لمحاولة جمع هذا المبلغ لما له من مكانة لدى قبائل برقة . ووافق الباشا على هذا الاقتراح وأرسل محمد بيت المال الى بنغازي لتحقيق هذا الغرض ، ومن الطريف ان يوسف باشا قد أرسل اليه رسالة بتاريخ ١٧ رمضان سنة ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م) يطلب منه فيها الاسراع في جمع المال والضغط

---

١ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ٢٢٥ .

على بيك بنغازي لدفع قيمة البطاقات التي عند أصحابها على بنغازي لأن تأخير دفعها سوف يؤدي الى مشاكل هو في غنى عنها الى غير ذلك من الطلبات .

ومما يلفت النظر في هذه الرسالة ان الباشا يطلب منه ان يتحايل على الأهالي فلا يأخذ منهم إلا الذهب والفضة والحبوب والسمن لأنها تعتبر بالنسبة له كالعملة الصعبة التي يمكن ان تحل أزمته [1] .

أما عن وارنجتون فانه عندما سمع بسفر مندوب الباشا الى انكلترا خشي من ان حكومته لا تقر تصرفه الشخصي هذا فرفع علم بلاده من جديد واستأنف العلاقات الودية مع يوسف باشا وان كان لا يزال متمسكاً بضرورة دفع الباشا ما عليه من ديون للرعايا الانكليز .

والغريب ان وارنجتون كان يتصرف في بعض الأحيان حسبما يرضي غروره الشخصي متقيداً بأوامر وتعليمات حكومته كما سيتضح ذلك عند الحديث عن دوره في النزاع الذي حدث بين علي بن يوسف باشا وبين ابن عمه محمد بك القرمانلي حول السلطة .

الثورات الداخلية

ومما زاد في تقديم موعد سقوط حكم يوسف باشا قيام قبائل أولاد سليمان بثورة عارمة اشتعلت فاشتد لهيبها الى الكثير من المناطق الداخلية

---

١ رسالة يوسف باشا الى محمد بيت المال في ١٧ رمضان سنة ١٢٤٧ هـ · أواخر (١٨٣١ م) ويوجد اصلها بدار المحفوظات التاريخية ـ انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٣٩ ·
وهي منشورة ايضا في ذيل كتاب مكياكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » صفحة ٦٨ جمع كمال الدين الخربوطلي ·

في البلاد . وكان زعيم هذه الثورة هو عبد الجليل بن غيث بن سيف النصر .

وكان عبد الجليل هذا صغيراً عند وفاة والده وقد جيء به الى قصر الباشا وتربى بين أولاده وبذلك فانه عرف طباع هذه العائلة وخبر أسرار حياتها العامة والخاصة وكذلك ما تعانيه من أزمات ومشاكل [1] .

وفي سنة ١٨٢٦ حينما ثار أهالي « برنو » [2] على حاكمهم الشيخ محمد الأمين وعجز عن اخماد الثورة ، أرسل الى يوسف باشا برسالة يرجوه فيها مساعدته ، فاستجاب يوسف لطلبه وأعد حملة كبيرة أسند قيادتها الى عبد الجليل ، واستطاع عبد الجليل ان يصل بجنده في الوقت المناسب وتمكن من اخماد هذه الثورة ، ثم رجع الى طرابلس [3] .

لقد كان لهذا الانتصار الذي حققه عبد الجليل بن غيث أكبر الأثر في تغير مفاهيم تفكيره ، حيث بدأ منذ عودته من « برنو » يعمل على انتهاز الفرصة المناسبة لاعلان ثورته ضد يوسف باشا .

فهو وان عاش في قصره ، الا انه بعد انتصاره أعادت هذه الحملة إلى ذاكرته تلك الحملات التي أرسلها يوسف باشا ضد والده وأعمامه واخوته وصمم على الانتقام لمن توفي منهم .

وكانت سنة ١٨٣٠ هي السنة المناسبة لتحقيق آماله اذ اشتدت في هذه السنة أزمة الباشا المالية وامتلأت قلوب الشعب بالحقد والكراهية لشدة ما يعانونه من سوء الحالة الاقتصادية نتيجة للعوامل العديدة التي سبق ذكرها ولخضوع الباشا المطلق لنفوذ القناصل ولانعدام شخصيته أمامهم بالاضافة إلى الشدة والقسوة التي كان يتبعها رجاله في جمع الأموال تارة لارضاء

---

١ P. Costanzo Bergna: «Tripoli Dal 1510 Al 1850», p. 288, 289.

٢ احدى مدن السودان قريبة من الحدود الليبية وكان بين حاكمها وبين يوسف باشا صداقة وطيدة ومحبة قوية .

٣ احمد النائب : « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » . ص ٣٤٦ .

دائنيه ، وتارة أخرى لتسديد مصاريف الحملة الفرنسية ، وللانفاق بعد هذا وذاك على ملذاته وشهواته في الوقت الذي كان فيه الكثير من طبقات الشعب لا تجد قوت يومها .

انتهز عبد الجليل هذه الفرصة أي فرصة الغليان الشعبي وأعلن ثورته بنواحي ورفلة ، وانضمت اليه بعض القبائل .

وعندما علم يوسف باشا بذلك أرسل اليه يدعوه للحضور اليه للتفاوض معه على ما يرضيه ، غير أن عبد الجليل الذي يعرف يوسف وطباعه ودسائسه ، لم يخفَ عليه غرض الباشا الحقيقي من هذه الدعوة ، وبذلك لم يذهب اليه وانما أرسل بدلاً منه أحد أتباعه ، فاغتاظ يوسف باشا لذلك وأمر بقتل هذا الرسول كرد على تحدي عبد الجليل له [١] .

فكان لتصرف يوسف باشا هذا أسوأ الأثر في نفس عبد الجليل مما جعله يتمادى في ثورته التي أخذت تتسع وتكسب مع الأيام العديد من المناصرين والمؤيدين لها .

وازاء توسع نطاق هذه الثورة وازاء الأنباء التي وصلت اليه من أن عبد الجليل قد أرسل اخوته على رأس قوة كبيرة للسيطرة على فزان ، قرر يوسف باشا ارسال حملتين احداهما بقيادة ابنه علي بك وتضم العديد من تولوغلية الساحل والمنشية والزاويا ، والحملة الثانية بقيادة ابنه ابراهيم وتضم العديد من تولوغلية وأهالي مصراتة وزليتن والخمس .

وفي أثناء هذه الاستعدادات الكبيرة عرض وارنجتون على الباشا أن يقوم بدور الوسيط في هذا النزاع ،غير ان الباشا رفض ذلك اعتداداً بقوة جنده وخوفاً على هيبته ونفوذه .

وفي يوم ٢٩ يونيو سنة ١٨٣١ أصدر الباشا أوامره الى جيشه بالتحرك في اتجاه معقل الثوار في منطقة « بني وليد » .

---

١ Ch. L. Feraud: «Annales Tripolitaines», p. 394.

ويمكننا ان نتتبع الأعمال التي قام بها جيش الباشا وذلك بالرجوع الى الرسالة التي أرسلهـا الباشا في ١٢ ديسمبر ١٨٣١ الى محمد بيت المال أثناء وجوده في برقة [١].

وبالرجوع الى هذه الرسالة يتضح لنا أنه عندما وصل جيش الباشا الى المكان المسمى « بقليعات الحطابة » في أسفل وادي بني وليد، فوجىء بهجوم مباغت من الثوار غير أن الجيش كان محتاطاً لمثل هذه المفاجآت فدارت بينه وبين الثوار معركة استمرت ثلاث ساعات ، تكبد خلالها الثوار خسائر جسيمة في الأرواح في الوقت الذي لم يصب أي فرد من أفراد الجيش بسوء ثم تقدمت الحملة وهاجمت معقل الثوار في « سرار » وفي « بني فايد » ، وان الجيش قد تمكن من الاستيلاء على هذا المعقل الأخير ، أما المعقل الثاني فانه قاوم مقاومة شديدة حتى انه استرد من الجند ثلاث مرات مما جعل ابناء الباشا يشتركون بأنفسهم في القتال .

ومما يؤسف له ان الباشا قد وصف اعمال هذا الجيش بشكل أعاد الى الأذهان ما فعلته الكاهنة « داهية » حينما أرادت ان تحول أنظار الجيوش الاسلامية عن بلادها ، وذلك مع فارق الزمن والغاية .

وقد جاء في وصف الباشا لما قام به جيشه من دمار قوله :

« واحتزت المعركة فمات منهم في ذلك اليوم مائتين وخمسين رقبة وأما المجاريح بلا حساب والخيل كذلك وبقوا يتشفعوا، وتسرعوا العساكر في تقطيع الأشجار وتعديم الآبار من الفنادن

---

١ رسالة يوسف باشا الى محمد بيت المال يصف له فيها وقائعه مع سكان بني وليد سنة ١٢٤٧ هـ (١٢ ديسمبر ١٨٣١ م) ، ويوجد اصل هذه الرسالة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب ـ انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٤٠ .
وهي منشورة ايضا في ذيل كتاب ميكاكي « طربلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » من ص ٦٣ الى ص ٦٥ جمع كمال الدين الخربوطلي .

إلى دفع الوادي لا قعدت [1] زيتونة ولا حوش قائـــم البناء ثم
رحلت الحملة ونزلت في ظهرت التربة [2] » .

واستمرت المعارك بين الثوار وجيش الباشا تزداد قوة ودماراً الى ان تدخل أولاد أبو سيف وأولاد بن مريم وأهل زوايا غريان وطلبوا من أبناء الباشا وقف القتال وقد استجيبت وساطتهم ، وتعهد عبد الجليـــل باخلاء فزان وارجاع ما أخذه منها وان يدفع الفاً وخمسمائة وخمسين عبداً ولضمان هذا الصلح قدم عشرين رهينة من خيار أبناء المشايخ ومن بينهم أحد أولاده .

غير أن يوسف باشا لم يذكر لنا في هذه الرسالة ما هي الفائدة التي تحصل عليها عبد الجليل من وراء هذا الصلح .

وبالرجوع الى ميكاكي نجده يذكر بأن عبد الجليل قبل هذه الشروط نظير الاعتراف به زعيماً على منطقة ورفلة ، وان كان ميكاكي يحدثنا بأن الثائر سلم الى الباشا ألف جمل فقط ، كما انه لم يذكر العبيد على الاطلاق ولا ابن عبد الجليل من ضمن الرهائن [3] .

كان غرض عبد الجليل من هذا الصلح هو اتاحة الفرصة أمامه لتوحيد صفوفه واراحة جنده ، اذ أنه بالرجوع الى الرسالة الثانيـة التي أرسلها الباشا في ٢٨ رمضان سنة ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م) الى محمد بيت المال ، نجده يتحدث عن تطورات الموقف بينه وبين عبد الجليل [4] .

---

١ قعدت : بقيت

٢ اعلى التربة

٣ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ٢٣١ .

٤ رسالة من يوسف باشا الى محمد بيت المال حول تطورات الاحداث بالنسبة لثورة عبد الجليل بن غيث بن سيف النصر بتاريخ ٢٨ رمضان سنة ١٢٤٧ هجريـــة (١٨٣١ م) ، ويوجد اصل هذه الوثيقة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب ـ انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٤١ ،
وهذه الرسالة منشورة أيضا في ذيل كتاب ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ٦٦ ، ٦٧ ـ جمع كمال الدين الخربوطلي .

ويتضح لنا من هذه الرسالة ، ان عبد الجليل بعد أن تم هذا الصلح دفع بعض الشيء مما اتفق عليه ثم أخذ يماطل في دفع بقية ما جاء في الشروط السابقة ، كما انه أرسل رسالة الى وارنجتون يطلب منه الحضور اليه وان وارنجتون قابل الباشا وأعلمه بطلب عبد الجليل ووعده بأنه سوف يحضر معه اما عبد الجليل واما أخوه الى طرابلس للوصول الى تسوية تنهي هذه الأزمة غير أن القنصل الانكليزي رجع بدون ان يحضر معه أحداً ، كما ظهر أن عبد الجليل لا يرغب في ترك فزان أو التسليم فيها ، ولذلك قرر يوسف باشا ارسال حملة الى فزان بقيادة محمد المكني.

ولعل بما جاء في هذه الرسالة من قول الباشا ان عبد الجليل هو الذي أرسل الى وارنجتون رسالة لكي يحضر لخير دليل على ان ميكاكي قد أخطأ في نقله لقول القنصل الفرنسي شوبيل من ان الباشا هو الذي رجا وارنجتون بالذهاب للتوسط لاخضاع الثائرين [1].

وهكذا أصبح لزاماً على يوسف باشا ارسال هذه الحملة التي ذكرها بعد أن فشلت كل محاولاته في تجريب فكرة محاربة العدو بعدوه ، حيث ان القبائل المعادية لأولاد سليمان والتي شجعها الباشا بمختلف الوسائل على ان تقوم بمحاربة عبد الجليل ما لبثت ان انضمت هي الاخرى الى الثائر سواء عن طريق الاقناع بعدالة ثورته أو عن طريق القوة [2].

وعلى ذلك قرر يوسف باشا ارسال المكني على رأس حملة اشترك فيها العديد من الرجال الاشداء الاقوياء ، وتشجيعاً للمشتركين فيها فقد وُعدوا بالاعفاء من الضرائب بحماية أراضيهم من الاستغلال أثناء غيابهم في الحملة وقد كانت هذه العادة وهي حماية أراضي الذين يخرجون في الحملات جارية في عهد يوسف باشا ، فقد كان قبل قيام الحملة يصدر

---

١ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ٢٣٥ .

٢ Ch. L. Feraud: «Annales Tripolitaines», p. 348.

قراراً يحمي فيه أرض الذين يخرجون للقتال ، وينص هذا القرار على ان كل من يحرث أرضاً وصاحبها غائب بالحملة فانه سوف لا يكون له الحق في أخذ المحصول كما انه لا يكون له الحق في المطالبة حتى بثمن البذار . وكان هذا القرار يسجل في سجل المحكمة الشرعية ويعلق على جدران الشوارع .

وقد عثرت على نص القرار الذي أصدره الباشا بتاريخ ١٢ جمادى الأول سنة ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م) يحمي فيه أرض الذين خرجوا في الحملة التي أرسلها بتاريخ ٢٢ جمادى الأول لمحاربة سكان بني وليد ، وقد أورد في هذا القرار نفس المعاني التي سبق ذكرها [١] .

أما عن المكني فإنه استطاع أن ينتصر على الثوار وان يسترد منهم مدينة مرزق بعد أن دافع عنها اخوة عبد الجليل دفاعاً مستميتاً ، وفي هذه الأثناء أرسل محمد المكني الى الباشا يطلب المزيد من الامدادات حتى يستطيع ان يحقق المزيد من الانتصارات .

غير أن الباشا لم يكن في حالة تسمح له بإرسال هذه الامدادات المطلوبة فقد عاد العداء الى الظهور من جديد بينه وبين وارنجتون حينما أخذ هذا الأخير يضغط على الباشا من أجل تسديد ديون رعاياه ، حتى انه عندما أعلنت الثورة في غريان لتأييد الثورة التي قام بها عبد الجليل في بني وليد انتهز الذين كانوا رهائن عند يوسف باشا هذه الفرصة وهربوا الى القنصلية الانكليزية ،وعندما طلب الباشا من وارنجتون تسليمهم اليه رفض وارنجتون هذا الطلب بل وامعاناً في التحدي لارادة الباشا فإنه عمل على تهريبهم وإلحاقهم بالثوار .

---

١ قرار او منشور من يوسف باشا يحمي فيه ارض الذين خرجوا لمحاربة الثوار في بني وليد بتاريخ ١٢ جمادى الاول سنة ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م)
انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٤٢ .

ومما زاد في شدة هذا العداء بينهما ، ان وارنجتون حينما كان يسير هو وابنه اعترض طريقهما اثنان من الجند الارناؤوط وتهكموا عليهما ، فاعتبر وارنجتون ذلك اهانة لشرفه واحتج لدى الباشا على ذلك فما كان من الباشا الا ان أمر بحبسهما في الحال .

غير أن هذه الحادثة تكررت مرة ثانية ، اذ بينما كان وارنجتون يسير مع ابنته في أحد شوارع المدينة قابلهما نفر من أصدقاء الجنديين فأغلظوا لهما في الكلام ، فكان ذلك على حسب قول أحمد النائب ومحمد بهيج الدين سبباً في انزال وارنجتون لعلم بلاده من على مقر القنصلية [1] .

غير أنه بالرجوع الى الرسالة التي أرسلها يوسف باشا سنة ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢ م) الى وارنجتون بعد سماعه بأنه انزل علم بلاده ، يتضح لنا منها ان السبب في انزال وارنجتون لعلمه لم يكن من أجل اعتداء الجند أو نفر من أصدقائهم عليه وانما كان لعقد يوسف باشا المعاهدة السابقة مع فرنسا .

حيث نجد ان يوسف باشا استهل هذه الرسالة بالتعبير عن دهشته لانزال وارنجتون لعلم بلاده ، ويعلمه فيها بأنه حينما أرسل ابراهيم بو موسى [2] الى القنصلية البرتغالية للاستفسار عن سبب انزال العلم الانكليزي من على مقر القنصلية الانكليزية ، أخبره القنصل البرتغالي ، بأن سبب ذلك يرجع الى المعاهدة التي عقدها الباشا مع فرنسا .

كما ان يوسف باشا في هذه الرسالة يؤكد لوارنجتون بأن هذه المعاهدة التي هي مثار غضبه ، لا تحمل أي مادة تضر بانكلترا ، وانه من الآن

---

١ احمد النائب : « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ص ٣٥١ ، محمد بهيج الدين بن مصطفى عاشر « طرابلس غرب تاريخي » ص ١١١ .

٢ كان هذا الشخص يشغل منصب رئاسة الوزراء بصفة مؤقتة لسفر الحاج محمد بيت المال الى برقة وذلك لجمع الاموال التي فرضت على برقة من اجل تسديد الديون التي على الباشا من الحكومة الفرنسية كما اشرت الى ذلك فيما سبق .

فصاعداً سوف لن يعقد أية معاهدة جديدة مع فرنسا [1] .

وقبل ان نكمل الحديث عن محتويات هذه الرسالة أرى ان أشير الى نقطة هامة وهي انني ارجح ما ذكره الناثب ومحمد بهيج من حيث ان السبب في تنزيل وارنجتون لعلم بلاده ، يرجع الى الاهانة التي تعرض لها من الجنديين ومن أصحابهما ، وفي اعتقادي ان ما ذكره القنصل البرتغالي ما هو إلا افتراء قصد به زيادة العداء بين يوسف باشا ووارنجتون لغيرته من هذا الأخير ، وذلك للأسباب الآتية :

أولاً : إنه من غير المعقول ان ينزل وارنجتون علم بلاده من أجل معاهدة كان قد مضى على توقيعها ما يقرب من سنتين في الوقت الذي سبق له من قبل وان أنزل علم بلاده محاولاً بذلك اجبار الباشا على الغاء هذه المعاهدة إثر توقيعها مباشرة في ١١ أغسطس سنة ١٨٣٠ ، وقد فشل في تحقيق ذلك لأن الباشا كما سبق وقلت لم يرغب في ان يخاطر بمستقبله من اجل ارضائه .

وثانياً : ان الاعتداء على كرامته هو في رأيي أقوى من أي سبب آخر يمكن ان ينتهزه وارنجتون لانزال علم بلاده ، لأنه بهذا السبب يستطيع من ناحية الضغط على الباشا واجباره على تنفيذ أي طلب يطلبه، ومن ناحية أخرى يستطيع ان يجد تأييد دولته في حالة رفض الباشا لطلب من طلباته ، فتوافقه على اتخاذ أي اجراء يقترحه ، حتى ولو كان هذا الاجراء وهو ضرب مدينة طرابلس بالقنابل ، في حين انه قد لا يجد تأييدها في حالة اتخاذه لموضوع المعاهدة المنتهي أمرها سبباً لغضبه وانزال علم بلاده .

---

١ رسالة يوسف باشا الى وارنجتون القنصل الانجليزي يرجوه فيها اعادة رفع علم بلاده ، وهي باللغة العربية ويوجد اصلها بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٤٣ .

وهناك ملاحظة أحب ان ألفت النظر اليها وهي انه بالرجوع الى ما ذكره النائب ومحمد بهيج والى رسالة يوسف باشا السابق ذكرها، يتضح لنا حقيقة وهي ان انزال وارنجتون لعلم بلاده كان قد حدث قبل ان يحضر الاسطول الانكليزي بقيادة دنداس « Dundas » الى طرابلس ، وان وارنجتون قد أنزل هذا العلم من تلقاء نفسه وللاسباب التي سبق ان رجحتها عن السبب الذي ذكره يوسف باشا في رسالته ، وليس كما قال ميكاكي من ان انزال هذا العلم كان قد تم بناء على أمر قائد الاسطول نتيجة لفشله في حمل الباشا على دفع الديون المطلوبة منه [1] .

أما عن بقية ما جاء في رسالة يوسف باشا السابق ذكرها الى وارنجتون فاننا نجده بعد ان أكد له بأنه سوف لن يعقد مع فرنسا منذ الآن أية معاهدة جديدة ، أخذ يتوسل اليه باسلوب يدل على مدى ما وصلت اليه شخصيته من ضعف أمام نفوذ قناصل الدول الاوروبية ، ويلح في هذا التوسل بأن يعمل وارنجتون على مساعدته في تأخير دفع المبالغ التي عليه لرعايا انكلترا ، ويعلمه بأنه على يقين اذا ما أكثر هؤلاء الرعايا من الشكوى فإن انكلترا سوف ترسل اليه أسطولها وتجبره على دفع هذه الديون مع مصاريف مجيء هذا الأسطول ، وانه لا يستطيع ان يتحمل ذلك لما يعانيه من ضائقة مالية زاد في شدتها سوء حالة البلاد الاقتصادية وضغط فرنسا عليه لتسديد بقية ديونها .

وبعد ان انتهى يوسف باشا من توسله هذا نجده يعترف لوارنجتون بالديون التي عليه لرعايا الحكومة الانكليزية ويعده بأنه سوف يسددها في الوقت المناسب ، ثم يرجوه بأن يرفع علم بلاده الذي يعد رفعه كما قال يوسف باشا اشارة الى عفو وارنجتون عن ضعفه وعلامة على رضائه عنه .

---

[1] ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ٢٢٦ .

وأخيراً طلب منه أن يرسل صورة من رسالته هذه الى ملك انكلترا وان يعلمه بأن القرمانليين لا يزالون على محبتهم القديمة لانكلترا العظيمة العادلة .

كما أرفق يوسف باشا مع هذه الرسالة ورقة تحتوي على خمسة شروط وضعها على نفسه وتعهد بتنفيذها ، وهذه الشروط هي :

أولاً : أتعهد بدفع الديون المطلوبة من رعايا الانكليز المسجلة بالقنصلية حالاً [1] .

ثانياً : العساكر الذين تعدوا على ابنك وكسروا حرمتك سوف أبعدهم حالاً [2] .

ثالثاً : العساكر الذين تعدوا على ابنتك وعليك سوف ابعدهم حالاً .

رابعاً : الأموال التي سرقت من السفن المالطية وقيمتها مائة الف فرنك من بعض الأفراد أتعهد بدفعها .

خامساً : كل مخابرة بيني وبينكم سوف تكون مع أناس أمناء اجتناباً لسوء التفاهم .

---

١ اعتقد ان المقصود بكلمة حالا ، هو انه سوف يدفع هذه الديون بمجرد سداد الديون التي عليه من فرنسا ولو انه كان يقصد بكلمة حالا معناها المعروف وهو الدفع فورا لما احتاج الى ان يتوسل الى وارنجتون بأن يعمل على جعل رعاياه يمهلونه مدة لكي يستطيع ان يسدد ما عليه من ديون لانه في حالة ضيق من ناحية الديون التي عليه لفرنسا .

٢ ارى ان يوسف باشا كان يهدف من وراء قوله لوارنجتون بأنه سوف يبعد الذين اهانوه ، الحصول على رضائه ، اي كأنه اراد أن يقول له ، انه على خاطرك لا نكتفي بحبسهم فقط بل سوف نبعدهم من المدينة .

وختم هذه الشروط بقوله :

« وهذه الشروط ان شاء الله تظهر ثمرتهم ويزول سوء التفاهم وغضبك وان تكون محبتنا كما كانت قوية وان ترفع علمكم لأنني أحب دولتكم ورعاياها وعمري ما تصرفت نحوها أو نحوهم بسوء » .

لا شك ان أسلوب المخاطبة الذي استعمله الباشا في هذه الرسالة وتقييده لنفسه بهذه الشروط لخير دليل على ما وصل اليه من ضعف وانهيار في شخصيته ، تلك الشخصية التي كانت في يوم ما تملي ارادتها وتفرض مشيئتها على الكثير من الدول الأوروبية وغير الأوروبية التي كانت تتخذ البحر الأبيض مصدراً لرزقها وطريقاً تسلكه سفن تجارتها .

الضرائب الاستثنائية وتنازل يوسف باشا عن الحكم

لقد اعتقد يوسف باشا انه بهذه الرسالة وبما ارفقه معها من شروط سوف يرتاح من مغبة غضب القنصل الانكليزي وارنجتون وانه سوف يعيد رفع علم بلاده من جديد .

غير أنه لم يكن يعلم بأن ما فعله قد هدم آخر عمود يقوم عليه بناء دولته بل آخر رجل كان يستند عليه العرش الذي يجلس عليه ، لأن رسالته هذه لم تأتِ له بأي فائدة من الفوائد التي كان يحلم بتحقيقها ، بل على العكس كانت عاملاً مشجعاً لوارنجتون على التمادي في غيه وطغيانه حتى كأنه قد رأى فيها عوامل الخوف والفزع والاستسلام تلح عليه بضرورة انتهاز الفرصة لتحقيق مطالبه قبل فوات الأوان .

اذ نجده ينتهز فرصة مجيء الاسطول الانكليزي بقيــادة دنداس الى طرابلس في منتصف شهر يوليو سنة ١٨٣٢ ، ويذهبا معاً الى يوسف باشا ويسلمانه انذاراً بضرورة دفع ما عليه من ديون للحكومة الانكليزية ولرعاياها في خلال ثمانٍ وأربعين ساعة وإلا فانه سيكون المسؤول أمام شعبه عما سوف يحدث .

وفي الوقت الذي تلقى فيه يوسف باشا هذا الانذار كان قنصل فرنسا أيضاً يلح عليه بضرورة تسديد بقية المبالغ التي تطلبها حكومته منــه ، فكأنه أراد بذلك على حــد تعبير المؤرخ كستانزو بيرنا ان يشترك مع وارنجتون في هلاك يوسف باشا [1] .

حاول يوسف باشا اقناع قائـد الأسطول الانكليزي بتقسيط هــذه الديون على أقساط لكي يستطيع دفعها ، غير ان طلبه لم ينل موافقــة القائد، ثم بعد مغادرة القائد ووارنجتون القلعة الى مقر القنصلية الانكليزية حاول يوسف باشا ان يبعث اليها ابنه علي لمحاولة اقناع القائد دنداس بقبول اقتراح والــده غير أن مساعيــه قد فشلت كما فشل قبلها رجاء والده .

وأخيراً حاول يوسف باشا التأثير على القنصل الفرنسي شوبيل بالموافقة على تأجيل دفع بقية ما تطلبه منه حكومته لكي يستطيع تسديد ما يستطيع سداده من الديون الانكليزية ولكن شوبيل الـذي عـز عليه ان ينجــح وارنجتون في حين يفشل هو ، رفض طلب يوسف باشا وتمسك بضرورة دفع ما تطلبه حكومته أولاً وقبل الديون الانكليزية .

وحينما شعر قائد الأسطول الانكليزي بعجز الباشا عن السداد أمــر

---

١ P. Costanzo Bergna: «Tripoli Dal 1510 Al 1850», p. 290, 91.

وارنجتون بالسفر معه الى مالطة [1] .

ويحدثنا المؤرخ كستانزو بيرنا بأن وارنجتون قبل سفره هـــدد الباشا بضرورة دفع ما عليه من ديون والا فان مصير طرابلس سيكون مثـــل مصير الجزائر [2] .

لقد وقف يوسف باشا صامتاً وهو ينظر الى السفينة التي تقل وارنجتون وهي تبتعد عن ميناء المدينة ، وشعر بأن نهايته قد قربت ، اذ نظر الى حالة المدينة الدفاعية من حيث اذا كانت تستطيع الصمود أمام الاسطول الانكليزي الذي سوف يرجع بكل تأكيد لقذفها بالقنابل،غير انه سرعان ما تأكد من استحالة الدفاع والصمود ، لأنه كان يعلم جيـداً بأن قوة

---

١ يلاحظ انه في الوقت الذي يؤكد فيه احمد النائب في كتابه « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » صفحة ٣٥٠ بان وارنجتون قد غادر البلاد بعد عجز يوسف عـن دفع الديون ، ويؤيده في ذلك كل من محمد بهيج في كتابه « طرابلس غرب تاريخي » صفحة ١١٣ وكذلك كستانزو بيرنا في كتابه Tripoli Dal 1510 Al 1850 صفحة ٢٩٠ وشارل فيرو في كتابه «Annales Tripolitaines» صفحة ٣٥٤ وان كان هذا الاخير قال بانه سافر الى سفاقص على سفينة نمساوية · نجد ان ميكاكي يذكر لنا في كتابه « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » صفحة ٢٣٦ بـأن وارنجتون لم يسافر نظرا لمرض ابنته · والحقيقة ان الباحث لا يجد مفرا من التسليم بسفر وارنجتون لاجماع هؤلاء المؤرخين على ذلك · كما يجب ان نلفت النظر الى حقيقة اخرى وهي انه في الوقت الذي يقول فيه النائب في كتابه « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » صفحة ٣٥٥ بأن وارنجتون قد عاد من سفره بعد وصول الفرمان السلطاني بتعيين علي باشا أي في سنة ١٨٤٣ ويؤيده في ذلك محمد بهيج في كتابه « طرابلس غرب تاريخي » صفحة ١٢٤ ، نجد ان فيرو في كتابه «Annales Tripolitaines» صفحة ٣٥٤ يذكر لنا بأن وارنجتون قد عاد بعد عشرين يوما من سفره ، كمايؤكد كستانزو بيرنا في كتابه «Tripoli Dal 1510 Al 1850» صفحة ٢٩١ ، وجوده قبل مجيء الفرمان · والحقيقة هي ان وارنجتون كان قـد رجع الىطرابلس او انه كان موجودا في طرابلس قبل وصول فرمان التولية لعلي باشا من السلطان وذلك لما تؤكده بعض الوثائق التي سوف انشرها في اخر هذا الكتاب والمشار اليها برقم ٤٤ ورقم ٤٥ وسوف اتحدث عن محتويات هذه الوثائق فيما بعد ·

٢ P. Costanzo Bergna : «Tripoli Dal 1510 Al 1850», p. 290-291.

الازمة المالية التي يعيشها ، قد دفعته الى صهر مدافعه النحاسية لتحويلها الى نقود ، كما دفعته الى بيع بعض قطع من اسطوله الذي كان عماد قوته وأساس هيبته في نظر الأعداء [1] .

ونتيجة لثقة يوسف باشا في عدم استطاعة البلاد الدفاع عن مصيرها، أمام أي خطر خارجي ، قرر استدعاء مجلسه للتشاور في هذا الأمر ، كما جمع الى هذا المجلس بعض الأعيان والوجهاء والعلماء ، واستمر هذا المجلس في النقاش.. وأخيراً قرر فرض ضريبة استثنائية لجمع قيمة هذه الديون . ويقول أحمد النائب في هذا الصدد ما نصه [2] :

---

١ احمد النائب « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ص ٣٤٨ ·
ملاحظة : لقد دفعت الازمة المالية يوسف باشا الى ان يبيع بالاضافة الى اسطوله ، كل ما كان يمتلكه من مجوهرات وحلى ذهبية واشياء ثمينة اخرى ، حتى انه توجد وثيقة ببيان ما خلفه يوسف باشا بعد وفاته في ٤ شعبان سنة ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩ م) لا يمكن ان يصدق القارىء محتوياتها وخاصة اذا علم انها تركة حاكم كانت الكثير من الدول الاوروبية تخضع لارادته ، وان خزائنه كانت قد امتلأت بالاموال سواء التي كانت تاتيه من الدول الاوروبية على هيئة اتاوات او هدايا او كانت تاتيه من المغامرات البحرية ومن مصاريف الحملات التي كان يرسلها لاخضاع الحركات الثورية ، او من الضرائب والرسوم الجمركية ، وقد تزداد دهشة المطلع على هذه الوثيقة يوم ان يرى ان هذه التركة قد قدرتها اللجنة القضائية بمائة وعشرة محابيب لا غير · في حين ان حفيدته الست حلومة التي توفيت قبل وفاته كانت قد تركت من انواع الذهب والمجوهرات بقدر ما يراه الانسان ضربا من ضروب الخيال · وسوف انشر الوثيقة التي تحتوي على تركة يوسف باشا وكذلك الوثيقة التي تحتوي على تركة حفيدته في ملحق الكتاب على أن تاخذ الوثيقة الاولى رقم ٤٦ والثانية رقم ٤٧ ·

٢ احمد النائب : « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ص ٣٥١ ، ٣٥٢ ·
ملاحظة : في رأيي ان الضرائب قد اقتصر فرضها على المدن القريبة من مدينة طرابلس فقط بدون ان تفرض على برقة لسببين : اولهما : ان الباشا في حاجة مستعجلة جدا لهذه الاموال وان فرض اي جزء منها على برقة فان جمعه يحتاج الى مدة طويلة · ثانيا : ان برقة قد فرض عليها الجزء الاكبر من مصاريف الحملة الفرنسية بقيادة روزاميل وانها رفضت دفع ما فرض عليها وعجز حاكمها جمعه بالقوة مما جعل مجلس الباشا يقرر كما سبق ذكره ارسال محمد بيت المال لجمعه ومن يوم سفره الى الان لم يعد ولم يرسل اي مبلغ ·

« وعقد مجلساً من الامراء والأعيان لذلك أشاروا عليه بتوزيع تلك المطالب على الأهالي ، فطرح عشرة آلاف على سكنة الثغر من المسلمين ومثلها على اليهود ووزع الباقي على أهل الساحل والمنشية ومن بجوارهم من النواحي القريبة . وكانوا يومئذ في حالة الفاقة من جور العمال والضرائب المتنوعة وسوء السيرة ونقصان الفلاحة ، وفلوس النحاس وقلة سكة الفضة حتى آل الأمر لفاقتهم » .

لقد أسرع اليهود بدفع ما فرض عليهم خوفاً على أنفسهم من ظلم الباشا وشدته نحوهم وقد سبق وشرحت بالتفصيل مكانة اليهود عند الباشا في أول عهده وكيف تغيرت هذه المكانة في أواخر عهده .

أما أهل الساحل والمنشية،فإنهم كانوا طوال العهد القرمانلي لا يدفعون الضرائب في نظير قيامهم بتقديم الجند حينما يطلب منهم ذلك ، ولذلك رفضوا دفع ما فرض عليهم وحينما شعروا بأنهم سوف يدفعونها بالقوة قرروا الثورة على الباشا وطالبوا بسقوط حكمه ، وأخذوا يدقون طبول الحرب اعلاناً لثورتهم ولاستعدادهم للقتال ، وما هي الا ساعات قليلة حتى اشتعلت الثورة في بعض مدن وقرى الايالة وتقدم الثوار الى حفيد الباشا وهو محمد بيك بن محمد بيك بن يوسف باشا ونادوا به حاكماً على البلاد فوافقهم محمد بيك على هذا الأمر .

حاول يوسف باشا الغاء هذه الضرائب كما حاول الغاء الضرائب التي فرضت على الأسواق غير ان الثوار استمروا في ثورتهم ، ثم قرر اخماد الثورة بالقوة فأرسل جيشاً بقيادة حسن بيك البلعزي ، لكنه هزم ، فاستنجد الباشا بباي تونس ، ومما قال له على حسب رواية النائب

ما يأتي [1] :

« ان اقامة بيتنا كانت على يد بيتكم ولكم علينا من وفضل، والآن قد تداعى ذلك البناء والمطلوب من فضلكم تلافيه قبل ان يخر بما يظهر لكم من الاعانة » .

غير أن باي تونس لم يهتم باستجابة طلبه. وفي اعتقادي ان سبب ذلك يرجع الى رفض يوسف لدفع بقية مصاريف الحملة التونسية التي استطاعت ان تعيد اليهم حكم البلاد كما سبق وأشرت الى ذلك من قبل .

وازاء اتساع هذه الثورة بالاضافة الى ثورة عبد الجليل سيف النصر وثورة غريان ، قرر الباشا التنازل عن الحكم الى ابنه علي لعله يستطيع ان يعيد الهدوء والسلام في البلاد وليرضي إلحاح بعض المقربين منه الذين أشاروا عليه بهذا الحل .

وفي يوم ١٢ اغسطس سنة ١٨٣٢ جمع يوسف باشا رجـال دولته بالاضافة الى الوجهاء والأعيان وأعلن أمامهم بأنه أصبح في حالة شديدة من التعب وانه تنازل لابنه علي بيك عن الحكم على أن يكون ابنه ابراهيم ولياً للعهد .

---

١ احمد النائب : « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ص ٣٥٢ .
ملاحظات : اولا : يؤكد لنا كستانزو بيرنا في كتابه ‎«Tripoli Dal 1510 Al 1850».‎ صفحة ٢٩١ ما ياتي : « لتدعيم الثوار احد احفاده وهو احمد بك قائدا وقد تراس التمرد واعفى جميع الاهالي من الضرائب ٢٢ . ثم يقول : « ولقبوه باحمد بك وكذلك اعترفت به بنغازي » .
ثانيا : ويذكر لنا ميكاكي في كتابه « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ٢٣٦ نقلا عن خطابي القنصل الفرنسي شوبيل بتاريخ ١٧ و ٢٧ يوليو سنة ١٨٣٢ ما ياتي : « رفضوا الاعتراف من الان فصاعدا بسلطة يوسف وثاروا في يوم ٢٨ يوليو ونادوا اولا بتعيين محمد ثم احمد ابني محمد بن يوسف البكر والذي توفي في مصر رئيسا لحكومة نيابة طرابلس » .
غير ان الحقيقة التي يذكرها غيرهم من المؤرخين وتؤكدها بعض الوثائق التي سوف انشرها في ملحق هذا البحث ، وهي ان الثوار نادوا بشخص واحد وهو محمد بك وهو الذي تزعم الثورة الى ان سقط الحكم القرمانلي سنة ١٨٣٥ .

وهكذا شاء القدر أن يتنازل يوسف باشا القرمانلي عن الحكم مكرهاً بعد أن عمل المستحيل كما رأينا في سبيل الوصول اليه .

ومن غرائب الصدف أن نجد أن يوسف باشا كما قتل شقيقه حسن يتعرض هو لمحاولة القتل من ابنه محمد ، وكما ثار هو على والده ، نجد أن ابنه محمد يثور عليه ، كما يحاول ذلك ابنه أحمد أيضاً ، وكما تنازل والده عن الحكم في حياته لأحد أبنائه وتوفي بعد ذلك بسنين قليلة ، نجده هو أيضاً يتنازل عن الحكم لأحد أبنائه ويتوفى بعد تنازله بسنين قليلة .

كأن القدر أراد بذلك أن يبين له فظاعة ما عمل في حياته قبل مماته ولكن بالرغم من كل ذلك فلقد هوى نجم يعـد في نظري من أعظم نجوم الأسرة القرمانلية ، حيث كان في أوائل عهده شجاعاً جريئاً فرض ارادته وأملى مشيئته على كثير من الدول التي كانت تفوقـه من حيث العدد والعتاد ، كما جعل لدولته مكانة مرموقة بين دول العالم بالرغم من صغر حجمها وقلة أدوات الفتك والدمار فيها .

الفصل الخامس

النزاع الاسري
وسقوط الدولة القرمانلية

النزاع الأسري حول السلطة

موقف الشعب وبعض القناصل من هذا النزاع

موقف الدولة العثمانية من هذا النزاع

حملة ١٨٣٥ وسقوط الحكم القرمانلي .

مصير أفراد الأسرة القرمانلية بعد سقوط دولتهم .

النزاع الأسري حول السلطة

" بعد أن تنازل يوسف باشا عن الحكم الى ابنه علي بيك سارع بارسال رسالة الى السلطان العثماني يشرح له فيها أسباب قيام الثورة بما يخالف الواقع والحقيقة ."

ففي الوقت الذي عرفنا فيه أن سبب قيام الثورة الأخيرة كان نتيجة لشعور الشعب بشدة الضائقة الاقتصادية من ناحية وكثرة الضرائب المرهقة من ناحية أخرى ، حتى أن هـذه الضرائب لم يسلم منها أولئك الذين كانوا قد أعفوا منها طوال عهد من سبقوه من حكام الأسرة القرمانلية نظراً لقيامهم بواجب تقديم الجند كلما احتاج الأمر الى زيادة عدد جند الباشا .

نجد أن يوسف باشا يحاول في رسالته التي أرسلها الى السلطان العثماني سنة ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢ م) أن يبرر سبب قيام الثورة ، فيرجع ذلك الى رغبة الثوار في ابطال الضرائب وفي ازالة النظام العسكري الجديد الذي أراد أن يطبقه على جنده بناء على أمر السلطان محمود الثاني على النحو الذي سبقت الاشارة اليه . وذلك لايمانه بأن هذه الأسباب ستكون غير مقبولة من السلطان ، حيث انه لا يمكن أن توجد دولة وخاصة في ذلك الوقت بدون أن تكون لها ضرائب تشكل جزءاً من دخلها العام ،

ولأن محاولة اصلاح الجيش وتنظيمه تنظيماً حديثاً كانت بناء على أمر السلطان نفسه . ثم يمعن في الايقاع بين الثوار والسلطان فيعلمه بأن هؤلاء الثوار بالاضافة الى رغباتهم السابقة، كانوا يرغبون أيضاً في اعلان الانفصال التام عن الدولة العثمانية . وذلك لرغبتهم في أن يكونوا حكومة على غرار حكومة المغرب (مراكش) ، وانه لذلك حاربهم ما يقرب من شهرين لعله يستطيع أن يرجعهم الى الطاعة ولكنه لم يتحقق له ذلك .

ثم يحاول أيضاً أن يبرر سبب تنازله عن العرش ، فيرجع ذلك لا الى ضغط الجماهير عليه وفشله في اخضاع الثوار ، وانما الى كبر سنه ومرضه حتى أنه لشدة ما ألم به من مرض فإنه لا يستطيع الجلوس أو القيام ، ثم يعلمه بأنه قد تنازل عن الحكم لابنه علي بموافقة عظماء البلاد، وأخيراً يتوسل اليه بأن يوافق على تعيين ابنه علي والياً على البلاد [1] .

غير انه يلاحظ أنه في الوقت الذي ذكر فيه يوسف باشا للسلطان بأن سبب تنازله عن الحكم لابنه علي كان لكبر سنه ومرضه ، فاننا نجده يعود فيذكر لرئيس البحار سبباً غير ذلك ، كما أنه في الوقت الذي أكد فيه للسلطان بأنه قد حارب الثوار لمدة شهرين بدون أن يستطيع ارجاعهم الى الطاعة ، نجده يعود فيذكر لرئيس البحار ، بأن سبب تنازله عن الحكم كان لرغبته في عدم سفك دماء الثوار بعد أن قاموا بثورتهم ونادوا بأحد أحفاده والياً على البلاد وقاموا لقتاله ، فانه لذلك تنازل عن الحكم تاركاً لابنه علي مهمة قتالهم .

ثم أخذ يلح عليه في أن يعمل جهده لاقناع السلطان بالموافقة على تعيين ابنه علي والياً على البلاد [2] .

---

١ رسالة يوسف باشا الى السلطان العثماني يشرح له فيها سبب تنازله عن الحكم لابنه علي سنة ١٢٤٨ ، انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم (٧) .

٢ رسالة يوسف باشا الى خليل رفعت باشا رئيس البحار يرجوه فيها التوسط لدى السلطان العثماني لاقرار ابنه علي واليا على البلاد سنة ١٢٤٨ هـ. (١٨٣٢ م.) انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم (٣٠) .

كما أصدر علي بك منشوراً بتاريخ ١٢ أغسطس سنة ١٨٣٢ [١] الى جميع أفراد الشعب تحدث فيه عن رغبته الأكيدة في السلام ، وأعلن لهم فيه العفو التام حتى بالنسبة للذين كانوا سبباً في قيام الثورة ضد والده ، كما وعدهم بأنه سوف يعمل على راحتهم وعلى اقرار الأمن والعدل في البلاد وأنه سوف يسير وفقاً للشريعة الاسلامة ، وان يعمل على رفع الظلم ولو كان الظلم قد صدر من ابنه ، كما انه أعطى لهم حرية النقاش اذا كانت لهم أية مطالبة يرغبون في بحثها أو مناقشتها . ولتأكيد حبه للجميع أقسم لهم على القرآن الكريم بأنه لا يحمل أي حقد أو كراهية لأي فرد من أفراد شعبه وأنه يعاملهم جميعاً كأبناء له . وأنعم في آخر منشوره بلقب « بيك » على أخيه ابراهيم [٢] .

ثم أرسل رسالة الى قناصل الدول الأوروبية يعلمهم فيها بتوليته الحكم خلفاً لوالده ، وبأن الصداقة والمحبة التي كانت بين دولهم وايالة طرابلس ستزداد قوة ورسوخاً مع الأيام ، كما أنه يعترف فيها بجميع المعاهدات والاتفاقيات التي عقدتها هذه الدول مع والده . وأخيراً طلب منهم ابلاغ دولهم بكل ما ذكره لهم [٣] .

غير أن الثوار لم يهتموا بما كان يفعله علي بيك من محاولات لتثبيت دعائم حكمه الجديد فتمادوا في ثورتهم وخاصة أن محمد بيك القرمانلي زعيم الثوار قد وجد الفرصة مواتية لتحقيق أطماعه في الحكم .

---

١ يلاحظ أن شارل فيرو قد اخطأ في كتابه «Annales Tripolitaines» صفحة ٣٥٣ و ٣٥٤ ، في ذكر السنة الهجرية لصدور هذا المنشور ، حيث انه كتبها سنة ١٣٤٨ بدلا من سنة ١٢٤٨ ، وذلك لان سقوط الدولة القرمانلية كان سنة ١٢٥١ هـ (١٨٣٥ م) .

٢ لقد اورد نص هذا المنشور شارل فيرو في كتابه «Annales Tripolitaines» ص ٢٥٣ و ٢٥٤ .

٣ رسالة علي باشا القرمانلي الى قنصل توسكانيا بتاريخ ١٥ ربيع الاول سنة ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢ م) وهي باللغة العربية ويوجد اصلها بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب . أنظر ملحق الكتاب وثيقة رقم (٤٨) .

ولم تكن هذه المطامع بغريبة على محمد بيك ولا على معظم أفراد هذه الأسرة ، حيث كان تاريخ هذه الأسرة مملوءاً بالمنازعات الأسرية من أجل الوصول الى الحكم ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، فقد رأينا كيف أن يوسف باشا قتل شقيقه الأكبر حسن بيك بعد أن شعر بأن الحكم سوف ينتقل اليه بعد وفاة والده ، ثم ثورته على والده وعزله لأخيه الثاني أحمد يوم أن أراد أن يستعجل بجلوسه على كرسي الحكم ليكون هو الوحيد صاحب الأمر والنهي في البلاد .

وكذلك تحالف أحمد مع الأمريكيين ضد شقيقه يوسف باشا من أجل الاطاحة به والاستيلاء على الحكم منه وقد رأينا كيف تم هذا التعاون ثم كيف خذله الأمريكيون بعد أن استطاعوا بحملتهم سنة ١٨٠٥ تحقيق مطالبهم من يوسف باشا [١] .

كما رأينا أيضاً كيف حاول محمد بيك قتل والده يوسف باشا لينعم هو بنعيم الملك بالرغم من أنه هو أكبر أبناء الباشا وهو الذي سيؤول اليه الحكم بعد وفاة والده غير انه أراد أن يستعجل هذا اليوم الذي رآه قد تأخر لطول عمر والده . لأنه حينما فشل في تحقيق ذلك عن طريق الغدر حاول تحقيقه عن طريق الثورة فأعلن ثورته في برقة سنة ١٨١٧ لكنه فشل في استعمال القوة كما فشل في أسلوب الغدر والخيانة .

وكذلك حاول أحمد بن يوسف باشا الثورة على والده وقتله كأنه أراد بذلك أن يضيف مثلاً الى الأمثال السابقة على شدة هذا النزاع الأسري حول الحكم والسلطة ولأنه فشل كما فشل شقيقه من قبل إلا أن التاريخ أوجد لنا صورة أخرى من صور هذا النزاع الأسري متمثلاً في هذا النزاع الذي قام بين علي بن يوسف باشا وبين ابن عمه محمد بيك الذي استمر ما يقرب من ثلاث سنوات .

---

١ انظر فيما سبق من ص ٩٠ الى ص ٩٢ .

موقف الشعب وبعض القناصل من هذا النزاع

لقد انقسم الشعب في طرابلس الى فريقين أحدهما داخل أسوار المدينة ويناصر علي بيك والثاني خارج أسوار المدينة ومعظمه من أهل الساحل والمنشية يناصرون محمد بيك ولا يعترفون بوالٍ غيره .

وتأزمت الحالة السياسية تأزماً شديداً لدرجة ان الاتصال بين داخل المدينة وخارجها أصبح أمراً صعباً لكثرة غارات الثوار ولاستمرار قفل أبواب المدينة ليلاً ونهاراً .

حاول علي بيك أن يهدد الثوار بالاستيلاء على املاكهم داخل المدينة لعلهم يرجعون الى طاعته ، فأصدر قراراً بمصادرة أملاك كل ثائر توجد داخل أسوار المدينة وبيعها ، وحينما سمع محمد بيك بهذا القرار أصدر هو أيضاً قراراً مماثلاً لقرار علي بيك [1] .

غير أن هذه القرارات التي اتخذها علي بيك ومحمد بيك لم تحقق الغرض المطلوب منها حيث استمر كل فريق يناصر صاحبه ولا يعترف بحاكم للبلاد غيره ، كما تعددت المعارك بين الفريقين وأخذت تزداد قوة يوماً بعد يوم .

كما أخذ محمد بيك يعمل على استمالة زعماء البلاد والمدن التي تقع

---

١ حكم شرعي ببطلان ما باعه علي بك ومحمد بك من املاك الاهالي اثناء نزاعهما ، بتاريخ ١٥ ربيع الاول سنة ١٢٥١ هـ (١٨٣٥ م٠) ، ويوجد اصل هذا الحكم بسجل المحكمة الشرعية لسنة ١٢٥١ هـ (١٨٣٥ م٠) ص ٦٦ بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب ، انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم (٤٩) ٠

خارج أسوار المدينة فتمكن من الحصول على وعد من غومه المحمودي [1] بمساعدته كما انضم اليه الحاج المريض زعيم ترهونة الى غير ذلك من المؤيدين والأنصار .

ولما رأى علي بيك ازدياد قوة الثائر وكثرة أتباعه عمل على التفريق بين الثائر وبين من انضم اليه من زعماء البلاد وشيوخ القبائل ، فاتصل أولاً بغومه المحمودي لأنه يعرف ما يرضيه ويجعله يقاتل بجانبه ، وفعلاً ما ان أرسل اليه يطلب منه مساعدته والقتال بجانبه ، على أن يتنازل له عن حكم الجبل ولا يطالبه بأي مبالغ استثنائية عدا ما كان يدفعه لوالده حتى وافق غومه على ذلك وأرسل بيعته وأعرب عن استعداده للقتال في أي وقت يأمره فيه بذلك .

كما أرسل رسالة أخرى بتاريخ ٢٧ ربيع الأول سنة ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢ م .) الى الحاج محمد شلبي بيت المال الذي كان قد ذهب الى برقة لجمع الأموال اللازمة للحكومة الفرنسية ولم يعد منها حتى هذا التاريخ . وقد طلب منه في هذه الرسالة أن يبذل قصارى جهده للحصول على البيعة له من شيوخ القبائل ببرقة وأعيانها وبأن يحلفهم على ذلك ، كما أعلمه فيها عن انضمام غومه اليه وكذلك قبائل الورشفان ، وعن ميل بعض سكان الساحل والمنشية اليه ، ثم يبشره في هذه الرسالة بأن أهل

---

١ غومه المحمودي هو ابن الشيخ خليفة بن نوير المحمودي زعيم قبيلة المحاميد ، وهذه القبيلة تعد من اكبر قبائل الجبل الغربي بطرابلس الغرب ، وبعد وفاة الشيخ خليفه خلفه ابنه الاكبر الشيخ ابو القاسم في زعامة هذه القبيلة الى ان توفى في اوائل سنة ١٨٢١ ، فآلت زعامة هذه القبيلة الى أخيه الشيخ غومه بن خليفه ، وقد ظل زعماء هذه القبيلة من المؤيدين لحكام الاسرة القرمانلية في معظم فترات تاريخ هذه الاسرة . وكان حكام الاسرة القرمانلية في نظير هذا التاييد يولونهم حكم منطقة الجبل الغربي بطرابلس نظير مبلغ معين يدفعه شيوخ هذه القبيلة الى الباشا القرمانلي . وسوف نرى في خاتمة هذه الرسالة كيف ان غومه هذا بعد سقوط الدولة القرمانلية سنة ١٨٣٥ ، قد اتعب جيوش ولاة الدولة العثمانية الى ان قتل سنة ١٨٥٨ .

غريان وورفله أوقفوا الحرب ضده،وأخيراً يطلب منه سرعة المجيء اليه وأنه سوف لن يكون له أي عذر اذا تأخر عن المجيء وبأن مكانتــه محفوظة لديه [1] .

غير أن محمد شلبي بيت المال لم يهتم بهـذه الرسالة وبقي ببرقة ممــا جعل علي بيك يرسل اليه رسالة ثانية بتاريخ ٢٢ ربيع الثاني سنة ١٢٤٨هـ (١٨٣٢ م.) ، مخبرة فيهــا أولاً بأن المناطق التي تقع غرب قرقارش قد أيدته وأن الكثير من أنصار الثائر قد تركوه وانضموا اليه لأن الناس قد فطنوا الى أنفسهم وعرفوا بأنهم كانوا قــد خدعوا في الانضمام الى الثوار .

وثانياً ، يلومه على عدم مجيئه بعد ان أرسل رسالته الأولى ، وانه لم يستلم منه حتى مجرد الرد على هذه الرسالة ، ويعلمه بأنه ان كان قد استمع الى كلام شقيقه الحاج علي بيت المال ، فإن شقيقه هــذا غير متزن وليس لكلامه أية قيمة ، ثم يطلب منه أن يسرع في المجيء اليه لأنه في أشد الحاجة الى مساندته ومساعدته وأخــيراً يطلب منه جمــع البحارة والذين يعرفون استعمال المدافع لكي يستعين بهم على قتال الثوار [2] .

لكن الحاج محمد بيت المال لم يأبه لهذه الرسالة ولم يعرها أي اهتمام

---

١ رسالة علي باشا القرمانلي الى الحاج محمد شلبي بيت المال بتاريخ ٢٧ ربيع الاول سنة ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢ م·) ويوجد اصل هذه الرسالة بدار المحفوظات التاريخيــة بطرابلس الغرب · انظر ملحق الرسالة وثيقة رقم (٥٠) وهذه الرسالة منشورة أيضا في ذيل كتاب ميكاكي ، طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي ، صفحة ٧١ ، جمع كمال الدين الخربوطلي ·

٢ رسالة علي باشا القرمانلي الى الحاج محمد شلبي بيت المال بتاريخ ٢٢ ربيع الثاني سنة ١٢٤٨ هـ· (١٨٣٢ م·) ، ويوجد اصل هذه الرسالة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب · انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم (٥١) ·
وهذه الرسالة منشورة ايضا في نيل كتــاب ميكاكي « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » صفحة ٧٢ و ٧٣ جمع كمال الدين الخربوطلي ·

فلم يطلب من الناس مبايعة علي ولم يرسل اليه ما طلبه منه، وذلك ليقينه بأن ما حملته رسائل علي بيك من كلمات رقيقة وعبارات لطيفة وما أظهره نحوه من محبة كل ذلك لم يكن الا للحصول على تأييده أثناء ازمته ثم بعد استقرار الأمر له يعود الى كراهيته الأولى له ، وذلك لأن الحاج محمد بيت المال كان لا يولي اي فرد من أفراد هذه الأسرة احترامه الا ليوسف باشا وكثيراً ما كان يخالف ما يأمره به خاصة علي بيك، ولهذه الأسباب قرر البقاء في برقة منتظراً ما تسفر عنه الأحداث ثم اظهر ميله الى جانب الثوار مما جعل يوسف باشا نفسه يرسل اليه رسالة بتاريخ ١٠ ذي الحجة سنة ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢ م) ذكره فيها بأنه هو الذي رباه واعتبره مثل أولاده وأسند اليه من المهام ما يليق بمكانته حتى أصبح صاحب الكلمة الأولى لديه ثم يعتب عليه بأنه منذ عشرة أشهر من يوم قيام هذه الفتنة الى الآن لم يستلم منه أي خطاب في الوقت الذي كانت خطاباته تصل الى اناس غيره ، وكان من الواجب عليه ان يرعى حق الأبوة والتربية فلا يتركه في هذه المحنة لأنه لا حياة بعد الأصحاب فضلاً عن الأسياد .

كما يذكره بأن الفرصة لا زالت أمامه لأنه الى الآن لم يحدث منه أي شيء قد يباعد بينهما وبأن مكانته لا زالت كما هي بل ان قدره واحترامه سيكون في ازدياد ، ثم يختم رسالته بقوله [١] :

---

١ رسالة يوسف باشا الى الحاج محمد بيت المال بتاريخ ١٠ ذي الحجة سنة ١٢٤٨ هـ. (١٨٣٢ م.) ويوجد اصل هذه الرسالة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب، انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم (٥٢) .
وهذه الرسالة منشورة ايضا في ذيل كتاب ميكاكي « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » صفحة ٧٤ و ٧٥ ، جمع كمال الدين الخربوطلي .

« وعليك أمان الله ورسوله وامانتا الأمان التام ما تخشى من شيء وخليك [1] من اقاويل الناس ورفعها وحطها [2] راهم ما يخلوا من هو متهمني ، وهذا شيء تعرفه انت بنفسك ما نحتاج يورد لك حاصله [3] ان كنت معترفاً بنعمتي عليك وأملي فيك واحساني عليك فيغيك تقدم علينا في اسرع مدة وتعاونا وتشمل [4] معنا هذه الحملة فإن كن في خير فنحن فيه سواء وان ابيت وتراخيت والا مغيبت [5] ولا خابت الربايـة [6] والأمل فيك نحن ما علينا لوم » .

غير أن مصير هذه الرسالة وما احتوت عليه من كلمات مؤثرة لم يكن بأحسن حظ من رسائل علي بيك فان الحاج محمد شلبي بيت المال قد أهملها . وأخيراً قرر الانضمام الى الثائر، وألح في خصومته حتى أنه بعد أن رجعت برقة الى تبعية طرابلس واعترفت بولاية عـلي بك ، يقرر السفر الى مالطة معلناً عن تأييده للثوار ومن مالطة أخذ يقترض الأموال من المالطين ويشتري بها السلاح والقنابل ويرسلها الى الثوار [7] .

وكان لهذه الأسلحة والذخيرة التي يرسلها الحاج محمد بيت المال الى

---

١ دعـك

٢ القيل والقال ·

٣ الخـلاصة

٤ تحمـل ·

٥ غبـت ·

٦ التربيـة ·

٧ لقد عثرت على وثيقة بتاريخ رجب سنة ١٢٤٩ هـ· (١٨٣٣ م·) وهي عبارة عن اعتراف من الحاج محمد بيت المال لما عليه من ديون لاحد المالطيين واسمه ميكيل انجلو ، وتوجد اصل هذه الرسالة بسجل مخابرات القنصلية الانجليزية سنة ١٨٤٣ ، بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب ، وهي باللغة العربية ، انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم (٥٣) ·

الثوار أثرها الكبير في زيادة وشدة حصارهم لمدينة طرابلس ، ولم تقتصر نيران مدافع الثوار على المدينة بل انهم كانوا يقومون بضرب سفن علي بيك بالمدافع أيضاً .

وكان محمد بيك حينما يقرر ضرب هذه السفن بالمدافع يبادر بارسال رسالة الى قناصل الدول الأوروبية يعلمهم فيها بأنه سوف يضرب سفن علي بيك ويطلب منهم ابعاد السفن التابعة لدولهم عن سفن علي بيك حتى لا تصاب بأي ضرر نتيجة ضربه لسفن علي بلك بالقنابل [١] .

وفي ٧ ديسمبر سنة ١٨٣٣ م . ظهرت أمام مدينة طرابلس ثلاث سفن بقيادة أحد الضباط يدعى متاي « Mattei » وهو من مواليد كورسيكا ، وكانت هذه السفن محملة بالأسلحة والعتاد الحربي ، وبها الحاج محمد بيت المال .

ويذكر لنا المؤرخ كستانزو بيرنا ، ان هذه السفن حاولت القيام بحصار المدينة إلا أن شدة الرياح أجبرتها على الاتجاه نحو المنشية . وحينما علم علي بيك بذلك أصدر أوامره الى بعض سفنه بالاستيلاء على هذه

---

١ أ ـ منشور محمد بك الى قنصل امريكا وبقية القناصل بطرابلس الغرب بتاريخ ٢٢ ربيع الثاني سنة ١٢٤٨ وهي مكتوبة باللغة العربية ويوجد اصل هذه الرسالة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم (٥٤)٠

ب ـ منشور محمد بك الى جميع قناصل الدول الاوروبية ورؤساء السفن الحربية بتاريخ ٣٠ رجب سنة ١٢٤٩ الموافق ١١ ديسمبر ١٨٣٣ ويوجد اصل هذه الرسالة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب، وهذه الرسالة تختلف عن الرسالة السابقة حيث انها كتبت باللغة الايطالية واللغة العربية ومن الجدير بالملاحظة أن اللغة الايطالية هي التي في ناحية اليمين بينما اللغة العربية على ناحية الشمال ، وكان المفروض أن يبدأ بالكتابة باللغة العربية لانها لغة الدولة والشعب التي تحكمه ثم يجعل الترجمة في الناحية المقابلة لها ٠ أنظر ملحق الكتاب وثيقة رقم (٥٥) ٠

وقد نشرت هذه الرسالة أيضا في ذيل كتاب ميكاكي « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ٧٩ ٠ جمع كمال الدين الخربوطلي ٠

السفن ، غير أن هذه السفن استطاعت الوصول الى الثوار وتمكن هؤلاء الثوار من انزال حمولة هذه السفن قبل وصول سفن علي بيك اليها .

وفي أثناء محاولة هذه السفن العودة بعد أن أفرغت حمولتها تصدت لها سفن علي بيك وانتهت المعركة التي حدثت بين هذه السفن باستيلاء سفن علي بيك على احدى سفن العدو بينما استطاعت السفينتان الأخريان الفرار من المعركة بدون أن يصيبهما أي أذى .

وكان لمجيء الحاج محمد بيت المال أو محمد شلبي كما يقال عنه في بعض الأحيان ، أهمية كبيرة بالنسبة للثوار وذلك لما يتمتع به من مكانة سامية بين أفراد الشعب من ناحية ومن ناحية أخرى كان يعتبر زعيم الكولوغولية الذين لا يستطيعون مخالفة أوامره حتى أنهم التفوا جميعاً حوله كأنه القائد الحقيقي للثورة .

ويقول ميكاكي في هذا الصدد ما نصه [1] :

« كان وجود شلبي يساعد الثائرين أكثر من مساعدة الأسلحة والذخائر لهم ، فقد كان للرجل أتباع كثيرون بسلطة واسعة كما كان ذا همة عالية أهلته لأن يصبح الزعيم الحقيقي للثورة» .

وفي الوقت الذي فشل به علي بيك في الحصول على تأييد الحاج محمد بيت المال له ، نجده يظفر بتأييد غومه المحمودي حتى انه حينما أرسل علي بيك أحد اخوته وهو ابراهيم بياك للاستيلاء على الزاوية ، انضم غومه اليه مع عدد من رجال قبيلته ، وبذلك تمكن ابراهيم بيك من الانتصار على قوة الثائر التي زحف بها للدفاع عن مدينة الزاوية في أوائل سنة ١٨٣٣ .

---

١ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ٢٤٧ .

والحقيقة ان استيلاء ابراهيم وغومة على الزاوية لم يكن بالأمر السهل فلقد دافع الثوار عنها دفاعاً مستميتاً وتم استردادها اكثر من مرة ، غير ان هزيمة الثوار في زنزور كانت شديدة لدرجة انهم انسحبوا من المعركة تاركين الزاوية في يد ابراهيم بيك وغومة . وكان من الممكن لابراهيم بك وغومة ان يحققا المزيد من الانتصار لو انهما تعقبا الثوار في اثناء انسحابهم من هذه المعركة،الا ان الذي حدث هو انهما بعد انهزام الثوار وسقوط مدينة الزاوية في ايديهما ، قررا الراحة ثم رجع غومه الى بلده بينما رجع ابراهيم الى طرابلس بدون ان يقوم بأي عمل حربي في اثناء رجوعه ضد هؤلاء الثوار .

لقد كان لهذا الانتصار اثر كبير في تقوية الروح المعنوية لعلي بيك وانصاره ثم ازدادت هذه الروح قوة حينما استطاع غومه اقناع عبد الجليل سيف النصر بالانضمام الى علي بيك نظير تعهد هذا الأخير بتعيينه بيكاً على فزان ، وبعدم مطالبته بضرائب اكثر مما كان يدفعه حكام فزان قبل عهد يوسف باشا وان تتمتع جميع القبائل بما كان لها من اعفاءات وامتيازات وان يغفر لها ما حدث منها نحو والده ، وقد أعرب يوسف باشا عن سعادته لهذا الاتفاق بشكر غومه على مجهوداته واخلاصه له ولأسرته ، كما اعترف الحاج احمد المريض زعيم ترهونة بحكم علي بيك وانضم اليه بعد ان كان من انصار الثائر واشدهم تحمساً له .

ثم اخذ موقف علي بيك في التحسن واخذ انصاره يزدادون بشكل ملحوظ وذلك حينما اعترفت الدولة العثمانية بشرعية حكمه وارسلت اليه فرمان التولية في اواخر ربيع الأول سنة ١٢٥٠ هـ الموافق لسنة

١٨٣٤ م [١] . واحتفلت مدينة طرابلس احتفالاً عظيماً بقدوم هذا الفرمان واطلقت المدافع تحية لهذا اليوم ولبس علي باشا القفطان والسيف هدية السلطان اليه ، وارسلت نسخ من هذا الفرمان الى زعيم الثوار [٢] والى

---

١ Ch. L. Feraud : Annales Tripolitaines » p. 360, 61.

ملاحظة : يذكر لنا احمد النائب في كتابه « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » صفحة ٣٥٤ ، من ان علي باشا قد استلم من السلطان فرمانين احدهما بتاريخ غرة ربيع الاول سنة ٤٩ والثاني في اواسط جماد الاول سنة ٥٠ ، وكذلك يقول بهذا الراي ايضا محمد بهيج بن مصطفى عاشر في كتابه « طرابلس غرب تاريخي » من صفحة ١٢٠ الى صفحة ١٢٢ حيث انه يذكر لنا بأن أول فرمان كان بتاريخ أول ربيع الثاني ١٢٤٩ والثاني كان في ١٣ جماد الاول سنة ١٢٥٠ هـ٠

غير ان الحقيقة هي ان علي باشا قد استلم في سنة ١٢٥٠ من السلطان فرمانين في مرة واحدة ولم يستلمهما على مرتين كما ذكر النائب ومحمد بهيج حيث توجد رسالة بعث بها علي باشا الى السلطان بتاريخ ٢٦ شوال سنة ١٢٥٠ سانشرها في ملحق الكتاب تحت وثيقة رقم ٤٤ وقد جاء في هذه الرسالة قوله :

« وصلتنا السفينة السلطانية وبها كاتب ديوان رئيس البحار سعادة محمد شاكر وقد ارتاحت الناس لمجيئه ووافق على اقتراحنا لتولية الحكم نظرا لعجز والدي عن الحكم ووجهت الينا من العتبة السلطانية رتبة (ميرميران) وتفضل مولانا علاوة على هذه الرتبة فاحسن الينا بسيف وبرنوس وقفطان بالفضة وفرمانين عاليين سلمهم لنا عبدكم » ٠ وهناك سؤال قد يساله البعض ، وهو كيف يرسل السلطان الى علي باشا فرمانين في وقت واحد ؟ والاجابة على هذا السؤال في نظري هي ، ان الفرمان الاول يعلن فيه عزل يوسف باشا او ما نسميه الان بقبول الاستقالة ، والفرمان الثاني يعلن فيه تعيين ابنه علي باشا خلفا له ٠

٢ يلاحظ ان الثائر نفسه كان يضيف الى اسمه لفظ « الباشا » حتى انه من الطريف ان نجده في بعض الاحيان يوقع على رسالة باسم « محمد باشا » بينما خاتمه الذي يعلو هذه الرسالة يحمل اسم « محمد بك » كما يظهر ذلك في الرسالة التي ارسلها جميع القناصل ورؤساء السفن الحربية بتاريخ ٣٠ رجب سنة ١٢٤٩ الموافق ١١ ديسمبر سنة ١٨٣٣ بخصوص بعض المراكب التابعة له والموجودة في مرسى طرابلس٠ وهذه الرسالة او المنشور سوف انشرها في ملحق هذا الكتاب تحت وثيقة رقم ٥٥ ٠ ونظرا لان هذه الصفة الا وهي « الباشوية » لا يحق لاحد استعمالها بصفة رسمية الا بعد حصول صاحبها على فرمان بذلك من السلطان ، فلذلك كنت اضيف لفظ « بك » الى علي في اثناء حديثي عنه في المدة التي قبل وصول فرمان التولية اليه ، اما الثائر فان اسمه سيكون مقرونا بلفظ « البك » فقط كما كان في السابق لعدم اعتراف الدولة العثمانية به ٠ اللهم الا اذا ذكر اسمه بخلاف ذلك في احدى الوثائق فانني سوف ابقي اسمه في الوثيقة كما جاء فيها ٠

بعض زعماء البلاد ، كما سيأتي الحديث عن ذلك اثنـــاء شرحي اوقف الدولة العثمانية من هذه الأحداث .

أما عن موقف بعض القنـــاصل من هذا النزاع ، فانه لكي أعطي صورة واضحة عن موقفهم هذا ، أرى أنه من الأفضل ان نقسم الحديث عن موقفهم الى قسمين : القسم الأول ، سوف نتناول فيه الحديث عن موقفهم قبل مجيء الفرمان بتولية علي باشا ، والقسم الثاني سوف نتناول فيه الحديث عن موقفهم بعد مجيء هذا الفرمان . وذلك لأنهم في أول الأمر وخاصة عندما طلب منهم يوسف باشا اعطـــاء رأيهم في موضوع تغيير الوالي ، أظهر جميع القناصل الذين كانوا آنذاك في المدينة تحفظهم من اعطاء وجهة نظرهم بصراحة حول الاعتراف الرسمي بالوالي الجديد، وقرروا ضرورة الرجوع في ذلك الى حكوماتهم قبل الادلاء برأيهم في هذا الموضوع .

غير أنه بعد ان تنازل يوسف باشا رسمياً لابنه علي عن الحكم، أظهر بعضهم الميل الى علي بيك والبعض الآخر الى محمد بيك ، وكان من أشد القناصل تحمساً للثائر هو القنصل الانكليزي وارنجتون لما بينـه وبين يوسف باشا من عداء شديد حتى اننا نجده بعد رجوعه الى طرابلس في أثناء اشتداد الأزمة بين علي بيك ومحمد بيك ، لم يبق في مدينة طرابلس كعادته من قبل ، بل اتخذ مسكناً له في المنشية بـين الثوار ، واستغل الثوار فرصة وجوده بينهم وأخذوا يترددون عليه من حـين لآخر حتى قويت علاقات الود والصداقة بينهم .

وكان محمد بك ذكياً في طريقة الاستفادة من وجود وارنجتون بينهم فأخذ يعمل على تقوية علاقاته به لدرجة انه كان يسمح له بالصعود على سطح منزله من وقت لآخر لمراقبة تحركات سفن وجند علي بيك ولنشر الذعر في نفوس أنصاره ، وذلك لأنهم حينما يرونه فوق مسكن القنصل لا يشكون في ان انكلترا مؤيد له وانها ستقف معه ضد علي بيك،ولولا

ذلك لما سمح له القنصل بالصعود فوق منزله ليتخذه مكاناً لمراقبتهم ومراقبة تحركاتهم .

ويذكر لنا المؤرخ شارل فيرو، بأنه كان من الممكن ضرب محمد بيك بواسطة المدافع أثناء صعوده فوق سطح منـزل القنصل إلا ان علي بيك رفض ذلك خوفاً من غضب القنصل الانكليزي ، فضيع بذلك على نفسه فرصة التخلص من عدو خطير [١] .

وكذلك كان القنصل الأمريكي من بين القناصل الذين كانوا يؤيدون الثائر حتى انه اتخذ من مقتل ترجمانه فرصة لاعلان تأييده للثائر . فأنزل علم بلاده من فوق مقر القنصلية واتخذ مسكناً له في المنشية وسط الثوار واستمر هناك إلى ان وصلت فرقة بحرية أمريكية إلى طرابلس لم يوافق قائدها على مسلك هذا القنصل فأمره بالسفر معه وعهد إلى قنصل سردينيا برعاية مصالح الحكومة الأمريكيـة إلى حـين مجيء القنصل الجديد سنة ١٨٣٢ [٢] .

وفي الوقت الذي كان فيه القنصل الانكليزي والأمريكي يؤيدان الثائر علانية نجد ان القنصل الفرنسي « شوبيل » يؤيد علي بيك، بـل ويقوم بزيارته علناً حتى انه حينما انتصر ابراهيم بيك وغومه في سنة ١٨٣٣ على الثائر في موقعة زنزور ورجع غومه إلى أهله، رأى أن ينتهز فرصة هذا الانتصار فيقوم بدور الوساطة بين علي بيك والثائر بناء على أوامر حكومته اليه بذلك .

فاتصل بعلي بيك وتباحث معه في هذا الموضوع واستطاع الاتفاق معه على عدة نقاط لانهاء القتال وارجاع الأمن الى ربوع البلاد ، ثم أرسل هذا القنصل رسائل بتاريخ ١٢ ابريل سنة ١٨٣٣ الى غومه والى مشائخ

---

١ Ch. L. Feraud : « Annales Tripolitaines » : p. 354-55.

٢ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ .

الساحل والمنشية يعرض عليهم وساطته في السلام وأرفق مع رسائله هذه عــدة شروط وطلب منهم العمل على اقناع محمد بيك بالموافقة عليها ليتحقق السلام والأمن في البـلاد ، كما أعلمهم بأن علي بيك قـد وافق على هذه الشروط وان القنصلية الفرنسية ضامنة لعلي بيك في تنفيذ هـذه الشروط [1] .

ومما يلفت النظر في هذه الرسائل هو ان القنصل الفرنسي ختم رسالته الى غومه بقوله :

« ... حتى وان كانت هذه الشروط غير كافية فاننـا نأمل ان تنتهي هذه الحرب المخربة لهذه البلد دون ان نضطر الى استعمال السلاح » .

وفي الوقت الذي نجد فيه أن القنصل يهدد غومه بأن الحكومة الفرنسية سوف تساعد علي في حربه ضد الثائر فاننا لا نجده يستعمل اسلوب هذا التهديد في بقية رسائله الى شيوخ الساحل والمنشية [2] .

ولعل السبب في ذلك يرجع الى قوة غومه وكثرة اتباعه ، وخوف القنصل الفرنسي من انضمام غومه الى الثائر فتزداد الازمة تعقيداً ، فأراد بهذا التهديد أن يمنعه من الانضمام الى الثـائر وذلك حينما يعلم ان فرنسا تؤيد علي بيك وانها سوف تدخل معه الحرب لاخضاع الثوار اذا رفضوا هذه الوساطة .

---

١ ترجمة رسالة قنصل فرنسا العام الى الشيخ غومه المحمودي بتاريخ ١٢ ابريل سنة ١٨٣٣ ، ويوجد اصل هذه الرسالة بملف القنصلية الفرنسية لسنة ١٨٣٣ ، بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب وهذا الاصل كتب باللغة الفرنسية ولا أدري بأي لغة كتب القنصل رسالته التي ارسلها الى غومه وبقية شيوخ الساحل والمنشية . انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٥٦ .

٢ ترجمة قنصل فرنسا العام الى شيوخ الساحل والمنشية بتاريخ ١٢ ابريل ١٨٣٣ ، ويوجد أصل هذه الرسالة بملف القنصلية الفرنسية لسنة ١٨٣٣ ، بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب ، وهذا الاصل كتب باللغة الفرنسية ـ انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٥٧ .

أما عن الشروط التي تحدث عنها القنصل في رسالته والتي اتفق عليها مع علي بيك وجعلها أساساً لاقرار السلام فهي :

لما كانت الثورة التي بين سيدي علي [1] واهالي الساحل والمنشية لم تكن في أساسها قائمة ضده شخصياً ، وانما نتيجة زعل ، فبناء على ذلك قبل الشروط الآتية لارجاع السلام .

الشرط الأول : نسيان ما حدث واصدار العفو العام عن جميع الأشخاص الذين اشتركوا في الثورة ضد يوسف باشا حين حدوثها كما تعهد بعدم معاقبتهم وذلك تحت ضمان القنصل العام [2] .

الشرط الثاني [3] : يتعهد علي بيك بدفع معاش سنوي لأبناء أخيه محمد وأحمد القرمانلي ويضمن تمتعهما بأملاكهما الخاصة بشرط أن ينتقلا ويقيما في مصر أو تونس .

الشرط الثالث : يتعهد علي باشا بالابقاء على الامتيازات والاعفاءات التي كان يتمتع بها أهالي الساحل والمنشية في أيام والده على شرط أن يقوموا جميعاً بالواجبات التي كانوا ملزمين بأدائها من قبل .

---

١ لقد اطلق هذا القنصل لفظ الباشا على علي بك القرمانلي قبل أن يحصل على فرمان التولية من السلطان باقراره واليا على البلاد .

٢ لقد اغفل ميكاكي في كتابه « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » صفحة ٢٤٤ ، ذكر موضوع ضمان القنصل الفرنسي لعلي بك في تنفيذ هذه الشروط ، حيث انه لم يذكر في الشرط الاول كما ورد في الرسالة الاصلية .

٣ اقتصر ميكاكي في كتابه السابق على ذكر أربعة شروط فقط بدلا من الخمسة كما ورد ذلك في الرسالة الاصلية ، وبذلك نجد ان الشرط الرابع المذكور اعلاه لم يتحدث عنه ميكاكي .

الشرط الرابع [1] : يتعهد علي باشا بأن يعامل الأهالي بالعدل حسب الشريعة الاسلامية وبدون أية تفرقة أو محاباه .

الشرط الخامس : يتعهد أهالي الساحل بأن يعترفوا بحكم علي باشا وان يقدموا له فروض الطاعة والولاء .

ثم ختم القنصل هذه الشروط بقوله :

« وأنا قنصل فرنسا العام لعلي يقين بأن هذه الشروط المبينة أعلاه سوف تنال القبول وان ينفذها سيدي علي تحت الضمان الموضح أعلاه » .

غير أن هذه الشروط لم تقبل من جماعة الثوار وخاصة من محمد بيك وبذلك فقد فشلت مجهودات القنصل الفرنسي من أجل اقرار السلام ، واستمرت غارات الثوار على المدينة تتجدد من وقت لآخر .

كان هذا هو موقف بعض القناصل من هذا النزاع قبل مجيء فرمان التولية لعلي القرمانلي من السلطان العثماني أي قبل سنة ١٨٣٤ .

أما بعد ان اعترفت الدولة العثمانية بشرعية حكم علي باشا وارسلت اليه فرمان التولية سنة ١٨٣٤ ، فقد اعترف جميع القناصل بحكم علي باشا بناء على تعليمات حكوماتهم اليهم بذلك ، كما انهم جميعاً قد تشرفوا بالمثول بين يديه لتقديم التهاني مشفوعة باعتراف حكوماتهم به .

---

١ نظرا لقدم الورقة التي جاء بها هذا الشرط فانني لم اتمكن من قراءة كل الاسطر التي يشملها هذا الشرط ، فلذلك رجعت الى كتاب ميكاكي « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » صفحة ٢٤٤ ، لانقل منه هذا الشرط · غير انه يلاحظ ان ميكاكي في اثناء ترجمته لهذه الشروط قد غير كلمة « الباشا » التي كان يستعملها القنصل للدلالة على شخصية القرمانلي الى كلمة « بك » كما يظهر ذلك في الشرط الثاني الذي نقلته منه ·

غير أن وارنجتون بالرغم من اعترافه الرسمي بحكم علي باشا إلا أنه لم يعد الى مسكنه بمدينة طرابلس بل بقي بين الثوار يشجعهم على استمرار المقاومة ويعدهم بالمساعدات المادية حتى اننا نجد أن علي باشا شكا من وارنجتون ومن سلوكه الغريب ومساعدتـه للثوار وذلك في الرسالة التي أرسلها الى السلطان العثماني بتاريخ ٢٦ شوال سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م).

ففي هذه الرسالة تحدث علي باشا الى السلطان عن تطورات الثورة وعن استمرار الثوار في حصارهم لمدينة طرابلس،وان القنصل الانكليزي وارنجتون يقف بجانب الثوار يشجعهم ويساعدهم في ذلك ، وانه بالرغم من وصول محمد شاكر أفندي ومعه فرمان التولية واتصاله بالثوار وحثهم على الرجوع الى الطاعة ، فانهم استمروا في ثورتهم ولم يمتثلوا للاوامر العلية . ثم تحدث له مرة ثانية عن دور القنصل الانكليزي في هذه الثورة، فنجده يخبر السلطان بأن القنصل الانكليزي بالرغم من أنه تعهد بعدم مساعدة الثوار بعد مجيء محمد شاكر الا أنه لا يزال على حالته الأولى ولم ينفذ ما تعهد بـه . وأخيراً يطلب علي باشا من السلطان في هذه الرسالة ان يفكر في حل لهذه المسألة ، لأنـه ليس من المعقول ان تبقى على حالتها الراهنة [١] .

ولم يكن القنصل الانكليزي وحده يقف بجانب الثوار ويساعدهم ويشجعهم على الاستمرار في ثورتهم ، بل نجد ان التقرير الذي أرسله محمد شاكر الى السلطان سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) يؤكد لنا من ناحية تأييد القنصل الانكليزي للثوار ومن ناحية اخرى يذكر لنا بأن رجب

---

١ صورة لرسالة علي باشا الى السلطان بخصوص ثورة محمد بك القرمانلي ودور القنصل الانجليزي فيها ، رقم ٦ ٢٢٤٤٦ بتاريخ ٢٦ شوال سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) من وثائق رئاسة الوزارة التركية وتوجد صورة هذه الرسالة الان بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب ، وهي باللغة التركية وقد ترجمها لـي الحاج محمد الاسطى ـ انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٤٤ .

الجربي وهو قنصل تونس في طرابلس ، كان أيضاً يؤيد الثوار ويقف بجانبهم ويؤكـــد لهم بأن حكومته لن تساعد علي باشا بأي حال من الأحوال [1] .

كما أن ميكاكي يذهب إلى أبعد من ذلك فيقول [2] :

« إذ عندما عاد شاكر أفندي إلى القسطنطينية تقـــدم بتقرير عن مهمته وصل اليها مندوب من قبـــل حسين بيك رئيس حكومة نيابة تونس ليطلب من البـاب العـــالي تولية وريث مصطفى القرمانلي [3] لرياسة طرابلس الغرب،وفي شهر فبراير وصل شاكر أفندي إلى تونس واخبر حسين بيك بالشروط التي يقبل بها السلطان اجابة طلبه ، وهي دفع مبلغ كبير في الحال واعادة دفع الجزية السنوية التي كانت حكومة نيابـــة طرابلس الغرب تدفعها فيما مضى للباب العالي وقد بدأت هذه الشروط مرهقة للغاية ولذلك لم يكن من المستطاع الوصول إلى اتفاق » .

أما القنصل الفرنسي شوبيل فإنه استمر كعادته يقف في جانب علي باشا وكان يتضايق من تصرفات القنصل الانكليزي وارنجتون ويسعى إلى

---

١ صورة التقرير الذي أرسله محمد شاكر الى السلطـــان حول الاوضاع الداخليـة في ايالة طرابلس ، رقم د ٢٢٤٨٧ سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) من وثائق رئـاسة الوزارة التركية ، وهذا التقرير باللغة التركية وقد ترجمه لي الحاج محمد الامطى ، انظر ملحق الرسالة وثيقة رقم ٤٥ ·

٢ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ٢٤٨ ، ص ٢٤٩ نقلا عن خطاب القنصل شوبيل قنصل فرنسا في طرابلس بتاريخ ٣٠ مارس سنة ١٨٣٤ ·

٣ مصطفى القرمانلي ، كان قد قام بثورة ضد علي باشا القرمانلي والد يوسف باشا سنة ١٧٦٠ ، وحينما فشل في ثورته هرب الى تونس ·
ولم يكتف بفشله الاول بل نجده يحاول مرة ثانية ان يجمع له العديد من الانصار لكي يقوم بثورة جديدة غير ان محاولاته قد باءت بالفشل ·

اقناعه بضرورة التعاون من أجل تحقيق السلام في البلاد ، وأخيراً وعندما فشلت محاولاته هذه اتصل بحكومته شارحاً لها المتاعب التي يواجهها من وارنجتون ويرجوها اقنـــاع انكلترا بضرورة اصدار تعليماتها إلى قنصلها لكي يغير من سلوكه الذي أصبح مثار قلق بالنسبة لجميـــع القناصل ، وخاصة بعد اعتراف الدولة العثمانية رسمياً بشرعية حكم علي باشا وأرسلت اليه فرمان التولية .

والظاهر أنه حدث شيء من التغيير في السياسة الانكليزية ازاء علي باشا ، اذ أنها أصدرت أوامرها إلى قنصلها بالرجوع إلى مدينة طرابلس وبرفع علم بلاده على مقر القنصلية بعد ان كان يرفعه فوق منزله بالمنشية بين الثوار ، إلا ان ميكاكي يحدثنا بأن وارنجتون على الرغم من رجوعه إلى المدينة فإنه ترك ابنه في المنشية واحتفظ بعلاقات قوية مع الثوار [1] .

كما حاول وارنجتون أن يكون لرجوعه هذا ثمنـــاً يرضي غروره ، وكان هذا الثمن هو رغبته في فرض سيطرته من جديد على علي باشا الذي كان مسيراً حسب توجيهات القنصل الفرنسي شوبيل . وكانت رغبة وارنجتون هذه سبباً في زيادة التوتر في العلاقات بينه وبين القنصل الفرنسي وأخذ هذا التوتر يزداد يوماً بعد يوم ، وحينما علمت الحكومة الفرنسية بتطورات هذا النزاع اقترحت على الحكومـة الانكليزيـــة نقل كل من وارنجتون وشوبيل لانهاء هذه المشاكل .

وفعلاً نفذت الحكومة الفرنسية من جانبها هذا الاقتراح ، فأصدرت تعليماتها إلى قنصلها شوبيل بمغادرة طرابلس إلى تونس ، وعينت قنصلاً جديداً إلا وهو دي بوربولون الذي وصل الى طرابلس في ١٩يناير سنة ١٨٣٥ .

غير أن انكلترا لم تنفذ هي الأخرى هذا الاقتراح اذ بقي قنصلهـــا

---

١ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ٢٥٦ .

وارنجتون في مكانه ، وان كان يبدو انها أصدرت اليه تعليمات مشددة بترك تأييد الثوار والتزام الحياد ازاء هذا النزاع . حيث انه توجد وثيقة وهي عبارة عن احتجاج من بعض قناصل الدول الاوروبية موجه الى كل من علي باشا ومحمد بيك بتاريخ ١٤ مارس سنة ١٨٣٥ ، وكان وارنجتون من بين الموقعين على هذا الاحتجاج في حين ان القنصل الفرنسي لم يكن من ضمن الموقعين عليه .

ويرجع سبب ذلك في اعتقادي الى عدم اخبار القنصل الفرنسي بأمر هذا الاحتجاج لأن وارنجتون أراد أن يجعل علي باشا يتشكك في موقف القنصل الفرنسي من ناحية ومن ناحية أخرى أن يبين له وقوفه على الحياد من هذا النزاع وان كان في نفس الوقت يميل الى تأييده هو ، وذلك بدليل ان صيغة هذا الاحتجاج كانت موجهة الى الثوار أكثر منها اليه هو ، على أمل ان ينال بذلك التقرب منه وبالتالي السيطرة على شخصيته وتوجيهها حسبما يراه ، وخاصة انه بدأ في النزاع من جديد مع القنصل الفرنسي دي بوربولون حول هذا الموضوع .

أما عن أهم ما جاء في هذا الانذار ، فهو ان القناصل قد أعربوا عن قلقهم ازاء هذه الحرب وخاصة ان حيادهم ازاء الاطراف المتنازعة لم يجعلهم في سلام وذلك لأن مدافع الثوار قد أصابت بعض القنصليات وبعض المنازل التي يسكنها الأجانب ، ثم أعربوا عن رغبتهم الأكيدة في رجوع الهدوء والأمن والسلام الى ربوع البلاد وانهم سعياً وراء تحقيق ذلك ينذرون الأطراف المتنازعة بوقف القتال والا فإن دولهم سوف ترسل أساطيلها إلى طرابلس لوقف هذه الحرب بالقوة [1] .

---

١ ترجمة انذار من قناصل الدول الاوروبية بطرابلس الى المتحاربين بضرورة وقف القتال بتاريخ ١٤ مارس سنة ١٨٣٥ ، وتوجد صورة هذا الانذار لدى الاستاذ علي الفقيه حسن بطرابلس ، وهو باللغة الايطالية انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٥٨ . وهذا الانذار قد نشر ايضا في ذيل كتاب ميكاكي « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ٨٠ ، ٨١ ، جمع كمال الدين الخربوطلي .

وكما سبق القول فإن وارنجتون كان أول القناصل الذين وقعوا على هذا الانذار،وفي اعتقادي ان هذا التغير الذي طرأ على سياسة وارنجتون كان نتيجة لضغط حكومته عليه ، وذلك ليقينها من ناحية بفشل ثورة محمد بيك ، حيث انه طوال هذه المدة لم يتمكن من احتلال مدينة طرابلس ، ومن ناحية أخرى لكثرة اتهام قنصلها في احداث الفتن وتشجيع الثوار على التمادي في ثورتهم سواء أكانت هذه الاتهامات صادرة من فرنسا أو من علي باشا أو من مندوب السلطان نفسه وهو محمد شاكر أفندي فأرادت عن طريق ايعازها لقنصلها بتدبير هذا الانذار ان تظهر قنصلها أمام السلطان بمظهر المحايد وبأن ما قيل في حقه مجرد افتراء لا أساس له من الصحة .

موقف الدولة العثمانية من هذا النزاع

لقد كان السلطان محمود الثاني منذ ان تولى حكم الدولة العثمانية (١٨٠٨ - ١٨٣٩) يعمل على اعادة تنظيم الدولة العثمانية داخلياً مع العمل على تقوية سيطرتها على الولايات التابعة لها ، فقد سبق ورأينا كيف انه تخلص من الانكشارية في يونيو سنة ١٨٢٦ ، بعد أن ثبت له فسادها وعرقلتها لحركة الاصلاح في الجيش العثماني ، لينطلق بحرية في عملية هذا الاصلاح ، وذلك بانشاء جيش عثماني جديد يقوم على النمط الاوروبي الحديث في تكوين الجيوش وتنظيمها وتسليحها .

وكما شهد عصر السلطان محمود الثاني عملية هذا الاصلاح فانه شهد أيضاً الكثير من الأحداث الهامة ، منها محاولة الحكومة الفرنسية الاتفاق مع محمد علي باشا على احتلال ايالات الشمال الافريقي ثم فشل هذا

الاتفاق للاسباب التي سبق ذكرها عند الحديث عن علاقة يوسف باشا بالايالات الاسلامية المجاورة له . ثم احتلال فرنسا للجزائر بمفردها سنة ١٨٣٠ وكذلك شهد عهده ثورة اليونان سنة ١٨٢٢ من أجل الحصول على استقلالهم من الدولة العثمانية ، تلك الثورة التي سبق وتحدثت عنها في أثناء حديثي عن النظام البحري في العهد القرمانلي . وكما فقد السلطان محمود الثاني ايالة الجزائر ، فانه فقد أيضاً اليونان حيث نالت استقلالها سنة ١٨٣٢ نتيجة لتطورات ثورة سنة ١٨٢٢ .

ولهذه الأسباب التي سبق ذكرها نجد ان تطورات الأحداث السياسية في ايالة طرابلس الغرب قد أثرت في نفس السلطان محمود الثاني تأثيراً كبيراً ، فمن أول يوم استلم فيه رسالة يوسف باشا التي أعلمه فيها بقيام الثورة وبتنازله عن الحكم لابنه علي ، وهو يتابع باهتمام شديد تطورات هذه الاحداث .

فقد أرسل أول الأمر أحد الذين يثق فيهم وهو محمد شاكر أفندي الى طرابلس ليطلع على الامور بنفسه ثم يعطي رأيه في طلب يوسف باشا الذي تقدم به اليه يرجوه فيه الموافقة على اقرار ابنه علي والياً على الايالة خلفاً له .

وفي يوم ٢٨ اغسطس سنة ١٨٣٣ وصل هذا المندوب إلى مدينة طرابلس وقابله يوسف باشا وابنه علي ، وقد أطلعاه على تطورات الأزمة وحاول يوسف باشا اقناعه بفكرة اسناد الحكم إلى ابنه كما رجاه ان يبذل جهده لاقناع الثوار بالعدول عن ثورتهم .

وفعلاً حاول محمد شاكر التوفيق بين علي بيك والثوار الا ان مساعيه لم تنجح لاصرار الثوار على ثورتهم وعلى ان يكون محمد بيك هو الوالي الفعلي للبلاد .

وبعد أن مكث محمد شاكر مدة قصيرة في البلاد قرر الرجوع من حيث أتى وكان ذلك في ٥ ديسمبر سنة ١٨٣٣ .

والظاهر أن يوسف باشا عرف كيف يقنعه بفكرة اسناد الحكم إلى ابنه حيث نجده يرجع في أغسطس سنة ١٨٣٤ ،حاملاً معه فرمان التولية لعلي باشا ، واحتفلت مدينة طرابلس بهذا الفرمان احتفالاً كبيراً وارسلت منه نسخاً إلى الثائر وبعض زعماء البلاد وكان من ضمن هؤلاء الزعماء غومه المحمودي والحاج أحمد المريض زعيم ترهونة كما أرسل السلطان اليهما خلعة كهدية لتأييدهم لعلي باشا ضد الثائر [١] .

وبالرغم من تأثير مجيء هذا الفرمان على بعض أتباع الثائر حتى انهم أعلنوا عن رغبتهم في الاعتراف بحكم علي باشا ، الا ان الثائر نفسه مع بعض المؤيدين له من سكان الساحل والمنشية قرروا الاستمرار في ثورتهم يؤيدهم ويشجعهم على ذلك القنصل الانكليزي ، كما وأشرت إلى ذلك في الرسالة التي أرسلها علي باشا الى السلطان بتاريخ ٢٦ شوال ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤) [٢] .

كما حاول محمد شاكر من جانبه اقناع هؤلاء الثوار بالخضوع لأوامر السلطان إلا أنهم صمموا على تحقيق مطالبهم ألا وهي تنازل علي باشا عن حكم البلاد ، وعندئذ اتفق محمد شاكر مع علي باشا باعطائهم مدة ستة أيام للتشاور فيما بينهم فاذا انتهت هذه المدة ولم يخضعوا لأوامر السلطان فانهم سوف يعدون من الخارجين عن طاعته .

وحينما لم يؤد هذا الانذار الى فائدة أعلن محمد شاكر حصار الشاطىء الشرقي الذي يمتد من أسوار القلعة الى رأس تاجوراء ، وأعلم قناصل الدول بذلك لكي يمنعوا سفنهم من الاتصال بالثوار وامدادهم بما يحتاجون اليه ، فوافقوا جميعاً على ذلك ، عدا القنصل الانكليزي ، كما أكد

---

١ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي » ص ٢٥٢ .
٢ رسالة علي باشا الى السلطان رقم ١ ــ ٢٢٤٤٦ بتاريخ ٢٦ شوال سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) ــ انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٤٤ .

ذلك محمد شاكر في تقريره الذي أرسله الى السلطان سنة ١٢٥٠ هجرية (١٨٣٤ م) ، حيث جاء في هذا التقرير اعتراف محمد شاكر بعجز علي باشا عن اخماد الثورة ، وبأنه وان كان في حاجة شديدة الى الجند والسفن للقضاء على هذه الثورة إلا أنه لا يرغب في دخول أي جند الى بلاده ، وذلك لخوفه من ان ترسل الدولة العثمانية أي قوة بحجة مساعدته ثم تعمل هذه القوة على الاستيلاء على الحكم منه .

وحينما وصل محمد شاكر في حديثه الى موضوع الحصار البحري ذكر بأنه قد اتفق مع علي باشا على أن تقوم بعض السفن التابعة للاسطول العثماني بعملية حصار الساحل الشرقي لمدينة طرابلس لمنع وصول المساعدات الى الثوار ، وان هذا الحصار لم يعارضه الا القنصل الانكليزي [1] .

وهناك ملاحظة أحب ان اشير اليها في أثناء حديثي عن دور محمد شاكر في هذه الوساطة بين الثوار وعلي باشا ، وهي ان بعض المؤرخين يرون ان محمد شاكر أو شاكر أفندي لم يجتمع بالثوار لعدم مجيئهم في الميعاد الذي حدد للاجتماع بهم ، ومن هؤلاء المؤرخين الذين ذكروا ذلك صراحة ميكاكي ، اذ نجده يقول [2] :

« وتوجه فعلاً في اليوم التالي – يعني محمد شاكر – برفقة حرس من الجنود النظاميين من الأتراك إلى ميدان سوق الثلاثاء حيث أقام معسكره ولكن لم يحضر أحد – يعني الثوار – وبعد انتظار دام ساعتين دون جدوى وصله خطاب يرجوه فيه رؤساء الثوار أن يتوجه اليهم في مسجد خليل باشا في الظهرة ، فعاد إلى المدينة ، حيث وصله خطاب موقع عليه

---

١ تقرير محمد شاكر الى السلطان العثماني حول الاوضاع الداخلية في ايالة طرابلس رقم د – ٢٢٤٨٧ سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) – انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٤٥ .

٢ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ٢٥٥ .

من الزعماء والأعيان الذين رغم ما أظهروه من ولاء للبـاب العالي ، قد صرحوا بعدم رغبتهم في الاعتراف بعلي القرمانلي كحاكم عليهـم ورجوا شاكر أفندي في تأييد الأمـير الذي يختارونه » .

وفي الوقت الذي يذكر فيه ميكاكي ذلك نجد ان البعض الآخر من المؤرخين مثل أحمد النائب يذكر لنا خلاف ذلك حيث يقول [1] :

« ثم ذهب الى الثـائرين – يعني محمد شاكر – واستقدم أعيانهم ومحضهم النصح واجتهـد في اصلاح ذات البين ، فأجابوه بأن هذه الحروب والفتن الأهلية أبادت قواهم وشتتت شملهم .. وانسلبت أمنيتهم في هؤلاء العائلة واسترحموا انقاذهم من قبضة ظلمهم ... وقدموا له عرضاً عمومياً بـذلك فأخذه ووعدهم بالجميل ورجع الى المدينة » .

كما نجد ان محمد بهيج الدين يؤكد لنا ما قاله أحمد النائب في نصه السابق وذلك بقوله [2] .

« خرج محمد شاكر الى السوق للاجتماع بالثـوار ولاقناعهم بالعدول عن ثورتهم ولكن الثوار قابلـوه بالترحيب وأعلموه بأنهم لا يعصون الدولة السنية وانهم في سبيلها يضحون بأرواحهم ولكنهم غير راضين بحكم أحد من هذه السلالة على الاطلاق، وكتبوا عريضة سرية بذلك موقعة منهم وسلموها الى محمـد شاكر أفندي ورجع الى طرابلس » .

---

١ احمد النائب : « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ص ٣٥٥ .

٢ محمد بهيج الدين بن مصطفى عاشر : « طرابلس غرب تاريخي » من ص ١٢٠ الى ص ١٢٢ .

وبمقارنة هذه النصوص الثلاثة بعضها بالبعض الآخر تتضح لنا منها الملاحظات الآتية :

أولاً : اختلف ميكاكي مع كل من أحمد النائب ومحمد بهيج في مسألة اجتماع محمد شاكر بالثوار .

ثانياً : اختلف ميكاكي مع كل من أحمد النائب ومحمد بهيج في موضوع تحديد من يكون الحاكم الذي عينه الثوار في عريضتهم. ففي حين يفهم من كلام ميكاكي ان الثوار يرغبون في حكم محمد بيك ، نجد ان أحمد النائب ومحمد بهيج يقولان بأن الثوار طلبوا ابعاد هذه الاسرة بتاتاً عن الحكم .

ثالثاً : اتفق هؤلاء المؤرخون جميعاً على ان الثوار قدموا له أي لمحمد شاكر عريضة بمطالبهم وهو موجود في ايالة طرابلس سواء أكان وجوده كما قال ميكاكي بنفس مدينة طرابلس أو كان خارج أسوار المدينة وبين الثوار كما قال النائب ومحمد بهيج .

غير انه بالرجوع الى الوثائق الأصلية يتضح لنا منها فيما يختص بالنقطة الأولى من الملاحظات السابقة ، ان محمد شاكر قد اجتمع بالثوار على عكس ما قال به ميكاكي ، اذ انه بالرجوع إلى الرسالة السابقة التي أرسلها علي باشا إلى السلطان بتاريخ ٢٦ شوال سنة ١٢٥٧ نجده يقول[١] :

« وان أوامركم السامية ترجمت إلى اللغة العربية وحملها عبدكم محمد شاكر للطائفة المذكورة لكي يرجعوا إلى الطاعة ، كما

---

١ رسالة علي باشا الى السلطان رقم ١ ـ ٦ ٢٢٤٤ بتاريخ ٢٦ شوال سنة ١٢٥٠ هـ. (١٨٣٤ م.) . انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٤٤ .

نصحهم شفوياً ولم يقصر في مهمته ، وحيث ان هذا الجمهور من أرباب الشر والفساد فإنهم لم يعتبروا الأوامر السامية ولا مراسيم أمير البحار » .

كما يؤكد صحة هذا الاجتماع ما جاء في تقرير محمد شاكر إلى السلطان سنة ١٢٥٧ والذي سبق ذكره،اذ بالرجوع اليه نجده يقول [١] :

« لقد وصلت إلى طرابلس حسب الأوامر العلية وبلغت كل شيء كما اتصلت بجماعة المخالفين ولكنهم لم يرجعوا عما هم عليه » .

أما فيما يختص بالنقطة الثانية من الملاحظات التي على النصوص السابقة فانه بالرجوع الى الرسالة التي أرسلها الثوار الى السلطان العثماني عن طريق باي تونس بتاريخ ١٨ شعبان سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) فانه يتضح لنا منها ان الثوار لم يطلبوا من السلطان ابعاد جميع أفراد الاسرة القرمانلية عن الحكم كما ذكر ذلك أحمد النائب ومحمد بهيج الدين ، وانما نجدهم قد تحدثوا في رسالتهم عن ثورتهم على يوسف باشا ومناداتهم بمحمد بيك والياً على البلاد ، وذلك لأن يوسف قد ظلم الفقراء والضعفاء وأثقل كاهل المواطنين بالضرائب .

ثم عبروا له عن دهشتهم لعودة محمد شاكر من أجل التوفيق بينهم وبين علي باشا في الوقت الذي كانوا يعتقدون فيه بأن عودته كانت من أجل ان يعلمهم باستجابة السلطان لمطلبهم ، ويفهم من هذه الرسالة ان مطلبهم كان تعيين محمد بيك والياً على البلاد كما قال بذلك ميكاكي .

---

١ تقرير محمد شاكر الى السلطان حول الاوضاع الداخلية في ايالة طرابلس ، رقم د ـ ـ ٢٢٤٨٧ سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) ـ انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٤٥ .

ثم ختموا رسالتهم بالتعبير عن ولائهم للسلطان العثماني وعن عـــدم اعترافهم بحكم عــلي باشا لأن الاعتراف به على حد قولهم لا ترضاه النساء ولا الأطفال فما بالـكم بالرجال ، وانهم ما قاموا بالثورة الا محافظة على أرواحهم وعلى البلاد من الهلاك [1] .

وفيما يلي نص ما قيل في هذا الصدد :

« ... غير أنه بعد وقوع حرب دامت ثلاث سنوات بيننا وبين يوسف باشا وابنه عــلي ازهقت فيها الأرواح واتلفت فيها الأموال نكلف بأن نقبل ولاية علي بيك [2] كان خلاف مأمولنا وليس بخاف ان أمراً كهذا لا تقبله النساء والصبيان فما بالـكم بالرجال وحاشا ثم حاشا أن يفهم من رأينا هذا ان معناه عدم الطاعة لأوامر أولي الأمر فهو ليس الا للأسباب التي سردناها أعلاه والتي لا توافق رضاءكم العالي ، وما فعلناه من قبيل الدفاع لحفظ البلاد والأرواح من الهلاك ورغبة منا في اظهار حقيقة الكيفية وصحتها ... » .

يتضح لنا مما سبق عدم توفيق محمد شاكر في مهمته التي أكثر من أجلها المجيء إلى طرابلس ، فبالرغم من كثرة محاولاته لاقنـــاع الثوار بالامتثال لأوامر السلطان وتوجيهات وارشادات رئيس البحار الخاصة بحملهم على الاعتراف بشرعية حكم علي باشا ، إلا اننا نجد ان الثوار يستمرون

---

١ رسالة من الثوار الى السلطان محمود الثاني ، وهي صورة من وثائق رئـاسة الوزارة التركية وقد ترجمها الى اللغة العربية الحاج محمد الاسطى – ويوجد اصلها بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب . انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٥٩ وهذه الرسالة منشورة ايضا في ذيل كتاب ميكاكـي « طرابلس الغرب تحت حكـم اسرة القرمانلي » ص ٨٢،٨٣ جمع كمال الدين الخربوطلي .

٢ يلاحظ ان الثوار يضيفون لقب بك بدلا من لقب باشا الى اسم علي القرمانلي وذلك لعدم اعترافهم بولايته على البلاد بالرغم من وصول فرمان التولية اليه .

في ثورتهم ولم تزدهم هذه المحاولات الا تصميماً على تحقيق مطالبهم التي كانت تنحصر في الاطاحة بحكم علي باشا وتعيين قائد ثورتهم خلفاً له .

وازاء هذا الاصرار من جانب الثوار قرر محمد شاكر الرجوع إلى بلاده في ٣٠ ديسمبر سنة ١٧٣٤ ، حاملاً معه إلى السلطان رسالة علي باشا وكذلك رسالة الثوار التي استلمها من باي تونس والتي سبق ذكرها.

وحينما وصل الى القسطنطينية اجتمع بالصدر الأعظم أو رئيس وزراء الدولة العثمانية وأطلعه على الرسالتين وشرح له ظروف الحالة السياسية الراهنة في ايالة طرابلس ، وبعد الانتهاء من هذا الاجتماع كتب محمد شاكر تقريراً بكل ظروف الازمة وتطوراتها على النحو الذي سبقت الاشارة اليه [1] وأرفق هذا التقرير مع الرسالتين وقدمه الى السلطان العثماني لأخذ رأيه فيما يجب القيام به من عمل لانهاء هذه الأزمة التي استفحل أمرها.

وعندما اطلع السلطان على تطورات الموقف في ايالة طرابلس وألم بكل جوانب المشكلة وذلك عن طريق مباحثاته مع الصدر الأعظم وكذلك من الرسائل التي وصلت اليه من يوسف باشا وابنه علي باشا ومن قائد الثوار ومن الثوار أنفسهم بالاضافة الى التقريرات التي قدمها اليه قائد الاسطول ومحمد شاكر الذي عاش فترة من الزمن بين هذه الاحداث ، رأى السلطان ان يترك أمر التصرف الى الصدر الأعظم لاتخاذ ما يراه مناسباً لارجاع الأمن والسلام إلى ربوع البلاد .

وعلى الفور عقد الصدر الأعظم اجتماعاً ضم العديد من كبار رجال الدولة العثمانية لمناقشة هذه الأزمة وللاتفاق على خطة معينة ازاء هذه الأحداث ، وبعد نقاش طويل قرر المجتمعون ضرورة القيام بعمل حاسم يعيد ايالة طرابلس الى السيطرة العثمانية .

---

١ تقرير محمد شاكر الى السلطان حول الاوضاع الداخلية في ايالة طرابلس رقم د ـ ٢٢٤٨٧ سنة ١٢٥٠ هـ. (١٨٣٤ م) .
انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٤٥ .

ثم قدم الصدر الأعظم الى السلطان تقريراً مفصلاً عن نتائج مباحثاتهم وقد استهل هذا التقرير بقوله [1] :

« لقد تبين لنا أن علي باشا بن يوسف باشا قد وصلت في حقه عدة عرائض تدل على عدم رغبة الناس في حكمه ، وكذلك فإن محمد بيك مؤيد من الانكليز وتربطه بهم صداقة متينة .

وبالرغم من اننا قد تذاكرنا في هذه المسألة سابقاً الا انها الآن قد وصلت إلى هذه الدرجة فقد رأينا أن نعيد مناقشتها . وقد اجتمع الباشا القائد العام وصهر الباشا ورئيس البحار باشا [2] والمشير باشا واستمرينا في النقاش وكررنا الأدعية المخصوصة وترجمنا الأوراق التي جاءت من محلها . وقد قرأت وعلمنا بأن علي باشا لا يمكن أن يكون حاكماً على طرابلس كلها » .

---

١ التقرير الذي أرسله الصدر الاعظم الى السلطان يشرح له فيه خطة الاستيلاء على ايالة طرابلس من جديد ، رقم ٢٢٥٤٠ سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) من وثائق رئاسة الوزارة التركية ، وهو باللغة التركية وقد ترجمه لي الحاج محمد الاسطى ــ انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٦٠ .

ملاحظة : لهذا التقرير ملحق برقم ٢٢٥٣٨ أرسله الصدر الاعظم الى السلطان بعد أن تسلم التقرير الاول وسوف أنشره مع التقرير ليكمله ، انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٦١ .

٢ يتضح لنا من الرسالة التي أرسلها رئيس البحار الى السلطان العثماني في سنة ١٢٤٩ بخصوص ثورة محمد بك ان رئيس البحار هذا كان يحرص حرصا شديدا في اول الامر على أن يكون علي باشا هو الوالي الشرعي لايالة طرابلس ، فقد تقدم باقتراح الى الصدر الاعظم ينص على ان يرسل السلطان رسالة يحملها محمد شاكر الى الثائر يحذره فيها من التمادي في ثورته التي تعتبر عصيانا للدولة العثمانية ، وينذره فيها بأنه ان لم يكف عن هذا العصيان فان خاتمته سوف تكون وخيمة .

ملاحظة : هذه الرسالة هي صورة من وثائق رئاسة الوزارة التركية رقم ٢٢٤٤٩ وتوجد الان بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب ، وهي باللغة التركية وقد ترجمها الى الحاج محمد الاسطى . انظر ملحق الكتاب وثيقة ٦٢ .

ويتضح لنا من هذه المقدمة التي قدم بها الصدر الأعظم تقريره الذي أرسله إلى السلطان ، حقيقة هامة وهي ان اللجنة التي شكلت لمناقشة تطورات الأحداث في ايالة طرابلس قد قررت انهاء عهد حكم الأسرة القرمانلية وذلك لأن هذه اللجنة قد تأكد لديها من ناحية ، أن علي باشا لا يمكن أن يكون حاكماً على كل الايالة لعدم رغبة معظم الأهالي في حكمه ، بدليل كثرة العرائض التي وصلت في حقه إلى الدولة العثمانية، والتي يعلن فيها مرسلوها عن عدم رغبتهم في حكمه . ومن ناحية ثانية ان الدولة العثمانية لا يمكن أن تساعد محمد بيك ضد علي باشا ، وذلك لأنها أولاً قد اعترفت رسمياً بحكم علي باشا ، وثانياً لأن محمد بيك تؤيده الحكومة الانكليزية وتربطه بها صداقة قوية ، ومعنى تسليم الحكم اليه يعني تسليمه للحكومة الانكليزية وعلى ذلك فالحل الوحيد لهذه الأزمة هو اعادة هذه الايالة إلى السيطرة العثمانية من جديد .

أما عن كيفية خطة الاستيلاء على ايالة طرابلس فإنها تتلخص على حسب ما جاء في هذا التقرير ، في أن يجتمع الجيش المكلف بتحقيق هذه المهمة في مضيق البحر الأبيض المتوسط ، ويكون لكل ألاي ثمانية مدافع كبيرة وبعض المدافع الصغيرة التي تناسب المشاة ، ومن المؤن والذخيرة والعتاد الحربي وجند المدفعية ما يكفي لخمسة أو ستة شهور وذلك لخشية هذه اللجنة من قيام ثورات محلية لتأييد الحكم القرمانلي .

ولضمان نجاح هذه الخطة فقد رأت اللجنة التي شكلت لهذا الغرض أن تحاط الاستعدادات الخاصة بجمع الجند والسفن والعتاد الحربي بسرية تامة لكي لا تعمل الدول الأوروبية على احباط هذه الخطة ، وامعاناً في هذه السرية قررت اللجنة ارسال الجيش المكلف بالاستيلاء على طرابلس على سفن تجارية لأن تحركات هذه السفن سوف لا تثير أي شكوك حولها .

أما عن الشخص الذي يتولى حكم ايالة طرابلس بعد نجاح تنفيذ هذه

الخطة فقد اقترحت اللجنة ان يكون هو الحاج عثمان باشا ، وذلك لمعرفته الكثيرة بأحوال البلاد العربية وأمزجة أهلها حيث انه قد تولى فيها من قبل العديد من المناصب مما سوف يسهل عليه اداء مهمته المقبلة .

غير انه بالرجوع الى الملحق الذي أضيف الى التقرير السابق [1] يتضح لنا أن اللجنة لأسباب غير معروفة ، قررت اسناد حكم ولاية طرابلس الغرب الى مصطفى نجيب باشا بــدلاً من الحاج عثمان باشا الذي سبق ذكره .

كما أوصت هذه اللجنة بضرورة العمل على بعث الطمأنينة في نفس علي باشا قبل وصول الاسطوك العثماني اليه ، وذلك بأن يرسل اليه فرمان بتثبيته في حكم الولايـــة ، وكذلك رسالة مآلها ان السلطان يعطف على طرابلس ويهمه استقرار الأمن والهدوء فيها ؛ ولذلك فانه سوف يرسل اليه اسطولاً محملاً بالجند والعتاد ليساعده على اخضاع الثوار وحملهم على طاعته بالقوة .

كما أوصت اللجنـــة بإعطاء نجيب باشا فرماناً بولايته على طرابلس ليظهره للناس بعد الاستيلاء على مدينة طرابلس ، وان يعطى اليه أيضاً مائة ألف قرش للاستعانة بها على الحصول على تأييد الأهالي له .

كما قررت اللجنة ضرورة القبض على يوسف باشا وابنه علي وارسالهما الى دار السعادة ، أما محمد بيك فقد رسمت للوالي خطة تمكنه من القبض عليه أيضاً ، وذلك بأن يظهر له المحبة ويعمل على التقرب منه واستمالته حتى يطمئن اليه ، ثم يبادر بالقبض عليه وارسالـه الى حيثما أرسل قبله يوسف باشا وابنه علي .

---

١ ملحق تقرير الصدر الاعظم الى السلطان العثماني رقـم ٢٢٥٣٨ سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) ـ انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٦١ .

ونظراً لأن مصطفى نجيب باشا كان قائداً لاحد ألوية الجيش العثماني وان الدولة العثمانية في حاجة اليه ، لذلك نجد ان اللجنة قد جعلت مهمته في طرابلس مؤقتة تنتهي بانتهاء وتنفيذ الأهداف التي سبق ذكرها .

وحينما عرضت هذه الملاحظات والاقتراحات على السلطان محمود الثاني ، نجده يوافق عليها ويصدر أوامره الى الصدر الأعظم بالشروع في تنفيذها على وجه السرعة ، وذلك لأنه وجدها تتمشى وسياسته التي سبق الحديث عنها ، والخاصة بتقوية قبضة الدولة على الولايات التابعة لها .

وقد جاء في تعليق السلطان على هذه الاقتراحات قوله [1] :

« يا وزيري : اطلعت على تقريركم في شأن مذاكرتكم على أحوال طرابلس وكل ما فيه صار معلومي وان مطالعتكم في هذا الخصوص في محلها فبادروا بسرعة الاجراء والتنفيذ ، ربنا سبحانه وتعالى يقدر ما فيه الخير لدولتنا العلية وييسره آمين بجاه النبي الأمين » .

كما أعطى نجيب باشا المبلغ الذي سبق ذكره ، وبذلك بدأت تلك الملاحظات والاقتراحات تتحول الى مرحلة التنفيذ الجدي السريع .

وفي شهر ذي الحجة من سنة ١٢٥٠ هـ الموافق لأواخر سنة ١٨٣٤م ، صدرت التعليمات الى الاسطول بالتحرك في اتجاه ايالة طرابلس وكان هذا الاسطول يتكون من اثنتين وعشرين سفينة محملة بالجند والعتاد الحربي .

ويحدثنا بعض المؤرخين بأنه في أثناء اعداد تلك السفن وجمع الجنود قد وصلت إلى طرابلس سفينة انكليزية وأخرى فرنسية وأخبرتا علي باشا بأن هناك أسطولاً عثمانياً كبيراً سيأتي إلى طرابلس قريباً ، ونصح قادة

---

١ لقد ورد هذا التعليق في أعلا التقرير الذي أرسله الصدر الاعظم الى السلطان ، رقم ٢٢٥٤٠ سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) .
انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٦٠ .

تلك السفن علي باشا ومحمد بيك بانهاء النزاع الذي بينهما وان يتفقا على حل ينهي ذلك النزاع قبل أن تضيع البلاد من أيديهما [1].

ولكن هذه النصائح لم تجد آذاناً صاغية من الطرفين واستمر النزاع بينهما في الوقت الذي كان فيه الأسطول العثماني في طريقه اليها.

كما يحدثنا ميكاكي عن حدث غريب وهو حدوث التقارب في تلك الأثناء بين القنصل الفرنسي والقنصل الانكليزي وارنجتون، اذ قبل هذا الأخير اقتراح القنصل الفرنسي بالتوسط لانهاء النزاع بين علي باشا ومحمد بيك، وبالرجوع إلى ما ذكره ميكاكي في هذا الشأن نجده يقول [2]:

« وقد وافق وارنجتون على هذا الاقتراح ولكنه لم يشأ أن يذهب بنفسه الى محمد القرمانلي وأناب قنصل توسكانيا روسوني « Rossoni » للقيام بهذه المهمة،فتوجه هذا القنصل مع مترجم القنصلية الفرنسية في يوم ١٢ ابريل سنة ١٨٣٥ بموافقة الباشا إلى المنشية واستقبلهم زعماء الثوار استقبالاً حسناً

---

١ احمد النائب : « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب »، ص ٣٥٠ ، محمد بهيج الدين » طرابلس غرب تاريخي » ص ١٢٣ .
ملاحظة : يذكر لنا احمد النائب في كتابه السابق صفحة ٣٥٥ ما ياتي :
فلم يصغ لقولهما وذهبت تلك المساعي ادراج الرياح ، ودامت هذه الفتنة والحرب الاهلية نحو العامين حتى من الله على هذه الايالة بالفرج بعد الشدة واستولت ال قرمانلي ما قدر لها من مدة » .
غير ان الحقيقة التي تثبتها المراجع التي سبقت الاشارة اليها بالاضافة الى بعض الوثائق التي سبقت الاشارة اليها ايضا تثبت ان هذه الفتنة استمرت اكثر من سنتين ونصف بل اذا أردنا ان نحددها بعدد معين من الشهور ، فبالرجوع الى نفس كتاب احمد النائب « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » من صفحة ٣٥٤ الى صفحة ٣٥٦ ، فاننا نجد ان عدد الشهور التي استغرقتها الفتنة المذكورة هي حوالي (٣٣) شهرا ، اي ما يقرب من سنتين وتسعة أشهر .
٢ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ٢٥٧ / ٢٥٨ .

وبعد أن عبّروا عن شكرهم وعرفانهم بالجميل، طالبوا استفتاء الشعب قبل كل شيء . غير انه سرعان ما تبددت الآمال التي علقت على هذا الاقتراح اذ عندما ذهب وارنجتون في اليوم التالي إلى الثوار ، اتضح له عدم استعدادهم لقبول أية تسوية » .

وهنا نتساءل : ما هو سر ذلك اللقاء بين السياسة الانكليزية وبين السياسة الفرنسية في ذلك الوقت بالذات علماً بأن النزاع بين القنصلين الفرنسي والانكليزي قديم وعميق الجذور ؟

وفي رأيي ان المصالح الاستعمارية المشتركة هي التي أوجبت هذا الاتفاق بين القنصلين ، اذ انه من المعروف ان فرنسا كانت قد سيطرت على ساحل الجزائر ، وأخذ نفوذها يمتد إلى تونس فمن مصلحتها عدم ارتكاز الدولة العثمانية في طرابلس لأنها بذلك سوف تعمل بكل تأكيد على محاولة زحزحة النفوذ الفرنسي من تلك الايالات التي تعتبر من أملاكها .

كما أن انكلترا كانت قد استولت على مالطة واتخذت من طرابلس قاعدة لتموينها بما تحتاج اليه من مؤن غذائية ، فكان من مصلحتها الابقاء على الوالي الضعيف لتأخذ منه ما تريد بالثمن الذي يرضيها وسوف يسيره قنصلها حسبما يريد وكيفما يشاء ، وذلك لمجرد تهديده بانزال علم بلاده ومغادرة الايالة في حين ان هذه الامتيازات ستضيع اذا ما رجعت ايالة طرابلس الى الحكم العثماني المباشر ، فعندئذ سيكون تعاملها ليس مع حكام ضعفاء وانما مع دولة قوية تطلب ما تشاء وترفض ما لا تشاء .

حملة سنة ١٨٣٥ وسقوط حكم القرمانليين

وفي الوقت الذي قد فشلت فيه تلك المحاولات التي قامت من أجل تحقيق السلام وانهاء القتال ، نجد ان محمد شاكر يأتي الى طرابلس حاملاً فرماناً من السلطان بتثبيت علي باشا في حكم البلاد ، كما أعلمه بأن السلطان العثماني قد أرسل مع هذا الفرمان بعض القطع من الاسطول لتأييده ولمساعدته على اخضاع الثوار ،وذلك على حسب الخطة التي سبقت الاشارة اليها في ملحق التقرير الذي قدمه الصدر الأعظم الى السلطان ، ويؤكد مجيء محمد شاكر قبل وصول الاسطول الى طرابلس كل من محمد بهيج الدين وميكاكي . وان كان ما ذكره محمد بهيج أوضح مما ذكره ميكاكي في هذا الشأن [1] .

وفي آوائل محرم سنة ١٢٥٠ هـ الموافق ٢٦ مايو ١٨٣٥ ،وصل الاسطول العثماني المكون من اثنتين وعشرين سفينة الى ميناء مدينة طرابلس وابتهج علي باشا لمجيئه وأطلقت مدافع القلعة عدة طلقات تحية لهذا الاسطول ، ثم ذهب علي باشا لمقابلة قائد هذا الاسطول فاستقبله مصطفى نجيب باشا [2] استقبالاً كريماً ثم أبلغة نجيب باشا بأنه جاء لمساعدته ضد الثوار الذين لم يخضعوا لأوامر السلطان التي أرسلت اليه بواسطة محمد شاكر ، وطلب منه العمل على توفير مساكن للجند الذين سوف ينزلون الى المدينة لمساعدته .

---

١ محمد بهيج الدين : « طرابلس غرب تاريخي » ص ١٢٣ ، ١٢٤ ، وميكاكي : «طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ٢٥٨ ·

٢ يذكر لنا : محمد بهيج في كتابه « طرابلس غرب تاريخي » صفحة ١٢٣ / ١٢٤ بان اسمه محمد نجيب باشا ولكن الاسم الحقيقي له هو كما نكرت حيث يؤيد ذلك ميكاكي في كتابه « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ٢٥٨ ، وكما ذكر هذا الاسم في اللوحة الموجودة في دار المحفوظات التاريخية والتي تحمل اسم كل الولاة الذين حكموا من اول العهد العثماني الاول الى اواخر العهد العثماني الثاني ·

وحينما رجع علي باشا من مقابلته لمصطفى نجيب باشا أصدر أوامره لتوفير السكن اللازم لهؤلاء الجند . وفي مساء نفس يوم ٢٦ مايو أخذ الجنود في مغادرة السفن الى الأماكن التي خصصت لنزولهم في وسط المدينة [١] .

وفي صباح اليوم التالي وزع هؤلاء الجند على الحصون والمواقع الاستراتيجية الهامة في المدينة كما أمر مصطفى نجيب باشا ، علي باشا بأن يصدر أوامره الى أهالي المدينة بتسليم كافة أسلحتهم الى الحكومة لأن الجند الذين جاءوا معه سوف يقومون بحفظ الأمن والنظام في البلاد . وفعلاً استجاب علي باشا لهذا الطلب وسلم أكثر انصاره ما لديهم من أسلحة. وحينما تحقق مصطفى نجيب باشا من نجاح خططه أرسل الى علي باشا يخبره برغبته في النزول الى المدينة . فما كان من هذا الأخير إلا أن خف اليه لاستقباله ولمرافقته من السفينة الى القلعة ، غير انه ما كاد علي باشا يصل الى ظهر السفينة مع الذين ذهبوا معه حتى أمر مصطفى نجيب باشا بالقاء القبض عليهم ونفذ الجند الذين تبقوا في هذه السفينة تلك التعليمات بمنتهى السرعة [٢] .

---

١ لقد اختلف المؤرخون في تحديد عدد الجند الذين احضرهم مصطفى نجيب ، فنجد مثلا ان ميكاكي ذكر في كتابه « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ٢٥٩ بانهم أربعة الاف ، في حين ان محمد بهيج الدين يذكر في كتابه طرابلس غرب تاريخي » صفحة ١٢٣ ، ١٢٤ بانهم حوالي ستة الاف ، غير أنه في رأيي لا يهم عدد هؤلاء الجنود بقدر ما تهم الاعمال التي قاموا بها .

٢ في الوقت الذي نجد فيه ان محمد بهيج الدين يذكر لنا في كتابه « طرابلس غرب تاريخي » صفحة ١٢٣ ، ١٢٤ أن القبض على علي باشا كان في المرة الثانية التي ذهب فيها الى مصطفى نجيب ، ويؤيده في ذلك ميكاكي في كتابه « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » صفحة ٢٥٩ ، نجد ان أحمد النائب في كتابه « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » صفحة ٣٥٦ لم يحدد لنا ذلك بل يفهم من كلامه ان القبض على علي باشا قد تم في المرة الاولى ، غير انني اميل الى تصديق ما ذكره محمد بهيج وميكاكي لان احمد النائب حينما وصل الى الحديث عن مجيء الاسطول العثماني الى طرابلس اخذ يسرد الاحداث التي تلت مجيء هذا الاسطول بشكل موجز غاية الايجاز .

وبعد أن تمت عملية الاعتقال هذه نزل مصطفى نجيب باشا يحيط به العديد من الجند ، واتجه نحو قصر الضيافة حيث كان في انتظاره محمد شاكر ، ثم اجتمع بأعيان البلاد والعلماء والقضاة وأطلعهم على الفرمان السلطاني الذي ينص على انهاء عهد الأسرة القرمانلية واسناد حكم الايالة اليه ، فبايعه كل من كان من الحاضرين ، وذلك في شهر محرم سنة ١٢٥١ هـ الموافق لأواخر مايو سنة ١٨٣٥ م .

وبعد أن استمع إلى قسم البيعة من الحاضرين توجه نحو قصر الحكم وهناك جاءته الوفود من داخل المدينة وخارجها مؤيدة ومبايعة ، واطلقت المدافع من القلعة ومن السفن عدة طلقات تحية للباشا الجديد .

وحينما سمع محمد بيك بكل ما حدث ورأى ما آل اليه أمر علي باشا خشي على نفسه من انتقام الباشا الجديد فهرب مع عائلته إلى جزيرة مالطة [١] .

وهناك ملاحظة أحب أن اشير اليها قبل أن ننتقل إلى الحديث عن

---

١ يذكر لنا المؤرخ احمد النائب في كتابه « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » صفحة ٣٥٦ ، بان محمد بك قد انتحر بعد استيلاء نجيب باشا على الحكم ، وان شقيقه احمد قد هرب الى مالطة ، ويؤيده في هذا القول ايضا المؤرخ التركي محمد بهيج الدين في كتابه « طرابلس غرب تاريخي » صفحة ١٢٣ ، ١٢٤ ، وكذلك ميكاكي في كتابه « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » صفحة ٢٥٩ .
غير انه توجد وثيقة اصلية تثبت عكس هذا القول ، وتؤكد بأن محمد بك لم ينتحر وانما هرب الى مالطة وهذه الوثيقة سانشرها في ملحق هذا الكتاب تحت رقم ٦٣ ، وهي عبارة عن رسالة ارسلها محمد أمين باشا والي ايالة طرابلس الى السلطان العثماني سنة ١٨٤٢ يشرح له فيها التدخل الانجليزي في شئون البلاد ، وقد جاء فيها قوله : « في فترة عزل علي باشا القرمانلي وتعيين المرحوم مصطفى نجيب باشا كان قد التجأ الى مالطة محمد بك مع اسرته وهو ابن عم يوسف باشا فجعلت له الحكومة الانكليزية راتبا واكرمته كما أهدت له ملكتهم ولاسرته عدة هدايا ، وقد ابقته في مالطة لتعيينه واليا على طرابلس وتتحين الفرصة لتحقيق اغراضها الاستعمارية الفاسدة ، وان محمد بك المذكور يراسل العربان الثائرين في طرابلس بواسطة القنصل الانكليزي ، وان اتصال القنصل الانجليزي بالعربان الثائرين له علاقة بهذه السياسة .. الخ » .

النقطة الأخيرة في هذا الفصل ، وهذه الملاحظة هي أن ميكاكي حاول أن يفند رأي المؤرخ سير « Serres » [1] القائل بأن سبب احتلال الدولة العثمانية لايالة طرابلس انما هو رغبتها في أن تكون لها قاعدة للعمليات الحربية قريبة مع الجزائر ، حتى تستطيع أن تمد يد المساعدة بسهولة إلى اولئك الذين كانوا يقاومون الغزو الفرنسي بقوة السلاح ، وعلى الأخص عبد القادر وبيك قسطنطينة [2] .

ثم يحاول ميكاكي نفسه أن يحدد السبب في هذا الاحتلال حيث نجده يرجع هذا السبب إلى ذلك النزاع والتنافس اللذين كانا بين الحكومة الانكليزية والحكومة الفرنسية . فيرى انه رغبة من الحكومة الانكليزية في أن تحول دون توسع نفوذ الحكومة الفرنسية في افريقيا الشمالية ، لذلك أوعزت الحكومة الانكليزية إلى الدولة العثمانية بضرورة العمل على احتلال ايالة طرابلس الغرب والسيطرة عليها .

وفيما يلي نص ما ذكره ميكاكي في هذا الصدد [3] :

« وكان العمل الذي قامت به بريطانيا العظمى في طرابلس يدخل في نطاق السياسة التي ترمي إلى منع التوسع الفرنسي في افريقيا الشمالية ، اذ أن تثبيت علي باشا القرمانلي الذي كانت تعضده الحكومة الفرنسية ، ويدين بالولاء لها ، كان معناه بسط النفوذ الفرنسي أيضاً على طرابلس الغرب ، ذلك النفوذ الذي كان قد توغل في تونس وكان لانكلترا كل المصلحة لمنع هذا التوسع ، ولكنها لم تكن ترى من الملائم

---

1 Serres Jean : « La Politique Turque en Afrique du Nord sous la Monarchie de Juillet ». Paris, Gunthner, 1925, p. 119.

2 ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » من صفحة ٢٦١ الى صفحة ٢٦٤ .

3 ميكاكي : المرجع السابق ، ص ٢٦٤ .

أن تتدخل بطريقة سافرة ، ولذلك أوعزت إلى الامبراطورية العثمانية بضرورة العمل بنفسها .

هذا وليس من الصعب ان نؤكد ان السبب الرئيسي في ارسال تلك الحملة التي أعادت حكم السلطان المباشر الى طرابلس في مايو سنة ١٨٣٥ يرجع الى ايحاءات بريطانيا وضغطها » .

ولكن ميكاكي قد ناقض نفسه بنفسه ، حيث انـه سبق ان تحدث في صفحة ٢٥٧ و ٢٥٨ من كتابه هذا، بأن القنصل الانكليزي وارنجتون قد قبل اقتراح القنصل الفرنسي الداعي الى بذل مساعيها للتوفيق بـين الثوار وعلي باشا ، وذلك حينما تواردت الأنباء عن قرب مجيء الاسطول العثماني سابق الذكر .

بل يؤكد بأن وارنجتون قد أرسل في اول الأمر قنصل توسكانيا ، روسوني نائباً عنه مع مترجم القنصلية الفرنسية الى الثوار لجس نبضهم حول هذا الموضوع .

ثم لما لاح لوارنجتون بريق من الأمل في نجاح هـذه المساعي ذهب اليها في اليوم الثاني أي في يوم ١٣ ابريل سنة ١٨٣٥ ، إلا أنه وجد أن ذلك البريق قد انطفأ نوره ، وذلك لرفض الثوار أية تسوية .

وبذلك أرى انه من غير المعقول ان تكون الحكومة الانجليزية تسعى لدمار علي باشا وانهاء حكمه ، في الوقت الذي يكون فيه قنصلها يبذل مساعيه للتوفيق بين علي باشا وبين الثوار لانهاء الأزمة واعادة السلام إلى ربوع البـلاد وبذلك لا يكون هناك أي مبرر أمام الدولة العثمانية في الاستيلاء على طرابلس ذلك الاستيلاء الذي رأينا كيف ان اللجنة أوصت بأن تحاط خطة تنفيذه بسرية تامة خوفاً من ان تعمل الدول الأوروبيـة على احباط هذه الخطة .

وبناء على ما تقدم أعتقد أن سير « Serres » عـلى حق في قوله إن

الدولة العثمانية أرادت باسترجاع ايالة طرابلس الغرب الى حكمها المباشر العمل على وقف التوسع الفرنسي في شمال افريقيا . اذا أنه بالرجوع الى التقرير الذي قدمه الصدر الأعظم الى السلطان العثماني يتضح لنا منه اقتناع الصـــدر الأعظم والذين اجتمعوا معه لمناقشة تطورات الأزمة في ايالة طرابلس ، بضرورة اسراع الدولة العثمانية بالسيطرة على ايالة طرابلس وضمها الى تبعيتها المباشرة من جديد وذلك للأسباب التي ذكرها الصدر الأعظم في تقريره السابق،حيث انها بهذه الطريقة سوف تمنع من ناحية ازدياد التوسع الفرنسي في بقية ايالات الشمال الافريقي ، ومن ناحيـــة ثانية سوف تحول دون سقوط ايالة طرابلس في قبضة احدى الدول المتنافسة وهي انكلترا أو فرنسا فتضيع منها هذه الايالة كما ضاعت منها الجزائر قبل ذلك بسنوات قليلة .

مصير أفراد الاسرة القرمانلية بعد سقوط دولتهم

١١ بعد أن نفذ مصطفى نجيب باشا أهم خطوة من الخطة التي جاء من أجلها الى طرابلس بنجاح باهر أصبح من اللازم عليه تنفيذ بقيـة الخطة وهي ترحيل أفراد الاسرة القرمانلية من ايالة طرابلس الى عاصمـة الدولة العثمانية لكي لا يكون وجودهم بين أفراد شعبهم مثار قلق واضطراب للدولة العثمانية .

غير ان الذي حدث هو ان نجيب باشا لم يرسل من افراد هذه الاسرة إلا علي باشا مـــع بعض الذين جاءوا معه لاستقباله حينما أراد مغادرة السفينة الى المدينة كما سبق القـــول .[٢] وذلك لأن السلطان حينما تأكد من نجاح الخطة رأى ان مهمة مصطفى نجيب باشا قد انتهت ، فأصدر

فرماناً في أواخر ربيع الأول سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٥ م) يقضي بانهاء مهمة نجيب باشا واسناد حكم الايالة إلى محمد رائف باشا [١].

وقد تحدث السلطان محمود الثاني في هذا الفرمان عن السبب الذي دفعه إلى انهاء عهد حكم الأسرة القرمانلية ، وقد أرجع هذا السبب إلى كثرة ظلم يوسف باشا وابنه علي باشا للرعية ولتعديهما على الفقراء ولمحاولتهما الانفصال عن التبعية العثمانية .

وانه لهذه الأسباب قد كلف نجيب باشا بمهمة الاستيلاء على طرابلس واعادتها الى التبعية العثمانية المباشرة من جديد، وارسال يوسف باشا وابنه علي اليه لأن وجودهما بين أفراد الشعب سوف يسبب للدولة العثمانية الكثير من الأضرار .

ثم عبّر السلطان محمود الثاني عن شكره وتقديره لنجيب باشا على نجاحه في تحقيق المهمة التي كلف بها ، وأعلن انهاء مهمته واسناد حكم الايالة إلى محمد رائف باشا .

ومما جاء في قول السلطان محمود الثاني عن انهاء مهمة الفريق مصطفى نجيب باشا ما يأتي :

« وفي المحضر المعتمد من جنابكم [٢] في هذه الجهة تمت مأمورية الفريق المشار اليه (يعني نجيب باشا) ولذا مع تعلق

---

١ فرمان من السلطان العثماني بانهاء مهمة نجيب باشا واسناد حكم ايالة طرابلس الى محمد رائف باشا . كما يشير هذا الفرمان الى مساوىء يوسف باشا وابنه علي ، واعطاء الامان للثوار . وذلك بتاريخ أواخر ربيع الاول سنة ١٢٥١ هـ (١٨٣٥م) ـ وتوجد الصورة التي ارسلت من هذا الفرمان الى قاضي مدينة طرابلس بسجل المحكمة الشرعية لسنة ١٢٥١ هـ (١٨٣٥ م) ص ١٦٨ ، ١٦٩ ، وهو باللغة العربية .

انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٦٤ .

٢ يخاطب قاضي مدينة طرابلس كما يفهم ذلك من الفرمان ، حيث ان السلطان قد ارسل اليه صورة من الفرمان السابق باسمه للعلم .

علمنا بأنه بعد الآن اذا ما ساعدنا على اقامة يوسف مع قرابته وأعوانه في تلك الطـرف كما كان ، يكون مضراً في حق الفقراء والمملكة،ولذا وجهنا الايالة المذكورة إلى أمير الأمراء الكرام محمد رائف باشا ... » .

كما شكر السلطان في هذا الفرمان سكان ايالة طرابلس على استقبالهم الطيب لنجيب باشا وحثهم على التعاون المثمر مع محمـد رائف باشا ، كما أصدر عفوه عن كل من كان سبباً في تلك المشاكـل وطلب منهم أن يسلكوا طريقاً مستقيمة لينعموا بالسعادة والهناء في ظل الدولة العثمانية.

وفي الوقت الذي يؤكد لنـا فيه هذا الفرمان ان سبب تعيين محمد رائف كوال على ايالة طرابلس بدلاً من مصطفى نجيب باشا ، يرجع إلى ان هذا الأخير كان قد كلف بأداء مهمة في ايالة طرابلس ، وان وجوده في طرابلس قد انتهى بانتهاء هذه المهمة ، نجد أن أحمد النائب يروي لنا رواية تخالف الواقع اذ نجده يقول [١] :

« ثم استحسن نجيب باشا ضرب أنواع من العملة لتسهيـل المعاملات فضرب منها القدر المطلوب بلا استئذان من الباب العالي ثم عزل » .

استلم محمد رائف حكم البلاد في جمادى الأول سنة ١٢٥١ هـ (١٨٣٥م) وحينما أراد مصطفى نجيب باشا مغادرة الايالة أصدر محمد رائف أوامره الى جنده بإحضار زوجة علي باشا وأولاده وخدمه ، وحينما حضروا لديه أمرهم بالسفر مع نجيب باشا فكـان لسفرهم أسوأ الأثر في نفس يوسف وبقية أفراد هذه الأسرة .

أما عن يوسف باشا وابنه ابراهيم فإنهما قـد مكثا في ايالة طرابلس

---

١ احمد النائب : « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب »

ولم يغادراها لا في عهد نجيب باشا ولا في عهد الولاة الذين جاءوا بعده أما ابنه عثمان فانه بقي مدة طويلة في بنغازي ثم درنة الى ان حاول محمد رائف باشا القبض عليه فهرب الى مصر .

ويظهر لنا السبب في عدم ارسال يوسف باشا وابنـــه عثمان وكذلك ابنه ابراهيم مع عائلة علي باشا ، من الرسالة التي بعث بها محمد رائف باشا والدفتردار عزمي بيك الى الصدر الأعظم بتاريخ ٢٧ جمادى الثاني سنة ١٢٥١ هـ (١٨٣٥ م) [١] ، اذ بالرجوع الى هذه الرسالة نجد أن السبب في عـــدم ارسال يوسف باشا يرجع الى شيخوخته وشدة مرضه وضعف بصره مما لا يجعل في وجوده في ايالـــة طرابلس أي نوع من الخطر على نظام الحكم الجديد .

أما السبب في عدم ارسال عـــثمان بن يوسف أيضاً فإن محمد رائف يرجع ذلك الى أنه أولاً يوجد في بنغازي ومستسلم للأمر الواقع ، وثانياً لأنه لا يمكن أن يقوم بأي عمل معاد للحكم العثماني وذلك لأنه قد أدمن على شرب الخمر بصورة أفقدته القدرة على الضبط والربط كـــما يقول محمد رائف باشا في رسالته السابقة . وان كان محمد رائف قد عاد بعد ذلك فحاول القبض عليه ولكن عثمان تنبه الى ذلك فهرب الى مصر .

وكذلك الحال بالنسبة للابن الثاني ليوسف باشا وهو ابراهيم بيك فإنه لم يرحل أيضاً الى دار الخلافة لوجوده في الزاويـة تحت كفالة الشيـــخ غومه المحمودي ، ونظراً لعدم رغبة محمد رائف باشا في اثارة غضب

---

١ رسالة محمد رائف باشا والـي طرابلس الغرب والدفتردار عزمي بك الى الصدر الاعظم بخصوص بقاء بقية افراد الاسرة القرمانلية بطرابلس وهي صورة مـن وثائق رئاسة الوزارة التركية رقم ١ ـ ٢٢٥٠٥ بتاريخ ٢٧ جمادى الثاني سنة ١٢٥١ هـ (١٨٣٥ م) وتوجد هذه الصورة بدار المحفوظـات التاريخية بطرابلس الغرب التركية وقد ترجمها لي الحاج محمد الاسطى .

انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٦٥ .

غومه وطمعاً في تأييده ومساعدته على تثبيت دعائم الحكم الجديد ، نجده يقترح على السلطان في رسالته السابقة : ان يصرف النظـــر عنه ويبقيه حيثما هو . وقد قبل هذا الاقتراح لأهمية الاعتبارات السابقة .

ويبدو أن محمد رائف باشا كان على صواب فيما ذكره عن يوسف باشا فقد سكن هذا الأخير إلى حياة الراحة والهدوء ، فـلم يقم طيلة بقية حياته بأي عمل من شأنه احداث القلاقل بالنسبة للدولة العثمانية على الرغم من أنها استولت على أغلب أملاكه وأمـلاك أسرته لسداد بقيـة الديون التي كانت عليه لفرنسا وانكلترا اللتين طالبتا الدولة العثمانية بضرورة سدادها [1] .

فاضطر يوسف باشا الى أن يعيش بقية حياته بعد عز وملك وسلطان يمد يده في نهاية كل شهر الى الوالي العثماني ليدفع له مـــا خصصته له الدولة العثمانية من معاش شهري ضئيل حتى ان ميكاكي يذكر لنا نقلاً عن خطاب القنصل التوسكاني في طرابلس بأن يوسف باشا حينما توفي في ٤ أغسطس سنة ١٨٣٨ كان قد وصل الى حالـة يرثى لها حتى ان أهله لم يجدوا نفقات دفنه فقامت الحكومة بدفنه على نفقتها [2] .

لا شك أن الازمة المالية التي كان يعانيها يوسف باشا قد دفعته الى بيع جميع ما يملك ، حتى انه كما سبق وأشرت أن الذي ينظر في الوثيقة التي تحتوي على تركة يوسف باشا لا يصدق بأن هذه التركة هي تركته

---

١ رسالة من سفير فرنسا باستانبول الى السلطان العثماني بخصوص الديون التي على يوسف باشا بعد سقوط حكم الاسرة القرمانلية وهي صورة من وثائق رئاسة الوزارة التركية رقم ب ٢٢٤٥٢ بدون تاريخ وتوجد هذه الصورة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب ، وهي باللغة التركية وقد ترجمها لي الحاج محمـد الاسطى · انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٦٦ ·

٢ ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » هامش رقم ٢ ص ٢٦٠ ، نقلا عن مراسلات قنصل توسكانيا بطرابلس ـ الخطاب المؤرخ ٤غسطس سنة ١٨٣٨ ·

لقلة وعدم قيمة ما خلفه بعد وفاته [1] ، الا أن ذلك لا يمنع من أن نقول بأن ما ذكره القنصل التوسكاني عن وفاة يوسف باشا وقيام الحكومة بدفنه على نفقتها ، فيه الكثير من المبالغة ، لأنه لا يعقل ان لا يستطيع جميع أفراد الاسرة القرمانلية ان يجمعوا قيمة نفقات دفن يوسف باشا وخاصة ان القبر في ذلك الوقت كان يقدم للموتى بدون ثمن ، وما عدا القبر من لوازم المتوفي فانها كانت لا تكلف كثيراً . علماً بأنني سبق وأشرت الى ان حفيدة يوسف باشا الست حلومة قد تركت بعد وفاتها من المجوهرات والذهب بقدر يراه الانسان بأنه ضرب من ضروب الخيال [2] .

ومما يلفت النظر في احداث استيلاء الدولة العثمانية على ايالة طرابلس الغرب ، تلك السهولة التي تمت بها عملية هذا الاستيلاء . فقد سبق ورأينا كيف ان مصطفى نجيب باشا استطاع أن ينهي عهد حكم الأسرة القرمانلية وأن يعيد الايالة الى التبعية العثمانية المباشرة بكل سهولة ويسر وبدون أن يحتاج الى اطلاق رصاصة واحدة .

ولعل السبب في ذلك يرجع الى ان النزاع الذي كان بين أفراد هذه الأسرة من أجل الوصول الى الحكم والذي رأينا أحداثه المؤلمة، قد أضعفها ومزق وحدتها بدرجة جعلت كل الجهود التي بذلت من أجل جمع وحدتها أمام الخطر العثماني تبوء بالفشل والخذلان .

كما أرى اسراف يوسف باشا في المغامرات البحرية واتباعه لسياسة

---

1 وثيقة تبين تركة يوسف باشا ، ويوجد اصل هذه الوثيقة بسجل المحكمة الشرعية لسنة ١٢٥٥ هـ ص ٣٩ بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب
انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٤٦ .

2 وثيقة تبين ما خلفته الست حلومه حفيدة يوسف باشا من مجوهرات وذهب بعد وفاتها ويوجد اصل هذه الوثيقة بسجل المحكمة الشرعية من سنة ١٢٠٧ الى سنة ١٢١٥ ص ١١٥ ــ ١١١ بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب .
انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم ٤٧ .

الشدة والعنف في علاقاته السياسية مع الدول الأوروبية جعلت هذه الدول تتحد من أجل تحطيم قوته والحد من تهوره ، وقد تحقق لها ذلك يوم أن أجبرته على تحريم القرصنة أو المغامرات البحرية واسترقاق المسيحيين فأدى ذلك الى ضعف قوته البحرية ثم ترتب على ذلك أيضاً انه عاش في ضائقة مالية كانت نتيجتها قيام الثورة ضده ، وفرار العديد من جنده وأنصاره الى الثوار حتى انه حينما جاء الاسطول العثماني لم يجد أمامه أية قوة تصده عن تحقيق الأهداف التي جاء من أجلها .

يضاف الى العوامل السابقة ، ان الأسرة القرمانلية كانت قد فقدت شعبيتها وذلك لكراهية الشعب لحكم هذه الأسرة لكثرة ظلم حكامها ولما حملوه من ضرائب فوق طاقته ولوقوف هؤلاء الحكام مكتوفي الأيدي ازاء التوسع الأوروبي الماثل في تدخل القناصل في شؤون البلاد الداخلية وفي احتلال فرنسا للجزائر ومحاولتها بشتى الطرق بسط نفوذها على بقية ايالات الشمال الافريقي .

فما أن ظهر الاسطول العثماني في ميناء طرابلس حتى لاح لهذا الشعب بريق الأمل في الخلاص مما هو فيه من ضيق وعاوده الحنين الى الهدوء والاستقرار ، وما أن تحقق له سيطرة نجيب باشا على زمام الامور في البلاد حتى زحف الى قصره ليعلن عن ولائه وتأييده للعهد الجديد .

هذه هي أهم العوامل التي ساعدت الدولة العثمانية على انهاء حكم الاسرة القرمانلية بعد ان حكمت هذه الاسرة ايالة طرابلس الغرب ما يقرب من قرن وربع قرن ، وبانتهاء حكم هذه الاسرة وبرجوع البلاد الى التبعية العثمانية المباشرة تبدأ مرحلة جديدة وهامة في تاريخ ليبيا الحديث.

الخـاتمة

ونشمل الحديث عن :

بعض الملاحظات العامة عن تاريخ الاسرة القرمانلية

أثر سياسة السلطان محمود الثـاني واحتلال
فرنسا للجزائر على الوضع السياسي في الايالة

تطورات الموقف السياسي في البلاد
بعـد سقوط الدولة القرمانليـة

بعض الملاحظات العامة عن تاريخ الأسرة القرمانلية

يتضح لنا من هذا العرض التاريخي لأهم الأحداث التاريخية في العصر القرمانلي ، عدة ملاحظات عـلى جانب كبير من الأهمية ، يمكن أن نوجزها على النحو الآتي :

الملاحظة الأولى : هي أن القرمانليين طوال عهد حكمهم الذي دام زهاء قرن وربع قرن ، لم يخلعوا من على كاهلهم عبء السيادة العثمانية ، فهم وان حكموا البلاد حكماً مستقلاً من الناحية العملية إلا أنهم ظلوا تابعين لها من الناحية الاسمية ، كما ان البلاد بقيت طوال عهدهم جزءاً من أملاك الامبراطورية العثمانية . فقد رأينا كيف ان حكام هذه الاسرة كانوا يحرصون كل الحرص على الحصول على فرمان التولية من السلطان العثماني لينالوا بذلك تأييد الشعب لهم كما أن أنظارهم كانت تتجه الى دار الخلافة طلباً للتأييد والمساعدة حينما تشتد بهم الازمات ، ولعل ذلك يظهر بجلاء في رسائل يوسف باشا وابنـه علي باشا الى السلطان العثماني أثناء الأزمة الأخيرة التي نشأت في أواخر عهد يوسف باشا .

كما رأينا أيضاً كيف أن بعض القطع من اسطولهم كانت ملتحقة بالأسطول العثماني بصفة مستمرة ودائمة . الى غير ذلك من الأدلة التي تؤيد هذه الملاحظة والتي يمكن استنتاجها من خلال هذه الرسالة .

أما الملاحظة الثانية : فهي أن الحكم القرمانلي كان من الممكن أن يستمر ولو لعدة سنوات أخرى، لو أن يوسف باشا سلك سياسة خارجية معتدلة ومتزنة ازاء الدول الأوروبية وغير الأوروبية التي كانت تتخذ البحر الأبيض المتوسط مجالاً لنشاطها التجاري ، واهتم كذلك بالتوسع في الزراعة وتشجيع التجارة الخارجية وتنشيط الصناعة المحلية ، وتنظيم الضرائب الجمركية والعادية ، بصفة عادلة ومنصفة . غير أن الذي حدث هو أنه قد اعتمد على البحر كمصدر أساسي ورئيسي لدخل ايالته ، فاتخذ لذلك سياسة خارجية صارمة لاخضاع تلك الدول لارادته ولاجبارها على تنفيذ رغباته .

كما نظر الى البلاد على انها مزرعة خصبة ثمارها حلال عليه حرام على غيره فاهتم بجمع كل ما تصل اليه يده من ثمارها مع عدم العناية والرعاية بمصدر تلك الثمار .

فكانت نتيجة هذه السياسة أن عاش في ضائقة مالية شديدة أي في أواخر عهده بعد أن انقطع ذلك المصدر الرئيسي لدخله ، يوم أن أجبر على الخضوع لقرارات مؤتمري فيينا واكس لاشابيل . وحينما التفت حواليه لم يجد أي مصدر آخر يكون عوضاً للمصدر الذي حرم منه ، فالتجأ الى قطف ما تبقى من ثمار تلك المزرعة . فاحتكر بعض أنواع التجارة ثم تحول الى الاستدانة من الأجانب بشروط ثقيلة ، فحمل البلاد بالديون بقدر يفوق قدرتها الانتاجية ، كما أتاح بذلك الفرصة أمام النفوذ الأجنبي للتدخل في شؤون البلاد الداخلية .

ومما زاد الحالة السياسية والاقتصادية سوءاً ، هو بيعه لمحاصيل البلاد مقدماً ولعدة سنوات لدائنيه ، ثم غشه للعملة المتداولة بين الناس ، فعاشت البلاد بذلك في ضائقة اقتصادية كما انحطت سمعتها المالية ، فترتب على ذلك تدهور الصناعة المحلية وكساد التجارة الداخلية والخارجية .

وحينما حاول الخروج من أزمته بفرض الضرائب الاستثنائية ، اشتعلت نتيجة لذلك الثورات الداخلية ، واشتد لهيبها الى أن آل حكمه وحكم أسرته الى الزوال .

اما **الملاحظة الثالثة** : فهي ، أن الأسرة القرمانلية لم تكن متحدة متضامنة بل كان الغدر والشك والريبة تمثل أساس العلاقات بين أفرادها . حتى انه حينما حاولت الدولة العثمانية انهاء حكمهم لم يكلفها ذلك سوى وصول أسطولها الى ميناء طرابلس ، فتم لها الاستيلاء على الحكم بسهولة وبدون طلقة رصاص واحدة ، اللهم الا ما أطلق من أجل رد تحية مدافع المدينة . وذلك لأن الأسرة القرمانلية كانت منقسمة على نفسها وكان الشعب قد سئم وجودها .

والأدلة على سوء العلاقة الأسرية بين أفراد الأسرة القرمانلية كثيرة ومتعددة . فأحمد باشا القرمانلي قد تخلص من عدد من أقربائه الذين شعر بأن في وجودهم أي نوع من الخطر على استقرار حكمه ، وكذلك ترك علي باشا والد يوسف باشا جنده من الانكشارية يقتلون الكثير من أقربائه الذين يشك في ولائهم واخلاصهم له .

وكذلك رأينا كيف أن يوسف باشا قد قتل شقيقه الأكبر حسن بيك أمام نظر والدته وفي وسط حجرتها من أجل الوصول الى كرسي الحكم . ثم ثورته على والده وعزله لأخيه الثاني أحمد ، وتعاون هذا الأخير مع الأمريكيين ضده .

ثم رأينا كيف أن يوسف باشا نفسه قد تعرض لمحاولة الاغتيال من أحد أبنائه وهو محمد بيك ، ثم ثورة هذا الأخير عليه واعلان تمرده وعصيانه في برقة ، بل ان ميكاكي يحدثنا كما سبق القول ، بأن ابن يوسف باشا الثاني وهو أحمد بيك حاول الثورة على والده غير انه فشل في ذلك أيضاً .

وأخيراً رأينا احـــداث النزاع المرير الـــذي حدث بين يوسف باشا وحفيده محمد بيك ابن محمد بيك الذي سبق ذكره،واستمر هذا النزاع بينه وبين عمه علي باشا ، واستغلال بعض القناصل لهذا النزاع وخاصة قنصل كل من فرنسا وانكلترا ، وتأييد الأول لعلي باشا ، وتأييد الثاني لمحمد بيك ، ثم استمرار هذا النزاع إلى أن آل الأمر الى انهيار وزوال حكم الأسرة القرمانلية ورجوع البلاد إلى الحكم العثماني المباشر .

والملاحظة الرابعة : هي ان البلاد لم تشهد استقراراً سياسياً في أغلب مراحل تلك الفترة الطويلة التي تبتدىء من أواخر عهد علي باشا القرمانلي والد يوسف باشا إلى اليوم الذي زال فيه حكم هذه الأسرة .

فقد رأينا كيف ان الانكشارية استطاعوا أن يسيطروا على شخصيـــة علي باشا القرمانلي وكيف انهم حملوه على الفتك بالكثير من أقربائه ، وكيف انهـــم عبثوا بالأمن في البـلاد فكانوا يقتلون الناس بغير ذنب ارتكبوه ، وينهبون الأموال بغير وجه حق للانفاق بها عـــلى شهواتهم وملذاتهم .

ثم رأينا كيف أن يوسف باشا قتل شقيقه ، وانقسم الشعب بذلك الى مؤيدين له ومعارضين ، ثم احتلال علي برغل للبلاد وما ارتكبه من جرائم وما نهبه من أموال المسالمين الآمنين . ثم أحـــداث مجيء الجيش التونسي لطرد الغازي واسترجاع الحكم للقرمانليين وما تعرضت له بعض القبائل من قتل وتعذيب .

يضاف الى ما سبق أحداث النـزاع بين أفـــراد الأسرة القرمانلية ، وهجوم أساطيل الدول الأوروبية وغير الأوروبية عـــلى مدينة طرابلس وامطارها للبلاد بوابل من القذائف النارية،ثم الثورات الداخلية كثورة عبد الجليل بن غيث بن سيف النصر،وثورة أهالي الساحل والمنشية ، بالاضافة

إلى غير ذلك من الاحداث التي سبق وأشرت اليها في شيء من التوسع في هذا الكتاب .

هذه هي أهم الملاحظات على تاريخ الأسرة القرمانلية وخاصة في عهد يوسف باشا وابنه علي ، ولعل هذه الملاحظات قد أكدت لنا بأن الدولة القرمانلية وهذا وضعها ، لا يمكن أن تعيش أكثر مما عاشت وان امر زوالها كان حتمياً سواء كان ذلك على يد الدولة العثمانية صاحبة السيادة الشرعية على البلاد ، أو على يد بعض الدول الاستعمارية التي كانت تتحين الفرص لتحقيق ذلك .

وكانت الدولة العثمانية أسرع تلك الدول تحركاً واقداماً على انهاء عهد الحكم القرمانلي ، فأخرت بذلك وقوع ليبيا في قبضة الاستعمار الأوروبي لسنوات عديدة ، ذلك الاستعمار الذي تمثل في الاحتلال الايطالي لها في أواخر سنة ١٩١١ .

وهنا نتساءل عن الأسباب التي جعلت الدولة العثمانية تسارع بانهاء الحكم القرمانلي وارجاع البلاد الى تبعيتها المباشرة قبل غيرها من الدول ؟

أثر سياسة السلطان محمود الثاني واحتلال فرنسا للجزائر على الوضع السياسي في الايالة

والاجابة عن السؤال السابق تتلخص كما سبق القول في أن هذه الأحداث التي كانت تعيشها الايالة الطرابلسية ، قد أثرت تأثيراً عميقاً في نفس السلطان محمود الثاني الذي تولى حكم الدولة العثمانية في الفترة الواقعة بين سنة ١٨٠٨ وسنة ١٨٣٩ .

فلما كانت سياسة هذا السلطان هي العمل على المحافظة على استمرار وبقاء الولايات التابعة للدولة العثمانية ضمن اطار امبراطوريتها وتقوية سلطة الدولة عليها ، فإن الأحداث الجسيمة التي شهدها عصره ومنها احتلال فرنسا للجزائر سنة ١٨٣٠ كما سبق وأشرت إلى ذلك بالتفصيل كانت دافعاً له على الاسراع في تنفيذ سياسته هذه .

فحينما قامت الثورة ضد يوسف باشا وتنازل عن الحكم لابنه علي وتطورت الأمور على النحو الذي رأيناه وفشلت مساعي السلطان السلمية لاقرار السلام وزاد التنافس بين القنصلين الانكليزي والفرنسي ، وتأييد الأول للثائر بينما بقي الثاني يؤيد علي باشا ، انتهز السلطان محمود الثاني تلك الفرصة واستمع الى التقرير الذي قدمه اليه الصدر الأعظم والداعي الى ضرورة تدخل الدولة العثمانية بالقوة لاعادة الايالة الى حكمه المباشر ، فأصدر أوامره بالعمل السريع على تحقيق ذلك ، ليمنع بذلك استمرار توسع النفوذ الفرنسي في شمال افريقيا ولخوفه من ان تكون تلك الظروف الحرجة التي تمر بها الايالة الطرابلسية وذلك النزاع الفرنسي الانكليزي ، خير مشجع لإحدى هذه الدول على المبادرة باحتلال البلاد فيكون مصيرها بذلك كمصير الايالة الجزائرية .

والواقع ان تلك الفكرة لم تكن ببعيدة عن أذهان ساسة فرنسا فمنذ ان احتلت فرنسا الجزائر سنة ١٨٣٠ وهي تعمل على توسيع نفوذها في بقية ايالات شمال افريقيا ، فما تأييد القنصل الفرنسي لعلي باشا اثناء الثورة الا من اجل تحقيق اغراضها الاستعمارية تلك الأغراض التي تتلخص في تدعيم وجودها في الجزائر من ناحية ، ومن ناحية أخرى بسط نفوذها على علي باشا الى ان تجد المبرر القوي لاحتلال الايالة الطرابلسية . وذلك لعلمها بأن شخصية علي باشا اضعف من شخصية الثائر وانها بضعف تلك الشخصية تستطيع تحقيق أغراضها في حين ان تلك الأغراض قد

يعوق تحقيقها وجود محمد بيك في حكم الايالة ، وخاصة أنه تؤيده انكلترا منافستها والصخرة التي تقف أمام توسعها وامتداد نفوذها في الشمال الافريقي .

وحينما بادر السلطان محمود الثاني ببسط سيطرته الفعلية على الايالة الطرابلسية وضمها إلى حكمه المباشر سنة ١٨٣٥ ، ورأت فرنسا أن مخططها قد فشل أخذت تبحث عن وسيلة أخرى لتحقيق أغراضها ومطامعها الأولى .

فمن ناحية أخذت تتصل ببعض زعماء البلاد وتشجعهم على الثورة ضد الدولة العثمانية ، ومن ناحية ثانية فقد أحيط سفر قنصلها « ليون روش » من طرابلس إلى فرنسا سنة ١٨٥٥ ، بإشاعات كثيرة وخطيرة لا بالنسبة لايالة طرابلس فقط بل كذلك بالنسبة لتونس ومصر أيضاً . فقد أشيع بين الأجانب المقيمين بمدينة طرابلس بأن سفر « ليون روش » كان لغرض تقديم مشروع إلى حكومته يمكنه من تحقيق أغراضها في السيطرة على الشمال الافريقي .

ويتلخص هذا المشروع في أن تقوم الحكومة الفرنسية باقناع الدولة العثمانية بمزايا تقسيم الايالة الطرابلسية بين مصر وتونس ، فتريح نفسها بذلك من مشاكل هذه الايالة إلى غير ذلك من المزايا التي سوف تعود عليها من وراء تنفيذ هذه الفكرة وهي فكرة التقسيم .
وقد ورد الحديث عن هذا المشروع في الرسالة التي بعث بها الوالي العثماني بطرابلس وهو مصطفى نوري باشا إلى وزارة الخارجية العثمانية بتاريخ ٢٣ شوال سنة ١٢٧١ هـ الموافق لسنة ١٨٥٥ م .

ونظراً لأهمية هذه الرسالة وخطورتها فإنني أورد هنا أهم ما جاء فيها بخصوص هذا المشروع ثم بعد ذلك أعلق على ما جاء فيها ليكون التعليق

مركزاً وأكثر وضوحاً ، على انني سوف أنشر نص هذه الرسالة كاملاً في الملحق الخاص بالوثائق [1] .

وقد جاء في هذه الرسالة بخصوص هذا المشروع ما يأتي :

« ... وانه بناء على التحقيقات السرية والروايات التي وصلت إلى حد التواتر بين الأجانب هنا ، أن سبب حصول القنصل المذكور (يعني القنصل الفرنسي) على رخصة لزيارته السابقة الى فرنسا ، هو الاتصال بالمسؤولين هنـاك ليعرض عليهم مشروعاً تلحق بموجبه متصرفية بنغازي بالايالة المصرية ونفس طرابلس ومتصرفتي الجبل الغربي والخمس بالايالة التونسية ، وبهذا لا تبقى حاجة لتعيين والٍ من السلطنـة العثمانية السنيـة إلى هذه الايالة ، وتعيين في طرابلس قائمقامـاً أي نائباً من أسرة يوسف باشا القرمانلي على أن يكون تحت نظارة والي تونس وتابع له وترسل تونس قوة عسكرية كافيـة لحفظ الأمن في طرابلس . وفي مقابـل هذا الوضع تدفـع تونس ضريبة سنوية معينة للدولة العثمانية وأن يكون في نفس طرابلس وكيلاً لقنصل فرنسا العام في تونس » .

ثم تحدث الوالي في هذه الرسالة عن دور القنصل الفرنسي ليون روش في احداث القلاقل للدولة العثمانية وذلك لكثرة اتصالاته بغومه من أجل تشجيعه على التمادي في ثورته التي كان قد أشعلها في منطقة الجبل الغربـي

---

١ رسالة الوالي العثماني بطرابلس مصطفى نوري باشا الى وزارة الخارجية العثمانية بتاريخ ٢٣ شوال سنة ١٢٧١ هـ (١٨٥٥ م·) ويوجد اصل هذه الرسالة بـدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب ، وهي باللغة التركية وقد ترجمها لي الحاج محمد الاسطى وراجع هذه الترجمة السيد عبد السلام ارهم ·
انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم (٦٧) ·

بطرابلس . وختم هذا الوالي رسالته بأن هذه الروايات التي ذكرها لا يستطيع أن يحكم بصدقها أو تكذيبها على انه سوف يعلم وزارة الخارجية العثمانية في المستقبل عن كل ما يتحقق لديه في هذا الشأن [1] .

يتضح لنا من هذه الرسالة أن فرنسا كانت كما سبق وأشرت تخطط لاحتلال الايالة الطرابلسية ، وان العائق الذي حال دون هذا الاحتلال هو مبادرة السلطان محمود الثاني بضم هذه الايالة الى السيطرة العثمانية المباشرة . ونتيجة لذلك فإن فرنسا أجلت هذا الاحتلال خشية أن يؤدي احتلالها لها وهي تحت السيطرة العثمانية إلى نشوب حرب مباشرة مع الدولة العثمانية ، وذلك سيكون في غير مصلحتها ، لأنها بذلك سوف تجر على نفسها عداء جميع الولايات الاسلامية من ناحية ومن ناحية أخرى فإن انكلترا لن توافقها على ذلك .

وفي الحقيقة سواء أكان هذا المشروع من بنات أفكار هذا القنصل أو

---

١ يوجد الكثير من القرائن التي تؤكد صحة هذا المشروع الذي تحدث عنه الوالي العثماني في رسالته السابقة ، منها ان الوالي نفسه لم يستطع نفي تلك الشائعات كما ان تفاصيلها تقترب من الواقع ، ففرنسا كانت ايام الثورة بطرابلس تقف بجانب يوسف باشا وتؤيد ابنه على ضد الثائر ، ثم يأتي هذا المشروع فنجد فيه أن فرنسا تقترح أن تعين الدولة العثمانية أحد أفراد أسرة يوسف باشا أيضا ليكون نائبا لوالي تونس . ثم ان ما تكشفت عنه السنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر من احتلال فرنسا لتونس سنة ١٨٨١ ، وانجلترا لمصر سنة ١٨٨٢ ، تجعلنا نسلم بوجود اتفاق سابق على هذا الاحتلال ، وليس لدينا ما ينفي ان يكون هذا الاتفاق هو ذلك المشروع الذي قدمه القنصل الفرنسي ليون روش لحكومته ، وأن سبب التاخير في تنفيذه في عامي ١٨٨١ و ١٨٨٢ . وربما ايضا ان سبب انقاذ الايالة الطرابلسية من ذلك المصير يرجع الى رفض الدولة العثمانية لهذا المشروع واستمرار البلاد تحت سيطرتها المباشرة ، الى ان تطورت الظروف السياسية وضعفت الدولة العثمانية واتفقت ارادة الدول الاستعمارية على ان تكون ليبيا من نصيب الدولة الاستعمارية على ان تكون ليبيا من نصيب الدولة الايطالية سنة ١٩١١ .
يضاف الى ذلك العديد من الوثائق التي تذخر بها دار المحفوظات التاريخية بطرابلس تؤكد دور فرنسا في السعي بمختلف الوسائل للاطاحة بالحكم العثماني وذلك عن طريق اتصالها وتشجيعها لكثير من زعماء البلاد على القيام بثورات لا حبا في سواد عيونهم كما يقولون ولكن لازالة تلك العقبة التي تحول دون تحقيق مطامعها الاستعمارية الا وهي السيطرة العثمانية على البلاد .

أنه وضعه بأمر من حكومته فهو بدون شك بعد على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لفرنسا وكذلك على جانب كبير من الخطورة بالنسبة لجميع المسلمين ،لأنه في حالة اقتناع الدولة العثمانية بفائدة هذا المشروع والاقدام على تنفيذه فإن العائق الذي كان يحول دون احتلال فرنسا للايالة الطرابلسية سيزول . وحينما تقدم فرنسا على احتلال تونس فإنها في نفس الوقت ستضم اليها القسم التابع لها من الايالة الطرابلسية بحكم تبعيته لتونس .

وفي هذه الحالة ستكون المشكلة بينها وبين تونس وهي أقل خطراً من كونها بينها وبين الدولة العثمانية وسوف يحدث لتونس مثل الذي حدث للجزائر حيث أن السيادة العثمانية فيها كانت قد وصلت إلى أدنى درجة من الضعف ، ولا شك في أن ضعف السيطرة العثمانية كان من أهم العوامل التي أغرت فرنسا باحتلال الجزائر معلنة بأن السيادة العثمانية على هذه البلاد قد انقطعت منذ زمن بعيد .

ولكن لماذا قسم القنصل الفرنسي الايالة الطرابلسية إلى قسمين في مشروعه السابق ولم يضمها كلها الى الايالة التونسية مع علمه بأن ضم الكل أفيد لدولته من ضم الجزء ؟

وفي اعتقادي أن السبب في ذلك يرجع إلى احتمالين : أولهما ، هو أن القنصل الفرنسي في أثناء وضعه لهذا المشروع كان يخشى معارضة انكلترا له عند سماعها به ؛ فأراد أن يترك لها نصيبها في هذه الغنيمة فتلهو به عن معارضتها لهذا المشروع .

وثانيهما ، هو ان القنصل الفرنسي ربما يكون قد وضع هذا المشروع بالاشتراك مع القنصل الانكليزي ، على أن تقوم فرنسا باحتلال تونس وما يتبعها من الايالة الطرابلسية ، وتقوم انكلترا باحتلال مصر وما يتبعها من بقية الايالة الطربلسية .

وهذا ما تكشفت عنه السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر حينما استولت فرنسا على تونس سنة ١٨٨١ وانكلترا على مصر سنة ١٨٨٢ ، وتأخر وقوع ليبيا في قبضة الاستعمار الايطـالي إلى أواخر سنة ١٩١١ لأسباب سبق أن أشرت اليها .

وهكذا انتهى عهد حكم الأسرة القرمانلية ، ورجعت الايالة الطرابلسية الى الحكم العثماني المباشر .

ولكن هل انتهت تلك الثورات الداخلية ؟ وهل عاش الشعب حياة هادئة مطمئنة يسودها العدل والأمن والسلام ؟

تطورات الموقف السياسي في البلاد بعد سقوط الدولة القرمانلية

بالرغم من أن الاجابة عن هذين السؤالين تتطلب دراسة واسعة لتاريخ الايالة الطرابلسية في العهد العثماني الثاني ،وهذا الموضوع يتجاوز موضوع كتابي ، الا أنني سوف ألقي بعض الضوء على أهـم الأحداث التي وقعت في البلاد خلال السنوات القليلة الأولى التي تلت رجوع هذه الايالة الى الحكم العثماني المباشر لتكون صورة دراستي لتاريخ الأسرة القرمانليـة واضحة في ذهن القارىء والدارس لتاريخ هذه الأسرة .

فبالرجوع الى أحداث استيـلاء مصطفى نجيب باشا على الايالة سنـة ١٨٣٥ ، نجد أنه وان كان قد وفق في تنفيذ الخطة التي رسمت لارجاع الايالة الى الحكم العثماني المباشر الا أنه قد تصرف بعض التصرف الذي أساء إلى الدولة العثمانية أكثر مما أفادها ، وجعل زعمـاء البلاد وعلى الأخص الثوار منهم ،يشكون في نوايا الدولة العثمانية نحوهم ويستمرون في ثوراتهم

إلى أن شاء القدر بأن يضع لهذه الثورات النهايات التي اختارها.

فعندما جاء غومه المحمودي في وفد من قبيلته إلى مصطفى نجيب باشا لتهنئته وللتعبير عن ولائهم للدولة العثمانية ، أظهر لهم الوالي العثماني عظيم ترحابه وشكرهم على مجيئهم اليه وعلى ما قدموه من فروض الولاء والطاعة . وحينما استأذن غومه من الوالي بالسماح له بالرجوع الى بلده ، أظهر له الوالي رغبته في التشاور معه في بعض الأمور الهامة ، فوافق غومه على البقاء وأمر الوفد المرافق له بالرجوع على أن يلحق بهم فيما بعد .

وما أن خرج الوفد من مدينة طرابلس حتى أصدر مصطفى نجيب باشا أوامره الى حرسه بالقبض على غومه ونقله الى سجن القلعة المظلم [1] وذلك لأنه كان يشك في ولائه وخاصة أنه تربطه بيوسف باشا علاقات صداقة قوية ، وأن هذه الصداقة قد تجعله يفكر في القيام بثورة لارجاع الحكم اليه .

وكان هذا التصرف من جانب الوالي العثماني مثار قلق واضطراب في كثير من أجزاء الايالة . فقد هددت قبيلة غومه بالثورة اذا لم يطلق سراح زعيمها وقائدها ، وكذلك بقي عبد الجليل بن غيث بفزان ولم يشأ المجيء إلى طرابلس للاعلان عن ولائه للدولة العثمانية خشية أن يلقى نفس المصير الذي لقيه غومه،وقد سلك نفس هذا المسلك أيضاً عثمان آغا حاكم مصراتة .

وبدأت تخيم على البلاد موجة من الشك والريبة تنذر بقيام ثورة عارمة على الحكم العثماني الجديد . الا ان بقاء مصطفى نجيب باشا في طرابلس لم يدم طويلاً حيث أسند أمر الولاية الى محمد رائف باشا في ٧ سبتمبر سنة ١٨٣٥ لأسباب سبق ذكرها .

---

١ احمد النائب : « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ص ٣٥٧ .

وكان أول عمل قام به هذا الوالي هو اطلاق سراح الشيـــخ غومه وأرسله الى أهله معززاً مكرماً ، كما انه قبل كفالته وضمانته لابراهيم بيك ابن يوسف باشا حينما قرر الاقامة في الزاوية . وذلك أملاً في كسب صداقة الشيخ غومه وقبيلته التي تعد من القبائل الكبيرة صاحبة النفوذ في منطقة الجبل الغربي بطرابلس .

وكان من الممكن أن يكسب هذا الوالي ثقة الثوار فيه وأن ينتهـــي عهد الفوضى والاضطراب لولا اقدامه على مهاجمة سكان تاجوراء .

وكان سبب ذلك الهجوم هو أن والدة وأخت محمد بيك الذي كان ثائراً على يوسف باشا،قد ذهبتا الى تاجوراء بعد سقوط الدولة القرمانلية وحينما جاء محمد رائف والياً على البلاد أرسل في طلب والدة محمد بيك وأخته ، وخشيت والدة محمد بيك من هذه الدعوة ورفضت الامتثـــال لأمره وطلبت من السكان حمايتها هي وابنتها من نواياه ، فأجيب طلبها . وكان لذلك أسوأ الأثر في نفس الوالي العثماني فأرسل الى تاجوراء قوة كبيرة في أوائل شوال سنة ١٢٥١ هـ الموافق لسنة ١٨٣٥ م لتأديب السكان ولاحضار والدة محمد بيك وابنتها .

وحينما وصلت القوة الى تاجوراء رفض الأهالي تسليم من طلب حمايتهم ودارت بينهم وبين قوة الوالي معركة دامية سقط فيها الكثير من القتـلى والجرحى من أهالي تاجوراء وأخيراً تمكنت قوة الوالي من الانتصار على أهالي تاجوراء ودخلت المدينة ، غير أن قائد قوة الوالي أصيب بخيبـة أمل عندما لم يعثر على والدة محمد بيك وابنتها وذلك لهروبهما إلى مدينة مصراتة أثناء المعركة [١] .

فكان لعمله هذا بالاضافة إلى ما ارتكبه جيشه من جرائم أخلاقيـة مع نهب الأموال من الآمنين سبباً في اضطراب الأحوال السياسية في البلاد

---

١ أحمد النائب : « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ .

بدرجة دفعت هذا الوالي الى أن يرسل في سنة ١٢٥٢ ﻫ (١٨٣٦ م) رسالة الى الصدر الأعظم يعلمه فيها بضرورة ابعاد بعض الأشخاص الذين شك في ولائهم ورأى أن وجودهم يؤدي الى عدم استقرار الحكم في البلاد ويطلب فيها منه امداده بألفين من العساكر والخيالة حتى يتمكن من اقرار الأمن الذي اختل في الايالة .

ومن الجدير بالملاحظة أن هذه الرسالة تحمل في طياتها معنى التفرقة العنصرية بين الأتراك والعرب، فقد تحدث هذا الوالي بشكل أظهر الأتراك كسادة حكام وأظهر العرب كعبيد محكومين ولا بد لاخضاع المحكومين لطاعة الحكام من استعمال القوة والتهديد . ومما قاله في هذا الصدد ما نصه [١] :

« ولاقرار الأمن في البلاد لا بد من ارسال ألفين من العساكر الخيالة لأن العرب بطبيعتهم لا يدخلون في طاعتنا بسهولة بل يحتاجون الى التهديد والتضييق والضرب الشديد ، حتى أن العرب الذين قدموا الطاعة لنجيب باشا انما هي طاعة كاذبة وأخذوا منه بعض النقود لأنهم لا يميلون الا لها . وأن العربان الذين هم في الخارج يوم أن كانوا محاصرين للقلعة مع محمد بيك فقد أخذوا كل الأموال لأنفسهم واذا ما غضينا النظر عن الماضي ، فإنهم كذلك الى الآن لا يريدون دفع أي شيء . ولادخالهم تحت الطاعة لا بد من القوة القاهرة السلطانية وهذه متروكة للأمر والفرمان السلطاني » .

---

١ رسالة محمد رائف باشا وعزمي بك الصدر الاعظم بخصوص ابعاد بعض الاشخاص من طرابلس . وهي صورة من وثائق رئاسة الوزارة التركية رقم ٢٢٥٠٥ – سنة ١٢٥٢ ﻫ (١٨٣٦ م.) وتوجد صورة هذه الرسالة الان بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب – وقد ترجمها لي الحاج محمد الاسطى وراجع الترجمة السيد عبد السلام ادهم .
انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم (٦٨) .

وفعلاً استجابت الدولة العثمانية لطلب واليها وأرسلت اليه في أوائل ربيع الأول سنة ١٢٥٢ هـ (١٨٣٦ م) أسطولاً مكوناً من اثني عشرة سفينة محملة بالسلاح والعتاد كما وصلت اليه المساعدات من تونس . وقد حدد لنا أحمد النائب تلك المساعدات التونسية بأنها عبارة عن طابورين من العساكر وثلاثمائة حصان [١] .

وكان لمجيء هذه الامدادات وتلك المساعدات أثرها في ازدياد بطش هذا الوالي مما أدى الى اضطراب الأحوال السياسية وتمادي الثوار في ثورتهم خوفاً على أنفسهم وعلى الجماهير التابعة لهم .

فعبد الجليل بن غيث بن سيف النصر ظل ثائراً في فزان الى سنة ١٢٥٨ هـ الموافق لسنة ١٨٤٢ م . ففي هذه السنة أرسل رسالة مطولة الى والي ايالة طرابلس المدعو علي عشقر باشا (١٨٣٨ – ١٨٤٢ م) يشرح له فيها الأسباب التي من أجلها قام بثورته والظروف التي دفعته الى الاستمرار في هذه الثورة ، والتي منعته من المجيء الى مدينة طرابلس للاعلان عن ولائه للدولة العثمانية .

ثم أعرب له عن رغبته في انهاء الثورة وفي اعلان ولائه للدولة العثمانية وانه على استعداد لأن يدفع كل ما على فزان من ضرائب متأخرة. وقد حدد المدة التي سوف يدفع عنها الضرائب بعشرين سنة سابقة على تاريخ هذه الرسالة [٢] .

غير أن علي عشقر باشا لم يثق في كلام عبد الجليل وامتنع عن الرد عليه وأصر على قتاله. وقابل عبد الجليل هذا التحدي بمثله وتعددت اللقاءات بينه وبين جيش علي عشقر أي ان حدث اللقاء الأخير في ١٨ من ربيع

---

١ احمد النائب « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ص ٣٥٩ .

٢ توجد هذه الرسالة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب ، وهي رسالة مطولة ومهمة جدا لمعرفة الكثير من المعلومات عن ثورة عبد الجليل بن غيث بن سيف النصر .

الثاني سنة ١٢٥٨ هـ الموافق لسنة ١٨٤٢ م بأرض سرت ، وفي هذا اللقاء تمكن حسن البلعزي [١] قائد جيش علي عشقر من القبض عليه وعلى شقيقه سيف النصر وقتلهما بعد معركة دامية استمرت ساعات طويلة .

والحقيقة أن عبد الجليل بثورته قد أزعج ولاة الدولة العثمانية حتى اننا نجد ان علي عشقر باشا قد عدد في تقريره الذي أرسله الى السلطان العثماني في سنة ١٨٤٢ ، المعارك الحربية التي خاضتها جيوش الدولة العثمانية بايالة طرابلس ضد عبد الجليل باحدى وعشرين معركة [٢] .

وهكذا شاءت ارادة الله أن تكون خاتمة عبد الجليل ونهاية حياته في عهد علي عشقر باشا ذلك الوالي الذي فاق من سبقه من الولاة ظلماً وجشعاً وسلباً لأموال الآمنين .

أما غومه المحمودي قد ظل ثائراً كذلك بالجبل الغربي في معظم الفترة التاريخية الواقعة بين سنة ١٢٥١ بعد اطلاق سراحه الى سنة ١٢٥٨ هجرية (١٨٣٥ – ١٨٤٢ م .) ، وفي هذه السنة الأخيرة أعلن عن ولائه للدولة العثمانية وقد وضع اقراراً على نفسه بذلك وكفله العديد من وجهاء البلاد وقد قبل الوالي العثماني محمد أمين باشا [٣] (١٨٤٢–١٨٤٧م.)

---

١ حسن البلعزي كان من انصار علي باشا القرمانلي ومن المؤيدين له ، وفي سنة ١٨٣٦ اشتبه فيه محمد رائف باشا ودبر مؤامرة لنفيه من الايالة ثم عدل عن رأيه – انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم (٦٨) .

٢ يوجد هذا التقرير بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب وهو من الوثائق الهامة لانه يتحدث عن حالة طرابلس من الناحية السياسية والاقتصادية في الفترة الواقعة ما بين سنة ١٨٣٨ وسنة ١٨٤٢ م.

٣ يلاحظ ان احمد النائب يذكر لنا في كتابه « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » صفحة ٣٦٧ بأن محمد أمين باشا حينما ولي على طرابلس أحضر معه عزمي بك – وكان عزمي هذا هو اول دفتردار قدم الولاية .
ولكن الحقيقة كما ظهرت لنا من بعض الوثائق التي سبق واستشهدت بها في بعض الاحداث ومنها وثيقة رقم (٦٨) وغيرها ، نجد ان عزمي بك كان قد قدم الى طرابلس كدفتردار لها منذ مجيء الوالي محمد رائف ١٨٣٥ وليس كما ذكر احمد النائب .

هذا الولاء وعفا عما سلف من غومه [١].

وبالرجوع الى اقرار غومه المحمودي نجده ، قد تحدث فيه عن سبب استمراره في ثورته وأرجع ذلك الى ظلم الولاة الذين تولوا حكم الايالة قبل مجيء محمد أمين باشا ، وتعديهم على حرمات الدين ، وأنه لخوفه على حياته قرر عدم المجيء الى مدينة طرابلس ، ثم شرح الأسباب التي دعته الى اعلان خضوعه للدولة العثمانية وأرجع ذلك الى تأكده من عدالة واليها محمد أمين باشا وشفقته على الرعية وتمشيه على حسب القوانين الشرعية .

ومما قاله بعد أن عدد مزايا هذا الوالي ما يأتي :

« ولما تحقق عندنا ذلك ها نحن قدمنا عليه وحضرنا بين يديه خاضعين طائعين لله رب العالمين ثم للدولة العلية وصرت عبداً مملوكاً اليها في كل وقت وحين والانسان محل الخطأ والكمال لله والدولة العلية محل العفو والفضل والحنان والرفق . ويكون في علمكم ان بر العرب والسخرية تركته [٢] وصرت من العساكر المنصورة العثمانية » .

---

١ اقرار من الشيخ غومه المحمودي يعلن فيه استسلامه وخضوعه للدولة العثمانية بتاريخ ٢٤ رجب سنة ١٢٥٨ (١٨٤٢ م.) وهو باللغة العربية ويوجد اصله بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب .
انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم (٦٩) .

٢ لا أدري بالتحديد ماذا يقصد بهذه الجملة ، اللهم الا اذا كان يعني انه قد ترك زعامة القبائل التابعة له وما كان له عليها من نفوذ وسلطان وفضل البقاء كمجرد جندي مخلص من جنود الدولة العلية كما قال وذلك في اقراره وكما اكده احمد النائب في كتابه « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » صفحة ٣٦٧ ، حيث نجده يحدثنا بأن غومه قدم على الوالي بعد ان استدعاه وأن الوالي عظم من مقامه وانعم عليه برتبة قبجي باش ، وولاه عضوا بمجلس الادارة وان غومه استوطن باهله مدينة طرابلس منذ ذلك الوقت الذي وصل فيه الى المدينة .

وبعد أن استشهد غومه بالآيات الكريمة التي تأمر بطاعة الله والرسول وأولي الأمر قرر على نفسه بأنه ان عاد الى القيام بأي حركة معاديـة للدولة العثمانية فإنه يكون من حقها وحق الذين كلفوه محاكمتـه بمقتضى نصوص الشرع الشريف . وقد كفله العديد من وجهاء وأعيان البلاد في اقراره هذا .

وبعد هذا الاقرار من الشيخ غومه وكفالة أعيان البـلاد له ، أرسل اليه الوالي العثماني محمد أمين باشا يطلب منه المجيء اليه، وقد قبل غومه هذه الدعوة وتوجه الى مدينة طرابلس لمقابلته .

ويحدثنا النائب عن قصة مجيء غومه الى طرابلس فيقول [١] :

« ثم استقدم الشيخ غومه بأمانة بواسطة مصطفى بيك قورجي [٢] فقدم عليه (يعني على الوالي) وعظم من مقامه ونوه مجلسه ولطفـه برتبة « قبجي باشا » وولاه عضواً لمجلس الادارة وأسنى جرايته وبالغ في اكرامه واستوطن طرابلس بأهله من يومئـذ ، ثم حصل خلاف وعــدم وفاق بين غومه واللواء أحمد باشا ، فألقى القبض عليه ونفاه فانتقلت لذلك قبيلـة المحاميد وعموم أهالي الجبل وجاهروا بالعصيان » .

والحقيقة أن نفي غومه كان له صداه العميق في كافة نفوس الشعب

---

١ احمد النائب : « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ص ٣٦٧ .

٢ مصطفى بك قورجي ، هو صهر يوسف باشا ، وقد شغل مدة وظيفة رئيس الاسطول في عهده ويذكر لنا احمد النائب في كتابه « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ص ٣٤٩ بأن مصطفى هذا قد قال ليوسف باشا في اواخر عهده : « ان سيرتك قاضية الى الانحلال فنظر يوسف باشا الى شيبته وقال له : « يا مصطفى قد طاب زرعك » اشارة الى الفتك به فرد عليه مصطفى بقوله « والله ارضى ان تقتلني وستقيم » .
وهذه الحادثة تدل على أن بعض الذين كانوا يحيطون بيوسف لا يوافقون على تصرفاته وانهم كانوا يخشون أن تؤدي تلك التصرفات الى انهيار حكمه وحكم اسرته من بعده .

سواء في المناطق الجبلية حيث توجد قبيلته أو في المدن المختلفة من الايالة. وخشي بقية الزعماء على أنفسهم من ظلم ولاة الدولة العثمانية فظلت البلاد مدة طويلة قلقـــة مضطربة تجتاحها الثورات من وقت لآخر وكان أشد تلك الثورات ثورة المحاميـــد حيث كان غومه المحمودي هو زعيمهم وقائدهم .

وأملاً من الشيخ غومه في انهاء تلك الحروب المدمرة وفي رفـع ظلم الولاة واعادة الأمن والسلام الى ربوع البلاد ، فانـــه أرسل من منفاه رسالة مطولة باسمه ونيابة عن سكان ايالة طرابلس الغرب الى السلطـــان عبد المجيد سنـــة ١٢٦٨ هـ . (١٨٥٢ م .) وتعتبر هذه الرسالة من الوثائق التاريخية الهامة حيث أنها تشرح حالة البلاد السيـاسية والاقتصادية في السنوات السبع عشرة التي تلت سقوط الحكم القرمانلي ورجوع الايالة الى الحكم العثماني المباشر .

ونظراً لأهمية هذه الرسالة فانني سأقتصر على اعطاء فكرة عامة عن أهم الموضوعات التي تناولتها على أن أنشر نصها كاملاً في الملحق الخاص بالوثائق [١] .

فقد استهل غومـــه رسالته هذه بتمجيد السلطان العثماني وكيف انه أمـــام المسلمين وخليفتهم وكيف أنهم رعية من رعاياه . وما قيل في وجوب عدل الرعية من آيات قرآنيـــة وأحاديث نبوية . ثم تحدث عن خضوع ايالة طرابلس الغرب الى الحكم العثماني المباشر . ثم عن حالتهم في العهد القرمانلي وكيف أنهم كانوا في هنـاء وخير عظيم الى أن قام النزاع بين أفراد الاسرة القرمانلية من أجل الوصول الى الحكم . ثم تحدث

---

١ رسالة غومه المحمودي الى السلطان عبد الحميد سنة ١٢٦٨ هـ. (١٨٥٢ م.) ويوجد أصل هذه اللغة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب ، وهي باللغة العربية ــ انظر ملحق الكتاب وثيقة رقم (٧٠) .

عن مجيء نجيب باشا وعن الأسباب التي جعلته يعزل العائلة القرمانلية من الحكم ويستولي عليه هو ، مخالفاً بذلك الاذن العالي والأوامر السنية [1] . كما تحدث عما قام به نجيب باشا وغيره من الولاة الذين تولوا أمر الايالة من مظالم وما شهدته البلاد من حرب وقحط وأمراض . وبعد أن تحدث عن سوء سيرة الولاة قال :

« فتذكر الناس أيامهم مع حكامهم الأولين فصار منهم التنافر والتباعد عنهم ومن ظلمهم بالإذعان لطاعة دولتكم العلية ، وتوالت السنين بالحرب والأمراض والقحط والظلم فهلك الناس وكثر الخراب وكلما صار تبديل والي من الولاة رجون أن يكون الخلف أعدل وأسوس من سلفه فيكون هو أشد ظلماً من الأول ، وكلهم يجورون وبعد الأمان صبراً للناس يقتلون ونفياً يشردون ونحن صابرون مرتقبون لعل الولاة يسير منهم للناس حسن التفات وهم لا يصدر منهم إلا أعنف المعاملات مرتكبون في ذلك الأثم العظيم الذي هو مخالف لأمر الله تعالى ولارادتكم السنية لأنكم لا زلتم ، نصركم الله تعالى ، تأمرون بالعدل والاحسان وهم لا يمتثلون حتى بلغ الظلم نهايته بحيث لا طاعة لبشر على تحمله » .

وبعد أن فتح غومه قلبه للسلطان شارحاً له مدى ما ارتكبه أولئك الولاة من ظلم فاق قدره يبشر على الاحتمال ، استمر يتحدث اليه بصراحة ويأس عميق ، عن اهمال اولئك الولاة للدين وشرائعه وتعديهم على مقدسات

---

[1] لقد سبق ورأينا نص التقرير الذي أرسله الصدر الاعظم الى السلطان حول خطة الاستيلاء على طرابلس ، وعلى حسب ما جاء في هذا التقرير نرى ان نجيب باشا لم يكن احتلاله لايالة طرابلس مخالفا لاذن السلطان ولا للارادة السنية كما ظن ذلك غومه . .

الشعب ، وبيع القضاة للوظائف الشرعية علناً لمشتريها وما ترتب على ذلك من أضرار حيث أصبح المال هو الحكم الفصل في القضايا بدلاً من الشرع الشريف ، وكيف أن قضاة الشعب أصبحوا تحت رحمة وتحكم القضاة الذين يأتون من دار السعادة يصححون أحكامهم ويبطلونها على حسب المقدر من المكسب كما يشاءون . ومما قاله في هذا الصدد ما يأتي :

« والشرع الشريف أهملوه وشرائع الدين الحنيف غيروه ومذهبنا مذهب امام دار الهجرة حضرة الإمام مالك رضي الله عنه أبطلوه [1] .

والجوامع والمدارس خربت أو قربت من الخراب، ولا يصرفون ايراد الوقف في واجباته، فالقضاة يبيعون في الوظائف الشرعية لمشتريها والمشتري يصير يبيع في الحقوق لمن يدفع اليه الأكثر من المال ، ولا يحكمون في زالة الشرع الشريف الا الدرهم والدينار ، ووثايقنا [2] يتحكمون عليهم القضاة الآتين من دار السعادة يبطلونهم ويصححونهم على حسب المقدر من المكسب كما يشاءون » .

كما تحدث عن جشع أولئك الولاة وتكالبهم على جمع الأموال لا من

---

١ يلاحظ أن كلام غومه في هذا النص والنص السابق كان كلاما عاما حيث وصف كل الولاة الذين تولوا الحكم من يوم سقوط الحكم القرمانلي الى اليوم الذي كتب فيه رسالته هذه ، بالظلم والتعدي على حرمات الدين ، ولكن الحقيقة ان اشد أولئك الولاة ظلما وتعديا على حرمات الدين هما حسن باشا الجشمه لي (١٨٣٧ ـ ١٨٣٨ م·) وعلي عشقر باشا (١٨٣٨ ـ ١٨٤٢ م·) وان أعدلهم كان أمين باشا (١٨٤٢ ـ ١٨٤٧ م·) وخاصة في عهده الاول كما اكد ذلك اقرار غومه السابق · وان كان هذا الوالي قد انزل بقبيلته ما لا يتصوره العقل من العذاب لاعلانهــا للعصيان بعد نفي شيخها وزعيمها غومه فلقد حاربهم حربا لا هوادة ولا رحمة فيها · اما بالنسبة لبقية الشعب المسالم فقد عامله معاملة طيبة كمـا تشهد بذلك الوثائق الموجودة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب ·

٢ قضاتنا ·

أجل ارسالها الى خزينة الدولة العثمانية وانما من أجل جيوبهم ، شارحاً السبب الذي دفعهم الى ذلك،ثم تحدث عن بيعهم لبعض الوظائف الهامة علناً بدون اخفاء ، واسناد بعضها الآخر الى سفلة خدمهم بعد ان كان لا يتولاها الا من هو من علية القوم وأعيانها .

ومما قاله في هذا الصدد ما يأتي :

« أما أمر الحكومة فمن يوم وصول الوالي الينا يرتقب في عزله فتسير مهمته في جمع المال لنفسه بكل وجه فيبقى يبيع في الوظائف الملكية بيننا كالدلال وقد يولون أكثر مأموريات الايالة سفلة خدمتهم التي كان لا يتولاها الا من هو من الكبار والأعيان ، ومن اشترى وظيفاً فيسير يجلب لنفسه ويسعى في رد رأسماله وما يدخره بعد مصاريفه » .

ثم تحدث عن أعمال ومظالم أولئك الخدم وطريقة جمعهم للأموال من الناس بشكل يثير الدهشة والاستغراب ، كما تحدث عما يلاقيه الذين يحاولون الشكوى الى السلطان من هذه المظالم ، مبيناً ما آل اليه أمر الديوان وكيف أن أعضاء هذا المجلس أصبحوا تحت مشيئة الولاة يسيرونهم كما يشاءون وباسمهم يفرضون ما يريدون فرضه على الشعب ، ضارباً مثلاً لذلك باستغلالهم في تقدير الضرائب وغير ذلك بدون وجه حق وبشكل لا يقره الشرع ولا القانون وذلك لأنهم كانوا قد جعلوا على كل مدينة أو قبيلة مبلغاً معيناً من المال ، كذلك على كل شجرة من نخل أو زيتون وبأنهم بالاضافة الى ذلك كانوا يأتون في كل عام قبل جمع محصول شجر الزيتون فيحضرون الحب في شجره من أجل أخذ العشر ثم بعد عصره وجلبه إلى الأسواق يأخذون عليه الضريبة المقررة ثم يأخذون أيضاً العشر من محصول المعاصر . وكذلك الحال بالنسبة للزرع فانهم كانوا يخرصونه أيضاً في سنبله ، وكثيراً ما كانت نتيجة هذا

التخريص غير عادلة حيث ان بعض الأهالي كانوا يضطرون الى التسليم في جميع محصولهم من زرع وزيتون ولكن الولاة كانوا لا يقبلون منهم هذا التسليم اذ انهم كانوا يأخذون جميع محصولهم ثم يجبرونهم على دفع الفرق بين قيمة المحصول وقيمة العشر الذي قدر من قبل .

وبالاضافة الى كل أنواع الظلم السابقـــة فإن غومه يحدثنا في رسالته هذه بأن الولاة كانوا يفرضون على الأهالي شهرية القادة وجائزة القضاة وأجرة تسخير الحيوانات التي تنقل المهمات الى المدن وضيافـــة المأمورين وخدمهم أثناء مرورهم بالمدن المختلفة الى انهم قد أجبروا في مـدة عام ونصف على دفع ثلاث مساعدات أو معاونات نقدية للحكومة في الوقت الذي هم فيه على ثقة تامة وعلم أكيد بأن ارادة السلطان السنية قد جعلت هذه المساعدة أو المعاونة تدفع بطيب نفس من الأهالي عـلى أن يساهم فيها كل فرد بقدر استطاعته .

ثم تحدث الشيخ غومه عن هـــذه الاموال التي يجمعها الولاة وكيف أنها لا تذهب الى خزينـــة الدولة العثمانية ولا يستفيد منها الفقراء ولا المساكين ولا بيت المـــال . كيف أنهم ابتلوا بظلم متصل عظيم، الموت أهون لهم من التفكير فيه حيث أن طاقتهم على الصبر والاحتمال قـــد نفدت وأنهم أصبحوا لا يأمنون على أرواحهم وأموالهم وأغراضهم .

ثم مهد لطلبه بالحديث عن عدالة السلطان ورحمته وشفقته على الذين يتبعون دولته من المسلمين ومن أهل الذمة ومن النصارى ، وكيف أنه جعل حكام النصارى من أبنـــاء جنسهم ، ثم تساءل كيف لا يتمتعون هم بهذا الفضل مع أنهم من المسلمين السنيين ؟

وبعد هذه المقدمة الطويلة التي كتبها والحقد يملأ قلبه على ولاة الدولة العثمانية ، طلب من السلطان أن يكون الوالي عليهم باشا عربي من أهل البلد وأن يكون حكمه على الدوام لا كما قال كالطير الخاطف .

ومما قاله في هذا الصدد ما يأتي :

« ونحن متحقق عندنا شفقتكم على الأهالي وعدالتكم ورحمتكم وصدور أوامركم الشريفة بالوصايا الحسنة على المسلمين وغيرهم ممن يتبعكم حتى أن أهل الذمة والنصارى جاعلين عليهم حكامهم من أبناء جنسهم وأكابرهم رعياً للمصالح العامة . فكيف لا يكون الفضل علينا ونحن اسلام سنيون والحمد لله . فالمطلوب من مقام خلافتكم أن تنظروا الينا بعين الرحمة وما أمركم الله به من النظر في مصالح المسلمين بصدور أوامركم الشريفة بأن يكون الوالي علينا باشا عربي مؤيد يعلم نفسه أنه مقيم بيننا طوال عمره وأنها بلده ليس يكون عاملاً خاطفاً كالطير ، الا اذا صدر منه فعل مغاير لرضى الباري تعالى ولأمركم الرفيع فترفعه عنا وتنصب عوضه » .

وفي مقابل هذا الطلب تعهد غومه للسلطان بأنه في حالة موافقته على هذا الطلب فان سكان الايالة سوف ينفذون أربعة شروط هي :

أولاً : يتعهدون بدفع جميع رواتب الجند الذي يخصص لبلادهم وكذلك نفقات معيشتهم .

ثانياً : يتعهدون بدفع جميع مصاريف الوالي الشرعية .

ثالثاً : يجتهدون في اصلاح ما خرب في البلاد من مدارس ومساجد وأراضي بالاضافة الى قلاعها وأسوارها وأنهم سوف ينفذون كل الأوامر التي يصدرها السلطان اليهم .

رابعاً : يتعهدون بأنهم سوف يرسلون الى خزينة الدولة العثمانية بقدر

ما وصلها الآن بعد المصاريف والنصف زيادة [1] .

ولكي يجعل الشيخ غومه السلطان يقتنع بقدرتهم على تنفيذ هذه الشروط نجده يذكر له بأن قيمة مصاريف هذه الايالة ستكون معلومة ومعروفة لدى جميع الأهالي وسوف يحدد لكل فرد ما يجب عليه دفعه من قيمة هذه المصاريف ، وأن الأهالي سوف يدفعون جميعاً ما يقرر عليهم لأنهم سيكونون على علم أكيد بأن هذه الأموال التي دفعوها سوف تصرف في منفعة البلاد ومصالح المسلمين ، وأنهم في أمان على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم .

ثم أراد غومه أن يعين بطريقة لبقة الأسرة التي يجب أن يكون منها هذا الوالي العربي المطلوب ، فبعد ان أغرى السلطان بهذه العروض وشرح له الكيفية التي يمكن بها تنفيذها ، بيّن له كيف انهم لو كانوا يسيرون أو يحكمون على هذا النمط كما كانوا في السابق أي في العهد القرمانلي ، لاستطاعوا أن يساعدوا الدولة العثمانية في حربها مع الروس ، غير أن ما مر على البلاد من ظلم وما نهبه الولاة من أموال أهلها قد جعلها في هلاك وخراب ، حتى عجزت ان تكون الآن كأصغر ايالات الدولة العثمانية بعد عظمتها الأولى ، طالباً أن يكون الحاكم المرغوب فيه هو من أحد أفراد الأسرة القرمانلية . وفي آخر رسالته نجده يعين اسم هذا الوالي وهو حسن بيك القرمانلي .

---

[1] بالنظر الى ما جاء في النص السابق وفي هذه الشروط بصفة خاصة وبقية النصوص التي استخلصتها من رسالة غومه هذه بصفة عامة ، تتضح لنا حقيقة هامة وهي ان الثورات الداخلية التي قام بها الثوار في الايالة الطرابلسية لم يكن الهدف منها هو الانفصال عن الدولة العثمانية وتكوين دولة مستقلة عنها استقلالا تاما ، وانما كانت تلك الثورات تستهدف اشخاص ولاتها فقط لظلمهم الشديد للرعية ، مع رغبة اصحاب تلك الثورات في الحصول على فوائد لانفسهم كالتمتع بحكم الاقاليم التي كانوا يقومون فيها بثوراتهم .

فقد كان هدف غومه المحمودي مثلا هو حكم منطقة الجبل الغربي ، وهدف عبد الجليل بن غيث هو حكم فزان مع اعترافها بوالي الولاية وخضوعهما لسلطته العليا .

وقد لا يدهشنا هذا الطلب من غومه ، لأننا نعرف مدى المكانة التي كان يتمتع بها والده ثم هو نفسه لدى أفراد هذه الأسرة ، ولكن الذي يدهشنا حقاً هو ان غومه يعتبر ان الأسرة القرمانلية من اصل عربي مع أن التاريخ يثبت انها من أصل تركي ومن مدينة قرمان بآسيا الصغرى كما سبق القول في الحديث عن أصل هذه الأسرة . وان كان من طول مكثهم بليبيا قد أدى بهم الى الاستعراب .

وفيما يلي نص ما قاله غومه في هذا الصدد :

« فالمأمول من فضلكم العلي ان يكون تعيين هذا الباشا على المنوال المحرر جلباً لصالح دعائنا ومنة علينا من هو الأحق به والأليق اليه الذي هو من سلالة دولتكم [1] .... [2] العلية وغرسها من قديم الزمان وخدامها سلفاً عن خلف وهو عربي من جنسنا ومن أهل بلادنا احد البيات من السادات القرمانلية لأنهم يعرفوننا ونعرفهم ويعلمون طباثعنا ويسوسوننا طبق ارادتكم العلية » .

ثم بيّن غومه المزايا التي سوف تعود عليهم وعلى البلاد اذ ما استجاب السلطان لطلبهم هذا ، ولكي يجعله يتأكد من حبهم لهذا الوالي وتعلقهم به ، أقسم له بمختلف العهود على أنهم سوف يطيعونه في كل شيء ، وعلى أنهم لن يخالفوا له أمراً ، إلا في أمر هو مخالف لرضى الله ولأمر السلطان ، وأنهم كذلك على استعداد لتقديم ما يشاء من أبنائهم ليكونوا كرهائن لديه .

---

١ في هذا النص يظهر تناقض غومه فهو يقول عن الباشا القرمانلي انه من سلالة الدولة العثمانية ثم يعود فيقول انه عربي من جنسنا .

٢ الجملة غير واضحة ، غير انه يمكن قراءتها على النحو الاتي ، « ذات الاركان العلية » .

وخوفاً من أن السلطان سوف يسند أمر التحقيق في كل ما جاء في هذه الرسالة الى الصدر الأعظم فيكون مصيرها كمصير الالتماس الذي أرسله اليه بعض الأعيان من قبل . لذلك نجده يسترسل في الحديث عن ذلك الالتماس مبيناً للسلطان كيف أن الصدر الأعظم أرسل أحد الذين يثق فيهم الى طرابلس وكيف أن واليها مصطفى نوري (١٨٥٢ – ١٨٥٦ م .) قد جمع الناس قهراً وأجبرهم على كتابة عريضة يكذبون فيها ما قيل في ذلك الالتماس ، وكيف أنه لولا تدخل السلطان لتوفي الذين نفاهم في قسطاموني .

وأخيراً ختم رسالته بشرح مظالم هذا الوالي وكيف أنه حارب الأهالي حرب ابادة وكيف انهم ما حملوا السلاح إلا للدفاع به عن أنفسهم وأموالهم وأعراضهم مبيناً المعاملة الحسنة التي عامل بها الأهالي أولئك الجند الذين يقعون في أيديهم وأخيراً طلب منه أن يكون الوالي المرغوب في ولايته عليهم هو حسن بيك القرمانلي حفيد بيك بنغازي السابق ، لأنه بولايته سوف يسعد العباد ويصلح ما دمره الفساد .

وبالرغم مما جاء في رسالة غومه هذه من مدح للسلطان وبيان لظلم ولاته وقسوتهم وتعديهم على أموال الرعية بغير حق وبشكل لا يقره الشرع الشريف ، بالرغم من كل ذلك نجد أن السلطان عبد المجيد لم يهتم بطلب غومه السابق،مما جعل غومه يقرر الهرب من منفاه وقد تمكن من تحقيق ذلك في سنة ١٢٧١ هـ (١٨٥٥ م) وكان لوصوله إلى منطقة الجبل حيث الثوار من قبيلته اكبر الأثر في رفع روحهم المعنوية .

ويبدو ان غومه سئم القتال واشتاق الى حياة الهدوء والاستقرار اذ نجد ان احمد النائب يحدثنا بأن غومه بعد ان هرب من المنفى ووصل إلى منطقة الجبل ارسل رسالة الى والي الايالة مصطفى نوري باشا يطلب العفو

عنه ، غير ان هذا الوالي لم يقبل طلبه [1] .

وكانت نتيجة لرفض هذا الوالي لطلب غومه هو ان هذا الأخير صمم على الاستمرار في ثورته وتولى قيادة الثورة بنفسه وتعددت اللقاءات بينه وبين جند الدولة العثمانية في ايالة طرابلس الى سنة ١٢٧٢ هـ (١٨٥٦م) ، وفي هذه السنة تمكن جيش الوالي الجديد عثمان باشا من الانتصار عليه، وبعد هزيمته ارسل اليه الوالي برنوساً محلى بالفضة وحصاناً مع بعض الأعيان وطلب منه ضرورة مغادرة البلاد الى تونس ، وقد استجاب غومه لهذا المطلب ووفى بما تعهد به [2] .

غير ان غومه لم يستمر طويلاً على عهده ، اذ نجده في سنة ١٢٧٤ هـ (١٨٥٨ م) يغادر تونس الى طرابلس وما كاد يصل الى اغدامس حتى وصل خبر رجوعه الى عثمان باشا فأرسل اليه قوة كبيرة بقيادة اللواء مصطفى باشا وتم اللقاء بينه وبين غومه بمكان يعرف بوادي « وان » بالقرب من اغدامس ، وفي هذا اللقاء شاء القدر أن تكون نهاية حياة الشيخ غومه المحمودي الذي لا شك انه قد أزعج بثورته ولاة الدولة العثمانية لسنوات عديدة، وبوفاته سنة ١٢٧٤ هـ (١٨٥٨ م) تنفست الدولة العثمانية الصعداء اذ انها اعتبرت وفاته نهاية لعهد الاضطراب ، وبداية لاستقرار حكمها في الايالة .

أما في برقة فان الحالة السياسية فيها كانت أهدأ مما كانت عليه الحالة في طرابلس ، ولعل السبب في ذلك يرجع الى قيام الدعوة السنوسية فيها على يد الإمام السيد محمد بن علي السنوسي [3]

---

١ احمد النائب « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ص ٧٩ ٣٠.

٢ احمد النائب ، المرجع السابق ص ٣٨١ .

٣ ولد السيد محمد علي السنوسي بضواحي مدينة مستغانم بالجزائر سنة ١٢٠٢ هجرية (١٧٨٧ ميلادية) وتوفي بواحة الجغبوب ببرقة سنة ١٢٧٦ هـ. (١٨٥٩ م) .

سنة ١٨٤٢ [1] ، وسيطرته الروحية على جميع قبائلها .

وكانت الدعوة السنوسية في مبدئها طريقة من الطرق الصوفية أنشأها الإمام السيد محمد بن علي السنوسي رغبة منه في العودة بالاسلام الى سابق عهده ، وذلك بالسير عـلى سنن السلف الصالح ونبذ الخرافات والبدع المستحدثة ، وقد اعتمد في نشر دعوته على اساسين ، الأساس الأول: هو انشاء العديد من الزوايا لتكون كمراكز للعبادة وللتعليم ولنشر مبادىء الدعوة ، أما الأساس الثاني : فهو شيوخ الاخوان الذين كانوا يقومون بنشر مبادىء هذه الدعوة بين القبائل المختلفة .

وكان للتقارب الذي حدث بين الإمام السنوسي وبـين الدولة العثمانية أثره الكبير في استقرار الحالة السياسية في برقة،حيث كان الامام السنوسي يرى ان وجود الدولة العثمانية بصفتها دولة الخلافة في ذلك الوقت ، يعد أساساً هاماً في وحدة العـالم الاسلامي ، وأنها السياج الذي يحميه من التفكك والانهيار .

وفي نفس الوقت كانت الدولة العثمانية تنظر الى الامام السنوسي على أساس انه عامل استقرار في البلاد وخاصة في المناطق الداخلية منها .

وبذلك فإن العلاقة السياسية قد استمرت طيبة وهادئة بين السيد محمد ابن علي السنوسي وبين الدولة العثمانية وولاتها في ايالة طرابلس طيلة مدة حياته .

وبقيام الدعوة السنوسية في برقة تبدأ مرحلة جديدة وهامة في تاريخ ليبيا الحديث لما لها من آثار سياسية واقتصادية واجتماعية على جانب كبير من الأهمية لا بالنسبة لسكان برقة فحسب بل بالنسبة لسكان جميع الايالة .

---

١ تعد سنة ١٨٤٢ بداية لقيام الدعوة السنوسية في برقة اذ انه في هـذه السنة انشأ الامام السيد محمد بن علي السنوسي أول زواياه في ليبيا الا وهي زاوية البيضاء بالجبل الاخضر ببرقة .

بهذا العرض الموجز لأهم تطورات الأحداث في ايالة طرابلس الغرب بعد سقوط الدولة القرمانلية أرجو أن أكون قد ألقيت بعض الضوء على صورة الحياة السياسية التي عاشتها الايالة الطرابلسية وعاشها شعبها المناضل في السنوات السبع عشرة التي تلت رجوع البلاد الى التبعية العثمانية المباشرة .

ولئن وفقت فيما قمت به فالحمد والشكر لله رب العالمين .

المراجع

أولاً: وثائق غير مطبوعة ولم تنشر من قبل*

١ ـ رسالة من السلطان العثماني الى مشايخ القبائل بطرابلس بخصوص ثورة يحي بن يحي ودعواه بأنه المهدي المنتظر سنة ٩٩٦ هـ (١٥٨٧م.).

٢ ـ وثيقة تشرح تفاصيل الدعوة التي أقامها أبناء حسن بيك علي الشيخ مصطفى بن عبد الله المسلاتي بتاريخ ١٣ رجب ١٢٠٥ هـ (١٧٩٠م.).

٣ ـ رسالة أو تقرير من المصدر الأعظم الى السلطان العثماني يبين العلاقة بين الدولة العثمانية وعلي برغل أثناء احتلاله لمدينة طرابلس، سنة ١٢١٠ هـ (١٧٩٥ م.).

٤ ـ وثيقة تشرح تفاصيل الدعوة التي أقامها سيدي أحمد رايس المرسي علي حسن بن ابراهيم طلوز بتاريخ ١٠ شوال سنة ١٢١١ هـ (١٧٩٧ م.).

٥ ـ فرمان من السلطان الى داي الجزائر وباشا طرابلس يلح عليهما بضرورة تنفيذ أوامره السابقة فيما يتعلق بقطع العلاقات السياسية والاقتصادية مع فرنسا نظراً لاحتلالها لمصر، سنة ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م.).

---

* توجد هذه الوثائق بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب.

٦ – رسالة من يوسف باشا الى السلطان بخصوص موقف طرابلس من فرنسا رداً على انذاره السابق ، بدون تاريخ .

٧ – رسالة من نلسون الى السفير الانكليزي باستانبول بخصوص موقف ايالات الغرب من فرنسا أثناء احتلالها لمصر بتاريخ ١٧ شوال سنة ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م) .

٨ – فرمان من السلطان الى قائمقام باشا يأمره بالعمل على تحريض ايالات الغرب على نقض الصلح مع فرنسا والقيام بمحاربتها سنة ١٢١٣هـ (١٧٩٨ م) .

٩ – وثيقة تبين ما خلفته الست حلومة حفيدة يوسف باشا من مجوهرات وذهب بعد وفاتها،سجل المحكمة الشرعية لسنة ١٢٠٧ – ١٢١٥ .

١٠ – وثيقة تبين علاقة يوسف باشا بالمرابطين والأولياء بالايالة بتاريخ ٢٧ شوال سنة ١٢٢١ هـ (١٨٠٦ م) .

١١ – منشور بتغيير قيمة العملة وظهور عملة جديدة سنة ١٢٣٩ هـ (١٨٢٣ م) .

١٢ – قرار بعزل أحد القضاة بأمر من أحمد بن حسين التوغار قاضي طرابلس بتاريخ ٢٤ ذي القعدة سنة ١٢٤٣ هـ (١٨٢٧ م) .

١٣ – اقرار من يوسف باشا يعترف فيه بأنه باع لأحد التجار من الفرنسيين قارباً بتاريخ ربيع الأول سنة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٨ م) .

١٤ – رسالة من رئيس البحار الى السلطان بخصوص السفن الطرابلسية التابعة للأسطول العثماني سنة ١٢٤٤ هـ (١٨٢٨ م) .

١٥ – الاتفاق الذي تم بين يوسف باشا ورعايا توسكانيا بخصوص الديون التي عليه منهم بتاريخ ١٤ رمضان سنة ١٢٤٥ هـ (١٨٢٩ م) .

١٦ – صورة من التذاكر التي يمنحها يوسف باشا لدائنيه على بنغازي ودرنة بتاريخ ١٦ رمضان سنة ١٢٤٥ (١٨٢٩ م) .

١٧ – اتفاقية بين يوسف باشا ورعايا توسكانيا خاصة بالديون التي عليه منهم بتاريخ جماد الأول سنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠ م) .

١٨ – منشور من يوسف باشا يحمي فيه أرض الذين خرجوا في الحملة لمحاربة سكان بني وليد بتاريخ ٩ جماد الثاني سنة ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م) .

١٩ – رسالة من يوسف باشا الى قنصل ملك سردينيا بخصوص صك عملة جديدة بتاريخ ٢٠ فبراير سنة ١٨٣٢ م .

٢٠ – رسالة اعتذار من يوسف باشا الى وارنجتون قنصل انكلترا لعقده معاهدة مع فرنسا ويرجوه فيها رفع علم بلاده ، سنة ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢ م) .

٢١ – رسالة من يوسف باشا الى السلطان يشرح فيها أسباب تنازله عن الحكم ويرجوه فيها اصدار فرمان بتعيين ابنه علي والياً على البلاد سنة ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢ م) .

٢٢ – رسالة من علي باشا القرمانلي الى قنصل توسكانيا يعلمه فيها بتوليه الحكم بتاريخ ١٥ ربيع الأول سنة ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢ م) .

٢٣ – رسالة من محمد بيك القرمانلي الى القنصل الأمريكي يطلب منه ابعاد السفن التابعة لحكومته من المرسى حيث أنه سوف يضرب سفن علي باشا بالقنابل ، بتاريخ ٢٢ ربيع الثاني سنة ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢ م) .

٢٤ – رسالة من قنصل فرنسا الى الشيخ غومه المحمودي يرجوه التوسط لانهاء النزاع بين علي باشا ومحمد بيك القرمانلي ، بتاريخ ١٢ ابريل ١٨٣٣ م .

٢٥ ـ رسالة من قنصل فرنسا الى مشايخ الساحل والمنشية يرجوهم التوسط لانهاء النزاع بين علي باشا ومحمد بيك القرمانلي ، بتاريخ ١٢ ابريل ١٨٣٣ م .

٢٦ ـ اعتراف من الحاج محمد بيت المال بالدين الذي عليه من أحد المالطيين سنة ١٢٤٩ هـ (١٨٣٣ م) .

٢٧ ـ رسالة من رئيس البحار الى الصدر الأعظم بخصوص محمد بيك القرمانلي سنة ١٢٤٩ هـ (١٨٣٣ م) .

٢٨ ـ رسالة من علي باشا الى السلطان بخصوص ثورة محمد بيك القرمانلي بتاريخ ٢٦ شوال سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) .

٢٩ ـ تقرير محمد شاكر الى السلطان حول الأوضاع الداخلية في ايالة طرابلس سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) .

٣٠ ـ تقرير من الصدر الأعظم الى السلطان محمود الثاني حول الأوضاع الداخلية في ايالة طرابلس وخطة الاستيلاء عليها من جديد سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) .

٣١ ـ ملحق تقرير الصدر الأعظم الى السلطان محمود الثاني ببقية الخطة التي يمكن بها الاستيلاء على طرابلس سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) .

٣٢ ـ حكم شرعي ببطلان ما باعه كل من علي القرمانلي ومحمد القرمانلي أثناء حربهما من أملاك الناس داخل أسوار المدينة وخارجها ، بتاريخ ٥ ربيع الأول سنة ١٢٥١ هـ (١٨٣٥ م) .

٣٣ ـ فرمان بانهاء مهمة مصطفى نجيب باشا واسناد حكم ايالة طرابلس الى محمد رائف باشا كما يشير الفرمان الى مساوىء الحكم القرمانلي، بتاريخ أواخر ربيع الأول سنة ١٢٥١ هـ (١٨٣٥ م) .

٣٤ – رسالة من محمد رائف باشا والي طرابلس الغرب والدفتردار عزمي بيك الى الصدر الأعظم بخصوص بقاء بقية أفراد الأسرة القرمانلية بطرابلس الغرب ، بتاريخ ٢٧ جماد الثاني سنة ١٢٥١ هـ (١٨٣٥ م) .

٣٥ – رسالة من السفير الفرنسي باستنبول الى السلطان العثماني بعد سقوط الدولة القرمانلية خاصة بالديون التي على يوسف باشا القرمانلي ، بدون تاريخ .

٣٦ – رسالة من محمد رائف باشا وعزمي بيك الى الصدر الأعظم بخصوص ابعاد بعض الأشخاص عن طرابلس سنة ١٢٥٢ هـ (١٨٣٦م).

٣٧ – وثيقة بتركة يوسف باشا القرمانلي ، بتاريخ ٤ شعبان سنة ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩ م) .

٣٨ – اقرار من الشيخ غومه المحمودي يعلن فيه استسلامه وخضوعه للدولة العثمانية ، بتاريخ ٢٤ رجب ١٢٥٨ هـ (١٨٤٢ م) .

٣٩ – رسالة من بعض تجار الرقيق بطرابلس الغرب الى محمد أمين باشا بخصوص الرقيق ، بتاريخ ٢٩ ذي الحجة ١٢٥٨ هـ (١٨٤٢) .

٤٠ – ملخص لأهم ما جاء في رسالة محمد أمين باشا والي ايالة طرابلس الغرب الى السلطان العثماني يشرح له فيها التدخل الانكليزي في شؤون البلاد الداخلية ، سنة ١٢٥٨ هـ (١٨٤٢ م) .

٤١ – رسالة من مدير أغدامس وكبار الشخصيات بها الى والي طرابلس حول موضوع معاملة الأسرى أو الرقيق ، بتاريخ ١٧ صفر سنة ١٢٦٧ هـ الموافق ١٧ ديسمبر سنة ١٨٥٠ م .

٤٢ – رسالة من الشيخ غومـه المحمودي الى السلطان عبد المجيد يشرح له فيها حالة الايالة السياسية بعد سقوط حكم الأسرة القرمانلية ورجوع البلاد الى الحكم العثماني المباشر ويطالب فيها بعودة الحكم القرمانلي الى البلاد من جديد ، سنة ١٢٦٨ هـ (١٨٥٢ م) .

٤٣ – رسالة من الوالي مصطفى نوري باشا بطرابلس الى وزارة الخارجية العثمانية بخصوص المؤامرات الفرنسية على طرابلس ، بتاريخ ٢٣ شوال سنة ١٢٧١ هـ (١٨٥٥ م) .

٤٤ – رسالة من قائمقام أغدامس الى والي طرابلس بخصوص تنفيذ أوامره الخاصة بالغاء ومنع تجارة الاسرى والرقيق ، بتاريخ ٢٩ صفر سنة ١٢٨٠ هـ الموافق ١٥ أغسطس سنة ١٨٦٣ م .

ثانياً : وثائق مطبوعة ، ولكن لم يسبق استخدامها من قبل

أ – الوثائق المأخوذة من كتاب جورجيو كابوفين * :

٤٥ – بعض المواد التي أضيفت الى عقد الصلح المبرم بين يوسف باشا القرمانلي وجوندولمير ممثل حكومة البندقية ، بتاريخ ٦ يونيو سنة ١٧٩٥م .

٤٦ – وصل استلام موقع من يوسف باشا باستلامه الاتاوة السنوية المقررة على حكومة البندقية بتاريخ ١١ رجب سنة ١٢١٢ هـ (١٧٩٧م) .

---

* هذه الوثائق وردت في صلب كتاب عزيز سامح
Tripoli E « Venezia Nel secolo XVIII »
غير انه لم يناقشها في صلب كتابه .

٤٧ – رسالة من نائب قنصل البندقية بطرابلس « جوسيبي بتسي » الى المسؤولين بحكومة البندقية بخصوص الهجوم الدانماركي على طرابلس بتاريخ ٢٦ مايو سنة ١٧٩٧ م .

٤٨ – رسالة من نائب قنصل البندقية بطرابلس « جوسيبي بتسي » الى المسؤولين بحكومة البندقية بخصوص نتائج المعركة التي وقعت بين الدانمارك ويوسف باشا بتاريخ ٢٦ مايو سنة ١٧٩٧ م .

٤٩ – رسالة من نائب قنصل البندقية بطرابلس « جوسيبي بتسي » الى المسؤولين بحكومة البندقية يشرح لهم فيها الصعوبات التي يلاقيها من يوسف باشا ويطلب ارسال قوة لتخويفه بتاريخ ٣ أغسطس سنة ١٧٩٧م .

ب – الوثائق المأخوذة من كتاب عزيز سامح * :

٥٠ – فرمان من السلطان العثماني بتعيين يوسف باشا والياً على طرابلس بتاريخ أواسط شعبان سنة ١٢١١ هـ (١٧٩٦ م) .

٥١ – فرمان من السلطان العثماني الى يوسف باشا يطلب منه تجديد معاهدة الصلح مع الدانمارك ، بدون تاريخ .

٥٢ – رسالة من يوسف باشا الى ابن حسن باشا داي الجزائر يرجوه عدم التدخل في النزاع الذي بينه وبين الولايات المتحدة الأمريكية ، بدون تاريخ .

---

* هذه الوثائق نشرها جورجيو كابوفين بالملحق المذيل به كتابه « Simali Afrikada Turkler » بدون أن يناقش محتوياتها – وهذا الكتاب باللغة التركية وقد ترجم لي منه هذه الوثائق الحاج محمد الاسطى .

ﺟ ـ الوثيقة المأخوذة من مجلة الأفكار *

٥٣ ـ وثيقة تشرح تفاصيل حملة سردينيا على طرابلس سنة ١٨٢٥ م .

د ـ الوثيقة المأخوذة من كتاب محمد بهيج الدين بن مصطفى عاشر **

٥٤ ـ رسالة من يوسف باشا الى خليل رفعت باشا رئيس البحار يرجوه فيها التوسط لدى السلطان العثماني للحصول على فرمان بتولية ابنه علي باشا على طرابلس ، بدون تاريخ .

ﻫ ـ الوثائق المأخوذة من الملحق المذيل به كتاب ميكاكي ***

٥٥ ـ معاهدة محمد باشا القرمانلي مع انكلترا ، بتاريخ ٢٩ شوال سنة ١١٦٤ ﻫ ٢٠ سبتمبر سنة ١٧٥١ م .

٥٦ ـ رسالة يوسف باشا الى ملك السويد ، بتاريخ ٢ رجب سنة ١٢٢٣ ﻫ (١٨٠٨ م) .

---

* يوجد أصل هذه الوثيقة بمتحف النهضة بميلانو ، وقد ترجمها الى اللغة العربية السيد راسم قدري ونشرها الحاج محمد الاسطى بمجلة الافكار الصادرة بطرابلس الغرب سنة ١٩٥٩ م. السنة الرابعة عدد (٢٠) ص ٢٢ و ٢٣ .

** هذه الرسالة قد نشرها محمد بهيج الدين بن مصطفى عاشر في صلب كتابه« طرابلس غرب تاريخي » ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ . بدون ان يناقش محتوياتها ـ وهذا الكتاب باللغة التركية وقد ترجم لي منه هذه الرسالة الحاج محمد الاسطى .

*** هذه الوثائق قد جمعها الاستاذ جمال الدين الخربوطلي من دار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب ، ونشرها في الملحق المذيل به كتاب رودلفو ميكاكي « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ولم تستخدم هذه الوثائق من قبل .

٥٧ – معاهدة بين يوسف باشا وملك سردينيا بعد مجيء الاسطول الانكليزي بقيادة اكسموث الى طرابلس، بتاريخ ٢٩ أبريل سنة ١٨١٦م .

٥٨ – معاهدة يوسف باشا مع الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحملة الأمريكية على طرابلس ، بتاريخ ٦ ربيع الأول سنة ١٢٢٠ هـ الموافق ٤ يونيو سنة ١٨٠٥ م .

٥٩ – معاهدة يوسف باشا مع فرنسا بعد مجيء الاسطول الفرنسي بقيادة روزاميل على أثر النزاع الذي حدث بين يوسف باشا وقنصل فرنسا بطرابلس ، بتاريخ ١١ أغسطس سنة ١٨٣٠ م .

٦٠ – رسالة من يوسف باشا الى الحاج محمد شلبي بيت المال يصف فيها وقائعه مع سكان بني وليد ، بتاريخ ٦ رجب سنة ١٢٤٧ هـ الموافق ١٢ ديسمبر سنة ١٨٣١ م .

٦١ – رسالة من يوسف باشا القرمانلي الى الحاج محمد شلبي بيت المال يتحدث فيها عن تطورات الأحداث بالنسبة لثورة عبد الجليل بن غيث بن سيف النصر بتاريخ ٢٧ شعبان ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م) .

٦٢ – رسالة يوسف باشا القرمانلي الى الحاج محمد شلبي بيت المال يحدد له فيها أنواع الضرائب التي يجب أن يأخذها من سكان برقة ، بتاريخ ١٧ رمضان ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م) .

٦٣ – رسالة من علي باشا القرمانلي الى الحاج محمد شلبي بيت المال يعلمه فيها بتوليه الحكم ويطلب منه أخذ البيعة له من سكان برقة ، بتاريخ ٢٧ ربيع الأول سنة ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢ م) .

٦٤ – رسالة من علي باشا الى الحاج محمد شلبي بيت المال ، يعلمه فيها بتطورات ثورة محمد بيك القرمانلي ويلح عليه بضرورة المجيء لمساعدته ويطلب منه ان يرسل اليه من برقة كل من له معرفة بالملاحة وباستعمال المدافع للاستعانة بهم على اخماد الثورة بتاريخ ٢٢ ربيع الثاني سنة ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢ م) .

٦٥ – رسالة من يوسف باشا الى الحاج محمد شلبي بيت المال يلومه على عدم رجوعه من برقة لمساعدته على اخماد الثورة بتاريخ ١٠ ذي الحجة سنة ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢ م) .

٦٦ – منشور من محمد القرمانلي الى جميع قناصل الدول الأوروبية بطرابلس بخصوص السفن المعتمدة منه والموجودة بالمرسى بتاريخ ٣٠ رجب سنة ١٢٤٩ هـ (١١ ديسمبر ١٨٣٣ م) .

٦٧ – رسالة من الثوار الى السلطان محمود الثاني يشرحون فيها أسباب ثورتهم ويعلنون فيها عدم قبولهم لحكم علي باشا القرمانلي بتاريخ ١٨ شعبان سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) .

٦٨ – احتجاج قناصل الدول الأوروبية بطرابلس أثناء الحرب الأهلية موجه الى علي باشا والثوار ينذرونهم فيه بوقف القتال فوراً ، بتاريخ ١٤ مارس ١٨٣٥ م .

ثالثاً: المراجع المطبوعة

أ – المراجع العربية :

١ – أحمد النائب الأنصاري : المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ج ١ الطبعة الثانيـــة بيروت ، مكتبة الفرجاني بطرابلس الغرب ، بدون تاريخ .

٢ – أحمـد حافظ عوض : « فتـــح مصر أو نابليون بونابرت في مصر » الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٢٥ .

٣ – أنتوني جوزيف كاكيا : « ليبيا في العهد العثماني الثانـــي » ترجمة يوسف العسلي ، القاهرة ١٩٤٨ .

٤ – د . جلال يحيي : « المدخل الى تاريخ العالم العربـي » القاهرة دار المعارف ١٩٦٦ .

٥ – رودلفو ميكاكي : « طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي » ترجمة طه فوزي، معهد الدراسات العربية العالية ١٩٦١ .

٦ – د . صلاح العقاد : « المغـرب الغربـي ، تونس والجزائر » القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٦ .

٧ – عمر الباروني : « الاسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس الغرب » مطبعة ماجي ١٩٥٢ .

٨ - عبد الرحمن الجبرتي : « عجائب الآثار في التراجم والأخبار » جـ٣ ، طبع بولاق ، ١٢٩٧ هـ .

٩ - محمد الطيب الأشهب : « برقة العربية أمس واليوم » القاهرة، ١٩٤٥ .

١٠- د. محمد أنيس : « الدولة العثمانية والشرق العربي» (١٥١٤- ١٩١٤) القاهرة،مكتبة الانجلو المصرية ، بدون تاريخ .

١١- الشيخ محمد بيرم التونسي : « صفوة الاعتبار بمستودع الامصار» جـ١ ، القاهرة ، المطبعة الاعلامية ١٣٠٣ هـ .

١٢- محمد خليل بن غلبون : « التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار » ، القاهرة ، نشره الطاهر أحمد الزاوي - المطبعة السلفية ١٣٤٩ .

١٣- محمد رفعت : « تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية» القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٩ .

١٤- محمد فريد بك : « تاريخ الدولة العلية العثمانية » الطبعة الثانية، القاهرة ، مطبعة محمد أفندي ، ١٣١٤ هـ (١٨٩٦م) .

١٥- د. محمد فؤاد شكري وآخرون : « بناة دولة مصر - محمد علي » القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٤٨ .

١٦- مصطفى عبدالله بعيو : « المجمل في تاريخ ليبيا » الاسكندرية مطبعة رمسيس ، ١٩٤٧ .

١٧- مصطفى عبدالله بعيو : « دراسات في التاريخ اللوبي » القاهرة مطابع عابدين ، ١٩٥٧ .

ب - المراجع التركية:

١ - حسن صافي : « طرابلس غرب تاريخي » استانبول رسملي كتاب مطبعسي ١٣٤٨ هـ .

٢ - شمس الدين سامي : «قاموس الأعلام» جـ ١ استانبول ١٣١٤.

٣ - Aziz Samih : « Simali Afrikada Turkler » Erzincan mebussu, 1936.

٤ - محمد بهيج الدين بن مصطفى عاشر : « طرابلس غرب تاريخي » استانبول، بدون تاريخ .

٥ - محمد بري : « هذا كتاب بحريه » استانبول، بدون تاريخ .

٦ - محمد نوري ومحمود ناجي : « طرابلس غرب تاريخي » استانبول ١٣٣٠ هـ .

جـ - المراجع الافرنجية:

1. Charles L. Feraud : « *Annales Tripolitaines* » publiées avec une introduction et des notes par Augustin Bernard. Tunis, Tournier, Paris, Vuibert, 1927.

2. Dodwell (Henry) « *The founder of Modern Egypt A study of Mohammad Ali* » 1st. Ed. Cambridge, 1931.

3. Druham, Dixon and Calpperton « *Narrative of Travels and Discoveries in Northern and Central Africa in the years 1822, 23 and 24* ». London, 1826.

4. Fisher Godfrey « *Barbary Legend war, Trade Piracy in North Africa (1410 Al 1830* » 1st Ed. Oxford, 1957.

5. Georges Douin « *Mohammad Ali et l'expédition d'Alger (1829-1830)* » Société de Géographie d'Egypte, Le Caire, 1930.

6. Georges F. Lyon « *A Narrative of Travels in Northern Africa in the years 1818, 19 & 20* ». London, 1821.

7. Giorgio Cappovin «*Tripoli E Venezia Nel Secolo XVIII*» Verbania, Italia, 1942.

8. Hadji Eben Ed-din El Eghwaati « *Notes of a journey into the interior of Northern Africa* » Trans. from the Arabic by W.B. Hodyson, Washington, 1830.

9. Lane Poole (Stanley) « *The barbary Corsairs* » 4th Ed. London 1890.

10. Masson Paul « *Histoire des Etablissements et du Commerce Français dans l'Afrique Barbaresque (1560-1795).* (Algérie-Tunisie-Tripolitaine-Maroc) Paris, 1903.

11. Paolo Della Galla « *Narrative of an expedition from Tripoli in Barbary* » Trans. from the Italian by Anthony Anfreri, London, 1822.

12. P. Costanzo Bergna « *Tripoli Del 1510 Al 1850* » Tripoli, 1924.

13. P.S. Surigeman « *Il Castello di Tripoli di Barbaria* » Milano, 1923.

14. Tully Richard « *Ten years residence at the Court of Tripoli* » by Soton Beardess, London, 1957.

15. *Voyages d'Ali Bey El Abbassi en Afrique et en Asie, pendant les années 1803, 1804, 1805, 1806 et 1807.* Troisième Tome (2ème partie) Paris, 1814.

ملحق الكتاب

وثيقة رقم ١

رسالة من السلطان الى شيخ أولاد ترهونة وبقية مشائخ القبائل بخصوص ظهور يحي بن يحي ودعواه بأنه المهدي المنتظر ٩٩٦ هـ (١٥٨٧م) [١] لم يسبق نشرها من قبل

•••

هذا مرسومنا الشريف السلطاني لا زال نافذاً بالعون الرباني أرسلناه الى مفخرة الأمراء العظام مختار المشائخ الفخام المختص بمزيد عناية الملك العلام شيخ أولاد ترهونة زيد عزه أن أمير الأمراء الكرام بولاية طرابلس الغرب محمد دام اقباله وسائر الامراء والأعيان بالولاية المسفورة أرسلوا الى عتبتنا العلية وسدتنا السنية مكتوباً يحتوي على ان رجلاً يدعى يحي بن يحي ادعى بأنه خليفة المهدي وبعض من الناس اتبعوه والآن ذهبوا الى طرف الجبل الأخضر وأقام رجلاً آخر مقامه يدعيه وقصده اظهار ما يدعيه فقابل وقاتل مع العساكر المنصورة بالديار المسفورة وبعناية

١ يوجد أصل هذه الرسالة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب وهي باللغة العربية ٠

الله الملك القديم قتل منهم زايد من الألف ومع هذا الى الآن لم ينـدفع ولم ينقلع عما هو فيــه من الادعاء فلذلك أرسلنا الى أمير الأمراء والى سائر الأعيان بالولاية المرقومــة المناشير مؤكدة معلمة بأن زمان خروج المهدي لم يحن الآن وله زمان فاذا كان ادعاء هذا الرجل فاسداً نشأ من هوى النفس وحب الرياسة واعتماداً على قوة ديانتكم ومتانة عقيدتكم فلذلك اتحفنا اليكم ثوباً من جعلنا الفاخرة فإذا ما وصل اليكم لا بد ان تلبسوها وان تكونوا متفقين متحدين مع أمير الامراء بالولاية المرموقة وان تدفعوا فساد هؤلاء المفسدين المدعين بدعاوي فاسدة فان مقتضى الديانة والصداقة الى بابنا العالي هو الذي ذكر في المرسوم المنشور .

فعليكم الاهتمام والاجتهاد في دفع هذا الاختلال والافساد وسائر الأمور اللا لائقة بالدين المبين وللطريق المستقيم مفوضه اليــكم وأرسلنا مرسومنا الشريف اليكم مصحوباً بقدوة الأماثل والأقران حسين شاوش زيد قدره يصل بالخير آمين . حرر في أواخر شهر ذي الحجة الشريفة ستة وتسعمائة وتسعين . بمدينة القسطنطينية المحروسة

أسماء بعض الشيوخ الذين أرسل
اليهـــم صوراً من هذا الفرمان

أولاد حميد الشيخ نوير الشيخ علي شيخ جربة
الشيخ جابر
أولاد طورغيه شيخ أولاد سليمان الشيخ محمد بن الشيخ موسى
الشيخ أبو زيد الشيخ علي السايح المرابط سيدي محمد بن عبد النبي
وغيرهم

صورة وثيقة بالفوتوكوبيا لرسالة السلطان الى شيخ قبيلة ترهونة وبقية المشايخ بخصوص ظهور يحي بن يحي ودعواه بأنه المهدي المنتظر

وثيقة رقم ٢

معاهدة محمد باشا القرمانـــلي مع انكلترا
بتاريخ ٢٩ شوال سنة ١١٦٤هـ (١٧٥١م) [١]
وهي تدل بوضوح على مدى ضعف شخصية
الباشا وخضوعه للنفوذ الأجنبي ، وكذلك
محاولة الأجانب التفرقة بين ايالته وبقيـــة
الايالات الاسلامية المجاورة

• • •

الحمد لله وصلى الله على مولانا وسيدنا محمد وصحبه وسلم . بـــين ايالة طرابلس المنصورة ودولة انكلترا لتأكيد الحب والولاء والصفاء من قديم الأزمان بينهما بحضور والي محروسة طرابلس المؤيد محمد باشا قرمانلي وسر العسكر ابنه علي بيك وآغا الانكشارية والأمراء وجناب قنصل الدولة

---

١ يوجد أصل هذه المعاهدة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب ، وهي باللغـة التركية وقد ترجمها لي الحاج محمد الاسطى .
وهذه المعاهدة منشورة أيضا في الملحق المذيل به كتاب ميكاكي « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » من ص ٨ الى ص ١٢ . جمع كمال الدين الخربوطلي .

المشار اليها ، وبتراضي الطرفين وموافقة الجانبين حررت المعاهدة المباركة الآتية في سجل خاص من المواد الآتية :

مادة (١)

يؤذن للسفن الحكومية الانكليزية بشراء الحنطة والشعير وغيرها من المؤن المتنوعة بأثمانها المقررة وحملها الى جزيرة ماهون .

مادة (٢)

اذا صادفت سفن بحارة طرابلس السفن الانكليزية في عرض البحار فلها حق التفتيش عـــلى جوازات المرور والسماح لها بالسير عند التحقق من صحتها مع التسليم على بعضهم سلام الأصدقاء وتحيتهم . وإذا صدر من بحارة طرابلس ما يخالف ذلك رغم صحة تلك الجوازات فتتعهد حكومة طرابلس بتأديب الربان المعتدي وكذلك الحال بالنسبة للبحارة الانكليز اذا اعتدوا فيكاتب الوالي ملك انكلترا لعقاب المعتدي .

مادة (٣)

عند رسو السفن الانكليزية في ميناء طرابلس تتحفظ الحكومة على الأسرى خوفاً من هروبهم الى السفن الانكليزية ، وفي حالة فرار أحدهم ولجوئه الى تلك السفن فليس من حق حكومة طرابلس طلب ارجاعه .

مادة (٤)

لتجار رعايا انكلترا في طرابلس حق بيع البضاعة الواردة من الخـــارج في دار القنصلية ويحصل القنصل الضرائب منهم .

مادة (٥)

عند دخول سفينة انكليزية الى ميناء طرابلس،تضرب لها احدى وعشرون طلقة مدفع من القلعة كتحية وترد عليها السفن الانكليزية بالمثل .

مادة (٦)

يسمح لترجمان وسمسار القنصل الانكليزي بمرافقته اذا سافر براً أو بحراً وله حق عزلهم وتعيين غيرهم ؛ وله حق رفع العلم البريطاني على الزورق الذي يركبه الى السفن الانكليزية .

مادة (٧)

في حالة وقوع حرب بين انكلترا وطرابلس تتعهد حكومة طرابلس بعدم التعدي على القنصل وزملائــه ورعايا انكلترا ولا تمانع في سفرهم الى المكان الذي يريدونه خارج البلاد .

مادة (٨)

يتعهد بحارة الطرفين بعدم الاعتداء على رعايا الطرف الآخر أو أمـوالهم اذا وجدوا في سفن الأعداء بل تؤمن حياتهم ويوصلون الى المكان الذي يرغبونه أو الى أي مكان مأمون ، أما إذا وجدوا يعملون كبحـارة في تلك السفن المعادية فيعاملون معاملة الأسرى .

مادة (٩)

عند افلاس أحد التجار الانكليز في طرابلس وفراره لا يضمن القنصل دفع ما عليه من ديون وكذلك التجار الانكليز بالبلاد .

مادة (١٠)

عندما تخرج احدى السفن الليبية أو عدة سفن من مينـاء طرابلس لجولة بحرية لا يسمح لأي سفينة في الميناء من جنسية أخرى بالخروج الا بعد ثمانية أيام .

مادة (١١)

اذا حدث نزاع في عرض البحر بين سفن الجانبين عند تلاقيها وتبادلها الاشارات يصير التحقيق في ذلك بمعرفة هيئة تحكيم من بعد ابلاغ ذلك الى الجهات المختصة .

مادة (١٢)

لما كانت انكلترا هي البادئة بطلب الصلح من ايالة طرابلس فإن قنصلها ورعاياها يقدمون على غيرهم في المعاملة .

مادة (١٣)

لا تحصل رسوم جمركية عن البضائع التي يحضرها التجار الانكليز لبيعها في طرابلس والتي يكون لها منفعة عامة للبلاد مثل المدافع والبنادق والمسدسات والحراب والسيوف والبارود والقنابل والرصاص والحديد وحبال السفن والكبريت وأخشاب السفن وأعمدتها وأقمشة الشراع والكوريك والقمح والشعير والمسكت [١] والبنادق الصغيرة .

مادة (١٤)

الغنائم التي تأخذها سفن الانكليز من أعدائها وتأتي لتبيعها في طرابلس لا تأخذ الحكومة عليها عوائد .

مادة (١٥)

يكون لقنصل انكلترا حق الدخول قبل غيره من القناصل لتهنئة الوالي في الأعياد والمواسم الاسلامية .

---

١ نوع من القنابل .

مادة (١٦)

تعامل سفن طرابلس سفن جزيرة ميناء ماهون الحاملة للعلم البريطاني والتي تحمل جواز مرور انكليزي نفس معاملة السفن الانكليزية واظهاراً للاحترام الخاص لهذه الجزيرة لا تعتدي سفن طرابلس على سفن الأعداء في المياه الاقليمية لهذه الجزيرة .

مادة (١٧)

إذا أراد أحد الرعايا الانكليز اعتناق الدين الاسلامي يرسل الى القنصل الانكليزي بصحبة مندوب خاص ويبقى ثلاثة أيام عند القنصل ليستمع الى نصائحه ونصائح راهبه وبعد الثلاثة أيام اذا أصر يقبل اسلامه ويبدأ تلقينه مبادىء الدين الاسلامي سواء أكان أسيراً أم غير أسير .

مادة (١٨)

إذا حدث نزاع بين اثنين من رعايا انكلترا يبلغ القنصل ليفصل بينهما وعندما يكون أحد المتنازعين مسلماً فتكون المحاكمة أمام محاكم الايالة .

مادة (١٩)

اذا قتل أحد رعايا الانكليز مسلماً عبداً يصير القصاص شرعاً بمعرفة الوالي دون مراجعة القنصل وفي حالة فرار المجرم لا يكون القنصل مسؤولاً ، وتبحث عنه السلطات المحلية وبعدم بحضور القنصل .

مادة (٢٠)

في حالة وقوع حرب بين انكلترا والجزائر أو تونس تبقي طرابلس على الحياد ولا تقدم لأي منهما مساعدة .

مادة (٢١)

يحظر على طرابلس شراء أموال الغنائم والأسرى الانكليز الذين تأسرهم تونس والجزائر ويأتون لبيعها في طرابلس .

مادة (٢٢)

في حالة وفاة أحد رعايا انكلترا لا تتدخل حكومة طرابلس في تركته ويقوم القنصل بحصر التركة وبيعها .

مادة (٢٣)

لا تتعرض سفن انكلترا وطرابلس لبعضها اذا تلاقوا في البحر بل يودعون بعضهم بمحبة .

مادة (٢٤)

إذا غرقت احدى السفن الانكليزية أو تحطمت قضاء وقدراً في موانىء ايالة طرابلس أو بالقرب من سواحلها تحفظ حمولتها من الضياع وتتعهد حكومة طرابلس بالمحافظة على بحارتها وتسليتهم وتسليم البحارة والبضاعة إلى القنصل ورد الأموال التي يغتصبها الناس ، ويوضع البحارة والبضاعة في مكان مأمون حتى يسافروا الى بلادهم .

مادة (٢٥)

اذا صادف بحارة طرابلس سفناً تحمل العلم البريطاني في البحر يوقفونها وينزل شخصان من أصحاب الدراية (الرئيس وترجمانه) في قارب ويصعدان الى السفينة ويجريان تفتيشاً ثم يسمحان لها بالسير أو يصادرانها .

مادة (٢٦)

لجميع السفن الانكليزية حق المتاجرة والدخول الى موانىء طرابلس كلها سواء أكانت تلك السفن ملكاً للحكومـة أو الشركات وتحصل السلطات الطرابلسية ٣٪ رسوماً جمركية من قيمة حمولة تلك السفن .

مادة (٢٧)

الأشياء التي تأتي بها السفن الانكليزية ولا يتم بيعها وتحملها السفن لارجاعها لا تحصل عليها ضريبة .

مادة (٢٨)

اذا تلاقت سفن الطرفين في بعض الموانىء ، فعليهم تبادل التحية واقامة حفلات لتقوية المحبة وتجديد الالفة وحسن الضيافة واظهار الولاء .

خاتمة

ويحسن احترام الطرفين وصدق اخلاص الجانبين . ختمت هذه المعاهدة القوية ويتعهد الطرفان برعايتها واحترامها وعدم الاخلال بها وصيانتهـا مع تبادل الوثائق في الحال .

وثيقة رقم ٣

ترجمة رسالة من نائب قنصل البندقية بطرابلس جوسيبي بتسي الى المسؤولين بحكومة البندقية ، بخصوص الهجوم الدانماركي على طرابلس وسوء التفاهم الذي حدث بينه وبين يوسف باشا بخصوص سفينة القائد « بنا » كما تشير الرسالة الى المساعدة التي قدمها والد يوسف باشا للبنادقة في أثناء حربهم مع تونس ، بتاريخ ٢٦ مايو سنة ١٧٩٧ [١]
(لم يسبق ترجمتها الى اللغة العربية من قبل)

• • •

السادة المحترمين وأصحاب المعالي :

أرفق لمعاليكم اعادة رسالتين كتبتا من طرفي باحترام في يوم ٤ و ١٤ الجاري ليحصل لي الشرف بأن أضيف اليكم بأنه قد وصلت الى هذا

---

١ لقد اورد نص هذه الرسالة المؤرخ الايطالي جورجيو كابوفين في كتابه :
Tripoli E Venezia nel Secolo XVIIIe.

الميناء السفينتان الكبيرتان المهداة من السلطان ومعها فرمان وسيف الى هذا الأمير ، كما وصل أيضاً بسلامة خادمكم « لامبيو بنا » . وانه لا توجد لا من الأولين ولا من الآخرين معارضة من طرف الدانماركيين حيث أنهم استطاعوا الافلات منهم بالرغم من الحراسة والتفتيش الذي يزاولونه بهذه الشواطىء .

وان الفرقة البحرية الدانماركية المكونة من سفينة قيادة وبريك ومركب قد اقتربت في الأيام الماضية من هذا الميناء واتصلوا بالباشا الذي كانت له ثقة في قوته البحرية ، فأراد أن يغزو هذه الفرقة طمعاً في الحصول على قطعة منها لكي يبسط نفوذه على ما حوله ويظفر بأمنيته . وقد حقق هذه الخطة باخراجه لخمس قطع من سفنه وبها العديد من الجند فصادفته الفرقة الدانماركية ونشأ عن ذلك حرب بالمدافع والبنادق وكانت هذه المعركة قاضية لو لم يمزقها ظلام الليل ، وكانت الخسائر من الجانب الطرابلسي الكثير من الموتى وبعض الجرحى وخسائر بالسفن والفرقة الدانماركية كانت تسبب أكثر من الخسائر لو اصطحبت معها قوة مناسبة حيث أن البريك والمركب كانتا صغيرتين ، بينما كان الطرابلسيون من جهتهم في امكانهم الحصول على بعض الأعداء لو نظمت قيادتهم وأديرت المعركة على أحسن حال .

كان الباشا يعتقد بخلاف ما وقع بأنه هو الظافر بالمعركة لأن الفرقة الدانماركية قد غادرت المكان وظنها أنها ارغمت على المغادرة ، ولكنه قد اذهل عندما رآهم يرجعون في اليوم التالي ليجددوا الحصار وغضب غضباً شديداً واقسم بأنه مهما كلفته الظروف سوف يفتك بهم ، ولهذا الغرض قد جمع كل ما لديه من سفن ووجه انذاراً شديداً الى رؤساء السفن التابعة له بأنه سوف لن يرحمهم اذا خسروا المعركة وبانعامهم بأفخر المكافآت في حالة الفوز ، ولكي يحصل على مراده فقد طلب مني مراراً بأنه يريد اقتناء سفينة المواطن القائد « بنا » المذكور ويقوم بتصليحها

لمواجهة أعدائه ، فأجبته بأني لا استطيع أبداً السماح باجراء هذه المبايعة التي تتنافى مع حالتنا وهي الابتعاد بقدر الامكان وعدم الانحياز لأي من الطرفين ، وقد علق على كلامي وأتى بأمثلة منها حركة البارود الذي منح الى صاحب المكيدة سيدي علي[1] والبيع الذي وقع في تونس وكان الموضوع السفينة التي زودت بالسلاح ضد هذا الأخير ، كما نوه بالمساعدة الجزئية التي قدمها والده المتوفي خلافاً للقواعد المقدسة للدين الاسلامي الى البنادقة في حربهم ضد التونسيين . ولم يفتني بأن اعلمه بخصوص المثالين السابقين حيث لا يقترن بهما الارادة العامة بل كان واضحاً باشعاره على عدم موافقته عليها ثم بخصوص المساعدة المقدمة الى السفن البندقية كانت مساعدة متبادلة فحينما كان قراصنته يأتون الى موانىء البندقيــة كما وقع الى « بوميزورا » خلال رحلتــه الأخيرة الى جزيرة « كورنو » وبهذا اتضح اليه مقاومتي واعترف بأنه لا يستطيع قهرها إلا بالقوة، فقال لي:

اذا لم استجب طوعاً الى طلبه فسيعلن الحرب على الجمهورية وبهذه الطريقة تكون لديه الصلاحية باحتلال السفينة وأخــذ بحارتها أسرى وأنا أولهم ويكبلني بدون رحمــة ، وفي الحال سوف يستعمل جميع وسائل القوة لتحقيق ذلك .

ان هذا التهديد كان بعيداً كل البعد ليخلق لي خوفاً أو رهبة وظننت أنه من واجبي أن أتمسك بأوامر السلطة العليا ولكن اعتقاداً مني واجتناباً لتعكير صفو الجو ومحافظة على الصلح ومحاولاً البحث عن خلاص وعدم اعطاء الباخرة المطلوبة فقد عاهدت الباشا بأن يحرر ما قاله لي وليضمن في محرره اجباري على طاعة أوامره وقد وافاني بذلك المكتوب فأمرت القائد « بنا » بتسليم سفينته بما فيها الى الباشا، وقام بذلك فعلاً واستلمها الباشا ووضع عليهــا العلم الطرابلسي وقال لي بعد ان استلم السفينة انه يريد دفع ثمنها بمبلغ معقول وعادل ، وحيث ان قائدها كان ينوي بيعها

[1] علي الجزائرلي أو برغل الذي سبق ذكره .

في الاسكندرية بخمسة وعشرين ألف قرش ، فقد أبلغني بأنه يريد دفع نفس هذا المبلغ بشرط أن يكون شاملاً للزورق الصغير والذي هو من أملاكه الخاصة وقد سبق وأهداه الى هذا القائد . فأجبته ، حيث انه أجبرني على أن اتخلى عن السفينة بدون رضاء ، فلا يمكنني أن اتفاوض معه في الثمن غير انني لم أنسَ أن اقارن له الوقائع التي كانت تفرض على القائد بأن يبيع سفينته بالاسكندرية ، هي بعيدة كل البعد عن الوقائع الحاضرة حيث انها كانت معرضة للخطر الآتي من الجزائريين ، ولكنها الآن في ضمانة السيد الأعظم وحمايته من الأخطار . وكان في استطاعة قائدها ان يؤجرها الى أزمير أو هولاندا .

غير أنه بالرغم من هذا كله فإنه يعتقد بأن السفينة قد سددت ثمناً عادلاً أي مقابل المبلغ المذكور . وقال بأنها قديمة ومستعملة كثيراً وانه قد دفع هذا المبلغ الى قائدها . وان هذا القائد قبل هذا المبلغ بغض النظر عن تلك الظروف مهما كان يريد أكثر من ذلك اجتناباً لغضب الباشا الذي كان سريع الغضب ، ولكي يتهيأ القائد « بنا » لمغادرة البلاد هو وطقم السفينة وأمتعتهم .

وحيث انه لا توجد حالياً وسيلة الى أوروبا، فأعتقد انه من المناسب تجهيز الزورق المهدى له من الباشا وتزويده بجواز سفر طاعة للأوامر العليا ومحافظة على الفائدة فقط وعلى الالتزام نحو الخدمة العليا .

ولقد اعتبرت ما أملته عليّ الظروف دليلاً شاقاً على الاحتياط المؤسف الذي أحاطت به هذه الوقائع التي وجدت نفسي بينها . وسأبقى في حيرة حتى أستلم منكم كفبلة عدل مرداً ليطمئن بـه خاطري وخصوصاً عندما يتضح لي كيف تناولتم موقفي في تلك الظروف .

لي شرف الركوع مع أعظم التقدير — خادم سيادتكم العليا

نائب القنصل : جوسيبي بقسي

طرابلس البربر في ٢٦ مايو ١٧٩٧

وثيقة رقم ٤

ترجمة تقرير أو رسالـــة من الصدر الأعظم الى
السلطان تبـين العلاقة بين الدولة العثمانية وعـــلي
الجزائرلي (برغل) أثناء احتلاله لطرابلس الغرب،
ويلاحظ ان الصدر الأعظم لم يستطع اعطاء وجهة
نظره صراحة في طلب عـــلي برغل
رقم الوثيقة ١٤٥١٤ — ١٢١٠ هـ (١٨٩٥ م)[١]
(لم يسبق نشره من قبل)

•••

صاحب الشوكة والكرامة والمهابة والمقدرة ولي نعمتي سيدي .

لما احتل في هذه الآونة سيدي علي،وكيل خرج قصر الجزائر السابق لاوجاق طرابلس الغرب وكما هـــو مذكور بالتفصيل في الجواب الذي تلقيناه من القبطان باشا على استفسارنا عن كيفية وقوع الحادث والمعروض

١ صورة وثائق رئاسة الوزارة التركية رقم ١٤٥١٤ سنـــة ١٢١٠ هـ (١٧٩٥ م) وتوجد صورة هذا التقرير الان بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب وهو باللغة التركية وقد ترجمه لي الحاج محمد الاسطى وراجعها السيد عبد السلام ادهم ٠

بتفصيلاته على انظاركم السامية، فان سيدي علي ذهب قبل الحادث المذكور للآستانة ومنها الى « موتون » فاشترى واستأجر عدداً من المراكب التجارية وجند ثلاثة أو خمسماية محارب توجه بهم رأساً ليباغت اوجاق طرابلس وبعد ان استولى على القلعة وطرد واليها أظهر فرماناً الذي زيفه وأعلن أنه مأموراً من قبل الدولة العلية .

وبما ان سكان الأوجاق لم يكونوا في المستوى الذي يستطيع البحث والتمييز في صحة مثل هذه الأوراق فقد حملوها في محمل الصدق واعترفوا بالمذكور .

ولما حضر ولدا علي باشا حاكم طرابلس الهارب أعطاهم سيدي علي الأمان وبعد ان أقاما خمسة أو عشرة أيام هربا ، ويروى انهما حشدا من حولهما عدة الألف من الاعراب الذين وعدوهم بنهب طرابلس .

وكأن الاوجاق على مدة حكم علي باشا في تعاسة ، ويرى المشار اليه أي القبطان باشا أن سيدي علي المذكور أبرز المرسوم الذي صنعه على انه من قبل الدولة العلية واذا توجب فيما بعد عودة علي باشا للاوجاق فإنه سوف لا يلتزم بالطاعة ، وما دام سيدي علي المذكور أعلن دخالته مقراً بالعبودية للدولة العثمانية وجاء للاستانة العلية وشاهد سطوتها وعظمتها فيؤمل صدق عمله وعبوديته ، ولما كان الأمر من الأهمية بحيث لا يمكن البت فيه بمفردي فإن سلامته من المحاذير بحاجة للتشاور . وخطر ببال عبدكم المشار اليه بأنه اذا صدر أمركم السامي بمده بالذخيرة أن يعجل في ارسال كمية من البارود وقنابل المدافع علماً بأن هذه الجهات في مسيس الحاجة للذخيرة .

ولما كان المرسوم الذي أبرزه سيدي علي يوم احتلاله للاوجاق المذكور مرقم بجرأته فإن مده بالذخيرة سوف يؤيد المرسوم سالف الذكر ، ولوحظ انه من المستبعد أن يظهر الرعونة التي أظهرها في الجزائر فيما اذا كشف للمذكور عن وجه الرضا من الدولة العلية .

ان هذه الملاحظات أيضاً مع كونها غير مجزومة فليتكرم سيادتكم بالعلم ان القبطان باشا على وشك القدوم وان الأنسب بمنه تعالى عندما يحضر المشار اليه أن تطرح الملاحظات المذكورة جميعها للبحث .

والأمر لحضرة صاحب الشوكة والكرامة والمهابة والمقدرة ولي نعمتي سيدي وسلطاني .

وتعليق السلطان ،

علم فليبحث عند قدومه

وثيقة رقم ٥

ترجمة فرمان من السلطان العثماني بتعيين يوسف باشا والياً على ايالة طرابلس ، كما يوصيه فيه بالاهتمام بالايالة وعدم الاعتداء على السفن الروسية وذلك بتاريخ أواسط شعبان سنة ١٢١١هـ (١٧٩٦م) [١]
(لم يسبق ترجمته الى اللغة العربية من قبل)

• • •

بعد الديباجة :

الى أمير الأمراء على طرابلس الغرب يوسف باشا بن علي باشا القرمانلي لقد صار معلومنا ما عرضته علينا بتعهدك بحفظ الايالة واجراء العدل وتهيئة كل أسباب العمران فيها . كما عرض علينا رئيس البحار ووزيرنا حسين باشا في الرابع من شوال المكرم من هذه السنة المباركة ، الهدايا التي هي دليلاً على صداقتك وعبوديتك لعرشنا ، لذلك أبقيناك كما كنت

---

١ لقد أورد نص هذا الفرمان المؤرخ التركي عزيز سامح في كتابه
Simali Afrikada Turkler.
صفحة ٢٣٥ ، ٢٣٦ وهو باللغة التركية وقد ترجمه لي الحاج محمد الاسطى .

وأبقينا الايالة في عهدتك وتركناها لاهتمامك ودرايتك وأرسلنا لك من الترسانة العامرة سفينة قرصنة مجهزة بثمانية وعشرين مدفعاً، كما تأتيك من المهمات المختلفة حسبما هي بالكشف المرفق ، فعليك بترقية أحوال السكان وتقوية القلاع وتنظيم أحوالك لتكسب القوة للايالة وتصرف قدرتك لارجاع النظام الذي اختل بين الجنود والضباط ،ولتكون مثل ايالة الجزائر وتونس في القوة والتنظيم وان تكثر وتوفر حملات القرصنة وتتم قوتك البحرية وان تراعى بنود المعاهدة التي بيننا وبين روسيا والتي أرسلنا نصها لسلفك في سنة ١٢٠٦ هـ ، فلا تتعرض قطعياً لسفنهم ولأجل اجراء أوامرنا الشريفة والعمل بمقتضاها أصدرنا اليك أمرنا هذا في أواسط شوال سنة ١٢١١ هـ .

ختم السلطان

وثيقة رقم ٦

ترجمة فرمان من السلطان الى يوسف باشا يطلب
منه تجديد معاهـدة صلح مع الدانمـارك [١]
(لم يسبق ترجمته الى اللغة العربيـة من قبل)

• • •

الى أمير امراء طرابلس الغرب يوسف بن علي باشا القرمانلي :

ان ايالة الجزائر منذ مدة مطلوقة اليد في اعلان الحرب وعقد الصلح مع دول النصارى وان بعض الدول الأوروبية التي بينها وبين دولتنـا العلية مصالحة ومصافـاة يرغبون في ان تكون نفس الحال بينهم وبين ايالات المغرب وان مثل هذا الحال يسرنا وعليه فان معاهدة الصلح التي بينكم وبين الدانمارك والتي انقضت فقد قدم لنا القائم بالأعمال الدنماركي طلباً يرجو فيه تجديد المعاهدة مع طرابلس فأرجو عمل الصلح معه .

ختم السلطان

١ لقد اورد نص هذا الفرمان عزيز سامح في كتابه Simali Afrikada Turkler. صفحة ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، وهو باللغة التركية وقد ترجم منه هذا الفرمان الحاج محمد الاسطـى .

وثيقة رقم ٧

ترجمة رسالة من يوسف باشا الى السلطان يشرح
فيها أسباب تنازله عن الحكم لابنـــه علي ويرجوه
فيها اصدار فرمان بتعيين ابنه علي والياً على البلاد
- وثيقة رقم د - ٢٠٢٤٢ سنة ١٢٤٨هـ (١٨٣٢م)[١]
(لم يسبق نشرها من قبل)

• • •

بعد الديباجة :

بعد أن قرىء الفرمان الذي وصلنا مع محمد أغا بكامل الآداب وصار ما به محيط علمنا . فان ما بيناه في السنة الماضية بواسطة رسّم محمـــد آغا عن شقاوة العرب ما هو إلا قطرة من بحر ، فبينما ابننـا علي كان راجعاً بالجيش الى البلاد ومداومين على الدعاء للاطالة عمر مولانا صاحب

---

١ صورة من وثائق رئاسة الوزارة التركية رقم د ـ ٢٠٢٤٢ سنة ١٢٤٨ هـ ، وتوجد صورة هذه الرسالة الان بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب ، وهي باللغة التركية وقد ترجمها لي الحاج محمد الاسطى ٠

الشوكة، فاتفق أشقياء العرب بتحريض من أولاد ابننا المرحوم محمد بيك وهجموا علينا ليلاً على حين غفلة وخرجوا عن طاعتنا وعصونا .

وسبب قيام الأشقياء هو رغبتهم في ازالة النظام العسكري الجديد وابطال جميع الضرائب والرسومات الميرية ورغبتهم في ان يجعلوا البلاد مشيخة مغربية .

وقد صبرت على حروبهم لمدة شهرين لعلهم يرجعوا اليوم أو غداً ويطيعوا ويندموا ولكنهم لم يندموا ولم يرجعوا الى الصواب بل ازدادت شقاوتهم يوماً بعد يوم .

ونظراً لشيخوختي وكثرة أمراضي فليس لي القدرة على القيام والقعود فلذلك نصبت عبدكم ابني علي بيك وكيلاً عني بموافقة جميع العلماء وقضاة المذهبين ومفاتيهم وأكابر البلاد ووجوهها فهو شجاع ونظير لمصلحة الرعية والبرية بنظرة الرأفة ، فهو يستحق خدمة الدولة العلية الأبدية . لذلك نلتمس من التفات حسن توجيهات أفندينا العلية تجديد فرمان بتعيين ابننا ، فمن شيمتنا نحن الأسرة القرمانلية عدم مخالفة الأوامر العلية لا سابقاً ولا لاحقاً ولكن من هذه الفتنة الباغية فإنني شديد الخجل. يعيش سيدنا نحن في خدمتكم خدمة لا تحصى ولا تعد ونعدها فريضة واجبة العبودية لعرشكم .

ورجاء عبدكم ألا تضيعوا الوقت في سماع القيل والقال وان أولادنا وأملاكنا فداء للسلطان وان النعمة الجليلة التي نتمتع بها في ظل السلطنة نعد الشكر عليها فرضاً وواجباً واننا نعترف بتقصيرنا وتايبين من ذنوبنا فإذا أخذتمونا على ذنوبنا فيا ويلنا واذا عفوت عنا هذه هي النعمة العظمى.

هذه عريضتنا بعد أن تكون في علمكم العالي نرجو أن تجددوا فرماناً عالي الشأن لعبدكم ابننا علي باي ليجلب له السرور وليبذل همته الكاملة في خدمة ظل الله .

في هذا الباب الأمر والفرمان واللطف والاحسان لحضرة سلطاني ولي نعمتي ذو الرأفة والعناية .

التوقيع

عبدكم يوسف باشا	علي يوسف باشا
أميرميران سابقاً	والآن ميرميران علي باشا بن يوسف باشا

وثيقة رقم ٨

ترجمة ملخص فرمان من السلطان الى داي الجزائر
وباشا طرابلس يلح عليهما بضرورة تنفيذ أوامره
السابقة فيما يتعلق بقطع العلاقات السياسية والاقتصادية
مع فرنسا نظراً لاحتلالها لمصر
وثيقة رقم ٣٦٥١ سنة ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م) [١]
(لم يسبق نشره من قبل)

•••

تنبيه من السلطان

رغم اننا بعثنا برسالتين الى الجزائر لكي تستعد لقطع طريق طولون فانهم لم يمتثلوا للأمر السابق .

كما أن طرابلس لا زال القنصل الفرنسي مقيم بها معززاً مكرماً .

يجب سد الممرات التي يجب سدها ومصادرة أي سفينة فرنسية وقطع العلاقات مع فرنسا وحبس قناصل الفرنسيين وتجارهم ووضعهم تحت

---

١ صورة من وثائق رئاسة الوزارة التركية رقم ٣٦٥١ سنة ١٢١٣ هـ وتوجد اصل هذه الصورة الان بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب وهي باللغة التركية وقد ترجمها لي الحاج محمد الاسطى .

الحراسة وعدم قبول أي مبعوث من فرنسا كما تمنع المؤن عن سفنهم ، انهم سلبوا أموال الناس وأسروهم. وعليه فان كل سفينة فرنسية تأخذونها فان كل ما فيها مباح وكل الأشياء التي تجدونها قسموها بينكم ولا تتركوا لهم عدا ملابسهم التي هي عـلى ظهورهم وتسترقوهم . وان تعلموا اسطولنا والاسطول الانكليزي على الجهات التي يقصدها اسطولكم لنكون على علم بذلك .

وثيقة رقم ٩

ترجمة رسالة من يوسف باشا الى السلطان بخصوص
موقف طرابلس من فرنسا رداً على انذاره السابق
وبها تعليقات من السلطان بأمر يوسف باشا بتنفيذها
وثيقة رقم ٣٦٥١ [١]
(لم يسبق نشرها من قبل)

• • •

بعد الديباجة :

علمنا بهجوم الفرنسيين على الاسكندرية ورشيد ، وبموجب الأمـــر الصادر منكم الى ايالات الغرب فقد قرئ على الجميع وأعلمنا مضمونـه لكل أهالي الايالة وقد سمعوا وأطاعوا .

وان العساكر المحمدية منهيئة وحاضرة لحفظ حـــدود الايالة . والى جانب ذلك فقد أمرنا – حسب منطوق الأمر العالي – ثلاث قطع من الأسطول بأن تكون على استعداد للقيام بجولات استطلاعية في مياه طولون .

---

١ صورة من وثائق رئاسة الوزارة التركية رقم ٣٦٥١ ، بدون تاريخ وتوجد صورة هذه الرسالة الان بدار المحفوظا تالتاريخية بطرابلس الغرب وهي باللغة التركية وقد ترجمها لي الحاج محمد الاسطى .

تعليق السلطان هذا نصه

يجب سد الممرات التي يجب سدها ومصادرة أي سفينة فرنسية وقطع العلاقات مع فرنسا وحبس قناصل الفرنسيين وتجارهم ووضعهم تحت الحراسة وعدم قبول أي مبعوث من فرنسا كما تمنع المؤن عن سفنهم . انهم سلبوا أموال الناس وأسروهم وعليه فإن كل سفينة فرنسية تأخذونها فإن كل ما فيها فهو مباح وكل الأشياء التي تجدونها قسموها بينكم ولا تتركوا لهم عدا ملابسهم التي هي على ظهورهم وتسترقوهم. وأن تعلموا أسطولنا والأسطول الانكليزي على الجهات التي يقصدها أسطولكم لنكون على علم بذلك .

وثيقة رقم ١٠

ترجمة رسالة نلسون الى السفير الانكليزي باستانبول
يطلب منه العمل على جعل السلطان يتدخل لمنع
الصلح الذي عقد بين فرنسا وايالات المغرب ،
رقم ١٤٠٠٧ بتاريخ ١٧ شوال سنة ١٢١٣هـ(١٧٩٨م)[١]
(لم يسبق نشرها من قبل)

•••

بعد الديباجة والمقدمة :

لقد علمت بأن أوجاق طرابلس الغرب عقد صلحاً مع فرنسا في ١٦ رمضان مع انني لم اقصر في ارسال الرسائل الى ايالات طرابلس وتونس والجزائر .

وحسب الخبر الذي وصلنا فان والي الجزائر في صلح كذلك مع فرنسا وان ايالة تونس هي الأخرى تتمثل بما عملته طرابلس والجزائر فتسعى الى عقد صلح مع فرنسا .

وعلى الدولة العلية ان تسعى باتخاذ ما تراه من اجراءات بدون تضييع أي دقيقة وهذا من أهم الواجبات . نلسون

١ صورة من وثائق الوزارة التركية رقم ١٤٠٠٧ بتاريخ ١٧ شوال سنة ١٢١٣ ، وتوجد هذه الرسالة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس ، وهي باللغة التركية وقد ترجمها لي الحاج محمد الاسطى .

وقد علق السلطان على هذه الرسالة بما يأتي وأرسلها الى نلسون :

لقد سمعنا بأنكم تمتثلون الى الصلح مع فرنسا فان كان هذا صحيحاً فانه يتنافى مع المصالح العلية .

الفرنسي خائن للدين المبين وبناء عليه فدخولكم معه في الصلح سراً مغاير للدين ومخالف بما اشتهرتم به من الشجاعة والاستقامة .

وأعلمت الكمندان باشا بأن يرسل اليهم فرمانات بهذا النص .

وثيقة رقم ١١

ترجمة فرمان السلطان إلى قائمقام باشا يأمره بضرورة العمل على حمل ايالات المغرب على القيام بمحاربة فرنسا لاعتدائهـا عـلى مصر ، رقم ١٥٣١٧ [١]
(لم يسبق نشره من قبل)

•••

بعد الديباجة :

لقد سمعنا بأن اوجاق طرابلس قد عقد صلحاً مع فرنسا ، فإذا كان حكام ايالات الغرب لهم صلحاً مع الفرنسيين فيجب عليهم أن ينقضوه وان يقدموا على محاربتهم وان ترسل كمندان باشا الى رجالهم الذين يعتمد عليهم في هـذا الخصوص ليرغبهم في الحــرب ضد الفرنسيين ، وبأن ينبههم على ألا يتخذوا موقفاً يخالف رضانا .

هذا فهموا القبطان باشا ليتخذ ما يجب في هذا الخصوص والسلام .

خاتم السلطان

١ صورة من وثائق رئاسة الوزارة التركية رقم ١٥٢١٧ ــ بدون تاريخ ، وتوجد هذه الصورة الان بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب ، وهذا الفرمان باللغـة التركية وقد ترجمه لي الحاج محمد الاسطى ٠

وثيقة رقم ١٢

ترجمة رسالة من يوسف باشا القرمانلي الى ابن حسن
باشا داي الجزائر يرجوه فيها عدم التدخل في النزاع
الذي بين يوسف باشا والحكومة الامريكية [١]
(لم يسبق نشرها باللغة العربية من قبل)

• • •

بعد الديباجة :

حسب الخبر الذي أخذته من استانبول ان البالسان خرجت من ادارة النمسا وانها كونت جمهورية مستقلة وقررت الاتاوات السنوية التي تدفعها للدولة العلية ، غير أنه لم يتقرر اعطاء أي شيء لايالات تونس والجزائر وطرابلس ولم نأخذ معلومات صحيحة عما اذا كانوا ينوون اعطاءنا بعض الشيء لأن شغل النصارى حيلة،ربنا تعالى ينصرنا عليهم جمله لأن عصرنا هذا آخر زمان ، النصارى ما عاد يبقوا في كلمتهم حتى ان حسب المعاهدة التي عملتها مع السويد كم مرة يطلبوا مني تأجيل الدفع فبالرغم من الأجل الذي أخذوه فانهم الى الآن لم يدفعوا شيئاً .

---

١ لقد اورد نص هذه الرسالة المؤرخ التركي عزيز سامح في كتابه Simali Afrikada Turkler. صفحة ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، وهذا الكتاب باللغة التركية ، وقد ترجم لي منه هذه الرسالة الحاج محمد الاسطى ، ونظرا لان عزيز سامح لم يغير الكلمات العامية التي جاءت في رسالة يوسف هذه ، لذلك ابقيتها كما هي بدون تغيير .

وعلمت بواسطة سفيرهم في استانبول انهم يحاولون ان يحرموا الايالة من الاتاوة لكن قبل ان يتمكنوا من تحقيق أملهم هذا بإذن الله نضربهم ضربة تشفي ما في صدري . ومثل هذا الامريكان أيضاً حسب الجواب الذي أعطيته لقنصلهم قريباً حتى هم نهلكهم ، كل الملل عرفت قدرة قوتنا وحيثيتنا ، ما زالوا الامريكان يجب أن يفهموا قوتنا ونوقفهم عند حدهم وقد آليت على ذلك .

وأسباب تأخري والمانع لأملي هـذا هو تدخلـكم أرجو باسم الأخوة الصحيحة صرف النظر عن هذه القضية وكما معلوم لدى معـالي المرحوم والدكم حسن باشا كان الأمريكان بواسطة قنصل الفلامنك [١] طلبوا الصلح على أن يدفعوا مائتين وخمسين ألف فرنك سنوياً ولكن لم أرضَ بذلك وبتدخل والدكم قبلت ذلك ولكن إلى اليوم والأمريكان ما عطوا ولا باره ويتعللون بأسباب كثيرة أرجوك ألا يخدعوك ويطلبوا تدخلك في تخفيض المبلغ فالظاهر ان الأمريكان سيلتجئون أخيراً إلى قنصل الانكليز ليكون لهم واسطة في عقد الصلح ولكن أنا لا أعترف أبداً بالانكليـز إلا إذا كانت الواسطة من جنابـكم العالي . أرجو أن يكون جوابـكم لما عرضناه سراً والسلام .

يوسف باشا القرمانلي

---

١ هولانـــدا .

وثيقة رقم ١٣

المعاهدة المبرمة بين يوسف باشا القرمانلي وبين الولايات المتحـدة الأمريكيـة بتاريـخ ٦ ربيع الأول سنـة ١٢٢٠ هـ الموافق ٤ يونيو ١٨٠٥ م [١]

وسنرى من خلال مواد هذه المعاهدة كيف استطاعت أمريكا أن تتحدى ارادة يوسف باشا وتحقق مطالبها بعد أن هددته بالاستيلاء على الحكم وتسليمه إلى أخيه أحمد بيك

• • •

الحمد لله .

يعلم الجميع دون حاجة إلى برهان رغبة الحكومتين الأكيدة في توطيد الأمن والسعي لتأمين السلام وتنمية التجارة ، وايضاحاً للوسائل المؤديـة

---

١ يوجد أصل هذه الوثيقة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس وهي باللغة التركيـة وقد ترجمها الحاج محمد الاسطى .
وهذه المعاهدة منشورة ايضا في الملحق المذيل به كتاب ميكاكـي « طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي » ص ٤٤ ــ ٤٨ ، جمع كمال الدين الخربوطلي .

لذلك ، وللوصول إلى الهدف المطلوب ، والمحافظة والعمل على ازالة الأسباب التي من شأنها أن تؤدي إلى الخلاف والنزاع ،قرر الطرفان عقد مصالحة جديدة تضمن المصالح الخيرية العامة بين والي طرابلس يوسف باشا القرمانلي وقائد الجند علي بيك وجميع الأمراء والأعيان وبين قنصل الجمهورية الأمريكية المكلف والمفوض تفويضاً شاملاً لتمثيل حكومته بموجب التفويض المؤرخ في ١٨ نوفمبر سنة ١٨٠٣ . وقد اتفق الطرفان على تنفيذ ما نصت عليه هذه المعاهدة حرفياً .

البند الأول

يتمتع الرعايا الأمريكيون بالأفضلية على رعايا الدول التي تربطها بحكومة طرابلس علاقات ودية ، واذا منحت احدى الدولتين المتعاقدتين امتيازات أو تسهيلات في التجارة لدولة أخرى فيجب أن يشمل ذلك الطرف الآخر في هذه المعاهدة إذا كان ذلك يؤدي الى ضرر .

البند الثاني

الأمريكيون الذين أسرهم الطرابلسيون أثناء الحرب والبالغ عددهم ثلاثمائة ، والأسرى الطرابلسيون الذين أسرهم الأمريكيون والبالغ عددهم مائة يتم تبادلهم ، وتدفع حكومة الولايات المتحدة ستين ألف فرنك تعويضاً لحكومة طرابلس مقابل إطلاق سراح المائتي أسير أمريكي الزائدين عن نصاب المبادلة .

البند الثالث

تجلو في الحال جميع القوات البحرية الأمريكية الموجودة في طرابلس ودرنة وغيرها من الأقاليم ، وتتعهد الجمهورية المذكورة بألا تتعاون بطريق مباشر أو غير مباشر مع سكان طرابلس أو الاجانب عند قيامهم

بحركات معادية ضد حكومة طرابلس أو ضد الباشا ما دامت هذه المعاهدة سارية المفعول ، وتساعد الجمهورية المذكورة الباشا في اخضاع ثورة أخيه أحمد بيك بقضاء درنة واذا وفقت في اخراجه من درنة تتعهد بايصالـــه وتسليمه الى أسرته بطرابلس .

البند الرابع

ليس من حق الحكومتين الاحتجاج أو التعرض للبضائع التي تحملها سفن أحد الجانبين لتجار من دولة معادية للجانب الآخر .

البند الخامس

إذا صودرت سفن للعدو اعتباراً من اليوم وبها بضائـع أو ودائع لرعايا أحد الطرفين فإنها ترد لأصحابها دون تعويض .

البند السادس

إذا صادفت سفن وبحارة أحد المتعاقدين سفناً في عرض البحر تابعة للطرف الآخر فيكون لها حق النظر في وثائقها والتحقق منها ثم يسمح لها بمواصلة السفر،ويتعهد الطرفان ألا يمنحا وثائق مزورة لسفن تابعة لدولة أخرى .

البند السابع

إذا غنمت احدى الحكومتين سفناً معادية وباعتها للأخرى يعطى لها سند مقابل ذلك ونظراً لبعد أمريكا فلا يطلب من أصحاب هذه السفن الوثائق الرسمية المسجلة ما دامت سنوات البيع موجودة لديهم الا بعد مرور عامين.

البند الثامن

إذا دخلت سفينة أحد الطرفين إلى موانىء الطرف الآخـــر لطلب المؤن

والزاد أو غيره من اللوازم يسمح لها بشراء ذلك بالأثمان المقررة وإذا اضطرت إلى الرسو لاصلاحها فيجب تقديم المساعدة اللازمة لها وإذا أنزلت حمولتها على الرصيف أثناء الاصلاح فلا يؤخذ منها مقابل ذلك رسوم ولا يجبر أصحابها على بيع البضائع المشحونة عليها .

البند التاسع

إذا غرقت سفينة لأحد الطرفين في موانيء الطرف الآخر أو في مياهه الاقليمية يحافظ على أرواح ربانها وبحارتها وأموالهم وتتخذ التسهيلات والمساعدات اللازمة لارجاعهم لأوطانهم سالمين .

البند العاشر

اذا وقعت احدى سفن الطرفين في يد العدو وكانت على مسافة من مرمى مدافع سفن الطرف الآخر فيجب عليها أن تنجدها حالاً بكل حماس وأن تعمل على تخليصها واذا وجدت سفينة لأحد الطرفين في ميناء الطرف الآخر وبه سفينة معادية لهلا فلا يسمح لسفينة العدو المذكورة بترك الميناء لمطاردتها بعد سفرها إلا بعد مرور أربع وعشرين ساعة على اقلاعها .

البند الحادي عشر

يتعهد كل من الطرفين باحترامها الفائق لرعايا وقنصليات الطرف الآخر ويسمح للجمهورية الأمريكية بتعيين قناصل لها في ملحقات ايالة طرابلس التي توجد بها قناصل للدول الأخرى .

البند الثاني عشر

اذا شحن أحد الطرفين بضائع في سفن الطرف الآخر وغرقت بسبب العوارض الطبيعية أو نتيجة اعتداء العدو فليس من حقه المطالبة بالتعويض

عن تلك البضائع . ولا يتدخل أحد المتعاقدين في الخلافات الواقعة بين رعايا الطرف الآخر ، ولا يستخدم سفنه في أغراض تجارية أو غيرها إلا برضاء أصحابها واذا وقعت عقود بين رعايا الحكومتين فانها تسجل وتصدق عليها الحكومة التي وقع في بلادها العقد ، وعليها اتخاذ الاجراءات اللازمة لتنفيذ ما جاء بها،واذا كان بذمة أحد رعايا الجمهورية المذكورة دين لأحد فلا يطالب به القنصل اذا لم تكن هناك كفالة سابقة منه .

البند الثالث عشر

عندما يعلم القنصل بوصول سفن حربية أمريكية الى ميناء طرابلس تطلق مدافع قلعة طرابلس احدى وعشرين طلقة وتجاوبها السفن المذكورة باحدى وعشرين طلقة مثلها .

البند الرابع عشر

يحترم الطرفان الطقوس الدينية والتقاليد القومية بروح من الاخلاص والحب المتبادل ولا يمانعان في مزاولة رعايا الطرفين لطقوسها في دور القناصل، ولقناصل الطرفين ومترجميهم وموظفيهم كامل الحرية في التنقل بطريق البر أو البحر .

البند الخامس عشر

إذا وقع خلاف أو مخالفة لما جاء في هذه المعاهدة فلا يلتجيء أحد الطرفين الى استعمال القوة بل يبادر ممثلو الدولتين لحل الخلاف بالطرق السلمية وإذا لم يصلوا إلى نتيجة فتحول المشكلة إلى المسؤولين في الحكومتين وينتظر الجواب عليها مدة لا تتجاوز شهرين شمسيين وإذا مرت المدة المذكورة ولم يصل الطرفان الى اتفاق وتفاهم وتقرر الحرب بينهما يسمح الجانبان المتعاقدان للقناصل والرعايا التابعين لهما بالسفر معززين مكرمين إلى حيث شاءوا .

البند السادس عشر

في حالة وقوع الحرب يعمل الطرفان على اعادة الأسرى وتبادلهم بواسطة دول أخرى في مدة سنة أو دون ذلك اذا أمكن . واذا كان لدى احد الطرفين عدد من الأسرى يزيد على ما لدى الطرف الآخر، فيقوم بدفع خمسمائة فرنك عن كل ربان ، وثلاثمائة فرنك عن كل قائد ومائة فرنك عن كل بحار ، ليحررهم من الأسر .

البند السابع عشر

يمنع بيع الأسرى والغنائم الذين تستولي عليهم أية دولة أخرى من الجمهورية المذكورة في موانىء ولاية طرابلس منعاً تاماً ولا يسمح لمثل هذه السفن الحاملة لما ذكر بالرسو في موانىء طرابلس الا مدة تسمح بامدادها بالمواد الضرورية اللازمة ، ولا تطالب حكومة طرابلس السفن الأمريكية المحملة بالغنائم بدفع شيء باسم العوائد .

البند الثامن عشر

القضايا التي يكون كلا الطرفين المتنازعين فيها من رعايا الجمهورية المذكورة يفصل بينهم قناصلهم وعلى حكومة طرابلس تقديم المساعدة لتنفيذ الأحكام الصادرة واتخاذ الاجراءات اللازمة اذا طلب منها ذلك . أما اذا كان النزاع بين أحد رعايا الجمهورية وبين أحد رعايا دولة أجنبية أخرى فإن الفصل فيه يكون بحضور وكيلين من طرف قنصليتيهما .

البند التاسع عشر

اذا قتل أو جرح أحد رعايا الطرفين شخصاً من رعايا الطرف الآخر تفصل محاكم البلاد التي وقع فيها الحادث في الأمر حسب شرعها وقانونها لا فرق بين المدعي والمدعى عليه وإذا فر الجاني فلا مسؤولية على القنصل .

البند العشرون

إذا توفي أحد رعايا الجمهورية المذكورة فلا يتدخل أحد في تركته وتبقى تحت تصرف القنصلية إلا إذا أوصى قبل وفاته بماله كله أو ببعضه لأحد فيكون لحكومة طرابلس في هذه الحالة حق تنفيذ ما جاء في الوصية وليس للقنصل حق التدخل في ذلك . واذا توفي أحد رعايا الجمهورية المذكورة في مكان لا توجد به قنصلية،فعلى موظفي ادارة بيت المال ضبط وحفظ أمواله وعند وصول ورثته تسلم لهم تركته كاملة حسب القيود المضبوطة.

بموجب الترخيص الذي بيدي أوقع وأضع ختمي على هذه المعاهدة التي تضم عشرين بنداً والتي تم تبادلها في الحال وأتعهد بتطبيق أحكامها تطبيقاً كاملاً وألا يجرؤ أحد من طرفنا على مخالفة ما جاء بها ما دامت حكومة طرابلس مراعية لأحكامها وموادها .

تحرير في ٦ ربيع الأول سنة ١٣٢٠ هـ

٤ حزيران (يونيو) سنة ١٨٠٥ م

يوسف القرمانلي القنصل طوبياس لير

وثيقة رقم ١٤

ترجمة رسالة نائب قنصل البندقية جوسيبي بيتسي
الى المسؤولين بحكومة البندقية بخصوص نتائج المعركة
التي وقعت بين يوسف باشا وحكومة الدانمارك
بتاريخ ٢٩ مايو سنة ١٧٩٧ [١]
(لم يسبق ترجمتها الى اللغة العربية من قبل)

* * *

السادة المحترمين وأصحاب المعالي :

لقد كانت نتيجة المعركة التي وقعت بين الدانمارك والباشا هي ان الفرقة الدانماركية قد اشتركت معها سفينة فرنسية كانت متجهة الى الساحل التونسي ، وذلك بعد ان قطعوا عليها الطريق ووجدت نفسها وحيدة ازاء الساحل من سفن هذه الدولة .

وقد استطاع قائد هذه السفينة ان يتوسط في النزاع القائم بين الباشا وبين الحكومة الدانماركية وبعد مفاوضات طويلة قد تم الصلح على الشروط الآتية :

---

١ لقد أورد نص هذه الرسالة المؤرخ الايطالي جورجيو كابوفين في كتابه
Tripoli E Venezia nel Secolo XVIIIe.
صفحة ٤٥٠ و ٤٥١ .

وهي ان تدفع حكومة الدانمارك الى الباشا ٧٠ ألف قرش في الحال حتى يتم التصديق على الصلح بالاضافة الى ثلاثة آلاف أخرى الى الوزراء، وان ترسل ايالة طرابلس وفداً كل أربع سنوات الى الدانمارك بمهمة استلام هدايا قيمة الى الباشا وتحرير رئيسين موجودين تحت الرق بمالطة ، هذا بالاضافة الى هديـــة القنصلية لتوزع من طرف القنصل الجديد كما كان يستعمل عادة .

وبموجب ما سبق يتمتع رعايا الدانمارك بالمميزات التي كان يتمتع بها رعايا الدول الصديقة الأخرى .

ويتضح بأن نية الباشا متجهة لنشوب معركة مع السويديـين لأنهم لم يستجيبوا لطلباته . وكانت من بين الفرقة السفينة التي استولى عليها من القائد « بنا » المذكور وقد وصل القائد الدانماركي إلى هنا ليتظلم من هذه الحكومة بخصوص بحارة كل من السفينتين الدانماركية التي استولى عليها أحد القراصنة من الطرابلسيين في جزيرة « بتراس » .

التوقيع
نائب القنصل

طرابلس البربر في ٢٩ مايو ١٧٩٧

وثيقة رقم ١٥

رسالـــة يوسف باشا القرمانلي الى ملك السويد
بتاريخ ٢ رجب سنـة ١٢٢٣ هـ (١٨٠٨ م) [١]
يعلمه فيها عن الاتفاقية التي عقدها مع مندوبـــه
ويشكره على الهدايا التي أرسلها اليه كما يشكو فيها
من القنصل السابق ويطلب اعتماد القنصل الجديـد

• • •

كتبت هذه الرسالة من دار الجهـــاد طرابلس الغرب حميت من كل شدة وكرب ، من والي هـــذه الايالة عبد ربه سبحانه أمير المؤمنين [٢]

---

١ يوجد أصل هذه الوثيقة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب وهي باللغة العربية ٠
وهذه الرسالة منشورة ايضا في الملحق المذيل به كتاب ميكاكي « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ٢٧ ٠ جمع كمال الدين الخربوطلي ٠

٢ يلاحظ ان كاتب هذه الرسالة أطلق على يوسف باشا لقب أمير المؤمنين بينما نجد ان يوسف نفسه يوقع اسمه بدون ان يقرنه بهذا اللقب وهذا يدل على ان الكتاب هم الذين يضيفون الالقاب الى اسماء حكام الاسرة القرمانلية من تلقـــاء انفسهم كما سبق وان ذكرت لاننا سنجد ان جميع حكام الاسرة القرمانلية يضيفون الـــى أسمائهم عند التوقيع عبارة « المدعى بالله عبده فلان أو عبده فلان ٠٠ بدون ان يضيفوا لفظ أمير المؤمنين الى أسمائهم عند التوقيع ٠

وناصر الدين المجاهد لرب العالمين يوسف بن علي باشا بن أحمد باشا قرمانلي الى صاحب الخيرات الكثيرة المعروف بالفطانة ، ورئيس الطريقة المسيحية والأمة النمساوية وأفضل من اتبع الانجيل في عصره — وحامي الاتفاقيات العامة — ملك السويد لا زال محمود العواقب . وبعد :

لا نحتاج الى ذكر ما بيننا من شدة المحبة والموالاة الصافية الثابتة التي نشكركم عليها — والموروثة من آبائنا وأجدادنا — والعهود والمواثيق التي بيننا لتجديدها وتأكيدها . ولذلك أرسلتم القومندان لتحقيق ذلك . وقد وصل الينا ، وقابلنا الهدية التي أرسلت من طرفكم بكل ممنونية ، ومن جهة القائد فقد عاملناه المعاملة اللائقة به وأعجبنا بفطانته . والأموال التي طلبنا تعجيل دفعها من طرفكم فات وقتها ، ورأيت من مندوبكم عدم الموافقة على الزيادة التي طلبتها ولكن فطانته جعلتني أوافق على عدم الزيادة ، واتفقنا على دفع ٧٧ ألف فرنك في الحال الينا ، وأخبرني بأنكم وافقتم على ذلك حتى يتقرر بموجب معاهدة العوائد السنوية التي تدفعونها ، وقد دفع المبلغ المذكور فاستحق منا التبجيل والتقدير .

أما قنصلكم الموجود بطرابلس وهو شيخ أقرب الى الشر منه الى الخير ، فقد طلبت من مندوبكم التحقيق في أمره لأنه كان دائماً سبباً في تعكير محبتنا وافساد علاقاتنا فصار عزله من طرف وكيلكم وأقام مكانه أندريا كوستا وهو رجل عاقل وعارف أصول البلاد فنطلب منكم اعتماده والسلام .

امضاء : يوسف قرمانلي

وثيقة رقم ١٦

وصل من يوسف باشا باستلامه للجزيــة السنوية المقررة
على جمهورية البندقية بتاريخ ١١ رجب ١٢١٢هـ (١٧٩٧م) [١]
(لم يسبق ترجمته الى اللغة العربية من قبل)

• • •

بناء على معاهدة الصلح المبرمة بين جمهورية البندقية وأهالي مدينــة طرابلس الغرب حيث انه اتضح لزوم دفع المبلغ السنوي وقدره ثلاثةآلاف وخمسمائة زكيني بندقي وأيضاً عن هذه السنة فقد سلم هذا المبلغ الى خزينة الولاية وقدره الاجمالي ثلاثة آلاف وخمسمائة زكيني بندقي مقابل السنة التي تنتهي بآخر يوم من يونيه سنة ١٧٩٦ وذلك بواسطة القنصل البندقي المسيو « بلاتو » وحررت وسلمت له هذا الايصال .

حرر في ١١ رجب سنة ١٢١٢ هـ الموافق لسنة ١٧٩٧ م .

التوقيع
السيــد العالي الحارس للمدينة بشجاعتـه
ووالي مدينة طرابلس الغرب يوسف باشا
ابن علي باشا بن محمد باشا بن أحمـد
باشا القرمانلي حفظه الله ورعاه آمــين

---

١ لقد نشر المؤرخ الايطالي جورجيو كابوفين صورة فوتوغرافية لهذا الايصــال في كتابـه : Tripoli E Venezia nel Secolo XVIIIe. صفحة ٢٩٥ ، ولكن لم يترجمه الى الايطالية بل ابقاه بلغته التركية وقد ترجمه لي الحا جمحمد الاسطى .

وثيقة رقم ١٧

ترجمة بعض المواد التي أضيفت الى عقد الصلح المبرم بين يوسف باشا وجوندولمير ممثل حكومة البندقية بتاريخ ٦ يونيو سنة ١٧٩٥ [1]

(لم يسبق ترجمة هذه الاتفاقية الى اللغة العربية من قبل)

* * *

الحمد لمن له الحمد :

هذه الاتفاقيــة المحررة مع صديقنا القائد صاحب المعالي تومازو جوندولمير والذي مثل في أواخر ذي الحجة سنة ١٢٠٩ أمام الأمير العارف بالله والملك القدير بصميم الولاية التي تشمل مقاطعة طرابلس حفظه الله ورعاه من جميع المؤذيات ، الأمير والسيد يوسف بن علي باشا بن محمد باشا بن أحمد باشا القرمانلي رحمهم الله وحفظ خليفتهم .

لقد طلب منا القائد المذكور تجديد الصداقة والتصديق على الصلح الذي قدمه في صورته محرراً من أبينا وسيدنا ،وقد طلب منا اضافة المواد التالية:

---

١ لقد اورد نص هذه الاتفاقية المؤرخ الايطالي جورجيو كابوفين في كتابه :
Tripoli E Venezia nel Secolo XVIIIe. صفحة ٥٨٧ ، ٥٨٨ .

المادة الأولى : تتمتع دولة البندقية وسفنها بما تتمتع به الدول الأخرى من عظيم الشرف والامتياز كما تمنح جميع الامتيازات الى رعايا البندقية وبدون نقص ومن غير الحاجة الى محررات أخرى ، بما في ذلك التسهيلات التي تمنح مستقبلاً الى رعايا أية دولة أخرى .

وفي حالة رغبة أحد الرعايا في اعتناق الدين الاسلامي فانه يحجز لمدة ٣ أيام في القنصلية . وتطبق هذه الحالة على البندقيين أنفسهم .

المادة الثانية : في حالة فرار أي شخص على ظهر بواخر حربية بندقية أو في حالة الالتجاء السياسي اليها سواء أكان ذلك من رقيق المسيحيين أو ممن ينتمي إلى الولاية بأي صفة كانت فإنه يعتبر حراً وبدون ملاحقة .

المادة الثالثة : عندما يلتقي القراصنة من الطرابلسيين بزوارق أو بشحنات بحرية تنتمي للبندقية أو التي تستعمل خطوط المواصلات بين الخليج وشريقو ولديها جوازات سفر من الممثل العام أو من أحد وكلائه أو نوابه من البندقيين ، فلا تجوز مضايقتهم أو الاستيلاء عليهم .

وكذلك في حالة دخول القراصنة من الطرابلسيين الى موانىء البندقية بسبب العواصف أو لأي سبب آخر لمطاردة الأعداء ، فإن على البندقيين تقديم جميع ما يلزمهم بعد تسديد ثمنه .

وفي حالة ان القراصنة الطرابلسيين يلتقون بسفن في أي ميناء من موانىء البندقية فلا يحق لهم القيام بأي عمل مكروه تجاهها أو ينهبون من اصحابها شيئاً خصوصاً النقود والأمتعة ، وفي حالة الاعتداء تطبق عليهم اشد العقوبات المناسبة حسبما يراه الباشا .

وفي حالة رفض القنصل البندقي منح جوازات سفر الى الرياس المعتدين الذين هم من اصحاب السوابق ، فلا يجوز الضغط عليه لتغيير

رأيه ، وفي حالة التقاء السفن البندقية مع هؤلاء الرياس بدون جوازات سفر فإنها لها الحق في ان تطبق عليهم العقوبات المناسبة وتصادر سفنهم بدون أي مطالبة .

وحيث ان هذه الطلبات منحصرة فيما جاء به القائد المذكور فقد قبلت بالاتفاق مع الباشا الحالي ، وهكذا جددت ونظمت معاهدة الصلح لتبقى حسب الشروط القديمة والمضافة الجديدة ووقع عليها من ديوان الباي المكلف بهذا البلد ومن الخواجة ومن الخمس فلاسفة .

في أواخر ذي الحجة سنة ١٢٠٩ الموافق لسنة ١٧٩٥ م .

وثيقة رقم ١٨

معاهدة بين يوسف باشا القرمانلي وملك سردينيا
بتاريخ ٢٩ ابريل سنة ١٨١٦ ميلادية [1]

•••

وقعها بالنيابة عن ملك سردينيا اللورد اكسموث القائد البحري الانكليزي والمستر هانمر وارنجتون قنصل انكلترا في طرابلس .

معاهدة السلام بين جلالة فتوريو عمانويل ملك سردينيا وقبرص والقدس دوق سافوى وجنوه وأمير بيدمنت ... ويوسف القرمانلي والي طرابلس وملحقاتها وقعها بالنيابة ادوارد بارون اكسموث فارس الصليب الأعظم المختص بالتنظيم الحربي للمرور وأمير الفرقة الزرقاء من الاسطول الانكليزي وقائد الأسطول الانكليزي في البحر المتوسط ممثلاً لملك انكلترا وايرلندا وملك سردينيا .

---

١ هذه المعاهدة باللغة الانكليزية ويوجد اصلها بالملف الخاص بالقنصلية الانكليزية بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب وهذه المعاهدة منشورة أيضا بالملحق المذيل به كتاب ميكاكي « طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي » ص ٤١ و ٤٢ . جمع كمال الدين الخربوطلي .

المادة الأولى : رغبة في السلام تبدأ الصداقة الوطيدة والسلام منذ الآن بين ملك سردينا ووالي طرابلس ورعاياهم وتأمين أملاكهم وأراضيهم ومنذ الآن يحترم الباشا ورعاياه علم ورعايا وتجارة سردينيا على قدم المساواة مثل بريطانيا وتتمتع سردينيا بجميع الامتيازات التي نالتها انكلترا في المعاهدات السابقة .

المادة الثانية : تصبح التجارة حرة بين الدولتين منذ التوقيع على هذه المعاهدة طبقاً لشروط خاصة ولكن على السفن التي تريد السفر من شاطىء الشمال الافريقي الى أية ميناء في سردينيا أن تمر بالحجر الصحي قبل دخول الموانىء ويوجد حجر صحي للسفن القادمة من طرابلس في جنوه و Spezia وفي جزيرة سردينيا في Cagliari, S. Pietro , Maddalena . ويطبق ذلك أيضاً على السفن الداخلة الى طرابلس ، ويتم التبادل القنصلي بين الدولتين ، ويكون تقدير قنصل سردينيا مثل قنصل انكلترا من حيث تسهيل تنظيم شؤونه التجارية ويسمح له برفع العلم الوطني على دار القنصلية وممارسة عبادته الدينية مع خدمه وغيرهم من الرعايا الراغبين في ذلك .

المادة الثالثة : ولمنع أي احتكاك أو اساءة استخدام المزايا التي تنص عليها هذه المعاهدة فان ملك سردينيا سيتخذ الوسائل الفعالة لمنع ذلك باعطاء رعاياه جوازات مرور بختم وامضاء سكرتير الدولة وسوف لا تستخدم تلك الجوازات وسيلة لاعطاء حماية لرعايا دولة أخرى وكل سفينة أو قارب تابع لسردينيا سيزود باحدى هذه الجوازات .

المادة الرابعة : لا يسمح لأية سفينة حربية من الطرفين بالعمل في احد الموانىء التابعة لها بقصد الاستيلاء على سفينة معادية داخل المياه الاقليمية للدولتين أو الهجوم على سفينة ترسو في أحد الخلجان داخل حدود المرسى حتى ولو لم توجد بطارية او بنادق لحمايتها .

حررت في سراي طرابلس بارادة الله في ٢٩ ابريـل سنة ١٨١٦ ، من جمادى الأولى سنة ١٢٣١ هـ .

مادة اضافية :

تعهد اللورد اكسموث بالنيابة عن ملك سردينيا بدفع ٤ آلاف دولار اسباني كهدية قنصلية الى باشا طرابلس عند تعين القنصل ويدفع نفس المبلغ عند تعين كل قنصل جديد .

امضــــاء

اكسموث　　　ختم البـاشا

وثيقة رقم ١٩

وثيقة تشرح حملة سردينيا على طرابلس في سبتمبر سنة ١٨٢٥ [1]

* * *

كانت هناك اتفاقية تجارية يتقاضى ولاة طرابلس بموجبها من الحكومة الايطالية ٤٠٠٠ قرش نظير حرية الملاحة الايطالية وأمنها .

وفي سنة ١٨٢٥ نقل القنصل العام الايطالي الى بلد آخر وعين مكانه نائب قنصل وقد طلب الباشا ٤٠٠٠ قرش منذراً بتسليمها في خلال أربعين يوماً ومهدداً في حالة تأخير الدفع بمصادرة السفن الايطالية واحتجاز ربانها وبحارتها ووقف نائب القنصل موقف المتصلب في رأيه ولم يبد منه ما يدل على استعداد حكومته بالدفع .

وانتهى أجل الانذار ولم يتم الدفع وعندئذ اشتد غضب الوالي وأمر

١ ترجمة هذه الوثيقة بمتحف ميلانو وقد ترجمها الى العربية السيد احمد راسم قدري ونشرها بمجلة الافكار ـ الصادرة بطرابلس الغرب سنة ١٩٥٩ ، السنة الرابعة عدد رقم ٢٠ .
لم يسبق لاحد من المؤرخين ان استخدمها من قبل

بمصادرة السفن والبضاعة والملكية الخاصة بالحكومة الايطالية وتدخل القنصل الانكليزي ليمنع إلحـاق الضرر بنائب القنصل الايطالي وعندها اتصل دي جينيس بالملك وبأمر منه قام بتسليح جميع القطع الحربية التي كانت موجودة في قواعدها وقال الملك :

« ان هذا الطيش التركي لا يمكن التغلب عليه إلا بالقوة ».

وفي ١١ سبتمبر تحركت من جنوا الفرقة البحرية وهي ماريا تريزا وكومير شيو والفرقاطة كريستينا ومن وحـدة حربية أخرى تحمل اسم فيجيلانتي .

وفي ٢٣ سبتمبر كانت هذه الفرقة بتونس ، وفي ٢٥ سبتمبر كانت في طرابلس واقتربت واحدة من السفن تحمل علم الأمان الدولي وسلمت أوراقاً لنائب القنصل وكان الباي وقتئذ هو يوسف باشا القرمانلي وقـد اشترط شروطاً كثيرة جداً لقبول وساطة الصلح ومنها الغاء اتفاقية اللورد اكسموث وكان قائد الحملة سيفوري قد طلب من القنصل الانكليزي أن يقوم بحماية جميع الرعايا الايطاليين. ويروي الأميرال تاهون دي ريفيـل بأن سيفوري قائد الحملـة كان يبحث عن طريق للهجوم بحيث يضمن نجاحه ، وكان يعلم بأن ميناء طرابلس خالية من الأعماق المنظمة فضلاً عن ضيق محفوف بالمخاطر لمن يجازف بالدخول فيه بدون خبراء مهرة . وكانت الشواطىء والسواحل مسلحة بالبطاريات للدفاع عن الميناء ومستعدة باطلاق نيرانها من الشرق والغرب ولم يكن من الممكن التفكير بالهجوم على طرابلس في رابعة النهار لتجنب التعرض للنيران التركية ومـع قلة قوات الفرقة الايطالية ومع ذلك فمن الضروري القيام بعمل ما .

وفكر سيفوري في التقرب من السواحل بقدر الامكان ولكنه لم يستطع أن يدفع السفن نحو المدينة في بحر متلاطم الأمواج بدون التعرض للغرق

وبالرغم من ذلك أيضاً فقد حاول احراق سفن الباشا المنتشرة تحت القصر وهو محل اقامته ويقوم مصنع السفن قريباً منه .

وفي ساعة متأخرة من الليل فتحت المدفعية نيرانها على قطع الأسطول الطرابلسي بغرض نشر الفزع في قلوب العدو ولكن النتيجة كانت عكسية ولم تأتِ بما كان منتظراً منها لأن توجيه النيران كان خاطئاً .

وفي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل تحركت جميع القطع البحرية نحو الميناء حسب الخطط المرسومة تحرسها الطرادة نيريدا غير أنه كانت قد أعطيت التعليمات بالانسحاب إذا أطلقت الطرادة فيريدا اشارات خاصة.

وفي الساعة الثانية والدقيقة الثلاثين بعد منتصف الليل كان الأسطول السردي هدفاً لنيران بطاربات الميناء عندما لمح الحارس تحركـه وأعطى اشارات الانذار وعلى أثره تدفقت النيران من كل صوب ومن الحصون ومن المدفعية ومن الرشاشات وحملـة البنادق من العرب المعسكرين على الساحل بالقرب من السور ، فتمالك القائد أعصابـه ولم يؤخذ بالمفاجأة بالرغم من شدة النـيران وتقدم نحو الميناء تتبعه الفرقة البحرية الأولى وانطلقت مدافع الاسطول شديدة ترد على العدو وعـلى حركاته البائسة وكان يبدو مستحيلاً احراق المراكب والسفن البحرية المنتشرة هنا وهناك في البحر تتلاعب فيه العاصفة ومع ذلك اندفعت الفرقة نحوها .

وفي الساعة الثالثة والدقيقة الثلاثين كانت بعض وحدات العدو تحترق وتقدمت الفرقة الثالثة نحو مصنع السفن الطرابلسي وباب الجمرك متعرضاً لنيران الحصن والحامية القوية وتمكنت بعض القوات الايطالية من النزول للأرض والتحمت مع جند العدو في معركة بالسلاح الأبيض غـير انهم فوجئوا بعـائق غير منتظر لا يمكن اجتيازه يحمي المصنع فارتدوا الى سفنهم ولولا ذلك لوقع في أيديهم ولكانت خسائر الباشا فادحة .

يكفي القاء نظرة على هذه الحوادث لندرك مبلغ رباطـة الجأش التي يتحلى بها جنودنا تحت وابل من نيران العدو .

ومنذ ذلك الحين لم يعد الباشا يقوم بتهديدات ولا بأعمال استفزازية بل ازدادت حركة المواصلات بين ايطاليا وطرابلس ، بعد ان تدخل القنصل الانكليزي وعقد صلحاً بين يوسف القرمانلي وبين سردينيا تدفع سردينيا بمقتضاه مبلغاً قدره سبعة آلاف فرنك حالاً مع اعفائها من الضريبة السنوية .

وثيقة رقم ٢٠

ترجمة رسالة من نائب قنصل البندقية بطرابلس جوسبي بتسي الى المسؤولين بحكومة البندقية يشرح لهم الصعوبات التي يلاقيها من يوسف باشا ويطلب ارسال قوة لتخويفه وذلك بتاريخ ٣ أغسطس سنة ١٧٩٧ [١]

(لم يسبق ترجمتها الى اللغة العربية من قبل)

• • •

أيها المواطنون :

لا أستطيع أن أخفي عليكم آلامي المرة ووضعي الحرج لعدم وجود تعليماتكم التي أستدل بها لانارة طريقي للوصول الى انجاز مهماتي وذلك نتيجة للتغيرات التي حدثت هناك بموجب التغيرات التي طرأت على العلاقات مع هذه الحكومة والتي خلفت لي عدم الطمأنينة والصبر .

---

١ قد اورد نص هذه الرسالة المؤرخ الايطالي جورجيو كابوفين في كتابه Tripoli E Venezia Nel Secolo XVIIIe. صفحة ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

بعد رسالتكم المؤرخة في ١٩ مايو الماضي والتي احتوت على القليل من المعلومات عما حدث هناك وفيما بعد لا أعلم شيئاً عن الحادث المهم الذي وقع .

وهذا التأخير أعتبره ناشئاً عن عدم تقدير بخصوص هذا الميناء وحالته الحاضرة . وانني في انتظار قدوم أي واسطة بحرية من ايطاليا وأنا متأكد بأنها ستجلب لي أخباراً وتعليمات للاستفادة بها في مزاولة أعمالي هنا .

انني معكم أيها المواطنون وأرجو إلفات انتباهكم الى الرسالة التي أرسلتها اليكم عن طريق مالطة وبهذه الرسالة افيدكم وأضيف اليكم الخلاف الذي حدث مع هذا الباشا الذي يبحث عن زيادة التوتر بينه وبين دولة البندقية.

كان في الأيام القليلة الماضية قد استدعاني في مقابلة له وأبلغني بأن لديه أخباراً أكيدة بأن الزورق التابع للقرصنة بقيادة الريس مصطفى « دولشنيتو » قد اوقف من طرف سفينة قيادة بندقية بأحد موانىء الالبان وقد عومل معاملة سيئة وتعسفية حتى أرغم طاقمه على الفرار ونتيجة لذلك فانه يطلب من هذه الجمهورية بأن تأتيه بهذا القائد مع تعويضه عن كامل الاضرار التي لحقت به من جراء اعتقاله .

وأنا من جهتي قد قمت بجميع ما لدي من الوسائل للوصول الى الحقيقة حول هذا الحادث ولكنني لم أصل إلا لهذا الخبر ، ومفاده بأن هذا القرصان قد قام بأعمال عدوانية ضد البنادقة بمياه الخليج ، ولهذا لم أتأخر بأن أرفع هذه المعلومات الى الباشا وأفهمته بأن قرصانه اذا كان قد اجتنب هذه الأعمال فمن المؤكد انه لا يلاقي هذه المعاملة من جانب السفن البندقية التي تعودت على احترام الغير ومعاملته كأصدقاء ما داموا في حدود الاحترام المتبادل .

فكان رد الباشا بأنه سوف يجري التحريات حول هذا السلوك عندما يصل اليه قرصانه وسوف ينصف المظلوم بحقوقه ، وأفهمني بأن أكتب هذا للاسياد المواطنين مع ابلاغكم بأنه لن ينتظر طويلاً بعد الوقت اللازم

من ابلاغ هذه الرسالة اليكم ووصول ردكم اليه ، وقد هددني بالويل في حالة عدم موافاته بمطالبه .

فأكرر لكم أيها المواطنون بأنه أصبح من الضروري حضور قوة عمومية في هذه الناحية لسبب تخويف هذا الأمير المتهور وانهاء جميع المخالفات معه لأنني على يقين بأنه لن يتأخر عن تنفيذ تهديده سالف الذكر ، وقد كان يريد تحرير رسالة الى الجمهورية وسوف أرفقها مع هذه الرسالة، ومنها يتضح لكم عدم رضاه تجاه البنادقة وقد سبق وأرسلت كتاباً بهذا الخصوص الى قاضي التجارة ولكنني لا اشير فيه الى السلوك الذي سلكته القيادة البندقية والتي اعتبرها الباشا السبب الذي أدى الى حجز المالطيين للمركب التابع للقرصان بينما أنا وضحت له عدم حقيقة هذه الواقعة بالأدلة الممكنة والتي كانت نتيجة واضحة لاستخفاف عدوى طرابلس للقائد البندقي وهذه العدوى قد أدت بهذه الفتنة انتقاماً من هذا القائد البندقي واتضح لي بأن الباشا قد اقتنع بذلك وأبلغني بأنه سوف يحقق في الموضوع وانما أسند دعواه هذه ليؤكد بها التعويض من طرف الجمهورية البندقية .

كما أعلمني بأنه ندم على تصديقه على الصلح مقابل مكافأة هزيلة يتقاضاها خلافاً لما يتحصل عليه من الدول الأخرى .

التوقيع : جوسيبي بتسي
نائب القنصل

وثيقة رقم ٢١

ترجمة رسالة من نائب قنصل البندقية بطرابلس جوسيبي بتسي الى المسؤولين بحكومة البندقية بخصوص تهديدات يوسف باشا المستمرة له ، بتاريخ ٣١ اغسطس سنة ١٧٩٧ [١]
(لم يسبق ترجمتها الى اللغة العربية من قبل)

• • •

حرية ومساواة

ايها المواطنون :

ان موضوع هذه الرسالة هو موافق لرسالة أرسلتها اليكم بتاريخ ١٧ الجاري لاضيف اليكم بأن الباشا يزداد من حين لآخر حيرة مهدداً لأنه لم يستلم أي رد منكم بخصوص المواضيع القائمة بينكم وبينه ومن هذه التهديدات التي لا يكف عن ابلاغها الي هو القطع الحتمي للصلح اذا لم يستلم منكم خبراً مرضياً له .

---

١ قد اورد نص هذه الرسالة المؤرخ الايطالي جورجيو كابوفين في كتابه : Tripoli E Venezia Nel Secolo XVIIIe. صفحة ٤٥٦ .

أنا من جهتي أعمل بكل جهدي لأجنبه عما يصر عليه ولكن قد نفدت مني جميع السبل لهذا الغرض وإذا لم تأتني بوجـــه السرعة استنارة من عندكم بخصوص ارادتـكم بالموضوع حيث انني لا أعلم أي شيء عنهـــا وخصوصاً بعد وصول رسالتكم المؤرخة في ١٧ مايو الماضي .

انني في حيرة حتى أستلم منـــكم الرد وسأعمـل كل ما بقي لي من استطاعة لتيسير هذه المهمة الثقيلة جداً .

تحياتي الأخوية .

جوسيبي بتسي
نائب القنصل

طرابلس البربر ٣١ أغسطس ١٧٩٧ السنة الأولى لاستقلال البندقية

وثيقة رقم ٢٢

قرار بعزل أحد القضاة بأمر من أحمد بن حسين التوغار قاضي طرابلس بتاريخ ٢٤ ذي القعدة سنة ١٢٤٣ هـ الموافق (١٨٢٧ م) [1]
(لم يسبق نشرها من قبل)

• • •

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

أشهد الأجل العمد المرتضى الفقيه الأفقه القاضي الحنفي سيدنا أحمد ابن الشيخ المرحوم السيد حسين التوغار قاضي مدينة طرابلس ومتولي النظر في سائر أقطارها في التاريخ انه عزل أحمد بن رمضان أبي شاكر الجنزوري من خطة النيابة ببلد جنزور ونواحيها عزلاً تاماً شرعياً يجب نبذه عن قبول الشهادات وسائر الخطط وخطط القضايا بالبلد المذكور ونواحيه شهد على اشهاده بذلك وعرفه بكامله في السابع والعشرين من ذي القعدة الحرام من عام ١٢٤٣ .

عبد ربه تعالى محمد بن محمد صوان

عبد ربه ابرهيم محمد بن محمد بن ابراهيم

أحمد بن حسين التوغار
قاضي طرابلس

---

١ يوجد اصل هذا القرار بسجل المحاكم الشرعية لسنة ١٢٤٣ هـ - بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب ، ص ٢٧ ، وهو باللغة العربية .

وثيقة رقم ٢٣

دعوى أقامها وكيل أبناء حسن بيك بن علي باشا
القرمانلي على الشيخ الحاج مصطفى بن الحاج عبدالله
المسلاتي يتضح منها ان بعض أفراد الأسرة القرمانلية
كانوا يشتغلون بالتجارة بتاريخ ١٣ رجب سنة
١٢٠٥ هـ (١٧٩٠ م) [١]
(لم يسبق نشرها من قبل)

• • •

ادعى المكرم سيدي أحمد بن محمد الطباعجي المقدم على أيتام المرحوم المنعم سيدي حسن بيك بن الامير مولانا سيدنا علي باشا القرمانلي على المكرم الشيخ سيدي الحاج مصطفى بن الحاج عبدالله بن زريق المسلاتي بأن السيد البيك المذكور باع له سبعة من الابل حين أراد سيدي الحاج مصطفى المذكور السفر للحجاز ولم يخلصه في ثمنهم وعنده تحت يده للسيد الباي المذكور سبعين عنزاً وباع له أيضاً بغلة مع الابل المذكورات ولم

---

١ يوجد أصل هذه الدعوى بسجل المحاكم الشرعية لسنة ١٢٠٥ بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب ، وهي باللغة العربية .

بخلصه في ثمنها وعنده للسيد الباي المذكور مائة محبوب ذهبـاً وخمسين محبوباً ذهباً مصرياً وأعطاه أيضاً حال حياته جوز من الخيل وانه خلص ديوناً من الناس للسيد الباي المذكور وعنده أيضاً جانب من الشعير يطلبه بذلك ويسأله الجواب ، فأجابه بالانكار في ذلك عدا ثلاثة جمال وقعودين قال اعطاهم لي سيدي الباي على وجه الأمانة حين نريد الحج لنبيعهم له في مصر ونشتري له بثمنهم فرساً وشال كشمير فباعهم في مصر على يد الحاج سالم أبو معلف بمائة محبوب وثمانية عشر محبوباً ذهباً مصرياً واشترى له شال كشمير من مكة بسبعة وعشرين محبوباً ذهباً وان الشال المذكور ضاع عند الحرامية مع جملة الركب والذي عنده وحين أتى لمصر وأراد أن يشتري له فرساً من صعيد مصر ببقية ثمن الابل المذكورات غاروا عليه الجياشة وأخذوا بقية الثمن المذكور مع جميع ما عنده،وانه اشترى فرساً من مصر بتسعين محبوباً من ماله وجابها للسيـد الباي المذكور على وجه المحاسبة .

وثيقة رقم ٢٤

وثيقة تبين ان بعض نساء العائلة القرمانلية يزاولن الأعمال التجارية عن طريق المشاركة ١٠ شوال ١٢١١هـ (١٧٩٦م)[1]

(لم يسبق نشرها من قبل)

• • •

الحمد لله

ادعى المكرم الحاج محمد ابن الفقيه عبد القادر بن الحاج عمر بن عبد السميع الوكيل من قبل الاجل المحترم سيدي أحمد رايس المرسي ابن المرحوم سيدي مصطفى كاهيه على المكرم حسن بن الفقيه ابراهيم عرف طلوز بأنه أتى لموكله قبل حلول الفتنة الواقعة بمدينة طرابلس وقال له اعطيني دراهم لنسبب بها على وجه القراض فدفع له موكله المذكور ثلاثمائة ريال دورو من ضرب العدو وان ذلك لزوجته الست حواء بنت المرحوم سيدي علي باشا قرمانلي وذكر له بأنك تسافر بذلك من بلد طرابلس الى بلد بنغازي ومن بلد بنغازي الى بلد أزمير ومن بلد أزمير

---

١ يوجد اصل هذه الوثيقة بسجل المحكمة الشرعية لسنة ١٢٠٧ / ١٢١٥ بدار المخطوطات التاريخية بطرابلس الغرب ص ١٠٩ ، وهي باللغة العربية .

الى بلد طرابلس لا يتعدى غير ما حدد له وعينه له لا غير ويطلبه في دفع العدد المذكور وفي ربحه ويسأله الجواب فأجابه حسن المدعى عليه المذكور بأن قال له اعطاني هذا العدد سيدي أحمد المذكور على الوجه المذكور أعلاه وان يدي مطلوقة في ذلك تتصرف في سائر البلدان حيث تشاء وبعت بذلك واشتريت وخسرت وما جمعته في ذلك دفعته للحاج معتوق الجيباني قدره ثمانون ألف ريال سكة طرابلس . هذا ما وقع بينهما من دعوى وجواب ، في العاشر من شوال سنة ١٢١١ .

بيد كاتبه الهدار محمد الأشهب

وثيقة رقم ٢٥

اقرار من يوسف باشا يعترف فيه بأنـــه قد باع
لأحد التجار التونسيين قارباً بتاريخ ربيع الأول
١٢٤٤ الموافق لسنة ١٨٢٨ م [١]
(لم يسبق نشره من قبل)

• • •

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد عليه السلام .

حامل هذه التذكرة الأجل ولدنا التاجر بوسلامة بوشداخ أحد تجار تونس القائم حين الكتب بثغر الجهاد طرابلس غرب اننا بعنـــا له هذا البريك النبلطان الذي اسمه .... [٢] والذي أتى به قرصاننا غنيمة من النبلطان وأخذناه بون بريزا [٣] .

بعناه البريك المذكور في مرسى الوجاق المذكور بثمـــن قدره الف وثمانمائة ريال دورو وقبضنا منه العدد المذكور في مرسى الوجاق المذكور وهو ملكاً من ملكه وفي حوزه وتصرفه وغير معارض له في ذلك وهذه التذكرة تبقى في يده لتمسك به في ذلك والسلام .

عام الف ومائتين وأربعة وأربعين هجرية من الفقير لربه يوسف باشا قرمانلي أيده المولى آمين .

---

١ يوجد اصل هذا القرار بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب وهو باللغـــة العربية وبعضه بالعامية مع بعض الالفاظ الايطالية .

٢ لم يرد اسمه بالاقرار .

٣ يعني ان القارب بحالة جيدة .

وثيقة رقم ٢٦

عهد أمان من يوسف باشا الى بعض المرابطين نظراً لتقواهم
وتدينهم بتاريخ ٢٧ شوال سنه ١٢٢١هـ (١٨٠٦ م) [١]
(لم يسبق نشره من قبل)

•••

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

من عبد الله المتوكل على الله المرعى برعاية مولاه القائم بفضله الجهاد وفرضه الصادق عليه قوله صلى الله عليه وسلم انه في أرضه المنصوص جميع أحواله اليه الراجي عفوه وغفرانه يوم الوقوف بين يديه عبده يوسف باشا قرمانلي أيده ذاته وجود سراته وعمر بالخيرات أوقاته آمين .

الى الأجلين أولادنا القياد الذين يتولون بزليتن على الدوام وكافة الطوباجية والمشائخ والخدام المتصرفين في الأحكام الخاص منهم والعام أصلح الله حال الجميع السلام الأتم الأطيب الأعم عليكم ورحمته وبركاته ويليه اعلامكم ان حاملين هذا الأمر الكريم الواجب التقبيل والتعظيم الأجلين الأفضلين مشائخ البركة والأمراء سلالة السادة الأبرار وهم سيدي منصور

---

١ يوجد اصل هذه الوثيقة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب وهي باللغة العربية .

وسيدي خليفة وسيدي عبد الصمد وأخيه سيدي بصيص أبناء الشيخ الصالح المرحـــوم سيدي هيبلو بن ناصر أولاد الشيخ المزار صاحب الكرامات والأنوار وسيدي ابراهيم بن ناصر ناس زاوية وأهل بركة وصلاح ولنا فيهم وفي المرحوم محبة صافية وبيدهم أوامرنا وأوامر المرحوم والدنا في هناهم وقدرهم ورعايتهم وحفظ جنابهم وعـــدم المجاسرة عليهم وفي حرمهم بقي حرم الشيخ سيدي ابراهيم وعوض نجله سيـدي هيبلو وذلك الحرم من أرض التوتـــه الى الرويص - رويص حسن بن فرج ومن الشارع الى الشارع ومن حدوده الأربعة فلا يخرج منهم مخوف ولا مستجير ملهوف ومن دخله كان آمناً مطمئناً على نفسه ومالـه ونحن الآن جددنا لهم على نقيض تجديداً تاماً مطلقاً عاماً مع زيادة الحرمة والاحترام والقدر الكامل على مرور الليالي والأيام فلا سبيل لأحـد يجبر عليهم بوجـه من الوجوه وكذلك خدامهم ورعيانهم ومن هو منهم واليهم وان صدر من أحـــد منهم ذنب أو عيب نحن ننتقم منهم ولا لأحد عليهم سبيل إلا الخير والهناء ولا يدخل أحد حرمه من كان من خدامنا وعامة رجالنـــا إلا بقصد الزيارة وطلب صالح الدعوات كما لنا ذلك عليهم عند ضريح الشيخ وعلى الله القبول ذلك انه مجيب الدعوات فالواجب عـــلى الواقف عليه العمل بما فيه وأمرنا يبقى بأيديهم للتمسك والهناء والسلام .

بتاريخ ٢٧ من شوال سنة ١٢٢١ .

التوقيع

يوسف باشا قرمـانلي

وثيقة رقم ٢٧

رسالة من بعض تجار الرقيق بطرابلس الى الوالي محمد أمين باشا يشكون فيها من تعديل الضريبة المقررة على تجارة الرقيق بتاريخ ٢٩ من ذي الحجة سنة ١٢٥٨ (١٨٤٢م) [١]

(لم يسبق نشرها من قبل)

* * *

مما يعرض على حضرة ولي النعم ومحل الجود والكرم أفندينا محمد أمين باشا مشير ايالة طرابلس غرب في التاريخ بعد تقبيل راحتيكم الكرام اننا أناس تجار من أهل هذه الايالة وغيرها ومن جملة ما نتاجر فيه رقيق السودان وكنا في السابق لما نشتّروا الرقيق يعطى البائع تسعة في المائة والمشتّري إذا أراد التطلع الى بلد «مدلى» والأناضول يعطي ثلاثة في المائة واذا أراد التطلع الى بلد أزمير واسلامبول لم يعطى هنا شيئاً فإننا نعطوا هناك في اسلامبول [٢] ونعطوا على الرأس الواحد من الرقيق مائة وتسعة

---

١ يوجد اصلها بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب وهي باللغة العربية ·

٢ اسلامبول = استانبول ·

وتسعون قرشاً اسلامبولياً ونعطوا مائة وثمانية عشرة قرشاً نعتياً في أزمير
ولما نعطوا هنا ثلاثة في المائة على الرأس المسافـــر الى مدلى والاناضول
ناخدوا تسكره من القمرقجي [1] نقابلوا بها هناك وإذا ذهبنا الى هناك من
غير تسكره نعطوا هناك على الرأس ثمانـــين قرشاً نعتياً والآن نبه علينا
قمرقجي البر على ان الواحد منا اذا اشترى رقيقاً يعطى على الرأس تسعة
محابيب اسلامبولية ويعطى في باب البحر ثلاثة محابيب نعتية وان البائع لم
يعطى شيئاً وهذا يا أفندينا أمر صعب ويقطع علينـا المعيشة ونحن اناس
على باب الله المطلوب من حضرتكم السنية أن تعملوا معنا شيئاً يناسب في
ذلك لأننا فقراء ومن خدام الدولة العلية فأحسن معنا فإن الله لا يضيع
أجر من أحسن عملاً ودمتم بخير وعافية ونعمة ضافية .

حرر في ٢٩ ذي الحجة الحرام ١٢٥٨ .

التوقيعات

الحاج محمد بو حميره   الحاج معتوق بو حميره   سعد الشيباني   علي مبروك
الحاج عبدالله بانون   الحاج محمد كماله   عتيق علي باشا

وغيرهم

---

[1] قمقرجي = موظف الجمرك .

وثيقة رقم ٢٨

رسالة من مدير أغدامس وكبار الشخصيات بها
الى باشا طرابلس بخصوص معاملة الرقيق ،
١٧ صفر سنة ١٢٦٧ هـ ١٧ ديسمبر ١٨٥٠ م [١]
(لم يسبق نشرها من قبل)

* * *

المقام الأرفع والمحمل الرحيب الأوسع المشير الأفخم والدستور المعظم والصدارة العظمى ولي النعم سيدنا دامت معاليه ورفع الله مقامه ودام المسلمين نفعه آمين .

وقد بلغ الينا الكريم جوابكم وتلقيناه بالقبول والفرح والاستبشار وقرأناه وفهمناه معنى وتفصيلاً وذلك في خصوص مادة الاسارى وعدم اهانتهم وتعريتهم وتجويعهم فأذنتنا بأن يكون منا كمال الدقة والتنبيه على جميع التجار الذين هم ينسبون في الاسارى سواء في حالة جلبهم من القبلة وفي حال قدومهم من أغدامس الى طرفكم أو الى بنغازي أو الى

١ يوجد اصل هذه الوثيقة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب ، وهي باللغة العربية .

ساير المحلات يلزم ان يكون لهم ترتيب في كيفية الركوب على الابل وما يلزمهم من الأكل والشرب وعدم التعرية ونحو ذلك وحين مرور التجار وقدومهم الى طرفكم يلزم ان يكون عدد الاسارى الذين مع كل تاجر وعدد الابل الذين معه وكم من أسير يركب على كل بعير ويعطى له علم خبر ببيان ذلك .

فقد جمعنا التجار الذين هم باغدامس وقرأنا عليهم جوابكم وفهمناه اليهم ونبهنا عليهم في هذا الخصوص واجراء العمل على موجب ذلك وانشاء الله عند طلوع القافلة كل تاجر يكتب له علم وخبر على مقتضى ذلك كما أمرتم ويكتب دفتر بالمعنى ذاته ونرسلوه اليكم .

ولا نزال مواظبين على الادعية الخيرية الحسنة الى ظل الله في العالم مولانا السلطان أيده الله بالنصر والظفر في البر والبحر والى حضرة سيادتكم السعيدة ودمتم في خير وعافية ودامت لكم التهاني وبلوغ الأماني .

التوقيعات

أعضاء مجلس	مدير أغدامس
الحاج أحمد	الحاج موسى
المفتي	المفتي
محمد المسماري	محمد بن موسى

وثيقة رقم ٢٩

رسالة من قائمقــام اغدامس الى والي طرابلس
بخصوص تنفيذ أوامره الخاصة بالغـاء ومنع تجارة
الأسرى أو الرقيق ٢٩ صفر سنة ١٢٨٠ هـ الموافق
١٥ أغسطس سنة ١٨٦٣ م [١]

(لم يسبق نشرها من قبل)

•••

حضرة سيدي صاحب الدولة ،

تشرفنا واستبشرنا بورود أمركم العالي المطاع الواجب له القبول والاتباع مضمون عليــاه مادة الأسرى ان تعاطي التجارة فيهــا ممنوع منعاً كلياً بموجب تعلق ارادة سنية وأمرتم عبدكم باعلاه واشاعته الى الجملة على أن الذي يوجد معه أسرى يكون ضبطهم من طرف الحكومة ويكون عتقهم جـبراً عليــه والذي يأتي بهم ويوجد معه يكون تربيته بمقتضى القانون

---

١ يوجد اصل هذه الرسالة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب وهــي باللغة العربية .

السلطاني . في أول الأمر يحبس سنة وفي المرة الثانيـة يحبس سنتين وفي المرة الثالثة يكون حبسه مدة مديدة ... الخ .

فهمناه بالتحقيق حين تشريفه بأيدي عبدكم صارت قراءته علناً بالمجلس بحضور الجملة وتأتيكم بها على موجبه مضبطـة وبحول الله يكون العمـــل عليه والأمر أمركم بتاريخ ٢٩ صفر سنة ١٢٨٠ .

قائمقام اغدامس
علي بيك

وثيقة رقم ٣٠

ترجمة رسالة من يوسف باشا الى خليل رفعت
باشا رئيس البحار يشرح له أسباب قيام الثورة
ضده ويرجوه التوسط لدى السلطان للحصول على
فرمان بتولية ابنه علي والياً على طرابلس

* * *

حضرة رفيع المقدار العلي المنار المشعشع الأنوار الملك المهام والصدر المقدام الوزير المعظم المفخم مدير جمهور أمور الامم حايز فضيلة السيف والقلم قرة عين المملكة والوزراء وتاج السلطنة والعمارة سيف الدولة السلطانية ولسان الصولة الخقانية وصفوة الحضرة العثمانية رافع أعلام العدل والانصاف الحافظ من الجور والاغتصاب صاحب العز والاجلال صاحب اذيال الصدر والاقبال حامي حمى الاسلام بالديار الروسية مشيد تحوز العدل بالأقطار القيصرية خلد الله ظلال عواطفه على البرية وبيمن عوارفه على النفوس البشرية ذو المفاخر الواضحة والي بحور البر ولي النعمة معالي خليل رفعت

١ محمد بهيج الدين بن مصطفى عاشر : لقد اورد نص هذه الرسالة في كتابه : « طرابلس غرب تاريخي » ص ٢١٦ / ٢١٧ وهو باللغة التركية وقد ترجم لي منه هذه الرسالة الحاج محمد الاسطى .

باشا أبقاه الله في الملك الذي لا يبيد ولا يتلاشى ، عبدكم القديم ومملوككم المستديم يوسف باشا أبسط اليكم مع كل أسف ذلّي وافتقار العاجز الى عتبة جناب ولي النعم انه لا حاجة للبيان بأننا ملتزمون لتنفيذ ارادة حضرة مقام الخلافة فطبقنا النظام الجديد في نفس طرابلس وجميع الايالة وبدأنا بتجهيز عساكر جيهادية وترتيب الجنود النظامية رويداً رويداً بصفة منصفة وعادلة لكن بغاة العرب تجمعوا وثاروا علينا وعصوا أوامرنا فلم نقابلهم بالشدة وروودناهم الى المسالمة وأرسلنا اليهم جيشاً على رأسه ابنائنا لينصحوهم ويفهموهم مرادنا ويجلبونهم الى دائرة الطاعة غـير أنه مع كل أسف لم تظهر ثمرة من هـذا الاتصال وعلى هذا قام الأكابر والأسافل البغاة المقيمين خارج المدينـة فنصبوا أحد أحفادي والياً عليهم وعلى طرابلس واتفقوا على الشقاوة ولمنفعته الخاصة رافقهم حفيدي واشتد عصيانهم وبغيهم حتّى قاموا لحربنا كل ذلك في سبيل منصب الدنيا الذي هو قريب الزوال ولكي لا أدخل في وسائل سفك الدمـاء رأيت أن اترك الحكم وأرتاح فقررت أن أتنازل عن الحكم الى عبدكم ابني علي باي المتصف بالدرايـة الكاملة والواقف على اصول الحكم ومصالح الدولة العلية والمتصف بالرحمة الكاملة .

وباتفاق جميع العلماء وأعيان البلاد وباتحادهم أجلسته على كرسي الولاية وبفطانته بدأت المعركة تقل .

فحرمة لإخلاص اسرتنـا الكامل لعرش الخليفة نرجوا ونسترحموا ان نحصل على فرمان من الخليفة لنصبه والأمن لمن له الأمر .

عبدكم يوسف باشا القرمانلي
والي محروسة طرابلس الغرب سابقاً

وثيقة رقم ٣١

ترجمة رسالة من رئيس البحار الى السلطان بخصوص
السفن الطرابلسية التابعة للأسطول العثماني
وثيقة رقم ٢٠٩٢١ سنة ١٢٤٤ هـ (١٨٢٨ م) [1]
(لم يسبق نشرها من قبل)

•••

بعد الديباجة :

منذ سنة ١٢٣٩ هـ كانت هناك بعض السفن قامت بتجهيزها ايالة طرابلس الغرب ، ومنذ ذلك التاريخ الى يومنا هذا ، وتلك السفن في معية الأسطول العثماني . وعدد هذه السفن خمسة ما بين كبيرة وصغيرة .

وفي السنة الماضية كانوا مع عبدكم رئيس البحار مختار بيك في حملة نفارين وبعدها في معيّتي أنا، وقد عملوا في كل حملة بقدر استطاعتهم .

---

١ صورة من وثائق رئاسة الوزارة التركية رقم ٢٠٩١١ وتوجد هذه الصورة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب ، وهي باللغة التركية وقد ترجمها الى اللغة العربية الحاج محمد الاسطى ٠

ونظراً لأن لهم ثلاث سنوات منذ أن خرجوا من ايالة طرابلس الى الآن بقيادة الرايس عمر،فإن الجنود قد نقصوا ، وحتى اذا ما اعطيناهم جنوداً بدل الجنود التي نقصت، فان القطع البحرية نفسها لم تعد لها قوة ولا طاقة على العمل .

وقد طلب مني الرايس عدة مرات بأن أسمح لهم بالرجوع إلى طرابلس غير انني أمرتهم بالصبر الى الربيـع القادم ، على انني في الربيع سوف أتحصل لهم على الاذن ان شاء الله لكي يرجعوا بكامل الامتنان ، وبذلك صبروا الى الآن .

والواقع انهم لا يملكون حتى الجهد عـلى الجوان ، والآن وقد حل موسم الربيع فان تفضلتم لهم بالرخصة ، فسوف آذن لهـم بالرجوع الى الايالة . وأرى أن نهدي الى رئيسهم « كرك » وبقية الرؤساء شيلاناً ، لنستجلب منهم الدعاء إلى السلطنة العلية،على شرط أن يرجعوا في الربيع القادم للالتحاق بالاسطول .

فنرجو السماح لهم في هذا الربيع ، وان ترسلوا رسالة شكر وامتنان الى باي البيبات .

« تعليق السلطان »

وافقت الارادة السنية على رجوعهم الى طرابلس وارسال رسالة شكر الى باي البيبات .

وثيقة رقم ٣٢

معاهدة يوسف باشا القرمانلي مع فرنسا
بتاريخ ١١ أغسطس سنة ١٨٣٠ [١]

وهذه المعاهدة وقعت بعد مجيء الأسطول الفرنسي الى طرابلس بقيادة روزاميل وقد أجبر الباشا في هذه المعاهدة بصفة نهائية على الغاء المغامرات البحرية واسترقاق المسيحين والاحتكار التجاري الى غير ذلك مما تنص عليه هذه المعاهدة

• • •

لازالة الأحوال التي اضطرت قنصل فرنسا الى مغادرة البلاد لسوء التفاهم الذي حدث بينه وبين يوسف باشا والي طرابلس ولانهاء تلك الحالة ولمنع الحالات التي توجب دائماً سوء التفاهم بين ايالة طرابلس

---

١ يوجد اصل هذه الرسالة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب · وهي باللغة التركية وقد ترجمها لي الحاج محمد الاسطى ·
وهذه المعاهدة منشورة ايضا في ذيل كتاب ميكاكي « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » من ص ٥٢ الى ص ٥٦ جمع كمال الدين الخربوطلي ·

والدول الأخرى ولحفظ الأمن في البحر المتوسط الى الأبد – تم الاتفاق بين المسيو بارون روزامل – الأمير الثاني لبحرية فرنسا ، الحامل لنيشان سان لوي العسكري ، والحامل لرتبة كوماندور فرقة الشرف ، والحائز لنيشان فارس من فردناند ملك اسبانيا – مندوباً عن ملك فرنسا – وبين سيدي الحاج محمد بيت المال ناظر أمور خارجية دولة يوسف باشا مندوباً عن طرابلس ، ونظراً لما لهذين المندوبين من دراية وتمتع بثقة دولهم فهما ينوبان عن دولهم في توقيع المعاهدات ويطلبون من الله التوفيق في وضع هذه المعاهدة وتطبيقها .

مادة (١)

يعتـــذر والي طرابلس لقنصل فرنسا ويأسف للأراجيـف والمفتريات التي قيلت في حقه ويوجـــه رسالة الى ملك فرنسا يذكر فيها المحبة الصافية التي توجد بين الدولتين ويعطي صورة منها الى الأميرال المذكور وعندما يتسلم القنصل عمله من جـــديد يرسل الباشا أحد أولاده أو اصهاره اليه ليطلب العفو عما صدر منه ويوفي بالترضية اللازمة .

مادة (٢)

لا تعطي حكومة طرابلس رخصة لسفنها أو لسفن رعاياها للقرصنة وكل سفينة تتجاسر على القرصنة ضد السفن التجارية فـان جميع دول أوروبا قد اتفقت على ضبطها ومصادرتها .

مادة (٣)

تلغى بعد اليوم مسألة الأسر ويعتق جميع الأسرى الموجودين الآن واذا كان يوجد أسرى لدى الوالي يحررهم ويرسلهم الى بلادهم ، وعند وقوع حرب بين طرابلس ودولة أجنبية فان الأسرى الذين يؤسرون في الـــبر والبحر لا يعاملون معاملة سيئة وانما يعاملون حسب قوانين أوروبا ويوضعون في أماكن مناسبة ويتم تبادلهم عقب انتهاء الحرب ويطلق سراحهم .

مادة (٤)

لا يسمح لحكومة طرابلس أن تزيد أسطولها الحالي أو تضيف اليه أيـة قطعة حربية أخرى وتشكل لجنة لحصر عدد السفن الحالية وتوضع قائمة تبين عدد السفن وحالاتها ومقدار تسليحها. أما السفينة التي يصيبها تلف أو تبلى فيمكن تجديدها ولكن بنفس الحجم والمواصفـات ، ولا يجوز تسليح السفن التجارية الحالية وتحويلها الى سفن حربية .

مادة (٥)

تساعد الحكومة السفن التي تلجأ الى السواحل نتيجـة الرياح وتعمل عـلى رفعها من رمال الشاطىء اذا كانت قـد اصطدمت بها وتحرس ركابها وتحافظ على بضائعها ، واذا غرقت احدى السفن يحافظ عليها من النهب والسلب واذا نهبت تتعهد الحكومة بدفع كل مـا نهب منها ، كذلك يجازى كل من يقتل أحـد هؤلاء الركاب طبقاً لقوانين البلاد وتدفع تعويضات لأهل هذا القتيل .

مادة (٦)

اذا حدث النهب من ثائرين على الأمير فلا يجبر الأمير برد ما نهب أو القبض على القاتل أو دفع تعويضات .

مادة (٧)

للدول الأجنبية الحق في تعين ممثلين تجاريين في أية بقعة من الايالة وتلغى عادة الهدايا التي نصت عليهـا المعاهدات ولو كانت تحت أي اسم من الأسماء ولا يمكن تجديد هذه المعاهدات دون دفع الرسوم الجمركية .

مادة (٨)

اذا دفع الرعايا الأجانب الرسوم اللازمة فهم أحرار في التجارة الداخلية والخارجية ولا تطلب فرنسا امتيازاً زائداً عن الأجانب الآخرين ولكنها تتمتع بكل الامتيازات والتسهيلات التي تتمتع بها الدول الأخرى .

مادة (٩)

يحرر الوالي تعهداً بدفع ٨٠٠ ألف فرنك كمصاريف عسكرية لفرنسا ازاء ارسالها أسطولها ولتسهيل تسوية دين الرعايا الفرنسيين بدفع نصف الدين في ١٦ أغسطس ونصفه الباقي في ديسمبر سنة ١٨٣٠ .

مادة (١٠)

تبقى المعاهدات والاتفاقات التي تمت قبل ذلك بين فرنسا والدولة العلية أو بينها وبين ايطاليا دون تغيير عدا ما نصت عليه هذه المعاهدة .

مادة (١١)

تنشر هذه المعاهدة في يوم الخميس ١٢ أغسطس في طرابلس وفي يوم ١٧ في المدن القريبة وفي يوم ٢٢ في المقاطعات وفي مدة لا تتعدى ١٢ سبتمبر في أبعد مكان من الولاية .

خاتمة

نسخت هذه المعاهدة من نسختين على ظهر السفينة الملكية الراسية في ميناء طرابلس وأجري في الحال تبادل الوثائق وتعهد الطرفان بتنفيذ أحكامها .

تحريراً في ١١ أغسطس سنة ١٨٣٠ – سنة ١٢٤٦ هـ .

ملحق لمعاهدة فرنسا

تكونت لجنة من مسيو كوسي قائد سفينة(...)ورئيسها وضباطها الملازم رو ولمتر وقامت بجرد السفن وتسجيلها في القائمة الملحقة بالمعاهدة .

أنواع السفن	العدد	مدافعها	حالتها
قطعة كرويت بثلاث ساريات	١	٢٢ مدفع هاون + ١٨ قواعد مدافع	جديدة
سفينة ابريق	١	١٨ مدفع هاون + ١٢ قاعدة	»
» ابريق	١	١٨ مدفع كبير + ١٢ قاعدة	»
» »	١	١٦ مدفع + ٨ ماكينات مدفع	» في الترسانة
» »	١	١٢ مدفع + ٨ قواعد مدافع	قديمة
» » جولتا	١	١٤ مدفع + ٨ » »	قديمة نوعاً
» » »	١	١٢ مدفع هاون + ٦ » »	قديمة
سفينة ملكية صغيرة	١	٨ » + ٦ » »	»
غليون	٢	٤ مدافع + ٦ » »	»
غليون صغيرة	١	مدفع واحد + ٤ » »	»
حاملات مدافع	٤	٤ مدافع + ١٨ قاعدة مدفع	»
		السفن الغائبة	
ابريق جولتا	١	١٢ مدفع + ٨ قواعد مدافع	موجودة في شرق البحر المتوسط
» »	١	١٢ مدفع + ٦ قواعد مدافع	موجودة في شرق البحر المتوسط
» »	١	٨ مدافع + ٨ قواعد	بنغازي
سفينة سكونو	١	ليس بها مدافع	تمر بالسواحل

اغسطس سنة ١٨٣٠ طرابلس الغرب .

يوسف القرمانلي – لمتر – رو – كوس – روزاميل

وثيقة رقم ٣٣

صورة من التذاكر التي كان يمنحها يوسف باشا
لدائنيه على بنغـــازي ودرنة بتاريخ ١٦ رمضان
سنـــة ١٢٤٥ هـ (١٨٣٠ م) [١]
(لم يسبق نشرهـــا من قبل)

* * *

الحمد لله هذه قائمة بيد السوديت التوسكانة [٢] من سيـــدنا على بني غازي ودرنة وزيت من هنا على السعر الذي في الكتيبة الصوف بأربعـة دورو القنطار والسمن اثنا عشر القنطار والجلد الماعز بأربعين دورو المائة والزيت ستة دورو البرميل .

بتاريخ ١٦ رمضان سنة ١٢٤٥ .

---

١ يوجد اصل هذه الوثيقة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب .

٢ رعايا توسكانيا .

برميل زيت	قنطار صوف	قنطار سمن	دراهم دورو	جلد ماعز	
٠٠٠	٦٠٥	١٠٨٢	٧٤٣	٠٠٠	أوله جواني روسوني قنصل التوسكان
٦٩٧	٣٦٤٩	٠٠٠٠	٠٠٠	٥٦٠	بليفرنيـو
٨٥	١٤٢٣	٠٠٠٠	١٢٠٠	٠٠٠	سلمون امبروزي
٧٨٢	٥٦٧٧	١٠٨٢	١٩٤٣	٥٦٠	

التوقيعات

يوسف القرمانلي جواني روسوني بليفرنيـو سلمون امبروزي

وثيقة رقم ٣٤

الاتفاق الذي تم بين يوسف باشا ورعايا توسكانيا بخصوص الديون التي عليه منهم بتاريخ ١٤ رمضان ١٢٤٥ هـ (١٨٣٠ م) [١]

(لم يسبق نشره من قبل)

• • •

الحمدلله هذه الكنتراته [٢] التي جعلناها في القنصلارية [٣] التوسكانة مع السدت [٤] التوسكانة الواضعين أسماهم أسفله بواسطة محب جنابنا جواني رسوني قنصل التوسكانة مثل ما هي مبينة في الشروط والمذكورات أسفله وقع ذلك في ١٦ رمضان ١٢٤٥ هـ .

---

١ يوجد اصل هذا الاتفاق بسجلات قنصلية توسكانيا لسنة ١٢٤٥ هـ ١٨٣٠ م. بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب وهو باللغة العربية مع الفاظ عامية .

٢ الاتفاق

٣ القنصلية .

٤ الرعايا .

الشرط الأول

تحمل سيدنا على جميع التذاكر الذي خارجات من يده للسدت المذكور فيما سبق التاريخ نجددهم كيف ما كانوا سابقاً كل شيء بعينه من غير زيادة ولا نقص .

الشرط الثاني

على أن خلاص التذاكر المذكورات يكونوا من لزمة بني غازي ودرنة رضوا السدت وطابت أنفسهم بذلك على شرط سيدنا ما يأخذ من بني غازي ودرنة لا شيء من اللزمة لا جريمة ولا خطية ولا دم أرقاب ولا طلب من جميع الطلبات ورضوا أن يدفعوا لهم هذا العام الذي أوله أول يوم من رمضان سنة ألف ومائتين وخمسة وأربعين ، اثنين وأربعين في المائة والعام الذي يليه خمسين في المائة والباقي في التذاكر والكنبيو [1] والحسارة الذي أعطينا في العام الماضي يكون خلاصهم في العام الثالث .

الشرط الثالث

تحمل السدت المذكور الذي يضعوا اسماً هم عقب التاريخ وطيحوا جميع الكنبيو والحسارة الذي لزموا في هؤلاء العامين . ولما هذه السنة الماضية أعطيناهم كنبيو وخسارة اثنا عشر في المائة وكتبنا لهم تذاكر في ذلك يخلصوا منهم في الثالث عام .

الشرط الرابع

تحملنا والتزمنا على الذي ينقص من خلاص العدد المذكورات كل سنة وما ينوبها نعطوا خسارة اثنين ونصف في المائة في كل شهر وأسعار

---

[1] تغيير النقود من عملة الى عملة .

البضاعة الذي نبغوا ندفعوها لهم من بني غازي ودرنة كيف ما مذكور في القائمة التي بختمنا .

الشرط الخامس

تحملنا على أننا نبعثوا لأجل ولدنا الحاج محمد بيت المال والا الذي يقوم مقامه ونعطوه جانب من سقيب [1] الذي يلزمه من أجل خلاص البادية ويدفع ذلك الى السدت من جانب تذاكرهم القديم الذي مذكورين في القائمة ومطبوعات بطابعنا واذا حدث تذكرة جديدة ما تخلص الا في ثالث عام وإذا أخذنا شيء من البلدين المذكورات في المدة المسطورة نعطوه هنا دور [2] عين للسدت .

الشرط السادس

ان جميع التذاكر امتاع الزيت الذي الى السدت والتوسكانة فيما سبق التاريخ نعطوهم كنبيو في الماضي أثنا عشر في المائة ونجددوهم كيف ما كانوا مكتوبين ويكون خلاصهم ان شاء الله النصف هذه الصابة [3] القابلة والذي يخص من الزيت على النصف فدفعوا لهم على شبه ريالات دورو البرميل والنصف الآخر في الثالث عام والذي يخص يعطوه لهم دورو بالسعر أعلاه السدت المذكور طيح جميع الكمبيو والخسارة في المدة المذكورة .

الشرط السابع

وهو آخر الشروط اذا كان أعطينا شيء زايد الى السدت آخر نعطوا الى

---

١ جياد .

٢ ذهب .

٣ محصول العام القدم .

السدت التوسكانة مثله من غير زيادة ولا نقص .

وقع هذا الاتفاق بمحضر[1] القنصل المذكور وجميع السدت المذكورين أسفله وبرضانا وطيب خاطرنا وبموافقة الأسعد الأرشد نجلنا سيدي علي باي لذلك والسلام .

توقيعات

بعض رعايا توسكانيا   القنصل التوسكاني   علي بك القرمانلي

---

١ بحضور

وثيقة رقم ٣٥

اتفاقية بين يوسف باشا ورعايا توسكانيا خاصة بالديون التي على الباشا بتاريخ ١٧ جمادى الاول سنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣١ م [1]

(لم يسبق نشرها من قبل)

• • •

الحمد لله

هذه الكنتراته الذي جعلناه في القنصلارية التوسكانية مع السودت التوسكان الواضعين أسماهم أسفله بواسطة محب جنابنا كوريل جون رسوني قنصل التوسكان مثل ما هي مبينة في الشروط المذكورين أسفله . وقع ذلك في ١٧ جمادى أول سنة ١٢٤٦ .

الشرط الأول

سيدنا يوسف باشا قرمانلي تحمل بأنه يدفع للسودت المذكورين عشرة في

---

١ يوجد اصل هذه الاتفاقية بسجلات قنصلية توسكانيا لسنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣١م) بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب ، وهي باللغة العربية ، والفاظ عامية ٠

المائة من جميع السوال [1] الذي لهم قبل سيدنا كما مذكور في القائمة المؤرخة بتاريخ اليوم ومطبوعة بخاتم سيدنا على آجال أربعة أشهر من تاريخه ومبتدا الدفع بعدكم يوم دفعه بعد دفعه لأجل لما ينتهوا الأربعة أشهر يكون خالصين بالتمام ويكون دفع العدد المذكور الثلثين ذهب وفجرة [2] سعر الذهب المطبوع جوز دورو ونصف وسعر الفجرة الوقية بدورو وثمن ، والثلث الآخر معاملة البلاد سعر كما يسوى بين التجار .

الشرط الثاني

سيدنا الباشا تحمل أيضاً بأن يأمر يدفعوا في بنغازي للسودت التوسكان المذكورين خمسة وستين في المائة من السوالات امتاعهم المذكورين من لزمة هذا العام كما سيذكر وان التذاكر المكتوبين بضائع على بنغازي يجب يعطوهم بضائع كما في التذاكر والتساكر المكتوبين دورو سواء على بنغازي أو على طرابلس والتساكر المكتوبين زيت وعلى الجمرك وغيره فإن باي بنغازي تساعد مع وكيل السدت أو وكلايهم يعطيهم بضائع بالسعر الذي يتوافقوا مع بعضهم وان لم يتراضوا في سعر البضائع يجب الباي يبيع البضائع ويعطى مجبورهم [3] دورو بشرط أن يبقى شيء من العدد الذي يدفعوا في بنغازي كما مذكور أعلاه تحمل سيدنا بدفعه هنا دورو وزيت سعر سته دورو البرميل واحشيشه [4] سعر عشر دورو القنطار وجميع ما يخص يكون خلاصه في ٣١ اكتوبر سنة ١٨٣١ .

---

١ السوال = الدين ·

٢ الفجره = الفضة ·

٣ حاصلهم

٤ نوع من النبات يستعمل في الصباغة

الشرط الثالث

الخمسة وعشرين في المائـــة الفاضلين بقيـــة السوالات امتاع [1] السودت المذكورين التوسكان سيدنا تحمل بأن يأمر يدفعوا في بنغازي ، مثـــل الشروط المذكورين في الشرط الثاني ولزمت العام المقبل بزيادة اثني عشر في المائـة عـلى جملـة الخمسة وعشرين في المائـة المذكورين على أجـــل تعطيلهم .

الشرط الرابع

اتفقوا وفضوا سيدنا والسودت المذكورين بأن كل دفعة ودفعة التي تحمل سيدنا بهذا الكنترات التي لم يتم خلاصها في تاريخها كما مذكور أعـلاه تحمل سيدنا بدفع ثلاثين في المائة زايد على جميع ما ينقص من كـــل دفعة ودفعة .

الشرط الخامس

سيدنا يحتاج يبعث نقله من سوال السودت المذكورين لباي بنغازي لأجل يكون عالم بالشيء ويجب خلاصهم كما مذكور أعلاه .

الشرط السادس

اتفقوا وفضوا سيدنا والسودت المذكورين بأن وقت الذي سيدنا يبغي يدفع هنا دورو في حق البضائع الذي عند السودت التوسكان المذكورين الذي يبغي يأخذ من بني غازي كما مذكور بباطنه يعطيهم سعر السمن اثنا عشر دورو القنطار سعر الصوف أربعة دورو القنطار سعر جلد الماعز أربعين دورو المايه فهذا الوقت السودت المذكورين اسلموا في البضائع المذكورين بعد أن يقبضوا هنا حقهم بالتمام والثلثين ذهب وفجـره ودورو والثلث معاملة طرابلس كما مذكور في الشرط الأول .

---

[1] خــاص

الشرط السابع

اتفقوا وفضوا سيدنا والسودت التوسكان فان سيدي الحاج محمد بيت المال تسلف من فرنسا دراهم لسيدنا ويجعل في السلف المذكور بنغازي ودرنة رهن هذا الوقت سيدنا يعطي السودت التوسكان كمبيالات على البنكير [1] وعلى اللذي يسلفهم الدراهم في خلاص اللذي يبقوا يقبضوا كما مذكور في باطنه فهذا الوقت السودت التوسكان المذكورين كيف يسمعوا الخبر أصحاب الكمبيالات يسلموا في التذاكر الذي عندهم على بنغازي .

وقع ذلك الاتفاق بمحضر قنصل التوسكان المذكور بباطنه والسودت التوسكان المذكورين أسفله برضى وطيب خاطر وبموافقة الأسعد الأرشد نجلنا سيدي علي باي كذلك والسلام .

بتاريخ ١٧ جمادى أول سنة ١٢٤٦ .

ختم يوسف باشا

---

١ البنكير = البنك

وثيقة رقم ٣٧

منشور بتغيير قيمة العملة وظهور عملة جديدة
وذلك سنة ١٢٣٩ هـ (١٨٢٣ ميلادية) [١]
(لم يسبق نشرها من قبل)

• • •

الحمد لله

وقع التنبيه من السيد الأمير العالم الشهير سيدي يوسف باشا صاحب محروسة طرابلس غرب في التاريخ على ان الريال الدورو بعشرة ريالات سكة الوقت وذلك في الرابع والعشرين من صفر الخير ١٢٣٩ .

وفي اليوم المذكور خرج أبو ستمائة. وهو فلس من النحاس الأحمر به خبشة وبالوجه الآخر ضرب في طرابلس صرفه أربع فلوس نحاس أيضاً.

رزقنا الله خير ذلك ووقانا شره بجاه سيدنا محمد وآله وصحبه .

أحمد بن حسين التوغار
قاضي محروسة طرابلس

---

١ يوجد اصل هذا المنشور بسجل المحاكم الشرعية لسنة ١٢٣٩ هجرية ص ٢ بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب · وهو باللغة العربية ·

وثيقة رقم ٣٨

رسالة من يوسف باشا الى قنصل ملك سردينا بخصوص سك عملة جديدة، ٢٠ فبراير سنة ١٨٣٢م[١]
(لم يسبق نشرها من قبل)

***

الى صديقنا وبعد ،

أبعث اليكم بهذه الرسالة لاحيطكم علماً بأنني قد نقشت سكة نقد جديدة وأريد ان تكون لها الصفة الرسمية وتكون مقبولة ومتداولة بين أفراد شعبي وتكون معترف بها ومقبولة لدى جميع الدول التي لها علاقات مع مملكتي لهذا أرجو اصدار تعليماتكم تحريرياً لرعايا صاحب الجلالة ملك سردينيا بهذا الخصوص وفي حالة اذا ما كان أحد الرعايا سولت له نفسه بعدم قبولها والاعتراف بها سوف يكون عرضة للنفي والابعاد عن عاصمتنا ومملكتنا .

وأملي وطيد في الصداقة المتينة الموجودة بيننا وبين جلالة ملك سردينيا المحافظة عما اعلمتكم به وطلبته منكم والسلام .

يوسف باشا القرمانلي

---

١ يوجد اصل هذه الرسالة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب وهي باللغة العربية .

وثيقة رقم ٣٩

رسالة يوسف باشا القرمانلي الى محمد بيت المـال
وذلك بتاريخ ١٧ رمضان سنة ١٢٤٧ هـ (١٨٣١م)[١]
يحدد له فيهـا نوع الضرائب التي يجب أن يأخذهـا من
سكان برقة كما يطلب منه أن يضغط على بيك بنغـازي
ليقوم بتسديد قيمة البطاقات أو التذاكر التي على بنغازي
لكي يتجنب المشاكل التي سوف تترتب على تأخير دفعها

•••

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.
الى الأجل الأفضل الوجيه الأمثل المحترم المبجل ولدنا الحـاج محمد بيت المال ، أكرمه الله آمين .
السلام الأتم والأطيب الأعم عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه وأزكى

---

١ يوجد اصل هذه الرسالة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب وهي باللغة العربية مع بعض الالفاظ العامية . وهي منشورة ايضا في الملحق المذيل به كتاب ميكلكي ، طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي ، ص ٦٨ و ٦٩ جمع كمـال الدين الخربوطلي .

تحياته ، يليه اعلامكم بعد السلام عن كلية أحوالكم وأنه بلغنا جوابكم وقريناه وفهمنا ما فيه وجميع ما ذكرت صار في علمنا ، عرفتنا بما أنت عليه من الوقوف والاجتهاد فيما كلفناك به ، ولم تمسك فترة ولا رخوة في جميع المصالح ، ورداد بالك من كل جهة وجانب ؛ وأنك فرقت حق المرابع على أهل بنغازي وباديتها ، ومتوجه لدرنة الى آخر ما ذكرت علمنا ذلك ، ما فعلت الا ما هو في المراد مثلك من يكون ويصلح لمباشرة الامور المهمة وبهى وبفرغ السر : غبر أشبح [1] كيف تتحيل في أمر الخلاص بألا تقبل إلا الشيء الذي تعرفه ينفعنا ويهنينا من باب دور [2] وفجره [3] ونعمه [4] وسمن مثل ما عرفناك في الجواب الأول: وأما الابل لا تقبلها ولا لنا فيها مصلحة ، ولا تحصل لنا منها منفعة ، كما لا يخفاك تمشي قروش وعروش ولا نوقفوا بها شيء ، وخيارك الانسان ما يساعد الا في الشيء الذي يعرف فيه ثمرته وصلاحه، والناس يقولوا من جعر فيما ضره الشيطان غره ، وغيرك يحتاج زيادة التأكيد من هذا الجانب .

وأما قضية التجريدة وأحوالها حتى وان كان ظفرت بمطلوبها وروحت ما زال الغربي يولد لنا في المشاوير ورقاقيصه [5] ماشين جايين بهذا المعنى وبدعواه أنه يتعرض ويتكلم علينا ويكتب لنا في جوابات والله العظيم ما يخاطبوا بيهم حتى البهود والتوبيخ والعتاب والتهديد ، ولعلك اطلعت على جواباته لباي بنغازي،ولكن المقدر كاين ورد الواقع محال . قدر ربنا علينا بخلطته حتى سمعنا ما نكرهه .

---

١ انظر

٢ ذهب .

٣ فضة .

٤ حبوب .

٥ رسله

ولا يفصل بيننا وبينه شيء الا خلاص دراهمه الذين بطرفنا تبقى تعمل همة في سلاكهم بأن نحرش في الباي وتؤكد عليه بأن يدافعه ويخلصه في تساكره قبل كل أحد لأجل نقطعوا المادة معه ، وأما بقية التساكر بتاع النصارى يدفعهم على السواء بحيث ما يخص أحد دون غيره لأن الغرض والتخصيص يجيب لنا النشاف ودواخ الرأس ، كما لا يخفاك أمر النصارى وأنت أعجل بروحك في الخلاص والتأخير له آفات ، والناس يقولوا غرامه عجولة ولا فايدة بطية ، ومرادنا تتمم خلاصك بسرعة وتقدم علينا ، لأننا والله استحشناك وفقدناك ونبغوك تعاوناً ، ربنا يجيب شغلك راس ، ويجمعنا بكم على أحسن حال ، وان تسأل عني فاني تر ّاس [1] ولا وجدت مركوب الى الآن ، لأن جميع ما جابوا لنا من خيل كلهم جوادير [2] ولا فيهم ما يصلح ، تبقى ترد بالك وابحث لنا ولا تتزاهد في ذلك لأنه من أهم اللوازم عندنا ، وها نحن اكترينا طرباً فلوا ووجهناه لكم تبقو توسقوه لنا بالشعير والذي توسقوه وأوفوه بنا ولونه عندكم .

ويوم كتبه قدم الريس خليل ، وحينما يفرغ بوشيبه وشقفه [3] نقصده لكم وتبقوا تعجلوا له بوسقه [4] لأننا في غاية الاحتياج بالنعمة والبلاد فارغة وأتانا جواب من الباي وعرفنا فيه على أن بني غازي ودرنة قبلهم بالسوم [5] الذي أعلمناكم به سابقاً وان شاء الله بالبركة عليه تبقى تبارك له فيها وتكلم معه علي أنني ما نعرف الخلاص الا فلوس. وحتى التذاكر بتاع النصارى الذي يأتوه ما نكتبوهم الا دراهم وهو يعرف خلاص

---

١ ليس له جواد .

٢ كبار السن .

٣ لقد اخطأ الخربوطلي ، فكتب كلمة « شقته » بدلا من شقفة و « نسقده » بدلا من نقصده

٤ شحنه

٥ بالثمن

نفسه ، وان شاء الله تأتيه التجريدة [1] وجوابات لأهل الوطن مع بوشيبة وأنت اجتهد في الخلاص ولف [2] روحك ، وربنا يكون في عونك ويجمعنا بكم في أبرك الأوقات وأشرف الساعات وعرفنا بما يتزاد عليكم من الأخبار ودمتم بخير وعافية .

١٧ رمضان سنة ١٢٤٧ هـ

المرعي بالله عبده
يوسف باشا القرمانلي

---

١ الحملة
٢ عجل

وثيقة رقم ٤٠

رسالة يوسف باشا القرمانلي الى الحاج محمد شلبي
بيت المال يصف فيها وقائعه مع سكان بن وليد
وأنصارهم ٦ رجب سنة ١٢٤٧ هـ
الموافق ١٢ ديسمبر سنة ١٨٣١ م [1]

* * *

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه وسلم .
الى الأجل الأفضل الوجيه الأقبل المحترم المبجل ولدنا الحاج محمد بيت المال أصلح الله له الحال والمال بمنه آمين السلام الأتم ، الأطيب الأعم عليكم ورحمة الله وبركاته ولا زايد سوى الخير يليه اعلامكم موجب الكتب اليكم هو أننا كنا عرفناكم سابقاً على تجهيز الأمحال [2] المنصورات وفيهم الأسعدين الأرشدين أنجالنا سيدي علي باي وسيدي ابراهيم باي وبينا لكم عدد العساكر والخيل والرجال والآن نعرفوكم بما حل بأهل وادي

---

١ يوجد اصل هذه الرسالة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب ·
وهي منشورة ايضا في الملحق المذيل به كتاب ميكاكي « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » من ص ٦٣ الى ص ٦٥ جمع كمال الدين الخربوطلي ·

٢ الحملات ·

ابن وليد ومن في حزبهم من أولاد سليمان والقدادفة وغيرهم أول واقعة وقعت عليهم لما نزلت المحلة بقليعات الحطابة في أسفل الوادي قبل لا تبلغ لهم سولت لهم أنفسهم الخبيثة وجردوا عشرة فيهم سب وتريس وهجموا على المحلة في الليل فوجدوا الناس على أهبة والمدافع في كل نزعة وبقي البارود والمدافع ينوضوا [١] مقدار ثلاثة ساعات وانهزموا مقبوضين ومات منهم بالدويلي والرصاص ما يزيد على مائة وخمسين رقبة وسلمت المحلة ولم يمت منها حتى رجل واحد ولله الحمد على ذلك وصبيحة اليوم رحلت المحلة ونزلت بقرب ظهرت الشيخ السوداني لأن ورفله كلهم عقلوا في سرار الفوقين والأوطين وأدهمتهم العساكر في معقل سرار وبن فايد أما معقل بن فايد وما يليه أخذوه في أسرع مدة وقتلوا من فيه وركحت العركة في معقل سرار وحمي الوطيس وطلعوهم منه ثلاث مرات ويرجعوا له حتى أن أنجالنا باشروا القتال بأنفسهم وجرح حصان سيدي علي وانجرح سيدي ابراهيم جرح خفيف وهدوا أولاد أبي سيف وطلبوا من أنجالنا العفو واحتزت العركة فمات منهم في ذلك اليوم مائتين وخمسين ورقبة وأما المجاريح بلا حساب والخبل كذلك وبقوا يتشفعوا وشرعوا العساكر في تقطيع الأشجار وتعديم الآبار من الفنادن [٢] الى دفع الداوي [٣] لاقعدت زيتونة ولا حوش قائم البناء ثم رحلت المحلة نزلت في ظهرت التربة وعاركتهم عركة أخرى في وسط الوادي وانقبضوا ورفله إلى أن رقوا إلى سرار ومات منهم مائتين واثني عشر رقبة وثلاثة مائة مجاريح وزاد في التشفيع فقدموا علينا المرابطين أولاد أبي سيف أولاد بن مريم وزوى غريان وطاحوا علينا وطلبوا منا العفو والسفح ورفع القتال ، وحقن دماء المسلمين فأسعفوا بما طلبوه منا وعفونا وراعينا

---

١ ينطلقوا ٠

٢ أماكن في وادي بني وليد ٠

٣ الوادي ٠

الضعفاء والمساكين بعد أن التزم لنا عبد الجليل ومشايخ ورفله على يدي أولاد أبـي سيف بألف وخمسة مائة ناقة ومائة وخمسين رأس عبد وجابوا لنا عشرين رهينة من خيار أولاد المشايخ وعبد الجليـل أعطى الساعدي وابنه وأخيه عمر لولا انه مجروح عاطيه والرهاين الآن في قبطون البـاي ويبغوا يسرعوا في اخلاص والتزموا برجوع جميـع ما أخذوا من فزان بتّامه وطمنونا أولاد أبـي سيف في اتمام هذه الشروط وأما الباي محمد شركز فانه مات مريضاً وولده أحمد ومن معه باقي في القصر وعن قريب يقدم ان شاء الله على أسر حال بجميع ما عنده ولا يغير أحد عليه شيء يكون ذلك في علمكم وان شاء الله بعدما يرحلوا الأمحال المنصورات من وادي بن وليد نبغو نجهزوا واحد من أنجالنا للوطن الشرقي في محلة عظيمة تمهد الوطن وتواطي بعض أنوف شمخت كما في علمكم وأنت لا بد تعرفنا على أحوال أهل الوطن وما هم عليه جملة وتفصيلاً لنكونوا على بصيرة وأما المحلة لم يمت منها إلا مائة وخمسين رقبة من كل نسبة اثنين ما لهم بال ولا فيهم متسميين إلا محمد ولد الشيخ بلقاسم بن منتصر وولد منصور ابن ابراهيم من عيلت الأدغم والحاج أحمد بن سلطان وجنوا أهل المحلة من ورفلة مائتين فرس منهم ثمانين عند أهل الشرق وتعلم اننا كنا كتبنا لك على عشرين وإلا ثلاثين قنطار سمن تبقى تهم لنا منهم وترسلهم لنا عاجلاً في أول مركب ، وما أنت إلا ولدنا أقرب ما لدينا ، وربنـا يجيب تصرفات الجميع في الصواب والسلام ، بتاريخ ٦ من رجب الأصم سنة ١٢٤٧ الحاصل هذه نقزة نقزوها ورفلة ، ومن في حزبهم ، وجت على روسهم تكسروا تكسيرة كبيرة راحوا نحايبرهم،وسعيهم كلهم راح، أما الغنم ما قعد عندهم منها حتى شاة واحدة سلموا فيها اقباله وأخذوا العساكر بتّامها والابل كذلك راحت ، شيء أخذوه السبعة الغنايمة، غير نوفل أبروحه أخذ ثلاثة مائة ناقة ، وشيء ضاع في العقلة ، وشي طاح عند المحلة ولا قعد عندهم شيء ، والد فدفوا تدفديفة كبيرة ، وجميع

رجالتهم الذي تعرفهم الذي ما مات هو مـات ولده ، وماتت فرسه ، والله غير من الطبول خاصة سبعة وعشرين راجـل خيـار الذي ماتوا ، ولا تاسل لكن في الحقيقة ما تم أعداء للسلطنة وللعمالة الا المرابطين لمـا أضايقوا ورفلة وشرقوا ، وكثرت فيهم الموت وبدوا يشفعوا والقتـــل فيهم ، وقريب يتاخد العفو لهدوا المرابطـــين أولاد أبـي سيف وأولاد أبو لموشة والسواعدية واللهامن بن حميـدان وخوته وأولاد الشيـــخ العالم وأولاد بن مريم كلهم وبد بتريبطوا على البيـات ويطلبوا في العفو حتى ساعدوهم وأخذوا بخواطرهم ؛ والا لو المرابطين كانت حاجة وقضاها الله لكن ارادة الله غلبت وما يتزاد علينا بعد هذا الجواب نعرفوكم بـه مع قارباش ؛ ونعلموك على القدادفة راحوا مال ورجال وكاوها وكلة طيبة ، والسلام بتاريخ يمناه .

المرعي بالله عبده
يوسف باشا قرمانلي أيده الله آمين

وثيقة رقم ٤١

رسالة من يوسف باشا القرمانــلي
الى الحــاج محمد شلبي بيت المال بتاريخ
٢٨ شعبان سنة ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م) [١]
يتحدث فيها عن تطورات الأحداث بالنسبة لثورة
عبد الجليل بن غيث بن سيف النصر وفشل مساعي
وارنجتــون القنصل الانكليزي في التوفيق بينهما
ويخبره عن استعداده لارسال حملة الى فزان بقيادة محمد المكني

• • •

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

الأجل الأفضل ، الوجيه الأقبل ، المحترم المبجل ولدنا الحاج محمد بيت المال أصلح الله له الحال والمسلك بمنه وكرمه آمين ، السلام الأتم الأطيب الأعم عليكم ورحمة الله وبركاته ولا زايد سوى الخير ، يليــه اعلامكم أنه ورد علينا جوابكم وقريناه من مبتداه الى أقصى غايته ومنتهاه

---

١ يوجد اصل هذه الرسالة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب · وهي منشورة ايضا في الملحق المذيل به كتاب ميكاكي « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ٦٦ و ٦٧ ، جمع كمال الدين الخربوطلي ·

وفهمنا ما أفاده خطابكم على تفصيله ، وجميع ما شرحت صار في علمنا وعرفتنا بما أنت عليه من الخدمة والوقوف على ساق الجد ولم تمسك فترة ولا رخوة في جميع ما يرد من المصالح الى آخر ما ذكرت ، بارك الله فيك وهذا المؤمل منك والمقطوع به عليك مثلك من يصلح لهـذا المقام ويهى منه ويمشي الأمور على مـا هي ، غير أنك اختصرت الكلام في الجواب ، ولم تبين لنا أحوال الناس وما هم عليه في الحال ، وما تظن يقع منهم من الاستقبال ، فالقريب هو مثلك وفي منزلتك للزوم تعرفنا بالحقيقة الدخلانية ، وتبين لنا كل شيء على التفصيل لنكونوا على بصيرة من الأمر ، نحن كما عرفناك من جانب أهل وادي ابن الوليد وما آل اليه أمرهم وأن المرابطين طاحوا علينا وعملنا الصلح على أيديهم ، ووقع الدفع في البعض منه ووقعت المراخاة وطال الأمر وبطت المحلة وتعرف حال المرابطين اليوم وغدوة ونحن فات فينا وأعطيناهم الكلمة ، ثم طال الأمر كتب عبد الجليل لقنصل الانكليز وطلب منه أن يقدم عليه، فتكلم معنا القنصل وطلب منا أن يتوجه للوادي ويجيب عبد الجليل والا أخيه، ويتمم الأمر بمساعدته على ذلك، ونحسبوه يقضي حاجة ويحصل المقصود، وتاري روح القنصل طاوي الحصيرة من جانب عبد الجليل ، ولا حصل منه عـلى طايل غير الجوابات الفارغات !! وفزان لا هو مخليها ولا بغى يسلم فيها ،" ونحن جزمنا على تجهيز الأجل المحترم ولدنا الباي محمـد المكني في قوم غليطة من المحلة يتوجه بها لفزان ، وتمكث المحلة بقرب الوادي حتى يبلغ المكني لطرف فزان وحتى السبعـة والزنتان والرجبان ومن في معناهم ناشطين ومستوبنين ، ويبغوا يمشوا لفزان ويلاقوا المكني في الشاطىء ، لأن القصر قاعد فيه ولد الباي محمد والحاج ابراهيم المكني ومن منهم من الطرابلسية ومصراتة وغيرهم وكامشين [1] عـلى أرواحهم وكذلك ساعد بن ضو والحطمان ومن في عرفهم كامشين عـلى أرواحهم

---

[1] بدون حركة .

حتى يجيهم المدد ، وأما غزى ورفلة وأولاد سليمان الذين كانوا محاصرين القصر مشوا لشبهة،وأما رفلة والقدادفة راحوا للوادي ، وأما أولاد سليمان باقين في سبهة والله أعلم ان خدمتنا على أخذ فزان ونحو مرورها أولى وأحسن من مساطرات أهل الوادي ، غير عاقلين في سطارة لا عندهم كسب لا حرث له غيره ونبغوك تدبر معنا وتشير علينا وتخبرنا على أحوال الشرق بالتفصيل والتطويل ، حتى كأننا نشاهدوا فيما هم عليه وكيف نديروا وأخبرونا على أن محمد علي فسد أمره مع السلطان وساير على الشام من غير اذن السلطان ، ولم نتحققوا صحة الخبر ، نبغي اذا ورد عليكم خبر على هذا المعنى عرفونا به فوراً من غير مزاهدة والمركب هويتها عندكم الخبر الذي يرد عليكم من كل جانب أعلمنا به في البحر والا في البر ، وأنت ما نحتاجوا نكثر ولك كلام الذي يرد عليك وتعرفه يصلح عرفنا به ، وما أنت الا ولدنا وأقرب ما لدينا ، وربنا يجيب تصرفات الجميع في الصواب والسلام بتاريخ ٢٨ من شعبان سنة ١٢٤٧ .

المرعي بالله عبده

يوسف باشا قرمانلي أيده الله

وثيقة رقم ٤٢

منشور من يوسف باشا يحمي فيه أرض الذين خرجوا في الحملة لمحاربة أهالي بني وليد بتاريخ ٩ جماد الثاني سنة ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م) [١]

(لم يسبق نشره من قبل)

* * *

الحمد لله

في يوم الجمعة الموافق لخامس شهر تاريخه لاذن من الأجل الأسعد والهمام الأوحد سيد أقرانه وفريد عصره وأوانه أبـي المعالي مولانا وولي نعمتنا سيدي يوسف باشا قرمانلي أيده الله ذو الاجلال الفاضل حاوي الفواضل الشيخ الفقيه العالم النحرير القاضي الحنفي السيد أحمد بن المرحوم المنعم الشيخ الحاج حسين التوغار قاضي محكمة محروسة طرابلس الغرب في التاريخ على أن كل من حرث أرضاً وربها غائب بالحملة المنصورة

---

١ يوجد اصل هذا المنشور بسجل المحكمة الشرعية لسنة ١٢٤٧ هجرية (١٨٣١ م) ص ٥٨ ، بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب وهو باللغة العربية ٠

المتوجهة يوم السبت الموافق لثاني عشر من أول الجمادين الفارط لمحاربة أهل وادي بن وليد الخارجين عن طاعة الله ليس له زرع ولا زريعة .

واذن السيد الأمير أحمد المذكور الشيخ القاضي المذكور أن يضع ذلك بالسجل المحفوظة اذن الشيخ القاضي المذكور بوضع ذلك هنا فوضع .

شهد على الشيخ القاضي المذكور عارفيه بالكمال .

٩ من ثاني الجمادين ١٢٤٧

أحمد بن الحاج عبد الرحمن القلال   مفتاح بن رجب العبادي

وثيقة رقم ٤٣

رسالة اعتذار من يوسف باشا القرمانلي الى وارنجتون
قنصل انكلترا لعقده معاهدة مع فرنسا ويرجوه رفع
علم بلاده من جديد سنة ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢م) [١]
(لم يسبق نشرها من قبل)

* * *

جناب محبنا الوفي

علمت بأن مساء أمس قد نزلتم البنديره كما علمت من ابراهيم بومويس حينما زار كنسلاريه [٢] البورتوكيز [٣] ان سبب غضبكم وتنزيل البنديره [٤] هو اننا عملنا معاهدة مع فرنسا وانتم لا تشكون في انني حاشا ان أرضى ببند من البنود يكون مضراً بدولة انكلترا وأترك كلامي أنا ، ها هو حامل التذكرة اليكم وكيل قنصل الفلامنك فيبين لك حقيقة الحال وانني سوف لا ولن أقدم على عقد تلاتطو [٥] مع فرنسا من جديد .

---

١ يوجد اصلها بدلر المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب وهي باللغة العربية وبعضها بالعامية مع بعض الالفاظ الايطالية ، وهي ايضا منشورة بكتاب محمد بهيج مصطفى عاشر : « طرابلس غرب تاريخي » ص ١١١ ·

٢ قنصلية ·

٣ البرتغال .

٤ العلم ·

٥ معاهدة ·

وأرجو ألا تسمعوا مـــا يقال من بعض الناس حيث يقولون كل ما يأتي على لسانهم فتسمعوه ويؤسفني انكم تسمعون هذه الاشاعات الكاذبة وإذا كنتم ترون أن نرسل رسالة الى ملك انكلترا نوضح له فيها الحال فاننا في الحال سوف نرسل مأموراً بهذا الخصوص ليوضح له كل ذلك.
ومع هذا فان مطلوبات رعاياكم التي في ذمتي فأنا معترف بها وليس لي ما أقول وانني مجتهد في خلاصهم غير ان ضيق الحال الحاضرة وخصوصاً تعهدي بدفع ديون الرعايا الفرنسيس لا يخفى عليكم ما أنا فيه من الضيق وأرجو ان يمهلوني رعاياكم ويساعدونني لأنني عارف أذاهم اكثروا من الشكاوى فانكم سوف ترسلون اسطولاً ويطالبني بدفع الديون مع مصاريف الحملة وأنت تعلم ما أنا عليه من ضيق وان البلاد مجدبة منذ أربع سنوات وان ايرادي منحصر كله على الحاصلات وعلى كل حال فان هذا الدين سوف أدفعه آجلاً أو عاجلاً كما أرجو ان ترفع العلم الذي هو اشارة لعفوكم عن عجزي وعلامة على رضائكم .
وأرجو أن ترسلوا صورة من رسالتي هذه الى جلالة الملك واعلموه بأن القرمانليين لا يزالون في محبتهم القديمة لأن انكلترا عظيمة وعادلة وان شاء الله صداقتنا تكون في ازدياد بتاريخ ١٢٤٨ .

يوسف باشا القرمانلي

وثيقة رقم ٤٤

ترجمة رسالة من علي باشا القرمانلي الى السلطان بخصوص ثورة محمد باي القرمانلي، ودور القنصل الانكليزي فيها

وثيقة رقم أ ـ ٢٢٤٤٦ بتاريخ ٢٦ شوال ١٢٥٠ (١٨٣٤م) [١]

(لم يسبق نشرها من قبل)

***

بعد الديباجة :

يعرض عليكم عبدكم الشاكر للاحسان وعبد من عبيد السلطنة السنية والدولة العلية الأبدية القرار الأجل تحصيل الرضا العالي لقد تعهدت بحراسة ومحافظة قلعة طرابلس الغرب وعزمت على حرب الطائفة الباغية التي خرجت ضد والدي صاحب السيادة عبدكم يوسف باشا ، وإلى الآن

---

١ صورة من وثائق رئاسة الوزارة التركية رقم أ ـ ٢٢٤٤٦ بتاريخ ١٢٥٠ هـ وتوجد هذه الصورة الان بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب وهي باللغة التركية وقد ترجمها لي الحاج محمد الاسطى ٠

لا زال القتال مستمراً ليلاً ونهاراً . والطائفة المذكورة بمعاونة ومساعدة الانكليز قد تجاسرت على محاصرة القلعة براً وبحراً والآن وصلتنا السفينة السلطانية وبها كاتب ديوان رئيس البحار سعادة محمد شاكر وقد ارتاحت الناس لمجيئه ووافق على اقتراحنا لتولية الحكم نظراً لعجز والدي على الاستمرار في الحكم . ووجهت الينا من العتبة السلطانية رتبة « ميرميران » وتفضل مولانا علاوة على هذه الرتبة فأحسن الينا بسيف وخلعة بالفضة وفرمانين عالين سلمهم لنا عبدكم . فبعد تقبيلها وتلثيمها بكل تعظيم واجلال فتحت وقرأت على جميع الناس وأشعنا وأعلمنا وحملنا السيف ولبسنا البرنوس في مراسيم مخصوصة .

فنطلب من جانب الحق الفياض المطلق ان يدیم صاحب الشوكة والمهابة والقدرة والكرامة والعظمة ولي نعمتنا سلطاننا على العرش مؤيد وقائم الى يوم القيامة امين بحرمة طه ويس .

ثم ان أوامركم السامية قد ترجمت الى اللغة العربية وحملها عبدكم محمد شاكر للطائفة المذكورة لكي يرجعوا الى الطاعة ، كما نصحهم شفوياً ولم يقصر في مهمته ، وحيث ان هذا الجمهور من أرباب الشر والفساد فإنهم لم يعتبروا الأوامر السامية ولا لتعليمات أمير البحار . وعلى ذلك فقد تفاوضنا مع السيد محمد شاكر في خصوص مضايقتهم براً وبحراً وبلغنا ذلك إلى قناصل الدول . وبالرغم من أن القنصل الانكليزي قد أعطى سنداً ، فإنه لم يتوقف عن مساعدتهم علناً وان المسألة هذه يجب ألا تبقى على حالتها الحالية .

ولقد شكرت أنا وأهالي البلاد السيد محمد شاكر على جهوده التي بذلها ، وان شاء الله تستمر مساعدتكم لعبدكم المستديم وتمنوا عليه بعين المراحم .

التوقيع
علي القرمانلي

وثيقة رقم ٤٥

ترجمة لملخص التقرير الذي أرسله محمـــد شاكر
الى السلطان حول الأوضاع الداخلية في ايالة طرابلس
وثيقة رقم د ٢٢٤٨٧ بتاريخ ١٢٥٠هـ (١٨٣٥م) [١]
(لم يسبق نشره من قبل)

* * *

بعد الديباجة :

لقد وصلت الى طرابلس حسب الأوامر العلية وبلغت كل شيء ، كما اتصلت بجماعة المخالفين ولكنهم لم يرجعوا عما هم عليه . كما ان عبدكم ميرميران طرابلس علي باشا هو في أمس الحاجة الى الجند والسفن حيث ان وكيل تونس في طرابلس رجب الجربي هو في الوقت الحـاضر من جماعة الثائرين ولذلك فـــانه ليس لدى علي باشا أي أمل في مساعدة تونس . وكذلك فانه يشك فيما اذا كانت تأتي جنود من استانبول وتنتزع الحكم منه .

---

١ صورة من وثائق رئاسة الوزارة التركية رقم د ـ ٢٢٤٨٧ سنة ١٢٥٠ هجرية وتوجد هذه الصورة الان بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس .
وهذا التقرير باللغة التركية وقد ترجمه لي الحاج محمد الاسطى .

وفهمت منه انه لا يريد مني أن اكتب عن كل الوقائع وعما يحدث في العاصمة، وطلب مني أيضاً بأن نعمل على ارسال سفن لمحاصرة الشواطىء لكي لا تأتي مساعدة الى الثوار وان نرسل رسائل الى المشائخ ننصحهم فيها بالطاعة له .

وهو غير راضي عن دخول جنود من الخارج لمساعدته وانه يكتفي بالناس الذين يتبعونه . ولم يعارض في مسألة الحصار البحري الا الانكليز .

محمد شاكر

وثيقة رقم ٤٦

وثيقة بتركة يوسف باشا القرمانلي
بتاريخ ٤ شعبان سنة ١٢٥٥
(لم يسبق نشرها من قبل)

* * *

الحمد لله مات يوسف باشا بمحروسة طرابلس غرب عن زوجة مريومة بنت حسن باي بني غازي وعن أولاده من غيرها علي باشا الغائب الآن باسلامبول [٢] والست عويشة الغائبة الآن باسلامبول وسيدي عثمان باي الغائب الآن بالاسكندرية وسيدي ابراهيم باي وسيدي عموره باي والست اقميرة والست عائشة لا غير ومن جملة ما خلفه ما هو مرقوم هنا وقوم عيناً بمعرفة الشرع العزيز والحاضرون الورثة المذكورين عدا الغائبين للذكر مثل حظ الانثيين لأجل أن يكون تحت أيديهم على وجه

---

١ يوجد اصل هذه الوثيقة بمقر سجل المحكمة الشرعية لسنة ١٢٥٥ هـ. ص ٣٩ ، بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب . وهي باللغة العربية .

٢ اسلامبول = استانبول .

الأمانة حتى يقع الفصل في جميع ما خلف يوسف باشا وتوزيعه بين الغرماء .

حرر هذا في ٤ شعبان سنة ١٢٥٥ .

محبوب استامبول | ثلاثة محبوب
برنوس حلالي ملبوس | حولي حرير مجعد ملبوس
٢ محبوب | فرملة ملف مور قديمة
صدرية ملف قديمة | صدرية ملف أحمد قديمة
زيون ملف دوى قديم | جوز طواقي اقدم
نصف شال كشمير أصفر | قفطان طفطه سماوي

جوز فرامل طفطه
جوز فرامل وحده طفطه عكرى وحده طفطه حمره
فرملة بيضاء وفرملة طفطه سماوي
فرملة طفطه زرقة وثلاث صداري
فرملة بيضاء يبلا أو ياولو
أربع سواري اقماش أبيض
قطفان ملف رمادي
ثلاث شخاشير
صدرية ملف قديمة ومحرمة بيضاء
سلاح وكأس وقفص وثلاث أمواس
ثمانية شمعدانات وبكرج قهوة وصفرة قهوة نحاس
وسكرية وصحنان عمل فرنج
أربع كواشيك وفر قيطانين ومغرفة سكر
ابريق وليان انحاس منقل ولبان حسانة انحاس
كروانة انحاس وصفرة قهوة عود

جوز كفاتيري النحاس وضمان النحاس صفرة منقل
بكرج تيـــه وسكرية وصفرة صغيرة وجوز كواشيك قهوة وجوز
كوشيك نيه (الجميع فضة)

وقد قدرت صافي التركة بمائة وعشر محبوب أخذ من ذلك :

ابراهيم باي المذكور	وعموره باي المذكور
٣٢ محبـــوب	٣٢ محبـــوب
اقـــيره	عويشه
١٦ محبوب	١٦ محبوب

الزوجة مريومة
١٤ محبـوب

اتصل كل منهما بما رقم عنه أعلاه ليكون تحت يده على وجه الأمانة بمعرفة الشرع العزيز حتى يقع الفصل في مخلف يوسف باشا المذكور .

وثيقة رقم ٤٧

بيان بما خلفته الست حلومة حفيدة يوسف باشا
من مجوهرات وذهب بعد وفاتها [١]
(لم يسبق نشره من قبل)

• • •

الست زينوبة بنت المنعم سيدي يوسف باشا القرمانلي انحصر ارثها في زوجها خليل بيك وولديها منه ، هم سيدي حميدة والست حلومة لا غير ثم ماتت الست حلومة المذكورة وكانت قد وضعت مال حياتها لدى شقيقتها الست مناني على وجه الأمانة سنيره ذهب بها ثلاثة مجوهرات مع خمسة أقراص تكليلة ذهب بسلاسلهم مع زوج قراص ذهب كبار بسلاسلهم مع زوج عنابر ذهب بالأحجار مع زوج حدايد ذهب مع لبه ذهب بها خمسة عشرة دندانة [٢] وبالوسيطة [٣] فيهـا الحجار مع شعبريه ذهب وخاتم ديامونت وبه عشر حجرات روزيت [٤] مع أطراف دنادن

---

١ يوجد اصل هذه الوثيقة بسجل المحكمة الشرعية من سنة ١٢٠٧ الى ١٢١٥ هـ ص ١١٠ ، ١١١ بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب وهي باللغة العربية ·

٢ نوع على شكل معين من الذهب ·

٣ الوسطى ·

٤ نوع من انواع الاحجار الكريمة ·

وآخريصات مع حيكة فضة بها خاتم ذهب بهـا خمسة حجرات روزيت وبها أيضاً زوج خواتم ذهب بالزمورد وخاتم ذهب بالديامونت مع خاتم ذهب بثلاثة فصوص ديامونت مع صندوق فضة زنته مائتين وثلاثة وخمسين أوقية مع تبس [1] ودرع فضة مع ثلاث كواشيك فضة مع طاسة فضـة ظريف مع كتاب دلائل الخيرات مع حكه ذهب وصندوق بالصدف مع زوج سلاسل ذهب مع حجابات ذهب مع شعيرية ذهب مـع خلالين ذهب أحدهما ظريف [2] والثاني سدور بالزمرد والجوهر والروبين مع لبه ذهب من غير أحجـار مع زوج عنابر بالأحجار والجوهر مع عشرة حجابات جوهر مع طاقية بها خميسات ذهب محموديات وروبيات مع ناحية ذهب بها خيط دنادن ذهب مع رشقتين ذهب احداهما كبيرة والأخرى ظريفة مع أربعة بزونات وثلاث حجـابات الجميع ذهب مع زوج ألواح ذهب مع زوج بزونات أيضاً ذهب مع حكـة عطر ذهب مع صندوق ظريف داخلـه زوج دبالج ذهب ظراف وزوج زاكي ذهب بالأحجار والجوهر وثلاث بزونات وثلاث حجابات وتكميلة وتراكي الجميع ذهب بها خميسات روبيات ذهب .

---

١ وعاء صغير .

٢ صغير .

وثيقة رقم ٤٨

رسالة من علي باشا القرمانلي الى قنصل توسكانيا
يعلمه فيها بتوليه الحكم بتاريخ ١٥ ربيـــع الأول
سنة ١٢٤٨ (١٨٣٢ م) [١]
(لم يسبق نشرها من قبل)

* * *

الحمد لمن له الحمد .

من عبد ربه علي باشا قرمانلي والي اوجاق طرابلس غرب الى حضرة قنصل جنرال التوسكانايلية اعلامكم انه يصلكم طيه كتب تبلغها للدولتكم وتعلموها بولايتنا أمر هات الايالة وتيقنوهم بأننا ساعون في تأسيس المحبة وارتباطها بين الجانبين وتتميم الشروط المنعقدة بيننا وبينكم ولا زايد الا الخير والتمام .

بتاريخ ١٥ من ربيع الأول سنة ١٢٢٨ هـ .

التوقيع
علي قرمانلي

---

١ يوجد اصل هذه الرسالة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب وهي باللغة العربية .

وثيقة رقم ٤٩

حكم شرعي ببطلان ما باعه كل من علي القرمانلي
ومحمد القرمانلي أثناء حربهما من أملاك الناس داخل
المدينة وخارجها – ٥ ربيع الأول سنة ١٢٥١هـ[١]
(لم يسبق نشره من قبل)

***

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .
هذه نسخة نقلت هنا خوفاً من ضياع نصها .
بعد الافتتاح .

يوم الخميس الموافق للخامس من أشرف الربيعين عام ١٢٥١ اجتمع الشيخ الفقيه القاضي الحنفي أبو العباس سيدي أحمد بن المرحوم الشيخ حسين التوغار والسادة العلماء والشيخ الفقيه القاضي المالكي سيدي عبد الكريم ابن الشيخ سيدي محمد العسارس والشيخ محمد المحجوب والشيخ مصطفى

---

١ يوجد أصل هذا الحكم بسجل المحكمة الشرعية لسنة ١٢٥١ هـ (١٨٣٥ م) رقم ٦٦ بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب وهو باللغة العربية .

ابن لاغه والشيخ ابراهيم اندبشة والشيخ سيدي مفتاح بن هنيدي والشيخ علي بن موسى والشيخ السعودي العبيدي والشيخ محمد قاجه والشيخ محمد الخارزي والشيخ ابراهيم باكير والأجل الأفضل والمقام الأكمل حضرة مولانا خازندار السيد أبي بكر أيده الله والأجل الفاضل سيدي مصطفى رئيس المرسى في التاريخ والأبر الفاضل سيدي الحاج محمد بيت المال وسيدي الحاج أحمد بن اللطيف شيخ المدينة وبعض أعيانها والأجل القائد سيدي محمد الطبجي وأعيان ومشائخ المنشية سيدي علي بيزان باش آغا الأجل الأفضل سيدي محمد التركي قايد الساحل وأعيان مشايخها والأجل القائد محمد بو شاقور قايد تاجوراء وأعيان مشايخها والشيخ محمد قنيد من أعيان مشائخ زنزور بجامع المرحوم الولي الصالح سيدي درغوت باشا أعاد الله بركاته على الجميع للنظر فيما باعه سيدي علي ابن يوسف باشا القرمانلي وسيدي محمد بن محمد بن يوسف القرمانلي المذكور في مدة هذه الفتنة الذي أخدمها الله بوجود حضرة مولانا السيد مصطفى نجيب باشا أيده الله وأعانه على ما أولاه الأمر بهذا الاجتماع والفصل في ذلك بواسطة الخازندار المذكور من أملاك الناس التي لا حق لهما فيها فنظروا في أمرها وعرضوا لها سبر الشريعة وسأل الشيخ القاضي المذكور العلماء المذكورين فاتفق الحاضرون على بطلان ما باعا من أملاك الناس التي لا حق لهما فيها داخل المدينة وخارجها بلا ثمن وأشار العلماء المذكورين ومن حضر على الشيخ القاضي المذكور بالحكم على ذلك فأشهد حفظه الله وأحسن اليه انه حكم ببطلان ما باعه سيدي علي وسيدي محمد المذكوران من أملاك الناس داخل المدينة وخارجها وهدر الثمن حكماً صحيحاً أمضاه وارتضاه وأوجب العمل بمقتضاه ربه شهد على ما ذكر بتاريخ ٥ أشرف الربيعين سنة ١٢٥١ .

التوقيعات والأختام

وثيقة رقم ٥٠

رسالة من علي باشا القرمانلي الى الحاج محمد شلبي بيت المال
بتاريخ ٢٧ من ربيع الأول ١٢٤٨هـ (١٨٣٢م)[١]
يعلمه فيها بتوليه الحكم بعد تنازل والده ويطلب
منه أخذ البيعة له من مشايخ القبائل في برقة
ويبشره بأن الشيخ غومه قد انضم اليه وكذلك أهل
المناطق الغربية ، وبأن ثورة غريان قد انتهت ...

• • •

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
ـ حفظه الله بمنه ورعاه بيمنه ـ حضرة أقرب مـا عندنا من العمال ،
وأخص وأعز ما لدينا من الرجال وزيرنا وولدنا الحاج محمد بيت المال
أكرمه المولى آمين .

السلام الأتم الأطيب الأعم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، يليه
اعلامكم أننا عرفناكم بكتب منا صحبة الشبشكو مضمونهم ولايتنا بطيب
نفس والدنا واختيار أهل ايالتنا يكونوا ان شاء الله وصلوكم واطلعتم عليهم ،

---

١ يوجد اصل هذه الرسالة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب وهي منشورة ايضا بكتاب ميكاكي « طرابلس الغرب تحت حكم اسـرة القرمانلي » . بالملحق الخاص بالوثائق ص ٧١ جمع كمال الدين الخربوطلي .

وهنيوتونا على وطن بنغازي ودرنة ، وذلك بأن تحلفــوا المشايخ وأعيان الوطنيين وتأخذوا عليهم عهوداً ومواثيقاً ، وتفعلوا جميع جهدكم فيما ترونه صالحاً بنا ، وتتوكلوا على الله وتقدموا علينا نتعاونوا على هاته الامور ، وقد ظهرت علامات الفتوح والنصر ان شاء الله وذلك صدق غومه وسابر أهل الغرب وورشفانه ، وكف الذين كانوا محاربين مثل غريان وورفله وميل جانب من أهل الساحل والمنشية ، وربنا يتمم المقاصد بخير ويسهل فتوح على يدينــا ، ولا نقبلوا لك يا ولدنا ويا محبنا عذراً في التخلف وما ترى منا ان شاء الله الا ما يرضيك وزيادة ، ولك عندنا الرتبــة العليا ، وفي مثل هــذه الحالات وأمثالها تظهر علامات الخدمة والجهة والنصيحــة وبالله الذي لا إله إلا هو لا نشكوا في خدمتك ونصيحتك وميلك الينا ظاهراً وباطناً والقلوب يوحى بعضها الى بعض وفي هذا كفاية نعم . وقد كاتبت الأغا عصمان وأهل الشرق وعرفناهم بولايتنا وطمناهم وإلى الآن لم يرجع الصندل والرسول ، انما المتواتر بأنهم لما سمعوا بولايتنا تبدل ما كان في أنفسهم .

عبده

علي باشا قرمانلي

أيده الله بمنه آمين

وثيقة رقم ٥١

رسالة من علي باشا القرمانلي الى محمد شلبي بيت المال بتاريخ ٢٢ ربيع الثاني سنة ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢ م) [١] يعلمه فيها بتطورات ثورة محمد بيك القرمانلي ويلح عليه بضرورة المجيء لمساعدته كما يطلب فيها منه أن يرسل اليه من برقة كل من له خبرة بالملاحة واستعمال المدافع للاستعانة بهم على اخماد هذه الثورة

* * *

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

إلى الأجل الأفضل المحترم والمبجل ولدنا الحاج محمد بيت المال أكرمه الله بمنة آمين ، السلام الأتم الأطيب الأعم عليكم ورحمة الله وبركاته ولا زايد بحمد الله جل وعلا سوى الخير ، يليه اعلامكم أن موجب الكتب اليكم من شأن ساعة الكتب الغرب من قرقارش وغرب كله

---

١ يوجد اصل هذه الرسالة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب وهي منشورة ايضا في الملحق المذيل به كتاب ميكاكي ، طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي ، ص ٧٢ . جمع كمال الدين الخربوطلي .

صح لنا ، وهدموا علينا السعدة وفرسان من العلاونة والبعض من المنشية وكل يوم الناس تجي وتفركست على أولاد الباي، والناس كانت مزلبحة وأرهم في الناقص ولا عندهم ثمرة ، وقدموا علينا مركبين من طرفكم، ولا رأينا منكم جواب ولا خطاب وكنا منتظرين في قدومكم علينا بالعجل والناس يقولوا لا حيا بعد الأصحاب نرجو في قدومك علينا وقاطعين وفاصلين ولا لاحقنا فيك شك ، وحاسبينك أقرب الناس وأحبهم الينا، وتنغر بنغرتنا ولا تبيعنا بقريب ولا بعيد ، ورفعت مقلوب ، وخذيت كلام أخيك الحاج علي حتى كان أنت تعرف حقيقته وخفته ، صغيت لقوله وقول غيره والله العظيم ونبيه الكريم نحبوك وراغبين فيك ولا نحسابوك تبيعنا بأرخص السوم وتغيب على فزعتنا ، وتترك حتى مجاوبتنا والذي هو مثلك وفي منزلتك ما يحتاج زيادة التأكيد من هذا الجانب وغيره لأنك جزء منا ونعرفوك رافع الحمل أكثر من الناس كلها ، ولا تخدم الا على ثمرتنا ، وما يزيد في معنانا وان شاء الله عن قريب تصفا هذه الغمامة ويجمعنا ربنا بك في أبرك الساعات وأشرف الأوقات وما أنت إلا ولدنا ومنا والينا ولا زايد إلا خيراً ، والسلام .

من المرعى بالله عبده
علي باشا قرمانلي وفقه الله آمين

ملحق خبر

ونبغي جميع البحرية والنغام والطبجية وجميع من هو مناسب إلى خدمة هذه المصالح المذكورة تجمعوهم وترسلوهم لنا مع الأول ولو تحسنوا لهم من جانبكم على حسب أقدارهم وأعلموهم بجزيل احساننا الكامل لكل من هو الآن منتصب لخدمتنا وكل من يرد عامة يعمه ذلك ولا يحتاج زيادة تأكيد والسلام بتاريخ بمناه عن اذنه حفظه الله .

وثيقة رقم ٥٢

رسالة يوسف باشا القرمانلي الى محمد شلبي بيت المال
بتاريخ ١٠ ذي الحجة ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢ م) [١]
يلومه فيهــا على عدم مجيئه من برقة لمساعدته في
أزمته التي يعيشها بالرغم من أنه له عليه حق التربية
والرعاية ثم يبين له فيهــا ما يكنه له من حب
وتقدير ويرجوه للمرة الأخيرة بأن يرجع بسرعـة
لعله يستطيع أن يساعده على اخماد الثورة القائمة ضده

* * *

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم.
الى الأجل الأفضل الوجيه الأقبل المحترم ولدنا الحاج محمد بيت المال أصلح الله أحواله بمنه آمين ، السلام الأتم عليكم ورحمة الله وبركاته ولا زايد بحمد الله تعالى سوى الخـــير ، ويليك اعلامك ان موجب الكتب اليك من شأن أنت راجل خديمي وولدي ومنسوب علي ، وغرستي وربيتك

---

١ يوجد اصل هذه الرسالة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب ، وهي منشورة أيضا بالملحق المذيل به كتاب ميكاكي « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ٧٤ ، ٧٥ . جمع كمال الدين الخربوطلي .

وأملت فيك وفوضت لك الامور ، وأفردت لك الكلمة على عين الخاص والعام واليوم منذ عشرة أشهر من وقت وقوع هذه الكائنـــة جواباتك ماشيات جايات على يميننا ويسارنا للغير ، وأنت متعدينا بالنظر ولا رأينا منك جواباً ولا أعلمتنا لا بياسر ولا شوي ، ولا عرفنـــا موجب ذلك منك يا هـــل هو تعصي منك والا باعدك الغير من خدمتنا ، وأنت صدقته ، ولا كنا نظنوك بمثل هـذا وأنت عارف وعاقل وشأن الخديم والولد الذي هو مثلك ما ينسى نعمة سيده عليه وربايته ، ولو يبقى ما يبقى ولا كنت نحسبك تخليني في مثل هذا الوقت والناس يقولوا لا حياة بعد الأصحاب فضلاً عن الأسياد ، وفي الحقيقة والله العظيم ونبيه الكريم ماك هاين علي لا بكثير ولا بقليل ونعزي فيك بكل وجه ممكن،والحمد لله ها هي ما زالت قريبة ولا صدر منك موجب يباعدك علينا حاصلـه حين وصول الجواب اليك تبقى تتوكل على الله وأقدم علينا ولا لك منا إلا الهناء والتفويض ولا يخصك قدر ولا مراعاة كيف قبـــل وزيادة ، ولا يلحقك منا توحيش وعليك أمـــان الله ورسوله وأماننا الأمان التام ما تخشى من شيء ، وخليك من أقاويل الناس ورفعها وحطها [1] وأهم ما يخلوا من هو متهني ، وهذا شيء تعرفه أنت بنفسك ما تحتاج يوروه لك ، حاصله [2] ان كنت معترفـــاً بنعمتي عليك وأملي فيك واحساني عليك نبغيك [3] تقدم علينا في أسرع مدة ، وتعاونا وتشامل [4] معنا هذه الحملة فان كنا في خير فنحن فيـــه سواء ، وأن أبيت وتراخيت والا مغيبت والا خابت الربابة والأمل فيك نحن ما علينا لوم ، وربنا يعمل لنا طريق وفي هذا كفاية ولكن ظننا فيك جميل والسلام .

عبده يوسف باشا قرمانلي أيده الله آمين .

---

١ القيل والقال ·
٢ الخلاصة او خلاصته ·
٣ نريدك ·
٤ تحمل ·

وثيقه رقم ٥٣

اعتّراف من الحاج محمد بيت المـال بالدين الذي عليه من أحد المالطين سنة ١٢٤٩ هـ (١٨٣٣م) [١] (لم يسبق نشرها من قبل)

* * *

في شهر رجب ١٢٤٩

الحمد لله يبغي من عندنا محبنا المركانتي ميكيل انجلو شيري المالطي ألف ريال دورو سلف احسان في مالطة فنوافوه بهم ان شاء الله وقت ما يطلبهم والفائدة امتاعهم كيف العادة والسلام في شهر رجب ١٢٤٩ .

التوقيع

الحاج محمد بيت المال

الحمد لمن له الحمد

الواصل الى ميكيل انجلو من الألف دورو الذي بباطني خمسمائة ريال دورو على يد روزاليومسينا في ١٨ محرم ١٢٥٢

التوقيع

ميكيل انجلو روزاليو

١ يوجد أصل هذا الاقرار بسجل المخابرات القنصلية الانجليزية بطرابلس لسنة ١٨٣٣ ويوجد هذا السجل بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب وهو باللغة العربيـة وبعضه باللغة العامية .

وثيقة رقم ٥٤

رسالة من محمد باشا القرمانلي الى القنصل الأمريكي يطلب منه ابعاد السفن التابعة لحكومته من المرسى حيث انه سيضرب سفن علي باشا القرمانلي الموجودة بالمرسى بالقنابل وذلك بتاريخ ٢٢ ربيع الثاني ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢ م) [١]
(لم يسبق نشرها من قبل)

•••

الحمد لمن له الحمد واليه يرجع الأمر من قبل ومن بعد ،

الى المحب لجنابنا القنصل الملكان [٢] وكافة أحبابنا القناصل الذين بالمدينة وبعد تبقوا تنبهوا على شقوفكم [٣] بأن يحتازوا على جهة لأجل فغدا ان شاء الله نبغوا نعاركوا [٤] الشقوف الذين بالمرسا ولا بد انكم تنبهوا على ما ذكرنا ويكون علمكم عليه من غير خلاف ولا مخالفة ولا زايد سوى الخير والتمام .

بتاريخ ٢٢ من ثاني الربيعين سنة ١٢٤٨

من المرعى برعاية مولاه
عبده محمد باشا قرمانلي أيده مولاه آمين

---

١ يوجد اصل هذه الرسالة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب وهي باللغة العربية وبعضها بالعامية .
٢ الملكان = الامريكان .
٣ شقوفكم = سفنكم
٤ نعاركوا = نعلن الحرب

وثيقة رقم ٥٥

منشور محمد باشا القرمانلي الى جميع قناصل الدول
ورؤساء المراكب البحريـــة الحربية في ٣٠ رجب
سنة ١٢٤٩ هـ (١٨٢٣م) [١]
بخصوص السفن المعتمدة منـــه والموجودة بالمرسى

• • •

حضرة سعادة ولي النعم محمد باشا قرمانلي يخبر جميع أحبابنا القناصل مع جميع الأجنـــاس وكافة الرياس متع مراكبهم الحربيات ان هؤلاء المراكب متعنـــا الذين هم يوجدون فوق مرصة طرابلس معتمدين من طرفنا ومن طرف جميع ناسنا بشنذقنا [٢] المنصور ، لأجل أن يوقف في مصالحهم القويرة [٣] الحاصل بيننا وبـــين أهل المدينة على حسب القانون

١ يوجد أصل هذا المنشور بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب . وهذا المنشور قد نشر أيضا في الملحق المذيل به كتاب ميكاكي « طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي » ص ٧٩ . جمع كمال الدين الخربوطلي .
وبالنظر الى الصورة المأخوذة لهذا المنشور بالفتوكوبيا نجد ان محمد القرمانلي قد بداه أولا باللغة الايطالية ثم باللغة العربية وأنه يضيف الى اسمه لقب « باشا » ويختم بخاتمه الذي به لقب « بك » .

٢ سنجقنا .

٣ الحرب .

الجاري بين كافـــة الأجناس وحماية لانفراد كلمتنا وعموم دولتنا فبهذا نخبركم ويكون في علمكم ونحن على محبة جميعكم ومراعات جنابكم لا زيادة ولا تقصير وليس غرضنا أننا نفسد أو نعرقل الكمرشو [1] متع الجنوس الذي معهم نحن على الصلح والتمام في ٢٧ رجب سنة ١٢٤٩ بيد المبجل من أحبابنا قنصل جنرال السردانيز شروتي [2] الحال في الوقت في طرابلس الغرب .

محمد باشا القرمانلي

---

١ التجارة .

٢ اسم قنصل سردينيا .

Col Nome del Miser[illegible]

Sua Altezza [illegible]
[illegible] Bascia Caraman[illegible]
Notifica a tutti gli [illegible]
Consoli di tutte le Nazioni
a tutti gli Capitani dei
Bastimenti di guerra che
questi nostri bastimenti
che sono sul porto di Tri=
poli bordeggiando sono ar=
mati da S. A. e dalle sue
popolazioni quali porta=
no la sua bandiera per
sostenere i diritti di guerra
necessari fra noi e la no
stra Citá, secondo le leggi
delle Nazioni, e per dare
l'ajuto a sostenere i nostri
diritti, e per renderle, [illegible]
vi fo parlelle per [illegible]
=fazione essendo [illegible]
[illegible] Nazioni
[illegible] di [illegible]
[illegible]

[illegible] احبابنا
[illegible] الرياس امناء مراكب
[illegible]
الحال بيننا وبين [illegible]
[illegible]
[illegible] ١٢٤١
[illegible]
الحال به الوقت بطرابلس الغرب

صورة وثيقة بالفوتوكوبيا لمنشور محمد باشا القرمانلي الى جميع قناصل الدول ورؤساء المراكب البحرية الحربية بخصوص السفن المعتمدة منه والموجودة بالمرسى سنة ١٢٤١

وثيقة رقم ٥٦

ترجمة رسالة من قنصل فرنسا بطرابلس الى الشيخ
غومه بن خليفة يرجوه التوسط لانهاء النزاع بين
علي باشا القرمانلي ومحمد بيك القرمانلي بتاريخ
١٢ أبريل سنة ١٨٣٣ [١]
(لم يسبق نشرها من قبل)

• • •

١٢ أبريل سنة ١٨٣٣

رسالة من قنصل فرنسا بطرابلس الى الصديق السيد الشيخ غومه بن خليفة
لقد علم صاحب الجلالة ملك فرنسا بكل أسف بالثورة التي قامت في اوجاق طرابلس وبكل ما نتج عنها من آثار سيئة بالنسبة للأهالي وللتجارة الأوروبية ورغبة منه في انهاء هذه الحرب الأهلية وكف الدماء فقد أمرني بأن أرجوك التوسط وان أعمل نفوذي لانهاء كل ذلك .

---

١ يوجد اصل هذه الرسالة بالملف الخاص بالقنصلية الفرنسية بطرابلس في العهد القرمانلي – ويوجد بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب ، وهي باللغة الفرنسية .

وقد عرفت رغبته هذه إلى سيدي علي فوافق عليها وقبل الشروط التي بالورقة المرفقة بهذه الرسالة .

فأرسل اليكم هذه الشروط راجياً عرضها على سيدي محمد باي القرمانلي وعلى رؤساء القبائل الذين معه .

كما أرجوك أن تستعمل كل الطرق من أجل اقناع سيدي محمد قرمانلي حتى يقبل هذه الشروط .

وان كانت هذه الشروط غير كافية فإننا نأمل أن تنتهي هذه الحرب المخربة لهذا البلد بدون أن نضطر إلى استعمال السلاح ونرجو من الله أن تنجح مجهوداتك لارجاع السلام وان يمتعك بصحتك .

وهذه الشروط هي :

لما كانت الثورة التي بين سيدي علي وأهالي الساحل والمنشية لم تكن في اساسها قائمة ضده شخصياً وانما كانت نتيجة زعل فبناء على ذلك فانه قبل الشروط الآتية لارجاع السلام .

الشرط الأول

نسيان واصدار العفو العام عن جميع الاشخاص الذين اشتركوا في الثورة ضد يوسف باشا حين حدوثها وذلك تحت ضمان القنصل الفرنسي .

الشرط الثاني [1]

يتعهد علي باشا [2] بدفع معاش سنوي لابناء أخيه محمد وأحمد القرمانلي ويضمن تمتعها بأملاكها الخاصة بشرط أن ينتقلا ويقيما بمصر أو تونس .

---

[1] هذا الشرط غير واضح فاخذته من كتاب رودولفو ميكاكي « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ٣٤٤ .

[2] ملاحظة : لقد اقتصر ميكاكي على ذكر اربعة شروط فقط بدلا من خمسة كما جاء بالرسالة الاصلية ، كما انه لم يناقش محتويات هذه الرسالة ويلاحظ ايضا انه ترجم كلمة (الباشا) الى (بك) اثناء ذكر اسم علي باشا .

الشرط الثالث

يتعهد علي باشا بترك المميزات والحقوق التي لاهالي الساحل والمنشية والتي كانوا يتمتعون بهـــا في أيام والده على شرط أن يقوموا جميعاً بجميع الواجبات التي كانوا ملزمين بها فيما قبل .

الشرط الرابع

يتعهد علي باشا بأن يعامل كافة الأهالي بالعدل حسب الشريعة الاسلامية وذلك بغير أي تفرقة أو محاباة .

الشرط الخامس

يتعهد أهالي الساحل والمنشية بأن يقبلوا حكم علي باشا وان يقدموا له الطاعة.

وأنا قنصل فرنسا على يقين بأن هذه الشروط المبينة أعلاه سوف تنال القبول وان ينفذها سيدي علي تحت الضمان الموضح اعلاه .

التوقيـــع

شوبيل – قنصل فرنسا في طرابلس

وثيقة رقم ٥٧

ترجمة رسالـــة من قنصل فرنسا في طرابلس الى
شيوخ الساحـــل والمنشية يرجوهم التدخل لانهاء
الحرب الدائرة في طرابلس سنة ١٨٣٣ [١]
(لم يسبق نشرها من قبل)

• • •

لقـــد علم مولانا ملك فرنسا بالثورة القائمة في ايالة طرابلس وبكل أسف علم بما حدث من نتائج سيئة لهذه البلد وللتجارة الاوروبية .

ورغبة منه في أن يكف سفك الدمـــاء وانهاء الحرب الأهلية بأسرع وقت وان يرجع السلام لهذه البلد ، فقد أمر مولانا الملك المعظم قنصل فرنسا بطرابلس بأن يقوم بتوسطه من أجل الحيلولة دون استمرار هـذه الحرب وارجاع الأمن والهدوء .

وبعد أن عرف رئيس الحكومة في طرابلس برغبة سيدي الملك المعظم

---

١ يوجد اصل هذه الرسالة بالملف الخاص بالقنصلية الفرنسية بطرابلس في العهـد القرمانلي ويوجد بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب وهي باللغة الفرنسية ٠

فاني أتقدم اليكم والى رؤساء وشيوخ الساحل والمنشية راجياً أن تستجيبوا لندائي هــذا وان تضعوا ثقتكم في كلامي وأنا حالياً أعطيكم المعلومات بالشروط التي أجدها مناسبة لوضع نهاية لهــذه الحرب وأنا أضمن لكم تنفيذ هذه الشروط [1] .

التوقيــع

شوبيل – قنصل فرنسا في طرابلس

---

[1] لم اجد هذه الشروط ، ولكن من المحتمل ان تكون هي نفس الشروط التي عرضهـا علي الشيخ غومه .

وثيقة رقم ٥٨

احتجاج قناصل الدول الأوروبية أثناء الحرب الأهلية في طرابلس بتاريخ ١٤ مارس سنة ١٨٣٥ [١] موجه الى كل من علي باشا والثوار ينذرونهم فيه بوقف القتال فوراً والا فإن الدول الأوروبية سوف تتدخل بالقوة لاقرار السلام

•••

نحن الموقعون على هذا أدناه قناصل الدول الأوروبية بايالة طرابلس الغرب ، قد قررنا بعد دراسة الأحوال الراهنة الأسف من أعماق قلوبنا للحرب الأهلية التي اجتاحت البلاد منذ ثلاث سنوات وقد كانوا يأملون أن يؤدي حيادهم التام ازاء الأطراف المتنازعة إلى احترام المواثيق والمعاهدات والمصالح التجارية ، ولكن حدث ما يخالف ذلك ، اذ أصابت القنابل التي أطلقها أهالي المنشية أماكن يسكنها أوروبيون وأصاب بعضها ديار القنصليات رغم وجود الأعلام مرفوعة عليها .

---

١ أصل هذا الانذار باللغة الايطالية ، ويوجد لدى الاستاذ علي الفقيه حسن بطرابلس الغرب .
وهذا الانذار قد نشر ايضا في ذيل كتاب ميكلكي « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ٨٠ ، ٨١ .

ان اطلاق النار في هذا الحي واصابة الأماكن المذكورة يؤكد عدم احترام الأجانب والتعدي على حرمتهم وأعلامهم مما يجعل حياة المسيحيين في خطر وهم البعيدون كل البعد عن المنازعات والتحرشات .

من أجل ذلك يطلب الموقعون على هذا من سكان المنشية ضرورة احترام القنصليات وتجنب انتهاك امتيازاتها المقدسة منذ عدة قرون .

والموقعون على هذا أدناه ، طبقاً لخبرتهم الواسعة لا يتدخلون في هذه الحرب الا بقدر حماية حقوق ومصالح رعاياهم والحرص على سلامتهم خاصة وأن مسؤوليتنا عن مصالح رعايانا تدعونا إلى عدم الصمت عن هذه الحالة .

فباسم الحكومات التي نتشرف بتمثيلها ننذر الذين يقومون بأعمال العنف في المدينة ويتسببون في هذا الوضع بالكف عن أعمالهم التي كان لها أسوأ الوقع في نفوس الأوروبيين كما يجب على المتنازعين وقادة الحرب أن يتعاونوا لتنفيذ مطالبنا ، والا سترسل الدول أساطيلها لتوقف هذه الحرب بالقوة .

ان جميع الرعايا الطرابلسيين الذين يقطنون قرب القنصليات حتى الآن يمكنهم البقاء ، ولكننا سنتدخل اذا وصل آخرون واقتربوا منا .

Warrington - De Estefani - Briani - Cay. Geov. Rossoni.

وثيقة رقم ٥٩

رسالة من أعيان المنشية الى محمود الثاني
في ١٨ شعبان سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤م) [١]
رسالة الثوار الى السلطان محمود الثاني يشرحون فيها
سبب ثورتهم ويعلنون عن عدم قبولهم لحكم علي باشا

•••

وصلتنا التحريرات المتضمنة لبعض وصايا ونصائح عبدكم شاكر أفندي ورسالة مع الأمر السامي بقبول ولاية علي بيك بن يوسف باشا على طرابلس الغرب ، وتحريرات القبطان باشا وقد قرأت في مواجهة من يلزم حضورهم وأعلنت وأشيعت فحواها على جملة أهالي البلاد وسكان الولاية ، وأنهم أفادوا وأوضحوا بأنهم لا زالو عبيداً مملوكين لذات المتصف بالهيبة حضرة ظل الله مطيعين منقادين في كافة أقوالهم وأفعالهم وجميع أحوالهم ولأوامر أولي الأمر ، وحريصين على تجنب الأوضاع التي تخالف رضاء المقام العالي وان عبدكم المشار [٢] اليه كان قد ألم في السنة الماضية ببعض

١ يوجد أصل هذه الرسالة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب . وهو منشور أيضا بالملحق المذيل به كتاب ميكاكي « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ٨٢ ، ٨٣ . جمع كمال الدين الخربوطلي .
٢ شاكر أفندي مبعوث السلطان .

تصرفات عبدكم يوسف باشا في ظلمه الفقراء والضعفاء ، وأنواع اعتسافاته على غيرهم وخصوصاً الديون التي تفوق الحد المستدانة من طائفة النصارى، لهذه الأسباب قد انسلبت ثقتهم منه وأن قيامهم عليه ليس الا لوقاية أنفسهم من الهلاك وحفظ بلادهم التي هي من الممالك المحروسة المسالك السلطانية حفظها الله من شماتة الاعداء ولوقايتها من الفساد لهذا اضطروا الى نصب محمد القرمانلي رئيساً عليهم ، وثاروا على الباشا المشار اليه ، وكان أملهم بأن شاكر أفندي الذي اطلع على الأسباب أن يعرضها على السلطنة السنية واذا بهم يفاجئون بخبر وصوله الى تونس في مهمة اصلاح ذات البين ، أن أمراً كهذا يستوجب السرور غير أنه بعد وقوع حرب دامت ثلاث سنوات بيننا وبين يوسف باشا وابنه علي بيك أزهقت فيها الأرواح وأتلفت فيها الاموال ، نكلف بأن نقبل ولاية علي بيك كان خلاف مأمولنا ، وليس بخاف أن أمراً كهذا لا تقبله النساء والصبيان فما بالكم بالرجال وحاشا ثم حاشا أن يفهم من رأينا هذا ان معناه عدم الطاعة لأوامر أولي الأمر فهو ليس إلا للاسباب التي سردناها أعلاه والتي لا توافق رضاءكم العالي وما فعلناه من قبيل الدفاع لحفظ البلاد والأرواح من الهلاك ورغبة منا في اظهار حقيقة الكيفية وصحتها ، نعرف ونشعر دار المراحم ، وأملنا أن ينظر الينا بعين الرحمة والعطف .

توقيعات واختام

وثيقة رقم ٦٠

ترجمة تقرير من الصدر الأعظم الى السلطان حول
الأوضاع الداخلية في ايالة طرابلس وخطة الاستيلاء
على الولاية من جديد
وثيقة رقم ٢٢٥٤٠ لسنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٥ م) [١]
(لم يسبق نشره من قبل)

•••

بعد الديباجة :

لقد تبين لنا ان علي باشا بن يوسف باشا قد وصلت في حقه عرايض تدل على عدم رغبة الناس في حكمه وكذلك فان محمد بيك مؤيد من الانكليز وتربطه بهم صداقة متينة .

وبالرغم من اننا قد تذاكرنا في هذه المسألة سابقاً الا انها الآن قد وصلت الى هذه الدرجة . فقد رأينا ان نعيد مناقشتها . وقد اجتمع الباشا

---

١ صورة من وثائق رئاسة الوزارة التركية رقم ٢٢٥٤٠ سنة ١٢٥٠ هـ وتوجد صورة هذا التقرير الان بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب .

القائد العام وصهر الباشا ورئيس البحار باشا والمشير باشا واستمرينا في النقاش وكررنا الأدعية المخصوصة وترجمنا الأوراق التي جاءت من محلها وقد قرأت وعلمنا بأن علي باشا لا يمكن أن يكون حاكماً على طرابلس كلها .

فالأحسن حسب المصلحة أن تنتخبوا وتبعثوا أمير أمراء للايالة عبداً من عبيدكم مقتدراً ومناسباً بسفن من الأسطول العثماني وبألاي من العساكر المنصورة وطابور من اللواء الذي تحت قيادة نجيب باشا وطابور من ازنيك وطابور من شمني يجتمعوا جميعاً في مضيق البحر المتوسط هكذا قرر قائد الجيش ، والأصول أن يكون لكل ألاي ثمانية مدافع كبيرة وبعض القطع من المدافع الصغيرة التي تناسب المشاة ومن المؤن والذخيرة والعتاد الحربي وعساكر المدفعية ما يكفي لخمسة أو ستة شهور ، وان تشحن هذه جميعاً في سفن تجارية برفقة الأسطول وان يكون جمع هذه الذخائر سراً .

كما تذاكرنا على أن يكون قائد الجيش وحده والذي يتولى الولاية شخص آخر وهو الحاج عثمان باشا لأنه يعلم لغة أهل البلاد وقد تولى مناصب كثيرة في البلاد العربية ولو ان أحوال البلاد العربية الأخرى ليست مثل حالة طرابلس ولكنهم جميعاً من جنس واحد وطائفة واحدة وهو يتكلم لغتهم ويعرف أمزجتهم. وقد عملنا على أن يكون كل شيء سراً خوفاً من تسرب أي شيء الى الخارج فيفسد الأجانب خطتنا .

ونرى انه قبل أن يصل الأسطول الى طرابلس ويحتل القلعة يشاع انه ذاهب للاصلاح ذات البين ومعاونة من له الحق على الباغي .

وان الباشا المذكور يوجد في الوقت الحاضر في انطاليا وان يكون الذهاب اليه سراً .

« تعليق السلطان »

يا وزيري

أطلعت على تقريركم في شأن مذاكرتكم على أحوال طرابلس وكل ما فيه صار معلومي وان مطالبتكم في هذا الخصوص في محلها فبادروا بسرعة بالاجراء والتنفيذ.

ربنا سبحانه وتعالى يقدر ما فيه الخير لدولتنا العلية وييسره آمين بجاه النبي الأمين.

وثيقة رقم ٦٠١

ترجمة ملحق تقرير الصدر الأعظم الى السلطان العثماني يشرح له فيه بقية الخطة التي يمكن بها الاستيلاء على طرابلس، وثيقة رقم ٢٢٥٣٨ سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٥م)[١]

(لم يسبق نشره من قبل)

* * *

ولكي لا ينتبه علي باشا الى ما دبر يلزم ان يرسل له أولاً ما يطمئنه وان تكتب له رسائل وفرمانات مآلها ان حضرة الخليفة يعطف على طرابلس. وسيعمل كل ما يجب لرفع هذه الفتنة لأن محمد بيك والعربان الذين هم في الخارج يجب قيادتهم للطاعة وهذا يتوقف على مساعدات من الدولة العلية ولغرض رفع هذا الاختلال والغايلة سوف يجهز اسطولاً وبه العساكر المنصورة وعند وصوله ان شاء الله تتفقوا على رفع هذه الفتنة .

والباشا الذي يتولى قيادة هذا الاسطول يعطى له فرمان ليظهره نجيب باشا بعد أن يقبض على علي ووالده يوسف ويرسلهم الى هنا .

١ صورة من وثائق رئاسة الوزارة التركية رقم ٢٢٥٣٨ سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٥ م) وتوجد هذه الصورة الان بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب وهو باللغة التركية وقد ترجمه لي الحاج محمد الاسطى .

أما محمد بيك فيعمل على التقرب منه ويظهر له الالفة ويعمل على استمالته حتى يتمكن من القبض عليه وارساله كذلك الى دار السعادة وان مهمة الباشا المشار اليه تتركز في تطبيق هذه الخطة وتحقيقها وان تعطى له مائة الف قرش للاستعانة بها لتحقيق هذه الأهداف .

« تعليق السلطان »

يا وزيري

لقد اطلعت على ما ذكرتموه وأعطيت لنجيب باشا المائة ألف فرنك وان رأيتم اضافة مبلغ آخر فتذاكروا فيه واعلموني .

وثيقة رقم ٦٢

ترجمة رسالة من رئيس البحار الى الصدر الأعظم
بخصوص ثورة محمد بيك القرمانلي
وثيقة رقم ٢٢٤٤٩ - ١٢٤٩ هـ (١٨٣٣ م) [١]
(لم يسبق نشرها من قبل)

...

بعد الديباجة :

حسب معلوم معاليكم ان ولاية طرابلس أصبحت تحت حكم علي بيك ابن يوسف باشا وبالرغم من المراسلات التي بعث بها الى محمد بيك فان الأخير ما زال محاصراً للمدينة . ولما كان محمد بيك لا يزال محاصراً ومصراً على حصاره بعد اسناد الحكم رسمياً لعلي بيك فيجب أن تصدر له الأوامر من الباب العالي لأن فعله هذا مضراً وعصياناً للدولة . وبأن تتفق الدولة مع علي باشا على ازالته كما يكتب الى محمد بيك بأن الايالة قد

---

١ صورة من وثائق رئاسة الوزارة التركية رقم ٢٢٤٤٩ سنة ١٢٤٩ هـ ، وتوجد صورة هذه الرسالة الان بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب وهي باللغة التركية وقد ترجمها لي الحاج محمد الاسطى .

وجهت الى حكم علي باشا وبذلك فان وقوفك ضده غير جائز ويجب أن تكف يدك عن هذا العمل وبأن تنتبه لأن تنال الرضا العالي وان يقال له اذا ما تماديت في عصيانك فان خاتمته تكون وخيمة .

وعندما يصل هناك أحد كتاب الديوان عبدكم محمد أفندي يبعث هذه الرسائل الى محمد بيك وينتظر نتيجة هذه المخاطبة ، فاذا وافقت الارادة السنية على ما تقدم فاعملوا الاجراءات بمقتضاها .

« تعليق الصدر الأعظم »

عرضت هذه التذكرة على الحضرة السلطانية فاستحسن هذا الموضوع ووافق عليه .

وثيقة رقم ٦٣

ترجمة لأهم ما جاء في رسالة محمد أمين باشا والي ايالة طرابلس الى السلطان العثماني يشرح له فيها التدخل الانكليزي في شؤون البلاد الداخلية سنة ١٢٥٨ هـ الموافق (١٨٤٢م)[١]
(لم يسبق نشرها من قبل)

• • •

بعد الديباجة :

منذ أواخر عهد يوسف باشا الى الآن أي من حوالى عشرين سنة والقنصل الانكليزي يتخذ كل الوسائل لاثارة الفتن بتقديم الهدايا وتحريض الثوار وليس له من حق .

وفي فترة عزل علي باشا القرمانلي وتعيين المرحوم مصطفى نجيب باشا كان قد التجأ الى مالطة محمد بيلك مع اسرته وهو ابن عم يوسف باشا، فجعلت له الحكومة الانكليزية راتباً وأكرمته ، كما أهدت اليه ملكتهم

---

١ يوجد اصل هذه الرسالة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب وهي باللغة التركية وقد ترجم لي الحاج محمد الاسطى اهم ما جاء فيها بخصوص التدخل الانجليزي في شئون البلاد الداخلية ·

ولاسرته عدة هدايا وقد أبقته في مالطة لنصبه والياً على طرابلس ولتتحين الفرصة لتحقيق اغراضها الاستعمارية الفاسدة .

وان محمد بيك المذكور يراسل في العربان الثائرين بطرابلس بواسطة القنصل الانكليزي ، وان اتصال القنصل الانكليزي بالعربان الثائرين له علاقة بهذه السياسة .

وقد أفادني غاليوني الانكليزي بأنــه لو لم تعزل الدولة العثمانية[٣] علي عشقر باشا من منصبه كوالي على طرابلس ، فقد كان في نية الحكومة الانكليزية نصب محمد بيك القرمانلي على طرابلس في مكانه .

وان القصد من تدخل الانكليز في هـذه القضية هو تنفيذ أغراضهم ومصالحهم الخاصة . وليس لهم أي حق في التدخل في أمور البلاد الداخلية غير مصالحهم التجارية .

كما وان توسط القنصلية الانكليزية لدى الوالي بخصوص غومــه هو من أجل الرفع من مكانته بين القبائل ولازدياد غروره .

فيجب على القنصل الانكليزي الا يتدخل في شؤون البـــلاد الداخلية وعليه الاهتمام فيما يخص تجارته ورعاياه فقط .

التوقيـع
محمد أمين باشا

وثيقة رقم ٦٤

ترجمة فرمان بانهاء مهمة نجيب باشا واسناد حكم
ايالة طرابلس الى محمد رائف باشا كما يشير الفرمان
الى مساوىء يوسف باشا وابنه علي واعطاء الأمان
الى الثوار وذلك بتاريخ أواخر ربيع الأول سنة
١٢٥١ هـ (١٨٣٥ م) [1]
(لم يسبق نشره من قبل)

• • •

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

هذه نسخة فرمان أمرنا العالي السلطاني ووقع حكمنا السامي الخاقاني الى قدوة القضاة والحكام سعدني الفصل والكلام مولانا القاضي في طرابلس الغرب زيده فضله والى سائر العلماء المدققين المأذونين بالافتاء وسائر العلماء زيد علمهم والى مفاخر الانام والأقران شيخ البلد ووجوه الأهالي زيد قدره.

---

١ يوجد اصل صورة هذا الفرمان بسجل المحكمة الشرعية لسنة ١٢٥١ هجرية بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب ص ١٦٨ ، ١٦٩ وهو باللغة العربية وقد ارسلت هذه الصورة الى قاضي مدينة طرابلس للعلم .

فليعلم انه بين وفصل في أمرنا الذي أصدرناه من قبل بأن الذين تولوا من المدة السابقة على ايالة طرابلس الغرب التي هي خطــة من ممالكنا المحروسة الخاقانية كانوا ظالمين ومعتدين على الفقراء والرعيـة ومتصدين إلى أنواع الحركة الردية لا سيما منهم يوسف باشا وابنه علي باشا هكذا حققنا ولذا عزلنا علي باشا المشار اليه عن الولاية لتخليص الفقراء وعجز الرعية والبرايا الذين كانوا وديعة من الله تعالى إلى ذاتنا المتصفة بالــبر والحنان عن مثل هذه النقديات الواقعة على أن تكونوا فرحين ومسترحين تحت ظلال سلطنتنا العلية وأمرنا بأن يجلب هو ووالده المشار اليه مع سائر أقاربهم ومعلقاتهم إلى عتبتنا العالية وان يجعل ويوجه للايالة المذكورة من جانب دولتنا العلية من هو متصف بالاوطار الحسنة المحمودة مثـل حماية الفقراء والرعية وادارة الملك والمملكة فعلى هذه الارادة الخيرية فان فريق من فرائق العساكر المنصورة أعني به أمير الأمــراء الكرام نجيب باشا حفظه الله الذي نصبناه من قبل قائمقام للايالة المذكورة باعطاء الجيوش المنتظمة والسعي المكملة إلى معيته لما وصل الى طرابلس الغـرب وبـين صورة أمرنا وارادتنا هذه فأنتم أيها القاضي والمأذونين في الافتـاء وشيخ البلد والوجهاء أظهرتم الطاعة والامتثال بها وعلمتم قدر ما أنعمنا عـلى سائر من مثل هذه المساعدة العلية وكمال اللطف والرحمة فبثمـرة الاتحاد والاتفاق تبدلت ما حدث في الايالة المرقومــة من المنافسة والشقاق الى الصلاح والوفاق وحصل بين جميع سكان المملكة الأمينة الكاملة وارسل علي باشا المشار اليه . وفي المحضر المعتمد من جنابكم في هذه الجهة تمت مأمورية الفريق المشار اليه ولذا مع تعلق علمنا بأنه بعد الآن اذا ساعدنا اقامة يوسف مع قرابته وأعوانه في تلك الطرف كما كان يكون مضراً في الفقراء والمملكة ولذا وجهنا الايالة المذكورة إلى أمير الأمراء الكرام محمــد رائف دامت معاليه والــذي هو خادم صديق من أصدقاء خدام سلطنتنا السنية وفريق من فرائق عساكرنا المنصورة ومنصرف في السابق

للواء بينه مع شرط المحافظة لخليج البحر الأبيض ولاتصافه بالأوصاف المذكورة لنـا ولظهور حسن سلوكه ورويته في أمر محافظته الخليـج خصوصاً وحرر إلى نجيب باشا برد ما يزيد من العساكر المنصورة الكائنة في معيته وكذلك السفن الموجودة إلى الوالي اللاحق ويستصحب معه ما بقي من السفن المعهودة إلى يوسف باشا المشار اليه .

وقد وجدنا في العريضة المرسلة مـا هي من أوصافكم المستحسنة مثل الثبات والاستقامة في مركز العبودية والطاعة السلطانية العلية والحـال ان أهالي طرابلس الغرب داخلاً وخارجاً من القديم كانوا مطيعين ومتمثلين لأمرنا وارادتنا وعالمينا بقدر ظل ظليل سلطنتنا العظمى هكذا معلوم لدى ذاتنا المحفوفة بالخلافـة الكبرى وكذلك الانقياد والامتثال مقارب بحسن ظننا واعتقادنا في حقهم بـدون الاشكال ولذا فقد زاد وضاعف فيهم اشفاقنا ووصمتنا المودعتان الى ذاتنا الخاقان من قبيل الله الملك المتعالي .

واما بعض الأهالي وان حدث منهم بحسب البشريـة الحركة الغـير مرضية فيما سبق من الأيام فانها عند ذاتنا السلطاني من محظ العطف والرحمة مستورة بالعفو والاحسان لرجوعهم الى منهج الصدق والصلاح الآن ولذا أوصي وأنبه أيضاً اذا لم يقم أحد بتهمة جديدة الا يؤخذ فرد من أفراد الأهالي والعربان بل يصرف وسعه ومقدرته الى استحصال أسباب رفاهيتهم وراحتهم مستعيناً بمن المنان ومن هذا لزم وحتم عليكم كما كان ان تكونوا مستمرين في دائرة الصدق والاستقامة وان تبرزوا الاخوة الحسنة المرضية والحركات المرغوبـة المرضية التي هي مستجلبة في حقكم يتزايد اشفاقنا السلطاني بلا مريه وان تعلموا ان الفريق المشار اليه واليـاً عليكم في كل حال وان تعينوه في استحصال النظام في الايالة المذكورة باسترجاعها تلك الضابطة القوية العامة فانه بعون الله الملك الخلاق وان تظهروه أيضاً في استكمال راحة الاهالي والسكنة مظاهرة تامة بالاتحاد والاتفاق فصدر هذا المقال العالي الواجب امتثاله على الأسفل والعالي الذي هـو مضمون أمرنا

السلطاني النافذ حكمه بين الخافقين وارسل اليكم لتكونوا تابعين لمفهومه امتثالاً لقول خالق الثقلين .

وبالجملة فانكم في كل وقت وحين كونوا دائمين ومستمرين على اجراء الوصايا والتنبيهات المحررة آنفاً واياكم والمخالفة وهذا مطلوب منكم قطعياً وعرفناه صورة ارادتنا هذه الى شيخ المشائخ وسائر مشائخ العربان باصدار الأوامر العالية المخصوصة بالبحث والبيان اذ عرفتم ما نص عليه خطابنا المستطاب بالصدق والصواب وامتثلوا بفرماننا هذا كمال الامتثال واعتمدوا بالعلامة الشريفة كل الاعتماد .

حرر في أواخر ربيع الأول سنة ١٢٥١ من هجرية من له العز والشرف

ختم السلطان

وثيقه رقم ٦٥

ترجمة رسالة من محمد رائف باشا والي طرابلس الغرب والدفتردار عزمي بيك الى الصدر الأعظم بخصوص بقـاء بقية أفراد الأسرة القرمانلية بطرابلس الغرب

وثيقة رقم أ ٢٢٥٠٥ بتاريخ ٢٧ جمادى الثاني سنة ١٢٥١ ﻫ (١٨٣٥م) [١]

• • •

بعد الديباجة :

لما عاد نجيب باشا لدار السعادة أشار بأنه ما دام علي باشا سيوطن بدار السعادة فليس من المناسب بقاء والده يوسف باشا وأفراد عائلته في

---

١ صورة من وثائق رئاسة الوزارة التركية رقم ١ ـ ٢٢٥٠٥ سنة ١٢٥١ ﻫ وتوجد صورة هذه الرسالة الان بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب وقد ترجمها لي الحاج محمد الاسطى وقد راجع هذه الترجمة عبد السلام ادهم · وهذه الرسالة منشورة أيضا في الملحق المذيل به كتاب ميكاكي « طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي » ص ٨٩ ـ ٩٠ · جمع كمال الدين الخربوطلي ويلاحظ ان الخربوطلي لم ينشر الترجمة الحرفية لهذه الرسالة بل نشرها بطريقته الخاصة فادى ذلك الى انه حذف بعض الجمل فجعل بذلك كلام الوالي كأمر للسلطان وليس كمجرد اقتراح .

طرابلس لاشمئزاز جل الأهالي ونفورهم من هذه الأسرة بسبب ما ارتكبته سالفاً من المساوىء والمظالم يوم ان كانوا يحكمون الايالة ولذا يجب شحن هؤلاء جميعاً في احدى السفن وارسالهم .

وبمـا أن أخوي علي باشا يقيمان في حالة استسلام بدرنة وبنغازي فالذي نراه مناسباً أن يبقى كلا الاخوين لعلي باشا حيث هما .

وبما أن علي باشا وأفراد عائلته سيقيمون بـدار السعادة فاننـا اتباعاً للأمر العظيم الشأن الباعث للسرور الصادر بارسال سجل يبين مقدار وعدد الأملاك والعقارات التي تحت تصرفهم على أن تصادر فيما بعد وتدار وتعامل بالصورة المناسبة فقد بادرنا باتخاذ الاجراءات اللازمة لارسالها .

ان المشار اليه يوسف باشا يوجد بطرابلس وعدا كونه مريضاً وطاعناً في الشيخوخة فان عينيه لا تكاد تبصران وعاجز عـن الركوب والنزول ولا يستطيع القيام بأعمال غير مناسبة،فقد صرف النظر عن ارساله حرمة لكبر سنه .

وان عثمان بيك أخ علي باشا يقيم حالياً في بنغازي ، كمستسلم وهو مدمن خمر ولا يستطيع الضبط والربط واننا سنبعث في هـذه الأيام من دائرتنا رجلاً ذا كفاءة مرفقاً بأربعين شخصاً ونصف طابور من العساكر المنصورة . وسوف نرسل أيضاً الى درنة رجلاً لبقاً نوحي اليه بأن يلقي القبض على عثمان بأي صورة من الصور .

أما أخاه الآخر ابراهيم فهو موجود اليوم بالزاويـة بدعوة من الشيخ غومه الذي كان مسجوناً من قبل المشار اليه عبدكم نجيب باشا وباقي فيها تحت كفالته وأن الشيخ المشار اليه كبير كل مشايخ العربان وعظيمهم وله أتباع وربما انه من المنتظر ان نرى فوائـد جمـة من المشار اليه فلذلك أجبناه إلى سؤاله وأسكنا أيدينا عن ارسال ابراهيم بيك لدار السعادة ، الا ان زوجة علي باشا وأولاده وخدامه البالغ عددهم ٦٢ شخصاً بعثناهم في هذه المرة ليصلوكم مع عبدكم المشار اليه نجيب باشا ، ولما كانوا ذوي

العلاقة بهم يقيمون متفرقين فاننا نبذل جهودنا ليلاً ونهاراً بهمة لا يشوبها الكلل للبحث عن أملاكهم وعقاراتهم وتنسيقها وتوثيقها على أحسن صورة ربما ان هؤلاء كانوا قد أودعوا بسبيل الرهن بعض أملاكهم وعقاراتهم لقاء ديون عليهم للفرنسيين وللانكليز بمنه تعالى سنكتب في تقارير متفرقة من عبدكم إلى تراب أقدام ولي النعم الشؤون التي تأخر اعلامكم بها بأننا بادرنا بكتابة تقرير نفيدكم بأن مصاريف وطعام العائلة والخدام بلغ خمسة عشر ألف قرش . ان شاء الله لدى شرف الوصول التكرم باحاطة زين العالم ولي النعم والأمر لحضرة من له الأمر .

عزمي   محمد رائف

وثيقه رقم ٦٦

ترجمة رسالة من سفير فرنسا باستانبول الى السلطان
العثماني خاصة ببقية الديون التي على يوسف باشا
القرمانلي بعـد سقوط حكم الاسرة القرمانليـة
رقم ب — ٢٢٤٥٢ [١] — بدون تاريخ [٢]
(لم يسبق نشرها من قبل)

•••

بعد الديباجة :

الموقع أسفله سفير فرنسا المكلف من طرف دولته بذكر الآتي :

لقد تقرر بموجب المعاهدة المنعقدة بتاريخ ١١ أغسطس سنة ١٨٣٠، ان تدفع حكومة طرابلس مائة وتسعة آلاف وثمانمائـة فرنك الى رعايا فرنسا ولمدة خمس سنوات لم تسدد هـذه الديون التي كانت باقية من الثمانمائة ألف فرنك التي كانت ديناً على حكومة طرابلس .

---

١ صورة من وثائق رئاسة الوزارة التركية رقم ب ٢٢٤٥٢ ، بدون تاريخ ، وتوجد صورة هذه الرسالة الان بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب ، وهي باللغة التركية وقد ترجمها لي الحاج محمد الاسطى .

٢ اعتقد ان تاريخها سنة ١٨٣٥ لان مصطفى نجيب باشا جاء الى طرابلس في هذه السنة وغادرها ايضا في هذه السنة .

وبما ان المادة السابعة من المعاهدة التي بيننا تنص على ان كل من يتولى حكم طرابلس يتحتم عليه دفع هذه الديون ، وبما ان والي طرابلس قد تغير ونصب عليها والياً جديداً من الدولة العليـــة ، فلذلك نرجوكم التكرم بتسديد هذه الديون .

أما الديون التي بعد المعاهدة المذكورة فيترك كيفية سدادهـا لقنصل فرنسا المقيم بطرابلس ولصاحب الدولة نجيب باشا لكي ينهوها .

وبهذه المناسبة نقدم احتراماتنا وموالاتنا .

التوقيع [1]

السفير الفرنسي

---

[1] اسم السفير غير واضح من التوقيع .

وثيقة رقم ٦٧

ترجمة رسالة من الوالي مصطفى نوري باشا الى
وزارة الخارجية حول المؤامرات الفرنسية على طرابلس
بتاريخ ٢٣ شوال سنة ١٢٧١ هـ (١٨٥٥ م) [١]
(لم يسبق نشرها من قبـــل)

***

بعد الديباجة :

كنت قد تجاسرت وعرضت على معاليكم في عريضتي السابقة بأن قنصل فرنسا العام بطرابلس الغرب مسيو « ليون روش » قد توجه الى فرنسا عن طريق مالطة وان وكيل قنصل اسبانيا العام يقوم مقامه وعلى حسب المسموع فان القنصل المذكور عند وصوله الى مالطة وجد هناك باخـرة فرنسية أرسلت خصيصاً له ومنذ يومين وصلت نفس الباخرة الى طرابلس لنقل أسرة القنصل المذكور الى تونس .

---

١ يوجد اصل هذه الرسالة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب وهي باللغـة التركية وقد ترجمها لي الحاج محمد الاسطى ٠

وانه بناء على التحقيقات السرية والروايات التي وصلت الى حد التوتر بين الأجانب هنا ان سبب حصول القنصل المذكور على رخصة لزيارته السابقة الى فرنسا هو الاتصال بالمسؤولين هناك ليعرض عليهم مشروعاً ، تلحق بموجبه متصرفية بنغازي بالايالة المصرية ونفس طرابلس ومتصرفيّي الجبل الغربي والخمس بالايالة التونسية وبهذا لا تبقى حاجة لتعيين والي من السلطة العثمانية السنية الى هذه الايالة ، وتعين في طرابلس قائمقاماً أي نائباً من أسرة يوسف باشا القرمانلي على أن يكون تحت نظارة والي تونس وتابع له وترسل تونس قوة عسكرية كافية لحفظ الأمن في طرابلس وفي مقابل هذا الوضع تدفع تونس ضريبة سنوية معينة للدولة العثمانية وان يكون في طرابلس وكيلاً لقنصل فرنسا العام في تونس .

وان هذا المشروع له حسنات جمة في الحال والمستقبل ... الخ .

وعلمت أيضاً انه سيعين مسيو « بوطه » وهو قنصل فرنسا في القدس مكان قنصل فرنسا السابق مسيو لاروش كما طرق سمعي ان القنصل ليون روش بعد ذهابه الى تونس اتصل بالشيخ غومه الشقي الثائر في الجبل الغربي للاطلاع على رأيه وحركاته وأحواله . ومع ان هذه الروايات التي سردتها لا أحكم بتصديقها أو تكذيبها غير انني أرى عرضها على اعتاب وزارتكم العلية من الواجب ومن المصلحة العامة ولذلك سأحيط معاليكم علماً في المستقبل بما يتحقق في هذا الشأن وفي هذا الباب وفي كل الأحوال الأمر والفرمان لحضرة من له الأمر أفندم .

التوقيع

مصطفى نوري باشا

وثيقة رقم ٦٨

ترجمة رسالة محمد رائف باشا وعزمي بيك الى الصدر
الأعظم بخصوص ابعاد بعض الأشخاص عن طرابلس
ويطلب منه ارسال قوة لاقرار الأمن في البلاد
رقم (٢٢٥٠٥) سنة ١٢٥٢ هـ (١٨٣٦م) [١]
(لم يسبق نشرها من قبل)

•••

بعد الديباجة :

مفروض عبيدكم :

ان الخباثة والخيانة المختفية في نفسية حسن آغا البمباشي على العساكر النظامية في عهـــد علي باشا القرمانلي فقد سمعنا بأنه في ٢٥ من جمادى الأول كان لديـــه عساكر كثيرة وكذلك عساكر مدفعية من المواطنين وأنه ينوي عمداً مهاجمـــة عساكرنا واحتلال القلعة وان ذلك قرره مع

---

١ صورة من وثائق الوزارة التركية رقم (٢٢٥٠٥) سنة ١٢٥٢هـ (١٨٣٦ م) ·
وتوجد صورة هذه الرسالة الان بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب ، وهي باللغة التركية وقد ترجمها لي الحاج محمد الاسطى ·

جماعة لا يفرقون بين الشر والخير ، فأخذنا الاحتياط اللازم وارقفنا الحراس في الأماكن اللازمة وفي سرية جهزنا المدافع لاطلاق النار غير أن المسألة خمدت .

ولكن بصفة أدبية وبطريقة حكيمة يجب ابعاده وطرده وقد دبرنا لذلك خطة وهي أننا نعلمه بأنه سوف يجند ألاي من العساكر الجديدة وان قيادته سوف تسند اليك ولذلك لا بد من ذهابك الى استانبول لتسلم هذه الرتبة رسمياً وتأخذ معك كل لوازم ألاي المجند وترجع الى هنا معززاً مكرماً وهذا وفقاً للقانون السلطاني ونعطي له رسالة بهذا الخصوص .

وقياساً على ذلك فانه توجد جماعة كثيرة يجب ابعادهم من هنا وان البلعزي من أصحاب علي باشا وصديقاً له ومساعياً بالفساد . أما البعض الآخر فان الكثير منهم في حماية الأجانب وعلى ذلك نتركهم الآن .

ولاقرار الأمن في البلاد لا بد من ارسال ألفين من العساكر والخيالة لأن العرب بطبيعتهم لا يدخلون في طاعتنا بسهولة بل يحتاجون الى التهديد والتضييق والضرب الشديد ، حتى ان العرب الذين قدموا الطاعة لنجيب باشا انما هي طاعة كاذبة وأخذوا منه بعض النقود لأنهم لا يميلون إلا لها .

وان العربان الذين هم في الخارج يوم أن كانوا محاصرين للقلعة مع محمد بيك فقد أخذوا كل الأموال لأنفسهم واذا ما غضينا النظر عن الماضي فانهم كذلك الى الآن لا يريدون دفع أي شيء ولادخالهم تحت الطاعة لا بد من القوة القاهرة السلطانية وهذه متروكة للفرمان السلطاني .

وان اقامة حسن المذكور في استانبول واجبة وذلك لما تقتضيه الظروف الحالية .

وان شاء الله عند وصول هذه الرسالة اليكم تحيطون علماً بما يجب اتخاذه .

عزمي　　　　محمد رائف

ثم علقا على خطابهما هذا بما يأتي :

تبين لنا بعد ما كتبناه في حق حسن آغا ان أطواره وحركاته تدل على أن ما قيل في حقه كان افتراء كما علمنا ذلك من أناس لنا فيهم ثقة. وقد شهدوا فيه شهادة حسنة وعلى ذلك فان ما سمعناه كان باطلاً . ولذلك فقد أجلنا مؤقتاً الاجراءات التي كنا نود اتخاذها ، والأمر متروك لارادتكم السنية .

محمد رائف　　　　　　عزمي

وثيقة رقم ٦٩

اقرار من الشيخ غومه المحمودي يعلمه فيه استسلامه
وخضوعه للدولة العثمانية بتاريخ ٢٤ رجب سنة
١٢٥٨ هـ (١٨٤٢ م) [١]
(لم يسبق نشره من قبل)

•••

الحمد لله .

هذه نسخة عرض حال الشيخ غومه ضبط هنا لأجل حفظ نصه بعد سطر الافتتاح .

أكتب هذا التقرير اليكم يا أهل ديوان المشورة الخيرية المقيمين بطرابلس غرب القائمين بالعدل اني كما في علمكم كنت متجنباً على القدوم الى المدينة طرابلس السبب في ذلك خوفاً على نفسي . ولما ان بلغني الخبر أن مشير ايالة طرابلس غرب أفندينا المعظم الأرفع محمد أمين باشا بلغ

---

١ يوجد اصل هذا الاقرار بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب وهو باللغة العربية .

الى محروسة طرابلس غرب ونشر رايات العدل والصدق والرحمة والشفقة وأجرى القوانين الشرعية على أصولها ورتب المشورة الخيرية على مقتضى الأوامر السلطانية كما رفع ذلك في دار الخلافة العليـة وكان ذلك قولاً وفعلاً فلله مزيد الحمد والشكر الذي أقام الله الدين وعمر ديوان المسلمين وكان ذلك بموجب سلطان السلاطين ظل الله في أرضه القائـم بمسنونه وفرضه مولانا السلطان أعزه الله وأبقاه ولما ان تحقق عندنا ذلك ها نحن قدمنا عليه وحضرنا بين يديه خاضعين طائعين لله رب العالمين ثم للدولة العلية وصرت عبداً مملوكاً اليها في كل وقت وحين،والانسان محل الخطأ والكمال لله .

والدولة العلية محل العفو والفضل والحنان والرفق ويكون في علمكم أن اصطلاح بر العرب والسخرية تركته وصوت من العساكر المنصورة العثمانية ونعلم ونتحقق أن خليفـــة رسول الله صاحب الأمانة المخصوص بالعدل والديانة ولولا ظله لكنا غنيمة للكفار كما قال الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم والحمد لله التوبة أقرب الى الله من المعصية فمن عفا وأصلح فأجره على الله.

أشهدوا عليّ يا أهل المشورة الخيرية اني بذلت نفسي ومالي واصلاح نفسي بقدر طاقتي في خدمة الدولة العلية وطاعتها ما دمت على قيـــد الحياة . وأنتم الضامنون والمتكفلون في ذلك لأننا تحققنا من أميرنا الصدق لأن المرسول من وصف الراسل وانتم خاطبتونا بجواب منكم لما ان كنت في البر باذن أفندينا المشار اليه وبأمان الدولة العلية وأعطيتموني خطوطكم وطوابعكم في ذلك وهذا مني اليكم مثله فان وقع مني خطأ أو بعـــد أو خلاف أحكموا علي بمقتضى مـــا يجري به العدل والله الموفق للصواب حرر ذلك في الرابع والعشرين من رجب الأحب سنـــة ثمانية وخمسين ومائتين وألف صح من كاتبه عبده الفقير الى ربه غومه بن خليفـة بن عون المحمودي وفقه الله .

خاتم غومه

(ثم كتب أسفل الوثيقة رقم ٦٩ مانصه) :

لما ان تقرر من الشيخ غومه بن خليفة المذكور أعــلاه وقدومه على أفندينا المشار اليه ومعاينته للحق والصدق كما ذلك مرقوم أعلاه وبحضورنا نحن أهل المشورة الخيرية الواضعين خطوط أيدينا وطوابعنا أسفله وبمـــا سطره غومه بن خليفة المذكور بخط يده والتزامه بالخدمة والصداقة للدولة العلية وعدم البعد والفساد وانه ما دام بقيد الحياة لم يقع منه شيء سائر الأمور التي لا تليق كما ذلك محرر بخط يده أعلاه فعند ذلك حررنا له هذا التقرير وضمنا فيه بأنه ما دام على هذه الكيفية المذكورة لا يخشى من شيء من الأشياء وان هو وقع منه خطأ أو بعد أو فساد وفعل شيئاً مما لا يليق ولو بأقل القليل فلا نرضوا له بذلك ونكونوا عليـه بجملتنا ويقع فيه الحكم على حسب ما يقتضيه نظر أهل المشورة المذكورين مثل ما نص على نفسه بنفسه كما هو محرر أعلاه وعلى ذلك قيدنا هذا التقرير المذكور فيه اسمنا وطوابعنا في أواخر رجب سنة ١٢٥٨ .

توقيعات الذين ضمنوا غومه

أحمد شكري　　مصطفى حبيب

ختم مفتي المالكية　ختم مفتي الحنفية　محمد التركي　مصطفى قورجي　محمد بيك الأدغم

محمد محمد شيخ البلد　　ابراهيم بيك　　وغيرهم

وثيقة رقم ٧٠

رسالة من الشيخ غومـــه المحمودي الى السلطان عبد المجيد يشرح له فيها تطورات الظروف السياسية في ايالة طرابلس الغرب بعد سقوط حكم الأسرة القرمانلية ورجوع البلاد من جديد الى التبعية العثمانية المباشرة ثم يطالب فيها بعودة الحكم القرمانلي الى البلاد من جديد سنة ١٢٦٨هـ الموافق لسنة ١٨٥٢م[١]

(لم يسبق نشرها من قبل)

* * *

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

المعروض عـــلى أعتاب السلطان الأعظم والخاقان المعظم مالك رقاب الأمم ، سلطـــان البرين وخاقان البحرين ، إمام المسلمين مولانا الغازي عبد المجيد أيده الله ونصره آمين . أما بعد ،

---

١ يوجد أصل هذه الرسالة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب وهي باللغة العربية .

انه من نعم الله على العباد حيث جعلكم الخليفة الأعظم وصارت مخلوقاته وديعة لدى دالتكم السنية ، وجاء في الحديث الشريف عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم،الدين نصيحة وكذلك كلكم راع ومسؤول عن رعيته . وجاء في القرآن الكريم آيات كثيرة تحرض على العدل وحسن المعاملة مع الرعية وقال تعالى : ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعفُ عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر .

وقال تعالى : ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون .

وغير ذلك من الآيات الشريفة والأحاديث الصحيحة وكثرتها لا تخفى على معلوميتكم فلأجل الاعتماد على حسن الظن بحضرتكم العلية وما هي عليه من العدل والرحمة فها نحن أهل ايالة طرابلس غرب أردنا عرض أحوالنا وما جرى علينا على سلطنتكم العظمى والنظر لله تعالى ولكم في ذلك .

فلا يخفى على شريف علمكم انه من سنة ٩٥٨ ﻫ انسلكت ايالة طرابلس غرب تحت طاعة دولتكم العلية العثمانية وكان واليها نائب من السلطنة السنية به التفويض العام وديوانها مستقل بالترخيص من الدولة العلية الى سنة ١١٢٣ ﻫ تولى ملكية طرابلس بيت القرمانلية أولهم المرحوم سيدي أحمد باشا باتفاق جملة أهل العمالة وأنعمت عليه الدولة العثمانية بالنيابة عن السلطنة السنية كالعادة بالتفويض العام ، وصاروا أعقابه يتوارثون ولايتها خلفاً عن سلف كذلك . وكنا في هناء وخير عظيم في تلك المدة باذلين الجهد في خدمة الدولة العلية الى أن كان من قضاء الله وقدره صار النزاع بينهم في الملك وأوقدت نار الفتنة بالعمالة وانقسمت فرقتين متحاربتين وذلك بسبب عصيان أحد الحفدة جده المرحوم سيدي يوسف باشا ثم سلم المذكور في الملك وخلع نفسه وأقام فيه مقامه المرحوم سيدي علي باشا وذلك سنة ١٢٤٨ ، وانعم عليه مولانا السلطان محمود

رحمه الله بفرمان الولاية على حسب العادة وعرفته أكثر الدول الأجنبية وهنأوه فلما تفاقم أمر حرب العمالة وصار سفك دماء المسلمين جارياً بحراً فطلب سيدي علي باشا المذكور من حضرة مولانا السلطان المشار اليه ان يعينه بقوة يصلح بها حال البلاد وتطفىء بها نار الفتن ويحقن بها دماء الاسلام ، فلرحمة مولانا السلطان رحمه الله أمر بارسال عساكره لتلك الغرض ولا شك في شفقته ورحمته بالعباد،وكان الأمير على تلك العساكر السيد نجيب باشا فما كان من بعض وزراء تلك الوقت الا ان تعلقت قلوبهم بالاستحواذ على عمالة طرابلس والتصرف فيها بدون بيت القرمانليين الذين هم نواب السلطنة السنية من قديم الزمان وخدام أوامرها العلية ، ووسوسوا بذلك لنجيب باشا فما كان منه الا مخالفة الاذن العالي والارادة السنية الا انه غر سيدي علي وخدعه واحتال عليه هو والأعيان العمالة ومسكهم ونفاهم الى دار السلطنة العلية ، وتلك هي البلاد والله أعلم بما كتبه الى الدولة العلية وتعلل به وأظهره من تحسين فعلته وظهر لنا ان الذي يرد علينا من دار الخلافة يكونون صلحاء يتبعون أوامر السلطنة السنية في العدل واصلاح حال الرعية وان كان تضرر من فعلة نجيب باشا الناس وارتكابه لما ارتكب ، ولكن بان سوء سيرة الولاة وظلمهم ، فتذكر الناس ايامهم مع حكامهم الأولين فصار منهم التنافر والتباعد عنهم ومن ظلمهم بالاذعان لطاعة دولتكم العلية وتوالت السنين بالحرب والأمراض والقحط والظلم فهلك الناس وكثر الخراب ، وكلما صار تبديل والي من الولاة رجون أن يكون الخلف أعدل وأسوس من سلفه فيكون هو أشد ظلماً من الأول وكلهم يجورون وبعد الأمان صبراً للناس يقتلون ونفياً يشردون ونحن صابرون مرتقبون لعل الولاة يصير منهم للناس حسن التفات وهم لا يصدر منهم الا أعنف المعاملات مرتكبون في ذلك الاثم العظيم الذي هو مخالف لأمر الله تعالى ولارادتكم السنية لأنكم لا زلتم نصركم الله تعالى تأمرون بالعدل والاحسان وهم لا يمتثلون حتى بلغ الظلم

نهايته بحيث لا طاقة لبشر على تحمله ، والشرع الشريف أهملوه وشرائع الدين الحنيف غيروه ومذهبنا مذهب امام دار الهجرة حضرة الإمام مالك رضي الله عنه أبطلوه، والجوامع والمدارس خربت أو قربت من الخراب ولا يصرفون ايراد الوقف في واجباته فالقضاة يبيعون في الوظائف الشرعية لمشتريها والمشتري يصير يبيع في الحقوق لمن يدفع اليه الأكثر من المال ، ولا يحكمون في زالة الشرع الشريف الا الدرهم والدينار ، ووثائقنا [1] يتحكمون عليهم القضاة الآتين من دار السعادة يبطلونهم ويصححونهم على حسب المقدر من المكسب كما يشاءون .

وأما أمر الحكومة فمن يوم وصول الوالي يرتقب في عزله فتسير مهمته في جمع المال لنفسه بكل وجه فيبقى يبيع في الوظائف الملكية بيننا كالدلال ، وقد يولون أكثر مأموريات الايالة سفلة خدمتهم التي كان لا يتولاها إلا من هو من الكبار والأعيان ، ومن اشترى وظيفاً فيصير يجلب لنفسه ويسعى في رد رأسماله وما يدخره بعد مصاريفه وهؤلاء الخدم الذين يولونهم المناصب عوضاً عن الاجتهاد في التأليف بين العباد والنظر في مصالح الدولة العلية وأمر الرعية منهم يثيرون الهرج بين الناس ويغيرونهم حتى تبلغ النفسانية مقامها ، ثم تكون منهم الحيل في التكسب ، ومن لا يبد لهم مال على قدر المنازعة لا يكون له عندهم حق وقد يلبسون على من يضن بالمال تهم لا أصل لها فيعذبونهم ويرزلونهم ويحبسونهم حتى يفدون أنفسهم بالمال ومن يحملوه بما لا طاقة له به يعذبونه ويضربونه ويؤذونه بما لا يحتمله انسان ويعطونهم ما يريدون .

ومن يتحرك منا للشكاية بما وقع فالباشا يحبسه وينفيه ويردفه بمضبطه من المجلس غصباً طبق ما يريد ، ومن يخالفه من أعضاء المجلس يقهره وتحل به الاذية العظمى .

---

[1] وثائقنا = قضاتنا

ونحن متحقق عندنا ان السلطنة السنيـة جعلت المجلس للانصاف ، وراحة العباد والبلاد لكن منوط أمره بيد الوالي فهو يقبل به مـا يريد ويتعاونوا به على ظلمه فهم حسب الأحوال فلا يتبعون بذلك شرع الاسلام الشريف والقانون السلطاني المنيف ، لأنهم جاعلون على كل بلد أو قبيلة شيء من المال ثم واضعين على كل شجرة من نخيل أو زيتون قدر من الدراهم ثم وقت الزيتون يخرصون الحب في شجره من أجل تعشيره ثم بعد عصره وجلبـه يدفع الجمرك المعلوم ويأخذون العشر من محصول المعاصر . وامـا الزرع فيخرصونه أيضاً في سنبله للعشر وقد يأتي هذا التخريص على البعض بجميع زيتونه وزرعه حتى يسلم لهم فيه كلية ولا يقبلون منه ، وقد يلزم بعض الناس ان يعطي جميع غلته ويزيد عـلى ذلك من نفسه ؛ ثم واضعين على الأهالي شهرية القيـاد وجائزة القضاة واجرة تسخير الحيوان الـذي يحمل المهات الى البلاد وضيافة المأمورين وخدامهم على مرورهم في الأوطان . وزد على ذلك كله أننا دفعنا في مدة عام ونصف ثلاثـة معاونات دراهم نقدية ومتحقق عندنا ان همة سلطنتكم السنية ان المعاونة تكون من الأهالي بطيب نفس وكل واحد يدفع ما يقدر عليه ، ولكنهم على خلاف أمركم العالي في ذلك لأنهم هم الذين يوزعون ويعينون المقدار ويحصلون في ذلك جبراً ، ولا وصل من ذلك للخزينة العامرة الجليلة إلا بعض ما تحصل .

أنظر أيها الإمام يا خليفة الاسلام هل يرضى هذا الفعل الله تعـالى وحضرتكم يا سيدنا السلطان من السلاطين الكرام . ومع هـذا لو كان هذا المال كله يصل الى خزينتكم العامرة ونعلمه انه انصرف في مصالح الاسلام ومنـافع الدولة العلية لكان الأمر يهون علينـا ، لكن ما تحقق عندنا لا يصل الخزينة مما يأخذونه إلا اجزءاً والباقي كله ينجره الى صناديق الولاة وأعوانهم . هذه الأموال التي يجلبونها ، فأنواع الارتكاب عنـد عزل الوالي أو أحد المأمورين يحمله معه الى بلده ولا تكون منها منفعة

للدولة العلية ولا لبلادنا بل ضعف لها وجميع الفقراء والمساكين لا يصير عليهم انعام من بيت المال بشيء ولا يصرفون في مصالح البلاد شيء ، والحاصل ابتلينا بظلم متصل كبير حتى ان الموت أهون من تفكره ، ولا طاقة لنا على الاصطبار على هذا الحال، بحيث أنه لا أمان لنا على أنفسنا ولا أموالنا ولا أعراضنا .

يا أيها الخليفة من الخلفاء العظام ، ونحن متحقق عندنا شفقتكم على الأهالي وعدالتكم ورحمتكم وصدور أوامركم الشريفة بالوصايا الحسنة على المسلمين وغيرهم ممن يتبعكم حتى ان أهل الذمة والنصارى جاعلين عليهم حكامهم من أبنـــاء جنسهم وأكابرهم رعياً للمصالح العامة ، فكيف لا يكون الفضل علينا ونحن اسلام سنيون والحمد لله .

فالمطلوب من مقام خلافتكم أن تنظروا الينا بعين الرحمة وما أمركم الله به من النظر في مصالح المسلمين بصدور أوامركم الشريفة بأن يكون الوالي علينا باشا عربي مؤيد يعلم نفسه انه مقيم بيننا طول عمره وانها بلده ، ليس يكون عاملاً خاطفاً كالطير ، إلا اذا صدر منه فعل مغاير لرضى الباري تعالى وأمركم الرفيع فترفعه عنا وتنصب عوضه ويكون معه ديوان مركب من رجال منا اخيار أهل معرفة ودين بحيث لا يصدر منه فعل إلا بعد اتفاق أكثره ويقفون في اجراء الأحكام الشرعية والقوانين المرعية وان حصل الفضل علينا بذلك نلتزم،أولاً ان نقيم بالعسكر الذي يتخصص لبلادنا ، ثانياً بجميع اللوازم الملكية ، ثالثاً نجتهد في اصلاح مـا خرب في بلادنا من مدارسها وجوامعها وأرضها وقلاعها وأسوارها . ويصـــير اجراء الأوامر العلية طبقاً للارادة السنية ، رابعـاً نبعث لخزينتكم العامرة ما وصلها الآن بعد المصاريف ونصف زيادة ويكون مصروف هذه العمالة مفهوم عند كل أهلها ويوزعونه بينهم على طبقاتهم وكل أحد يعرف ما ينويه ويهتم بدفعه ويعرف انه انصرف في منافع البلاد ومصالح المسلمين

ويتيقن انه في أمان على نفسه وماله وعرضه في ظل سلطنتكم العلية نصرها الله وخلدها آمين .

ولو كنا نحن الآن على هذه الحالة كما كنا في السابق لكنا الآن عامة على حرب هـــذا العدو الموسكو [1] أهلكه الله ووصلكم الآن مع عسكر ومهمات على قدرنا كما فعلنا في حرب الروم وغيرهم ، ولكن كثرة الظلم وتردد الولاة استحوذ على بلادنا الهلاك والخراب حتى ان عمالة طرابلس والتي هي الاوجاق القديم عجزت الآن ان تكون كأصغر الايالات ولكن قد عاونت على قدر الطاقة بالمال .

فالمأمول من فضلكم العلي أن يكون نعيين هـــذا الباشا على المنوال المحرر جلباً لصالح دعائنا ومنة علينا من هو الأحق به والأليق اليه الذي هو من سلالة دولتـــكم .... [2] العلية وعرشها من قديم الزمان وخدامها سلفاً عن خلف وهو عربي من جنسنا ومن أهل بلدنا من البيات من السادات القرمانلية لأنهم يعرفوننا ونعرفوهم ويعلمون طبائعنـــا ويسوسوننا طبق ارادتكم العلية ولولا اعتمادنا على عدالتكم وشفقتكم على رعاياكم فما كنا قدرنا على التجاسر بطلب هذا الفضل من سلطنتكم علينـــا ولكن نعلموا انكم للاسلام كالأب الرحيم ورجاءنا من الله تعالى ومن فضلكم السنية انكم لا تخيبون آمال هؤلاء المساكين لأنه لا راحة لنـــا الا اذا تفضلتم علينا بهذا الالتماس الذي فيه منفعة الدولة العليـــة وارادتها وعمارة بلادنا وهنائنا ونفـــع لكافـة الاسلام فبالله القادر والرحمن الرحيم اغثنا يا إمام المسلمين لأنه لا دواء يكون فيه شفاء لهذا الجسد الذي هو في حالة السياق وطن طرابلس غير هذا الرأي المبارك وهو هذا المطلوب فلربما يخطر في البال انه لا تكون منا حسن المعاشرة مع من تنصبه سلطنتكم وتختاره من

---

١ الموسكو = الروس

٢ هناك جملة غير واضحة ، غير انه يمكن قراءتها على النحو الاتي « ذات الاركان العلية » .

البيات القرمانلية فلكم عهد الله وعلينا ايمان جميع المسلمين ونذورهم اننا لا نخالفوه في شيء الا في أمر هو مخالف لرضى الله تعالى وأمركم العالي وزيادة على ذلك تطمئنا للخاطر انه كل من يتعين من أولادنا ان يكون رهناً فنحن ممتثلين لتسليمه ، لكن الحمد لله يدكم العليا لا يبعدها شرق ولا غرب وخصوصاً عدلكم السني لا يحتاج ليمين ولا مراهين .

ولكن يا إمام المسلمين نحن قد صار سابقاً تقديم عرض حال منا لاعتابكم ووصل لحضرة مولانا الصدر الأعظم ووجه مع محقق لدولتلو باشا والي طرابلس سيدي مصطفى نوري [1] ، فجمع الوالي أناس تحت قهره وألزمهم بطبع مضبطة يكذبون عرض حالنا ونتج ان ثلاثة عشرة نفراً منا من الأعيان صار نفيهم وتعذيبهم الى قسطاموني الى ان تفضلتم بمن بقي حياً بسراحهم الآن، وصار هو بتلك الارهاب يهلك في الحرث والنسل ولا يترك باباً من أنواع الظلم والرشوة الا ارتكبه ولا صار لأحد منا أمن على نفسه ولا ماله ولا عرضه بحيث فعله لا يمكن أن يعبر عنه كاتب ، فاتفقت الناس وكتبت لجنابكم عرض حال وبينوا فيه الشكاية والمراد ، فما كان منه الا ان ادعى عصيان الشاكين والمظلومين المساكين انفة وارتكاباً لمنع الشكاية ووجه جرايد من الخيل ثم أعقبهم بحملة وعساكر يريد قتل النفوس وسفك الدماء وسبي الأهالي وخراب البلاد فاستغثنا عن معارضته بكل وجه وبينا له قصدنا من المداومة على الطاعة للدولة العلية وانما شكوانا هذه عسى أن تبلغ امير المؤمنين وخليفة المسلمين فيرفع عنا كل ظالم ويعاقبه بقبح فعله ، فما كان منه الا ان أمر الجيوش يقصد الجبل الغربي واعدامه ثم بعده يطلب غيره ، فلما تباعدنا عن المقاتلة وهو مصمم على خلاف أصول الشريعة والقوانين المرعية ، فصار الدفاع من الناس على نفوسها وحريمها وأموالها فتقهقرت الحملة وتفرقت

---

١ تولى حكم ايالة طرابلس من ١٢٦٨ الى ١٢٧٢ هـ (١٨٥٢ ـ ١٨٥٦ م)

وجميع من وقع في أيدي الناس من العساكر الذين ليس قاتلوا الا جبراً لتحقيق ظلم الباشا المذكور عندهم وهم من جيوش الدولة العلية فعملت الناس الواجب وحفظوا العسكر وأكرموه وردوه بالعز والاحترام إلى طرابلس.

وها نحن يا مولانا عرضنا على جناب دولتكم العلية أحوالنا ما قدرنا منها لتعمل فينا وتجري ما فرضه الله عليكم من النظر في مصالح المسلمين ولا تكلنا الى غيركم ولا تفوض أمرنا الا لكم ولعدلكم لأن الله لا يسأل غيركم وانت امامنا واعمل ما يخلصكم مع الله هو مولانا ومولاكم فنعم المولى ونعم النصير .

ومع هذا فقد مدت ايدينا أجمعين من التضرع لله تعالى بالدعاء بجميع الخيرات لحضرتكم العليــة ودولتكم السنية وان ينصركم ويخلـد ملككم ويهلك عدوكم ويعطفكم علينا ويرضيكم عنــا والله يتقبل وهو أرحم الراحمين سبحانه وتعالى .

وان اقتضى من نظر مولانا يكون والياً علينا السيد حسن بيك قرمانلي من أحفاد المرحوم المنعم بيك بنغازي لأنه صاحب سياسة وأدب وبولايته ان شاء الله تعالى تسعد البلاد ويصلح ما بها من الفساد ودام لكم النصر من الملك الجواد والسلام .

التوقيــع

غومه بن خليفة المحمودي

صورة وثيقة بالفوتوكوبيا لرسالة الشيخ غومه الى السلطان عبد الحميد
يشرح له فيها حالة البلاد بعد سقوط الحكم القرمانلي سنة ١٢٦٨ هـ

فهرست

الفصل الثاني

سياسة يوسف باشا الخارجية

الفصل الثالث

سياسة يوسف باشا الداخلية

الفصل الرابع

اضطراب الحكم وتنازل يوسف باشا عن الولاية

الفصل الخامس

النزاع الاسري وسقوط الدولة القرمانلية

الخاتمة

المراجع

ملحق الكتاب